


تأليف
الأستاذ الدكتور الشيخ ابو محمد
عبد المهدي بن عبد القادر بن عبد الهادي
أستاذ الحديث وعلومه بكلية اصول الدين
جامعة الأزهر

١٤٢٧هـ-٢٠٠٧م

مكتبة الإيمان
٤ش أحمد سوكارنو – العجوزة
تليفون: ٢٤٥٢٢٠٢ فاكس: ٢٠٤٤٨٤١

﴿ مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً ﴾

[ سورة النساء : ٨٠ ]

﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾

[ سورة الشورى : ٥٢ ]

﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ .

[ سورة القصص : ٥٠ ]

« كلُّ أُمَّتى يَدْخُلُونَ الجنةَ إلَّا مَنْ أَبَىٰ، قالوا : يا رسول الله ، ومن يأبى؟ قال: من أطاعنى دخل الجنة ، ومن عصانى فقد أبى » .

[ أخرجه البخارى رقم ٧٢٨٠]



# بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمداً طيباً طاهراً كثيراً مباركاً فيه .. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، اللهم صل عليه وعلى آله وأصحابه ، وكل من اهتدى بهديه وسلك طريقهم إلى يوم الدين .

وبعـــد :

فهذه عدة بحوث عن « **السنة النبوية** » تبرز :

● حقيقتها وقدرها ، والعلاقة بين القرآن وبينها ، وتبين وجوب العمل بها .

● وتقوّم المعوج من فهوم بعض الناس عنها ؛ فتأخذ بيد طلاب الحق لتصل بهم إلى المعرفة الصحيحة .

• **فبحث في « حقيقة السنة »** وتوضيح معناها ، وأنها كل ما أثر عن رسول الله ﷺ ، كما فهم السلف ، واتبع الصادقون .

• **وبحث** في بيان « **مصدر السنة** » وأنها من وحى الله تعالى إلى رسوله ﷺ ، وأنها حق وصدق .

• **وبحث في « وجوب العمل بالسنة »** أمرنا بذلك ربنا سبحانه وتعالى في غير ما آية ، وأمرنا بذلك رسول الله ﷺ في كثير من حديثه ، تعددت الأدلة في ذلك وتنوعت ، وأبانت فضل المتمسك بالسنة كما وضحت حكم من أنكرها .

• **وبحث** في بيان « **العلاقة بين القرآن والسنة** » وأنهما متوافقان متعاضدان في بيان دين الله تبارك وتعالى ، وكل أمر من أمور الإسلام فإنما يؤخذ منهما معاً ، فالعقيدة تؤخذ منهما معاً ، وكذلك الأحكام الشرعية ، والأخلاق الإسلامية ، لا يُسْتَغنى بالقرآن عن السنة ، ولا بالسنة عن القرآن .

• **وبحث** فى التعريف بـ « **مكانة رسول الله ﷺ العلمية** » وأنه ﷺ بما علمه الله وألهمه ، هو وحده الذى يبين القرآن ويوضح الإسلام ؛ فلقد آتاه الله من العلوم ووضح له من الأمور ما من شأنه صلاح دعوته ، وكمال دينه المرسل به إلى البشرية كافة .

• **وبحث** فى التعريف بـ « **هَدْى السلف فى اتباع السنة** » وأنهم حرصوا على اتباعه ﷺ اتباعاً تاماً ، وابتعدوا عن كل بدعة ، وتحاشوا الرأى ، وكانوا نِعْم المتبعين للقرآن والسنة .

• **وبحث** فى « المتواتر والآحاد » بينت فيه أن الأصل فى صحة الخبر إنما هو صدق نَقَلته ، وضبط - قوة حافظة - حملته ، وأن الإسلام لا يعتمد فى الرواية على كثرة العدد ، وإنما اعتمد على صفات الرواة من العدالة والضبط .

ووضحت أن خبر الآحاد بشروطه الإسلامية حجة يلزم قبوله ، ويجب العمل به ، فى العقائد والأحكام ، وكل أبواب الإسلام .

• **وبحث فى « درجات العمل بالسنة »** وأنه يجب قبول السنة ، **أما العمل بها** فحسبما تقتضيه القواعد من إفادة الأمر الوجوب ، أو الندب ، أو الإباحة ، ومن إفادة النهى الكراهة ، أو التحريم .

• **وبحث** فى ظاهرة « **إنكار السُّنَّة** » وفيه ذكرت ما بدا لى من معلومات عن حاملى وزر هذه الظاهرة ، فذكرت صفاتهم وملامح فكرهم ، حسبما بدا لى من مناقشة بعضهم ، ومن خلال قراءة كتبهم ، وبينت أننى لم أجد فيهم سيما الصالحين ، ولا أخلاق العلماء العاملين المخلصين ، وليسوا ممن يحبون كتاب الله ، ولا ممن يحبون هَدْى سيدنا رسول الله صلى‌الله عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين .

أما أفكارهم فلا تقوم على أساس ، وهم ليسوا طلاب حق ، ولا يريدون الإنصاف . ثم تعرضت لشبههم إجمالاً بما معه اتضح أنه لا تقوم لهم شبهة ، وأن اعتمادهم على قلب الحقائق ، والتلبيس على الناس ، وميوعة الكلام ، ومثل هذا لا ينطلى على أصحاب الفكر ، ولا على أى مسلم ما دام يفكر ولو تفكيراً عادياً ، لم يُغَذّ بقراءة ، ولم يقوَ بطلب العلم .

وبفضل الله تعالى بذلت جهدى فى إعطاء كل بحث حقه ، فجمعت أطراف البحث ، محاولاً الاستقصاء والدرس ، وذكرت لكل مسألة دليلها ، فإن كان الدليل آية من القرآن الكريم عزوتها لسورتها ، وذكرت رقمها فى السورة ، وإن كان من الأحاديث النبوية فإنى أعزوه إلى كتب السنة المسندة .

وبحمد الله تعالى لم أذكر فى كتابى هذا حديثاً مردوداً ، فليس فيه حديث شديد الضعف أو موضوع ، وإنما أحاديثه كلها بحمد الله فى دائرة القبول ، وكثير منها من الصحيحين .

وأما إذا أخذت من أقوال الصحابة أو التابعين أو الأئمة فإنى أعزوه إلى مصدره .

وفى تفسير الآيات القرآنية ، وشرح الأحاديث النبوية اقتصرت على ما تدعو الضرورة إليه خشية الطول ، وكذلك فى بيان معنى الألفاظ الغريبة .

ولقد اعتمدت فى تفسير الآيات على تفاسير أئمة الإسلام الذين اعترف لهم القاصى والدانى ببلوغ مرتبة المفسّر .

وكذلك فى شرح الأحاديث اعتمدت على شروح الأئمة الأعلام من المحدِّثين .

وفى معانى الألفاظ الغريبة اعتمدت على كتب اللغة المعتبرة ، ذات القدر العالى فى تخصصها .

ومنهجى هذا يختلف تماماً عن منهج الذين يكتبون ضد الإسلام وضد السنة ، فإنهم لا يذكرون مصدر كلامهم ، ولا يعتبرون ميزان اللغة العربية التى نزل الوحى بها ، والأمر لا يحتاج المقارنة ، فكفاهم أنهم لا يقبلون كلام الرسول الذى أرسله الله وعصمه ، وإنما يسيرون خلف أفكار فلان وفلان ، أما أنا فبكتاب الله أهتدى ، وبرسول الله ﷺ أقتدى .

ولسوف يجد القارئ أننى أكثرت من الأدلة ، فذكرت الكثير من الآيات القرآنية ، وكثيراً من الأحاديث النبوية ، وكثيراً من أقوال الصحابة والتابعين ، وأئمة الإسلام ، والدافع لذلك أن أُثبت الأمر بالدليل ، وأن أُقنع طالب الحق ، وأن أُقيم الحجة على المعاند ؛ فأهل الحق يزدادون بالدليل إيماناً ويقيناً ، أما غيرهم فلعل قوة الدليل تأخذ بأيديهم إلى الصراط المستقيم .

وكتابى هذا مدخل لدراسة السنة النبوية ، اقتديت فى تأليفه بالأئمة الأعلام الذين وضعوا مداخل للسنة ، كأبى عبد الله الحاكم النيسابورى المتوفى سنة ( ٤٠٥هـ ) والحافظ البيهقى المتوفى سنة ( ٤٥٨ هـ ) وغيرهم ، إلا أنى كتبت بما يناسب أهل زمانى ، تناولت فيه الكثير من القضايا العامة عن السنة النبوية بالبحث والدراسة معتمداً على النصوص من القرآن والسنة ، فى ضوء فهوم الصحابة وسلف الأمة ، والأئمة الأعلام رضى الله عنا وعنهم أجمعين .

وأسأل الله ربى الكريم أن يرزق عملى هذا وكل أعمالى القبول ، وأن ينفع به كاتبه وقارئه ، وأن يجعله فى ميزان حسناتى يوم ألقاه .

﴿ وَمَا تَوْفِيقِى إِلَّا باللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ .

**عبد المهدى عبد القادر**

صفر ١٤١٩ هـ .
يونيو ١٩٩٨ م

# حقيقة السُّـنَّة

- السنة فى اللغة ( استقصاء معانيها ) .
- لفظ « سُـنة » فى القرآن الكريم .
- السنة النبوية فى القرآن الكريم .
- السنة فى الشرع .
- سنة العبادة والعادة .
- اتباع الصحابة كل ما كان منه صلى اللّه عليه وسلم .
- السُّنة الراشدة .
- التعريف الجامع للسنة النبوية .
- توضيح التعريف .
- أقضيته صلى اللّه عليه وسلم .
- تأبير النخـل .
- زمن السُّنة .



# السُّنَّةُ فِى اللُّغَةِ

**السنة فى اللغة من** : ( س ن ن ) أو سَنّ ، وهذه المادة تفيد جريان الشىء واطراده فى سهولة [1] ، فهى تفيد أن الشىء تكرر حتى أصبح قاعدة .

ولها عدة معان :

**١ – فالسنة بمعنى الطريقة والسيرة** [2] ، وهذا أوضح وأغلب معانيها ، حتى قال ابن الأثير : « والأصل فيها الطريقة والسيرة » [3] . وهكذا قال الفيروزابادى [4] : « على أنهم حينما يفسرون « السنة » بالطريقة والسيرة ، إنما يعنون الطريقة مطلقاً ؛ محمودة كانت أو مذمومة » ، ومن العلماء من نص على ذلك ، قال فى اللسان : « والسنة : السيرة ، حسنة كانت أو قبيحة ، قال خالد بن عتبة الهذلى » [5] .

فَلا تَجْزَعَنْ مِنْ سِيرةٍ أَنْتَ سِرْتَها ... فَأَوّلُ راضٍ سُنَّةً مَنْ يَسيرُها [6]

والنصوص تؤيد هذا :

فقد جاء فى القرآن الكريم لفظ السنة مضافاً إلى المعاندين الكفار ، وأن سنة الله فيهم أن يعذبهم وينتقم منهم سبحانه وتعالى ، وذلك كما فى قوله تعالى : ﴿ **قُل للَّذِينَ كَفروا إن يَنْتَهوا يُغْفَر لهم ما قد سلف وإن يعودوا فقد مَضَتْ سَنَّةُ الأَوَّلين** ﴾ [7] أى وإن يَعُد الكفار لقتالك يا محمد والمسلمين بعد الوقعة التى أوقعتها بهم يوم بدر ، فقد مضت سنتى فى الأولين منهم ببدر ، وفى غيرهم من القرون

---

(١) راجع معجم مقاييس اللغة لابن فارس ٣/٦٠ .

(٢) العطف هنا تفسيرى .

(٣) النهاية ٢/٤٠٩ .

(٤) بصائر ذوى التمييز ٣/٢٦٧ .

(٥) قال مصحح اللسان : قوله « خالد بن عتبة الهذلى » خطأ صوابه : خالد بن زهير ، وهو ابن الشاعر أبى ذؤيب الهذلى ، أو ابن أخته .

(٦) لسان العرب ٣/٢١٢٤ .

(٧) سورة الأنفال الآية : ٣٨ .

الخالية ، إذ طغوا وكذبوا رسلى ، ولم يقبلوا نصحهم من إحلال عاجل النقم بهم ؛ فأحل بهؤلاء إن عادوا لحربك وقتالك مثل الذين أحللت بهم[1] .

وجاء لفظ السنة أيضاً مضافاً إلى الصالحين الأخيار ، وذلك فى قوله سبحانه : **﴿ يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم ﴾**[2] والمعنى : يريد الله أن يبين لكم حلاله وحرامه ، ويهديكم سبل من قبلكم من أهل الإيمان بالله وأنبيائه ومناهجهم[3] وعليه فـ « سنن » والتى هى جمع سنة مضافة إلى الصالحين الذين يؤمنون بالله سبحانه ، ويقتدون بأنبيائه .

وجاء فى السنة ما يفيد أن « السنة » الطريقة حسنة كانت أو سيئة ، وذلك كما فى حديث رسول الله ﷺ « مَنْ سَنّ فى الإسلام سُنّة حَسَنة فعُمِل بها بعده ؛ كُتب له مثلُ أجر من عمل بها ، ولا ينقص من أُجورهم شىءٌ ، ومَنْ سَنّ فى الإسلام سُنَّةً سيئة فعُمِل بها بعده كُتب عليه مثلُ وِزْرِ مَنْ عَمِل بها ، ولا يَنْقُص من أوزارهم شىءٌ[4] » .

على أن بعض اللغويين خص السنة بأنها الطريقة المحمودة ، ومن هؤلاء :

• **الأزهرى** – صاحب تهذيب اللغة – فقد قال : السنة : الطريقة المحمودة المستقيمة ، ولذلك قيل : فلان من أهل السنة ، معناه من أهل الطريقة المستقيمة المحمودة[5] .

• **القرطبى** – صاحب التفسير – فقد قال فى تفسير قول الله تعالى **﴿ قد خَلَتْ من قبلكم سنن ﴾**[6] والسنن جمع سنة ، وهى الطريق المستقيم ، وفلان على السنة أى على طريق الاستواء ولا يميل إلى شىء من الأهواء[7] .

---

(١) تفسير الطبرى ٢٤٧/٩ .
(٢) سورة النساء الآية : ٢٦ .
(٣) تفسير الطبرى ٢٦/٥ .
(٤) أخرجه مسلم فى العلم باب من سن سنة حسنة .
(٥) نقله فى لسان العرب ٢١٢٥/٣ .
(٦) سورة آل عمران آية : ١٣٧ .
(٧) تفسير القرطبى ٢١٦/٤ .

والقرطبى - رحمه الله تعالى - إذ يفسر السنة بهذا إنما يفسرها فى أصل وضعها ، أما فى الآية فقد ذكر لها معنى آخر سيأتى إن شاء الله تعالى .

• **الزبيدى** - صاحب تاج العروس شرح القاموس - فقد قال : وسنّ الله سنة : بيّن طريقاً قويماً [(1)] .

ولعل الذى دفع بعض اللغويين إلى تخصيص السنة وأنها الطريقة المحمودة ، ولا تشمل الطريقة المذمومة لعل الذى دفعهم لذلك أن اللفظة فى أصلها مرعئ فيها الجمال ، فسَنّ الإبل يَسُنُّها سَنّاً : إذا رعاها فأسمنها ، وسَنّ عليه الدِّرْعَ يَسُنُّه سَنّاً : أرسله إرسالاً لَيِّناً ، وسَنَّ عليه الماء : صَبَّهُ عليه صبّاً سَهْلاً . وسنّ التراب : صبه على وجه الأرض صبّاً سهلاً [(2)] . وذكر صاحب التاج عدة معان للسنة ثم قال : وكلها من الصقالة والأسالة [(3)] ، وهكذا يتضح أن اللفظة مرعى فيها معنى السهولة ، والجمال .

**٢ - والسنة بمعنى البيان** ، قال فى التاج : سنّ الله أحكامه للناس : بيّنها [(4)] .

**٣ - والسُّنَّةُ بمعنى المِثَالُ المُتَّبَعُ ، والإمامُ المُؤتَمُّ به** . قال فى اللسان : سَنّ فلانٌ طريقاً من الخير يَسُنّهُ: إذا ابتدأ أمراً من البِرّ لم يعرفْهُ قومُه ، فاسْتَسَنُّوا به وسَلَكُوه [(5)] . وقال : وكل من ابتدأ أمراً عمل به قوم بعده قيل : هو الذى سَنّهُ [(6)] .

وقال **الطبرى** : والسنة هى المثال المتبع ، والإمام المؤتم به ، يقال منه : سَنّ فلان فينا سنة حسنة ، وسن سنة سيئة : إذا عمل عملاً اتبع عليه من خير وشر ، ومنه قول لبيد بن ربيعة :

مِنْ مَعْشَرٍ سَنَّتْ لَهمْ آبَاؤُهم [(7)] وَلِكُلِّ قَوْمٍ سُنَّةٌ وَإمَامُـهَا

---

(١) تاج العروس ٢٤٤/٩ .
(٢) تاج العروس ٢٤٣/٩ .
(٣) تاج العروس ٢٤٤/٩ وهو فى اللسان ٢١٢٣/٣ .
(٤) التاج ٢٤٣/٩ ، وفى اللسان ٢١٢٤/٣ .
(٥) اللسان ٢١٢٥/٣ .
(٦) اللسان ٢١٢٤/٣ .
(٧) « من معشر » يعنى من جماعة « سنت لهم آباؤهم » علمتهم طريق كسب المعالى .

وقول سليمان بن قُتّة :

وَإِنَّ الأُلَى بالطَّفِّ[1] مِنْ آلِ هَاشِمٍ تآسَوْا[2] فَسَنُّوا لِلكِرَامِ التَّآسِيَا[3]

**٤ – والسنة بمعنى الأمة . قال القرطبي : والسنة : الأمة ، والسنن : الأمم وذكر أن المفضل أنشد :**

مَا عَايَنَ النَّاسُ مِنْ فَضْلٍ كَفَضْلِهِم وَلَا رَأَوْ مِثْلَهُمْ فى سالِف السُّنَنِ[4]

**٥ – والسنة بمعنى الطبيعة . قال في اللسان : والسنة : الطبيعة ؛ وبه فسر بعضهم قول الأعشى :**

كَرِيمٌ شَمَائِلُهُ مِنْ بنى مُعَاوِيَةَ الأَكْرَمِينَ السُّنَنْ[5]

**٦ – والسنة بمعنى الوجه . قال فى اللسان : والسنة : الوجه ، لصقالته وملاسته ، وقيل هو حُرُّ الوجه ، وقيل : دائرته ، وقيل : الصورة ، وقيل : الجبهة والجبينان ، وكله من الصقالة والأسالة[6] .**

**٧ – وسنة اللّه تعالى :** أحكامه وأمره ونهيه . قاله فى اللسان[7] وقال الراغب فى المفردات : وسنة الله تعالى قد تقال لطريقة حكمته ، وطريقة طاعته[8] .

**٨ – وسنة النبى ﷺ :** طريقته التى كان يتحراها . قاله فى المفردات وفى البصائر[9] .

وللسنة غير ذلك من المعانى ، تطلب من كتب اللغة .

وقد ورد لفظ « السُّنَّة » مع اشتقاقاتها فى اللغة العربية قبل الإسلام ، فوردت فى أشعار أهل الجاهلية كما سبق فى الاقتباسات من كتب اللغة .

---

(١) الطف : موضع قرب الكوفة .

(٢) تآسوا : من المؤاساة بمعنى المشاركة .

(٣) تفسير الطبرى ١٠٠/٤ وقريباً من هذا قاله القرطبى ٢١٦/٤ .

(٤) تفسير القرطبى ٢١٦/٤ .

(٥) اللسان ٢١٢٥/٣ . (٦) اللسان ٢١٢٣/٣ .

(٧) اللسان ٢١٢٤/٣ .

(٨) المفردات فى غريب القرآن للراغب الأصفهانى ص ٢٤٥ وهو أيضاً فى البصائر ٢٦٧/٣ .

(٩) ص ٢٤٥ ، ٢٦٧/٣ .

# لَفْظ «سُنَّة» فى القرآن الكريم

ورد لفظ «سُنَّةِ» فى القرآن الكريم ست عشرة مرة ، تضاف إلى الله أحياناً ، وتضاف إلى المخلوقين أحياناً ، والمخلوقون نوعان : صالح وطالح .

● فمما أضيفت السنة فيه إلى الله تعالى :

* قوله سبحانه : ﴿ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلاً ﴾ (1) .

* وقوله تعالى : ﴿ سُنَّةَ اللَّهِ فِى الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ ﴾ (2) .

* وقوله سبحانه : ﴿ سُنَّةَ اللَّهِ فِى الَّذِينَ خَلَوْاْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً ﴾ (3) .

* وقوله تعالى : ﴿ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلاً ﴾ (4).

* وقوله سبحانه : ﴿ سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِ ﴾ (5) .

* وقوله تعالى : ﴿ سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِى قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً ﴾ (6) .

● ومما أضيفت السنة فيه إلى عباد الله الصالحين :

* قول الله تعالى : ﴿ سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا ﴾ (7)

* وقوله سبحانه : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ (8).

● ومما أضيفت السنة فيه إلى الجاحدين :

* قول الله تعالى : ﴿ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ ﴾ (9) .

---

(1) سورة الإسراء الآية : ٧٧ .
(2) سورة الأحزاب الآية : ٣٨ .
(3) سورة الأحزاب الآية : ٦٢ .
(4) سورة فاطر الآية : ٤٣ .
(5) سورة غافر الآية : ٨٥ .
(6) سورة الفتح الآية : ٢٣ .
(7) سورة الإسراء الآية : ٧٧ .
(8) سورة النساء الآية : ٢٦ .
(9) سورة الأنفال الآية : ٣٨ .

* وقوله سبحانه : ﴿ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ ﴾ (1) .

* وقوله سبحانه : ﴿ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ ﴾ (2) .

* وقوله سبحانه : ﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ ﴾ (3) .

وذكرت السنة غير مضافة ومجموعة وذلك فى قوله تعالى : ﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾ (4) .

وإنما أضيفت السنة إلى الله ، وأضيفت إلى الخلق لتعلقها بالله – سبحانه وتعالى – وبخلقه ، فالله – سبحانه وتعالى – هو الذى قررها وينزلها ، والخلق هم الذين يستقيمون على أوامر الله سبحانه وهم الصالحون ، أو ينزل بهم عقاب الله تعالى وهم الجاحدون .

قال القرطبى : وأضافها – أى السنة – إلى الله – عز وجل – ، وقال فى موضع آخر ﴿ سُنة من قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلكَ من رُسلِنَا ﴾ فأضاف إلى القوم لتعلق الأمر بالجانبين ، وهو كالأجل ، تارة يضاف إلى الله ، وتارة إلى القوم ، قال الله تعالى : ﴿ فإن أجل الله لآت ﴾ وقال : ﴿ فإذا جاء أجلهم ﴾ .

وعليه فإذا أضيفت السنة إلى الله – سبحانه وتعالى – فإن كانت فى الجاحدين فالمراد طريقته – سبحانه وتعالى – فى ردعهم ، وغضبه عليهم وتعذيبهم . وإن كانت فى الصالحين فالمراد طريقته – سبحانه – وتعالى فى إكرامهم ورحمته واللطف بهم .

وإذا أضيفت السنة إلى المعاندين فالمراد ما نزل من العقوبة بهم .

وإذا إضيفت إلىالصالحين فالمراد طرقهم المستقيمة ، ومناهجهم السليمة .

## السنة بمعنى الإسلام :

وإذا كان لفظ « سُنة » إذا أضيف إلى الله – سبحانه وتعالى – كان المراد به طريقته سبحانه وتعالى فى خلقه من تعذيب المكذبين ، وإكرام المطيعين ، فإنه قد جاء

(1) سورة الحجر الآية : ١٣ .
(2) سورة الكهف الآية : ٥٥ .
(3) سورة فاطر الآية : ٤٣ .
(4) سورة آل عمران الآية : ١٣٧.

هذا اللفظ « سُنة » مضافاً إلى الله – سبحانه وتعالى – ويراد به دينه سبحانه وتعالى «الإسلام» ومن ذلك ما كتبه عبد الله بن عمر إلى عبد الملك بن مروان يبايعه : « ... وأُقِرُّ لك بالسمع والطاعة على سُنة الله وسنة رسوله فيما استطعت »[1] والمعنى أسمع لك وأطيع وفق دين الله ورسوله أى وفق الإسلام .

فيؤخذ من هذا أن « السنة » تطلق ويراد بها الإسلام .

## السنة كتاب الله :

ولقد أطلق رسول الله ﷺ على « السُّنة » « كتاب الله » .. ففى حديث أبى هريرة وزيد بن خالد الجهنى رضى الله عنهما قالا : « جاء أعرابى فقال : يا رسول الله ، اقض بيننا بكتاب الله ، فقام خصمه فقال : صدق ، اقض بيننا بكتاب الله . فقال الأعرابى : إن ابنى كان عسيفاً[2] على هذا فزنى بامرأته ، فقالوا لى : على ابنك الرجم ، ففديت ابنى منه بمائة من الغنم ووليدة ، ثم سألت أهل العلم فقالوا : إنما على ابنك جلد مائة وتغريب عام . فقال النبى ﷺ : لأقضين بينكما بكتاب الله ، أما الوليدة والغنم فرد عليك ، وعلى ابنك جلد مائة وتغريب عام . وأما أنت يا أنيس – لرجل – فاغد على امرأة هذا ، فارجمها . فغدا عليها أنيس فرجمها »[3] .

إنه صلى الله عليه وسلم حكم بالجلد والتغريب والرجم ، والتغريب والرجم من السنة ولا ذكر لهما فى القرآن الكريم ، فدل هذا على أنه أطلق على السنة « كتاب الله » لأنها بوحى الله سبحانه ، كما قال سبحانه : ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ • إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾[4] .

---

(١) أخرجه البخارى فى أول الاعتصام ٢٤٥/١٣ وقبل ذلك فى الأحكام باب كيف يبايع الإمام الناس ١٩٣/١٣ .

(٢) عسيفاً : أجيراً :

(٣) أخرجه البخارى فى الصلح باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود ٣٠١/٥ حديث ٢٦٩٥ ، وورد فى غير هذا الموطن كثيراً .

(٤) سورة النجم ، وراجع فتح البارى شرح هذا الحديث حينما أورده البخارى مختصراً فى الاعتصام باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ ٢٥٤/١٣ فإن الحافظ ابن حجر قال : واقتصر البخارى هنا عليه لدخوله فى غرضه من أن السنة يطلق عليها كتاب الله .

# السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ فِى الْقُرآن الكريم

ولقد ذكرت السنة النبوية فى القرآن الكريم كثيراً .

- ذكرت بلفظ الحكمة كما فى :

* قوله تعالى : ﴿ وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴾ (١) .

* وقوله سبحانه : ﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِّنكُمْ يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمْ الْكِتَاب والْحِكْمَة ﴾ (٢) .

* وقوله سبحانه : ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمْ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴾ (٣) .

* وقوله عز وجل : ﴿ هُوَ الَّذِى بَعَثَ فِى الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴾ (٤) .

* وقوله سبحانه : ﴿ واذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِى بُيوتِكُنَّ مِنْ آياتِ اللَّهِ والْحِكْمَة ﴾ (٥)

* وقوله سبحانه على لسان إبراهيم عليه السلام : ﴿ رَبَّنَا وابعث فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم ﴾ (٦) .

**قال القرطبى** - رحمه الله تعالى - : « **الكتاب** » القرآن ،و « **الحكمة** » المعرفة بالدين ، والفقه فى التأويل ، والفهم الذى هو سجية ونور من الله تعالى ، قاله مالك ، ورواه عنه ابن وهب ، وقاله ابن زيد . وقال قتادة : « **الحكمة** » السُّنّة وبيان الشرائع . وقيل : الحكم والقضاء خاصة . والمعنى متقارب (٧) .

---

(١) سورة النساء الآية : ١١٣ .
(٢) سورة البقرة الآية : ١٥١ .
(٣) سورة آل عمران الآية : ١٦٤ .
(٤) سورة الجمعة الآية : ٢ .
(٥) سورة الأحزاب الآية : ٣٤ .
(٦) سورة البقرة الآية : ١٢٩ .
(٧) تفسير القرطبى ١٣١/٢ فى تفسير آية البقرة .

**وقال الطبرى** - رحمه الله تعالى - : ﴿ **ويعلمهم الكتاب والحكمة** ﴾ يعنى : ويعلمهم كتاب الله الذى أنزله عليه ، ويبين لهم تأويله ومعانيه « **والحكمة** » ويعنى بالحكمة : السنة التى سنها الله جل ثناؤه للمؤمنين على لسان رسول الله ﷺ ، وبيانه لهم (١) .

**وقال الطبرى** - أيضاً : بعد أن ذكر آراء بعض الأئمة فى تفسير الحكمة - والصواب من القول عندنا فى الحكمة أنها العلم بأحكام الله التى لا يدرك علمها إلا ببيان الرسول ﷺ والمعرفة بها ، وما دل عليه ذلك من نظائره (٢) .

**وقال الفيروزابادى** : وأما « **الحكمة** » فمن الله تعالى معرفة الأشياء ، وإيجادها على غاية الإحكام والإتقان ، ومن الإنسان معرفة الموجودات وفعل الخيرات .

وقد وردت فى القرآن على ستة أوجه :

**الأول** : بمعنى النبوة والرسالة ﴿ **ويعلمه الكتاب والحكمة** ﴾ (٣) ﴿ **وآتيناه الحكمة** ﴾ (٤) ﴿ **وآتاه الله الملك والحكمة** ﴾ (٥) أى النبوة .

**الثانى** : بمعنى القرآن ، والتفسير ، والتأويل ، وإصابة القول فيه ﴿ **يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيراً كثيراً** ﴾ (٦) .

**الثالث** : بمعنى فهم الدقائق والفقه فى الدين ﴿ **وآتيناه الحكم صبيا** ﴾ (٧) أى فهم الأحكام .

**الرابع** : بمعنى الوعظ والتذكير ﴿ **فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة** ﴾ (٨) أى المواعظ الحسنة ﴿ **أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة** ﴾ (٩) .

**الخامس** : بمعنى آيات القرآن ، وأوامره ، ونواهيه ﴿ **ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة** ﴾ (١٠) .

---

(١) تفسير الطبرى ١٦٣/٤ فى تفسير آية آل عمران .
(٢) ج ١ ص ٥٥٧ فى تفسير آية البقرة .
(٣) سورة آل عمران الآية : ٤٨ .
(٤) سورة ص الآية : ٢٠ .
(٥) سورة البقرة الآية ٢٥١ .
(٦) سورة البقرة الآية : ٢٦٩ .
(٧) سورة مريم الآية : ١٢ .
(٨) سورة النساء الآية : ٥٤ .
(٩) سورة الأنعام الآية : ٨٩ .
(١٠) سورة النحل الآية : ١٢٥ .

**السادس** : بمعنى حجة العقل على وفق أحكام الشريعة ﴿**ولقد آتينا لقمان الحكمة**﴾[1] أى قولاً يوافق العقل والشرع[2] .

قلت : وهذه الأوجه التى ذكرها صاحب البصائر كلها تصلح معنا ، وأن الله - تبارك وتعالى - أنزل على رسوله ﷺ القرآن وبيانه ، وأفهم سبحانه نبيه دينه كما أراد سبحانه ، فَعَلّم صلى الله عليه وسلم أُمته دين الله كاملاً بفعله وقوله وإقراره .

وكما جاء تسمية السنة بالحكمة فى القرآن الكريم ، فقد سماها رسول الله ﷺ بذلك كما فى حديث مكحول الشامى[3] قال : قال رسول الله ﷺ : « آتانى الله القرآن ومن الحكمة مثله »[4] .

● وجاء ذكر السنة فى القرآن بلفظ ( **شِرْعة** ) ففى قول الله تعالى ﴿**لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً**﴾[5] قال ابن عباس رضى الله عنهما : سنة وسبيلا[6] . وكذا قال مجاهد ، وقتادة ، والضحاك[7] .

● وبلفظ ( **شريعة** ) ففى قوله تعالى : ﴿**ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها**﴾[8] قال الحسن : على السنة[9] .

---

(١) سورة لقمان الآية : ١٢ .

(٢) بصائر ذوى التمييز ٤٩٠/٢ .

(٣) أبو عبد الله ، تابعى شامى من كبار العلماء الثقات الأثبات توفى سنة ثمانى عشرة ومائة - تهذيب ٢٨٩/١٠ .

(٤) أخرجه أبو داود فى مراسيله فى باب البدع ص ٢٤٨ ، وذكره فى تحفة الأشراف ٤٠١/١٣ .

(٥) سورة المائدة الآية : ٤٨ .

(٦) أخرجه الطبرى ٢٧١/٦ فى تفسير الآية من عدة طرق ، وأخرجه البخارى فى ترجمة أول باب من كتاب الإيمان معلقاً ٤٦/١ وقال ابن حجر : وصل هذا التعليق عبد الرزاق فى تفسيره بسند صحيح قلت : هو فى تفسير عبد الرزاق ١٨٧/١ رقم ٧٢١ .
وأخرجه اللالكائى فى شرح أصول اعتقاد أهل السنة باب سياق ما فسر من كتاب الله عز وجل من الآيات فى الحث على الاتباع ٦٩/١ رقم ٦٤ ، ٦٥ .

(٧) أخرجها الطبرى فى الموطن السابق .

(٨) سورة الجاثية الآية : ١٨ .

(٩) أخرجه الالكائى فى الموطن السابق .

● وذُكرت السنة فى القرآن بأساليب أخرى ، منها :

**الأمر بطاعته** صلى الله عليه وسلم كقوله سبحانه : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم** ﴾ (١) .

ومنها : **قبول أمره ونهيه** صلى الله عليه وسلم كما فى قول الله سبحانه : ﴿ **وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا** ﴾ (٢).

ومنها : **القبول والتسليم لقضائه** صلى الله عليه وسلم ، كما فى قوله تعالى : ﴿ **فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً** ﴾ (٣) .

ومنها : **التحذير من مخالفته** صلى الله عليه وسلم ، كما فى قوله تعالى : ﴿ **فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم** ﴾ (٤) .

ومنها : **وجوب اتباعه** صلى الله عليه وسلم ، كما فى قوله تعالى : ﴿ **قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم** ﴾ (٥) وقوله سبحانه : ﴿ **واتبعوه لعلكم تهتدون** ﴾ (٦) .

فهذه النصوص وما فى موضوعها تلزم الأمة بهديه صلى الله عليه وسلم ، وتبين أن ما جاء به فعلى الأمة أن تقبله وأن تعمل به ، وهذا هو الذى نسميه « **سنته** » صلى الله عليه وسلم .

فعلى الأمة قبول السُّنة والعمل بما فيها بكل رضى وطواعية (٧) .

* * *

---

(١) سورة النساء الآية ٥٩ .
(٢) سورة الحشر الآية : ٧ .
(٣) سورة النساء الآية ٦٥ .
(٤) سورة النور الآية : ٦٣ .
(٥) سورة آل عمران الآية : ٣١ .
(٦) سورة الأعراف الآية ١٥٨ .
(٧) سيأتى بمشيئة الله تعالى بحث هذا الموضوع موسعاً فى « وجوب العمل بالسنة » ص ٧٧ .

# السُّنَّة فى الشرع

## للسُّـنَّـة عند علماء الإسلام تعاريف :

● **فأهل الحديث يعرّفون السنة بأنها** : كل ما أُثر عن رسول الله ﷺ من قول أو فعل ، أو إقرار ، أو صفة خَلْقية ، أو خُلُقية ، وما كان من أخباره قبل البعثة مما له تعلق بالنبوة .

والسنة عندهم بهذا المعنى مرادفة للحديث النبوى ، وتعريفهم مبنى على الاهتمام بالنبوة والرسالة ، فكل ما له تعلق بالنبوة فى حياته صلى الله عليه وسلم اهتموا به ، سواء كان ذلك قبل النبوة أو بعدها ، وبعد أن اصطفاه الله وأرسله ، اهتموا بكل ما كان منه صلى الله عليه وسلم من أقواله ، أو أفعاله ، أو إقراره ، أو صفاته ، بحيث نقلوا للأمة صورة كاملة ، وصحيحة لرسول الله ﷺ .

● **وأهل الفقه والأصول يعرفون السنة بأنها** : كل ما صدر عن النبى ﷺ غير القرآن الكريم من قول ، أو فعل ، أو إقرار .

وهذا التعريف يذكر فى كتب الأصول لكنه تعريف الفقهاء أيضاً ، فكل فقيه أصولى ، وقد ورد فى كلام الفقهاء ما يفيد ذلك ، منه :

**قول الشافعى** : « على أن ليس لأحد أبداً أن يقول فى شىء حلّ ولا حَرُم إلا من جهة العلم ، وجهة العلم الخبر فى الكتاب ، أو السنة ، أو الإجماع ، أو القياس »(١) اهـ .

**وقال الإمام أحمد بن حنبل** : السنة عندنا آثار رسول الله ﷺ ، والسنة تفسير القرآن ، وهى دلائل القرآن(٢) .

**وقول تقى الدين السبكى** – فى شرح المنهاج – وفى السنة اصطلاح وهو : ما علم وجوبه ، أو ندبيته بأمر النبى ﷺ .

---

(١) الرسالة للشافعى ص ٢٥ فقرة ١٢٠ .

(٢) السنة للالكائى مفتاح ص ٣٩ .

والفقهاء يستعملون مصطلح « **سنة** » بمعنى آخر فى كتبهم وهو : **ما قابل الفرض والواجب** ، فهى ترادف المندوب ، والمستحب ، والتطوع ، والنافلة ، والمرغب فيه . قيل : **والحسن**[1] وهذا تقسيم من حيث الثواب والعقاب ، ولهذا يقولون فيه أيضاً : « **ما يثاب على فعله ، ولا يعاقب على تركه** » .

● **والفقهاء وغيرهم يقولون** : « السنة ما قابل البدعة ، فيقال : « فلان على سنة » إذا عمل على وفق ما عمل عليه النبى ﷺ ، سواء كان ذلك مما نص عليه فى الكتاب أوْ لا . ويقال : « فلان على بدعة » إذا عمل على خلاف ذلك .

وكأن هذا الإطلاق إنما اعتبر فيه عمل صاحب الشريعة ، فأطلق عليه لفظ « السُّنة » من تلك الجهة ، وإن كان العمل بمقتضى الكتاب[2] .

وعلى هذا الإطلاق تكون السُّنة هى الإسلام كله ، ومن هذا القبيل قول الإمام مالك حينما سئل عن السُّنة : هى ما لا اسم له غير السُّنة ، وتلا ﴿ **وأنَّ هذا صراطى مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله** ﴾[3] .

وواضح من تعريف المحدثين والأصوليين أن السُّنة هى : ما روى عن رسول الله ﷺ من قول ، أو فعل ، أو إقرار . غير القرآن الكريم ، وهذا اصطلاح مشهور منذ زمنه صلى الله عليه وسلم . إنه ليس اصطلاحاً استحدثه المحدِّثون أو الأصوليون بعد أن استقرت المدارس ، كلا ، وإنما هو اصطلاح منذ زمن النبوة .

فلقد استعملها رسول الله ﷺ بهذا المعنى وذلك فى :

قوله صلى الله عليه وسلم : « إن الأمانة نزلت من السماء فى جَذْر قلوب الرجال ، ونزل القرآن ، فقرءوا القرآن وعلموا من السنة »[4] إنه صلى الله عليه وسلم يقصد بقوله هنا « السُّنة » كل ما أثر عنه صلى الله عليه وسلم .

---

(١) حجية السنة ص ٥١ .

(٢) الموافقات ٣/٤ .

(٣) سورة الأنعام الآية : ١٥٣ ، والأثر عن مالك ذكره الشاطبى فى الاعتصام ٥٨/١ .

(٤) أخرجه البخارى فى الاعتصام باب الاقتداء بسنة رسول الله ﷺ ٢٤٩/١٣ ، وقبله فى الفتن باب إذا بقى فى حثالة من الناس ٣٨/١٣ .

وفى قوله صلى الله عليه وسلم : « يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله ، فإن كانوا فى القراءة سواءً فأعلمهم بالسُنّة ، فإن كانوا فى السُنّة سواءً فأقدمهم هجرة ... الحديث »[1] إلى غير ذلك فى أحاديث كثيرة .

واستعملها الصحابة بهذا المعنى ، فها هو سالم بن عبدالله بن عمر يقول للحجاج : إن كنت تريد السُنّة فهجِّر بالصلاة يوم عرفة ، فيقول عبدالله بن عمر : صدق ، إنهم كانوا يجمعون بين الظهر والعصر فى السُنّة . فيقول ابن شهاب الزهرى لسالم : أفعل ذلك رسول الله ﷺ فيقول سالم : وهل يتبعون بذلك إلا سُنَّته ؟ »[2] يقول السيوطى : فنَقَل سالم وهو أحد الفقهاء السبعة من أهل المدينة ، وأحد الحفاظ من التابعين عن الصحابة أنهم إذا أطلقوا « السُنّة » لا يريدون بذلك إلا سُنة النبى ﷺ[3] .

واستعملها مَنْ بعد الصحابة بهذا المعنى : فها هو الأعمش يقول : لا أعلم لله قوماً أفضل من قوم يطلبون هذا الحديث ، ويُحْيُون هذه السُنّة ، وكم أنتم فى الأرض؟ والله لأنتم أقل من الذهب[4] .

واستعملتها الأمة هكذا .

ومنذ عصر النبوة أصبحت كلمة « السُنّة » عَلَماً على ما أخذته الأمة عنه صلى الله عليه وسلم مع القرآن الكريم .

وحينما يفسر العلماء « ما روى عنه صلى الله عليه وسلم » بأنه أقواله ، وأفعاله ، وإقراراته ، فإنما يرون أن ذلك يجمع كل ما روى عنه صلى الله عليه وسلم ، إلا أن الحافظ ابن حجر زاد فى التعريف شيئاً فقال : « والمراد « بالسُنّة » ما جاء عن النبى ﷺ من أقواله ، وأفعاله ، وتقريره ، وما همّ بفعله[5] ، فزاد « وما همّ بفعله »

---

(١) أخرجه مسلم فى المساجد باب من أحق بالإمامة ٤٦٥/١ ، ح ٢٩٠ .

(٢) أخرجه البخارى فى الحج باب الجمع بين الصلاتين بعرفة ٥١٣/٣ .

(٣) تدريب الراوى ١٨٩/١ .

(٤) أخرجه فى الإلماع ص ٢٧ ، وفى المحدث الفاصل ص ١٧٧ .

(٥) فتح البارى ٢٤٥/١٣ فى شرح ترجمة كتاب الاعتصام وابن حجر فى هذا متبع الشافعى ، فالشافعى والشافعية يرون أن الهمَّ من جملة أقسام السنة ويقولون : يقدم القول ثم الفعل ثم التقرير ثم الهم ، ويقولون يستحب الإتيان بما هم به صلى الله عليه وسلم ، والمحدثون مع الشافعية فى هذا لكنهم يرون أن الهم داخل فى الأقوال أو الأفعال ، أما بقية الأصوليين فلم يعتبروا الهم وقالوا : إنه ليس مما آتانا الرسول فإنه خاطر على البال ولسنا مأمورين بالتأسى به فيه . راجع إرشاد الفحول ص ٣٩ . =

والذى دفعه لهذه الزيادة أنه رأى أن « الهمّ » ليس داخلاً فى « أفعاله » وغيره رأى أنه داخل فيها أو فى الأقوال باعتبار أنه يعبر عنه بأحدهما .

يقول العراقى : « الهمّ » إنما يطلع عليه بقول أو فعل ، فالاستدلال [ إنما هو ] بما دل [ عليه ] منهما فلا حاجة لزيادته »[1] إنهم يريدون كل ما أثر عنه فإذا جمعته الأقوال ، والأفعال ، والإقرارات ، وإلا أضافوا ما يجعله جامعاً ، فإن الآيات واضحة فى اتباعه فى كل ما كان منه صلى الله عليه وسلم .

## سنة العبادة والعادة :

وعليه فليس بمقبول قول من يقول : السُنّة منها سنة عبادة نحن مكلفون بها ، وسُنة عادة ليست من الدين ، ليس بمعقول أن يقال هذا ، فإن الأئمة المعتبرين لم يقل أحد منهم بذلك ، وسُنة العادة لا تخلو من إفادة حكم شرعى ، ومن تركها فقد حرم خيراً كثيراً ، فسُنة العادة كهديه صلى الله عليه وسلم فى الأكل ، والشرب والقيام ، والقعود ، ومخاطبته أصحابه « يا أبا بكر » و « يا أنس » وطلبه الأكل من أهله وتعممه ، ولبسه ملابسه ، ونعله ، ونوع طعامه ، وأنه أكل اللبن واللحم والمرق ، وأكل العسل والخبز ، وأكل الثريد والتمر ، وشرب الماء البارد ، وانتبذوا له فشرب . يقول قائل : فهل هذا من السُنّة ؟ وهل من السُنة أن نأكل على هيئة أكله ، ومن جنس ما أكل ؟

**والجواب** : كل ما روى عنه فى ذلك فهو من السُنّة ، أفاد حكماً شرعياً يدور بين الإباحة والاستحباب والوجوب ، فَأَكلَ الثريد فدل على إباحة أكله ، فاستفدنا هذا الحكم الشرعى من سنة العادة هذه ، وتعمم صلى الله عليه وسلم ، فدل ذلك على إباحة التعمم .

---

= والأصوليون يعدون إشارته صلى الله عليه وسلم وكتابته من السنة ، تقوم به الحجة ويلزمنا التأسى به ، والمحدثون يعتبرون الإشارة قولاً ، ويعتبرون الكتابة قولاً . فهما عند المحدثين من سنته صلى الله عليه وسلم ، لكن لا يفردونهما بالذكر ، وأيضاً الأصوليون يعتبرون تركه صلى الله عليه وسلم للشىء سنة ويجب التأسى به ، فحينما ترك الأكل من الضب ترك الصحابة ، ولم يأكلوا إلا لما بيّن لهم ، والمحدثون يعتبرون ذلك من سنته صلى الله عليه وسلم أيضاً .

(١) من حجية السنة ص ٧٦ .

إن مخاطبته صلى الله عليه وسلم لأصحابه على النحو الوارد فى السُّنة يدل على إباحة هذا النهج ، وربما ارتقى إلى الاستحباب ، وهذه - الإباحة والاستحباب - من الأحكام الشرعية ، فإذا كان قد نادى أحد أصحابه باسمه فهذا يدل على أنه يباح للإمام أن ينادى أصحابه بأسمائهم ، وإذا كان قد نادى خادمه ، أو أحداً من أهله باسمه فإن هذا يدل على إباحة ذلك ، وإذا نادى أحداً من هؤلاء بلقب أو كنية دل ذلك على إباحة ذلك ، فإذا أضيف إلى ذلك ما يفيد الاستحباب من حبه صلى الله عليه وسلم ، أو حب الاقتداء به انتقل من الإباحة إلى الاستحباب .

يقول **الإمام أبو حامد الغزالى** : اعلم أن مفتاح السعادة فى اتباع السُّنّة ، والاقتداء برسول الله ﷺ فى جميع مصادره وموارده ، وحركاته وسكناته ، حتى فى هيئة أكله وقيامه ، ونومه وكلامه ، لست أقول ذلك فى آدابه فى العبادات فقط - لأنه لا وجه لإهمال السُّنن الواردة فى غيرها - بل ذلك فى جميع أمور العادات ، فبه يحصل الاتباع المطلق كما قال تعالى : ﴿ **قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم** ﴾[1] وقال تعالى : ﴿ **وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا** ﴾[2] .

ويقول - رحمه الله تعالى - فعليك أن تتسرول قاعداً ، وتتعمم قائماً ، وتأكل بيمينك ، وتقلم أظفارك ، وتبتدئ بمسبحة اليد اليمنى ، وتختم بإبهامها ، وفى الرجل تبتدئ بخنصر اليمنى ، وتختم بخنصر اليسرى ، وكذا فى جميع حركاتك وسكناتك . وانظر ما وقع من عدم أكل بعضهم[3] البطيخ لعدم علمه بكيفية أكل رسول الله ﷺ له ، وسها بعض الأكابر فلبس الخف وابتدأ باليسار فكفر عنه بكر[4] حنطة[5] إلى غير ذلك . فهل بعد ذلك يليق بعاقل أن يتساهل فى امتثال السُّنّة ، فيقول هذا من قبيل العادات فلا معنى للاتباع فيه ؟!! فإن ذلك يغلق عنه باباً عظيماً من أبواب السعادات[6] .

---

(١) سورة آل عمران الآية : ٣١ . (٢) سورة الحشر الآية : ٧ .
(٣) هو محمد بن أسلم كما نقله صاحب حجية السنة .
(٤) **الكر** : اثنا عشر وسقاً ، كل وسق ستون صاعاً ، نقله صاحب الحجية .
(٥) **الحنطة** : القمح .
(٦) انتهى كلام الغزالى من كتابه « الأربعين فى أصول الدين » نقلاً عن صاحب حجية السنة .

## مفهوم السنة عند السلف :

على أن الدَّارس لحياة السلف الصالح يجد أنهم كانوا يتبعونه صلى الله عليه وسلم فى كل ما كان منه :

فعن عبدالله بن عمر - رضى الله عنهما - قال : « اتخذ النبى ﷺ خاتماً من ذهب فاتخذ الناس خواتيم من ذهب ، فقال النبى ﷺ : إنى اتخذت خاتماً من ذهب فنبذه وقال : إنى لن ألبسه أبداً فنبذ الناس خواتيمهم »[1] .

إنهم لما رأوه صلى الله عليه وسلم لبس خاتماً من ذهب لبسوا خواتيم من ذهب ، وفور أن خلعه صلى الله عليه وسلم خلعوا خواتيمهم . مما يدل على اتباعهم له صلى الله عليه وسلم فى الفعل والترك ، وما ذلك إلا لفهمهم أنه يقتدى به صلى الله عليه وسلم فى كل ما كان منه .

وعن أبى هريرة قال : « كان رسول الله ﷺ يسكت بين التكبير وبين القراءة إسكاتة - قال أحسبه قال هُنَيّة[2] - فقلت : بأبى وأمى يا رسول الله ، إسكاتك بين التكبير والقراءة ما تقول ؟ قال : أقول : اللهم باعد بينى وبين خطاياى كما باعدت بين المشرق والمغرب ، اللهم نقنى من الخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس ، اللهم اغسل خطاياى بالماء والثلج والبَرَد »[3] .

وأخرج البيهقى عن عبد الرحمن بن أبى ليلى « كان النبى ﷺ يخطب فدخل عبد الله بن رواحة فسمعه يقول : اجلسوا . فجلس مكانه خارجاً من المسجد ، فلما فرغ قال له : زادك الله حرصاً على طواعية الله ، وطواعية رسوله[4] .

إن هذا الصحابى الجليل أحد النقباء ليلة العقبة ، والذى شهد المشاهد من بدر حتى استشهد بمؤته ، والذى كان يكتب لرسول الله ﷺ ، والذى قال فيه رسول الله ﷺ :

---

(١) أخرجه البخارى فى الاعتصام بالكتاب والسنة باب الاقتداء بأفعال النبى ﷺ ١٣/٢٧٤ ، وفى شرح ابن حجر زيادة صور من اتباع الصحابة فعله صلى الله عليه وسلم .

(٢) فى رواية مسلم وغيره « إسكاتة هنية » دون تردد . والمعنى : سكتة قصيرة والمراد : أنه صلى الله عليه وسلم كان بعد تكبيرة الإحرام وقبل القراءة لا يسمعون ما يقول .

(٣) أخرجه البخارى فى الأذان باب ما يقول بعد التكبير ٢/٢٢٦ ، ٢٢٧ .

(٤) ذكره فى الإصابة ٤/٨٤ ، وذكره فى حياة الصحابة ٢/٣٨٤ .

« نعم الرجل عبد الله بن رواحة » هذا الصحابى ما أن سمع قول رسول الله : اجلسوا . إلا جلس مكانه ، وكان خارج المسجد ، ولقد قدّر له رسول الله ﷺ ذلك فدعا له : زادك الله حرصاً على طواعية الله ، وطواعية رسوله .

* وحدث هذا من عبد الله بن مسعود الصحابى الجليل ، فلقد سمع رسول الله ﷺ حينما استوى على المنبر يقول للناس : اجلسوا . وكان ابن مسعود على باب المسجد فجلس ، فقال له النبى ﷺ : تعال يا ابن مسعود[1] .

* وأخرج ابن ماجه بإسناده عن عروة بن عبد الله بن قشير . حدثنى معاوية بن قرة عن أبيه قال : «أتيت رسول الله ﷺ فبايعته وإن زرّ قميصه لمطلق[2] قال عروة : فما رأيت معاوية ولا ابنه فى شتاء ولا صيف إلا مطلقة أزرارهما »[3] .

إن هذا الفعل من هذا الصحابى يرد على الذين يقللون من شأن السُّنة فى أمور العادات ، فإن هذا الصحابى لمجرد رؤيته رسول الله ﷺ فعل ذلك ظل حريصاً عليه ، ولم يقل إنها سُنّة عادة ، وإنما لسان حاله يقول كما فعل قدوتنا صلى الله عليه وسلم نفعل .

* ومِشْرَح الأشعرى تقول ابنته « ميل » رأيت أبى يقلم أظفاره ويدفنه ، وقال رأيت رسول الله ﷺ يفعل ذلك[4] . إنه رأى الرسول القدوة فعل فاقتدى به ، دون أن يبحث عن سُنة عبادة أو عادة .

ويجتمع الصحابة خلفه صلى الله عليه وسلم يصلون ، فيفعل صلى الله عليه وسلم شيئاً فيفعلون جميعاً كما فعل ، فعن أبى سعيد الخدرى أن رسول الله ﷺ كان يصلى فخلع نعليه ، فخلع الناس نعالهم ، فلما انصرف قال : « لم خلعتم نعالكم ؟ » فقالوا : يا رسول الله رأيناك خلعت ، فخلعنا ، فقال : « إن جبريل أتانى فأخبرنى أن بهما خبثاً ، فإذا جاء أحدكم المسجد فليقلب نعليه فلينظر فيهما خبث ،

---

(١) أخرجه البيهقى فى الجمعة باب الإمام يأمر الناس بالجلوس عند استوائه على المنبر ٣/٢٠٥ .

(٢) جيب القميص : الفتحة التى على الصدر.

(٣) أخرجه ابن ماجه فى اللباس باب حل الأزرار ٢/١١٨٤ ، وأخرجه أبو داود فى اللباس باب فى حل الأزرار ١١/١٣٣، وأخرجه أيضاً أحمد .

(٤) أخرجه البزار ، كما فى كشف الأستار ، كتاب الزينة ، باب قص الشارب ٣/٣٧٠ .

فليمسحهما بالأرض ، ثم ليصلِّ فيهما »[1] إنهم يقتدون به ، فيفعلون كما يفعل ، لمعرفتهم بقدره ، وإيمانهم برسالته صلى الله عليه وسلم .

وها هو عمر بن الخطاب يقول : فيم الرملان[2] والكشف عن المناكب[3] ، وقد أطال الله الإسلام ، ونفى الكفر وأهله ، ومع ذلك لا ندع شيئاً كنا نفعله فى عهد رسول الله ﷺ[4] يعنى - رضى الله عنه - إن سبب الهرولة فى الطواف والسعى ، والسبب فى إظهار كتف الحاج المسلم قد زال ، فقد كان هذان الأمران لإظهار قوة المسلمين أمام الكفار ، وذلك فى أول الدعوة ، أما فى خلافته ، فقد قوى الإسلام ، وانزاح الكفر ، فلا داعى لاستعراض قوة المسلمين . لكن عمر يرجع عن هذا ، ولا يترك الهرولة ، وكشف الكتف لأنه أَمْرٌ سَنَّهُ رسولُ الله ﷺ ، فلا يصح لأحد أن يتقدم ، أو يتأخر .

• وها هو عبد الله بن عمر يحدث عن رسول الله ﷺ أنه قال : « لا تمنعوا نساءكم المساجد إذا استأذنكم إليها » فيقول ابنه بلال : والله لنمنعهن ، فيقبل عليه أبوه فيسبه سبّاً شديداً ، ويقول : أخبرك عن رسول الله ﷺ وتقول : والله لنمنعهن ![5] .

إن ابن عبد الله بن عمر لم يقصد مخالفة الحديث ، وإنما خشى ما أحدثته النساء ، وقال : إذن يتخذنه دغلا . أى : مفسدة .

ولقد بينت عائشة - أم المؤمنين - ذلك فقالت : لو أن رسول الله ﷺ رأى ما أحدث النساء لمنعهن المسجد . لقد أراد بلال بن عبد الله بن عمر إغلاق باب الفتنة حسبما أداه إليه اجتهاده ، إلا أن والده ينكر عليه ذلك ويبين له أنه ما دام قد ورد فيه

---

(١) أخرجه ابن خزيمة فى الصلاة ، جماع أبواب الصلاة على البسط ، باب المصلى يصلى فى نعليه ، وقد أصابهما قذر ١٠٧/٢ ح ١٠١٧ ، وأخرجه ابن حبان فى الصلاة باب فرض متابعة الإمام ، ذكر الأمر لمن أتى المسجد للصلاة أن ينظر فى نعليه ، ويمسح الأذى عنهما إن كان بهما ٥/٦٠ ، وفيه تخريج للحديث أكثر مما هنا .

(٢) **الرمل** : سرعة المشى - الهرولة - فى الثلاثة أشواط الأولى من الطواف بالبيت الحرام ، وأيضاً فى الثلاثة أشواط الأولى من السعى بين الصفا والمروة يهرول بين العلامتين .

(٣) **المناكب** : كشف الكتف الأيمن .

(٤) مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ص ١٢٤ .

(٥) أخرجه مسلم فى الصلاة باب خروج النساء إلى المساجد إذا لم يترتب عليه فتنة ٣٢٧/١ .

حديث عن رسول الله ﷺ فلا بد من الرضا والتسليم ، لقوله صلى الله عليه وسلم ، ولا عبرة لاجتهاد مجتهد أو رأى راءٍ ، إنما الأمر لما جاء به رسول الله ﷺ عن الله .

* ولقد كان لابن عمر مواقف تدل على دقته الشديدة فى الاقتداء برسول الله ﷺ :

فعن مجاهد قال : كنا مع ابن عمر - رحمه الله - فى سفر فمر بمكان فحاد عنه [١] فسئل : لم فعلت هذا ؟ قال : « رأيت رسول الله ﷺ فعل هذا ففعلت » [٢] .

وهناك شجرة معينة فى الطريق بين مكة والمدينة كان إذا مرَّ عليها قال - من القيلولة - تحتها ويخبر أن رسول الله ﷺ كان يفعل ذلك [٣] .

* ويسأل سائل عبد الله بن عمر رضى الله عنهما : أرأيت قصر الصلاة فى السفر إنا لا نجدها فى الكتاب ، إنما نجد ذكر صلاة الخوف ؟ فيقول ابن عمر : إن الله - عز وجل - أرسل محمداً ﷺ ولا نعلم شيئاً ، فإنما نفعل ما رأينا رسول الله ﷺ يفعل ، وقصر الصلاة فى السفر سُنة ، سنها رسول الله ﷺ [٤] .

إن الله - تبارك وتعالى - ذكر قصر الصلاة فى الخوف ، حينما تقترب الجيوش من بعضها ، فقال سبحانه : ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ ومن هنا تساءل البعض ، ما بالنا قد أَمِنّا ومع ذلك نصلى الصلاة قصراً لمجرد السفر فقط ، ويجيب ابن عمر : ما دمنا قد رأينا رسول الله ﷺ يقصر الصلاة فى السفر فإننا نتبع .

أما عمر بن الخطاب فيتوجه بهذا السؤال إلى رسول الله ﷺ ، فيقول له صلى الله عليه وسلم : « صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته » [٥] أى أن القصر قد مَنّ الله به عليكم ويسر به على المسافر .

إن ابن عمر رضى الله عنه قد قبل وسلّم بكل ما كان من سُنته صلى الله عليه وسلم ، وعمر سأل رسول الله ﷺ ، والجميع قد قبل ما كان منه صلى الله عليه وسلم ورضى .

---

(١) مال وعدل عنه ، بمعنى أنه لم يسر مع الطريق فى استقامته ، وإنما مال بعض الشىء .
(٢) ذكره فى المجمع ١٧٤/١ ، وقال : رواه أحمد والبزار ورجاله موثقون .
(٣) ذكره فى المجمع ١٧٥/١ وقال : رواه البزار ورجاله موثقون .
(٤) أخرجه النسائى فى الصلاة باب كيف فرضت الصلاة ١٨٣/١ ، ١٨٤ .
(٥) أخرجه الجماعة إلا البخارى .

على أنى أقول للقائلين بأن سنة العادة لا تلزمنا ، ولا تفيد حكماً شرعياً :

• ماذا تقولون فى مجىء جبريل إلى رسول الله ﷺ بعد غزوة الخندق ، يدعوه إلى النهوض إلى بنى قريظة ، وكان جبريل عليه السلام متعمماً بعمامة ، قد أرخى طرفها بين كتفيه ؟ (1) لماذا لبس جبريل العمامة ، وعلى الهيئة التى كان رسول الله ﷺ يلبسها عليها ؟ إنكم تقولون : كان رسول الله ﷺ يلبس العمامة لحرارة الجو فى الجزيرة ، فهذه سُنة عادة .

وأقول : هل كان جبريل أيضاً يلبسها من الحر ؟!! إن الحر لا يؤثر عليه ، وإنما هذا يدل على أن هذه الهيئة هى أفضل هيئة ، فلبسها رسول الله ﷺ ويلبسها الصالحون اقتداء به صلى الله عليه وسلم ، يلبسها الآدميون والملائكة .

• بل ماذا تقولون : فى أن كل ما أحبه صلى الله عليه وسلم فى طعامه أثبت العلم عظيم فائدته ، فأحب الذراع ، ولحم الظهر ، وهذا أكثر اللحم فائدة ، وتقلل فى الطعام جداً ، وهذا أنفع المناهج فى تناول الأطعمة .

وهكذا فى كل ما فعل وفى كل ما ترك ، كله الهدْى المفيد النافع ، وهذا يدل على أنه من النبوة ، وأن سعادة الأمة فى اتباعه .

ورحم الله سهل بن عبدالله التُسْتَرى ! إذ يقول : « عليكم بالاقتداء بالأثر والسُنة ، فإنى أخاف أنه سيأتى عن قليل زمان إذا ذكر إنسانٌ النبىَّ ﷺ ، والاقتداء به فى جميع أحواله ذموه !! ونفروا عنه ، وتبرءوا منه ، وأذلوه وأهانوه » (2) .

وهكذا يتضح أن سنته صلى الله عليه وسلم – والتى هى أقواله وأفعاله وإقراراته وصفاته – هى كل ما أثر عنه ، وصدر منه ، والأمة مكلفة باتباعه فى كل ذلك ، وأن الأمر فى قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ واللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ هذا الأمر « فاتبعونى » على إطلاقه ، وعلى الأمة أن تتبعه فى كل ما جاء به صلى الله عليه وسلم ، هكذا فهم السلف الصالح ، وهكذا يجب أن نكون ، لنكون خير خَلَفٍ لخير سلف .

---

(1) أخرجه البيهقى وأبو نعيم ، وأخرجه أيضاً ابن سعد ، راجع الخصائص الكبرى ٤/٢ ، ٥ .

(2) ذكره القرطبى فى تفسيره ١٣٩/٧ فى تفسير آية : ﴿ وأن هذا صراطى مستقيماً ﴾ آية ١٥٣ من سورة الأنعام .

## السنة الراشدة :

وإذا كانت «السُّنة» إذا أطلقت وعُرِّفت تنصرف إلى سنته صلى الله عليه وسلم فإنها تطلق على سُنة الخلفاء الراشدين ، إلا أنها تطلق مقيدة ، فيقال «سُنة الخلفاء الراشدين» أو «السُّنة الراشدة» وهى : ما عمل عليه الصحابة[1] ، وجد ذلك فى الكتاب أو السُّنة ، أو لم يوجد ، لكونه اتباعاً لسُنة ثبتت عندهم لم تنقل إلينا ، أو اجتهاداً مُجْمَعاً عليه منهم أو من خلفائهم ، فإن إجماعهم إجماع ، وعمل خلفائهم راجع أيضاً إلى حقيقة الإجماع ، من جهة حمل الناس عليه حسبما اقتضاه النظر المصلحى عندهم[2] .

ودليل إطلاق السُّنة الراشدة على عمل الصحابة قوله صلى الله عليه وسلم : « ... فإنه من يعش منكم بعدى فسيرى اختلافاً كثيراً ، فعليكم بسُنتى وسُنة الخلفاء الراشدين المهديين ، تمسكوا بها ، وعضوا عليها بالنواجذ ... » الحديث[3] ، فجعل صلى الله عليه وسلم لهم سُنة ، تنسب إليهم ، وأمر بلزومها ، والتمسك بها بأبلغ وجوه التمسك مع سنته صلى الله عليه وسلم ، واستدل بذلك على أن الواحد من الخلفاء الراشدين – أبى بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلى – إذا قال قولاً وخالفه غيره من الصحابة كان المصير إلى قوله أولى .

وكما خص صلى الله عليه وسلم هؤلاء الأربعة من بين الصحابة باتباع سنتهم ، فإنه أيضاً خص من بينهم أبا بكر وعمر ، فقال صلى الله عليه وسلم « فاقتدوا باللذين من بعدى ، وأشار إلى أبى بكر وعمر »[4] وفى هذا دليل على سلامة منهجهم ، واستقامة سنتهم ، فكان لزاماً أن يقتدى المسلم بهم .

---

(١) قال بذلك بعض الأصوليين ، وبعض المحدثين .

(٢) الموافقات ٤/٤ .

(٣) أخرجه أبو داود فى السنة باب لزوم السنة ٣٥٨/١٢ – ٣٦٠ عون المعبود . وأخرجه الترمذى فى العلم باب الأخذ بالسنة واجتناب البدعة ٤٣٨/٧ – ٤٤٢ وقال : حسن صحيح ، وراجع السنة النبوية ، مكانتها وعوامل بقائها ص ١٧ .

(٤) أخرجه ابن حبان فى مناقب الصحابة باب أمر المصطفى ﷺ المسلمين بالاقتداء بأبى بكر وعمر بعده ٣٢٧/١٥، ٣٢٨ رقم ٦٩٠٢ وأخرجه الترمذى وأحمد وغيرهم .

**ومثال ما سن فيه الصحابة :**

**تضمين الصناع** : فلقد أسقط النبى ﷺ الضمان عن الأجراء ، فقضى الخلفاء الراشدون بتخصيص ذلك بتضمين الصناع ، لأنهم يغيبون على الأمتعة ، ويغلب عليهم التفريط ، فاقتضت المصلحة ذلك .

**وجمع المصحف**: بعدما كان مفرقاً فى الصحف ، والعسب ، والعظام ، فجُعل مجتمعاً كله فى صحف ملتئمة ، خشية أن يضيع منه شىء مكتوب ، وإن كان محفوظاً فى صدور الكثيرين من الصحابة .

**وحمل الناس على القراءة بحرف واحد ، من الحروف السبعة .**
**وجمع الناس على إمام** واحد فى التراويح .
**وتدوين الدواوين .**
**وإنشاء الأذان الأول** للجمعة فى السوق .

كل ذلك من السُّنة الراشدة ، وقد أوصى صلى الله عليه وسلم بالعمل بها .

وإنما أضاف صلى الله عليه وسلم السُّنة إلى الخلفاء الراشدين لقوة ذلك واستقامته ، وإلا فكل مسألة لم نجد فيها كتاباً ولا سُّنة ، فإنا نأخذ فيها بقول الصحابى ، سواء كان من الخلفاء الراشدين ، أو ليس منهم ، فإذا اجتمع قول خليفة ، وقول غيره قدم قول الخليفة على قول غيره ، وإذا لم يوجد فى المسألة كتاب ولا سُّنة ، ووجد فيها عمل الصحابة ، أو عمل أحدهم فالعمدة عليه .

يقول عبد الله بن عمر – رضى الله عنهما – من كان مستنًا فليستنّ بمن قد مات ؛ أولئك أصحاب محمد ﷺ، كانوا خير هذه الأمة ، أبرّها قلوباً ، وأعمقها علماً ، وأقلها تكلفاً ، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم ، ونقل دينه ، فتشبهوا بأخلاقهم وطرائقهم ، فهم أصحاب محمد ﷺ ، كانوا على الهدى المستقيم ، والله رب الكعبة[1] .

وعليه فـ « **السُّنة** » **أقواله صلى الله عليه وسلم ، وأفعاله ، وإقراراته ، وصفاته ،**

---

(١) الحلية ٣٠٥/١ ، وراجع الموافقات ٧٤/٤ الدليل الثانى السنة ، المسألة التاسعة .

وما كان عليه عمل الصحابة . وهذا أجمع تعريف لها[1] ، وعليه تكون دراستى إن شاء الله تعالى ، وهو تعريف يشمل تعريف الأصوليين ، والمحدثين ، وإنما زدت « وصفاته » من عند المحدثين ، لأنها واردة فى كتبهم ، ولها تعلق كبير بسنته صلى الله عليه وسلم ، ولم أشترط ما اشترطه الأصوليون من قولهم « من غير القرآن الكريم » فإن هذا من الوضوح بحيث لا يحتاج لاشتراط ، ولم أذكر ما ذكره المحدثون من أخباره صلى الله عليه وسلم قبل البعثة مما له تعلق بالنبوة ، لأن هذا داخل فيما سبق من أقواله صلى الله عليه وسلم ، وأفعاله ... إلخ ، فإنه صلى الله عليه وسلم إما قاله بعد البعثة ، أو أقر من قاله ، أما ما قاله أحد المحيطين به صلى الله عليه وسلم قبل البعثة ، ولم يقره صلى الله عليه وسلم فهذا بالسيرة النبوية أليق ، وبموضوعها ألصق ، على أنى لو أدخلت هذا القيد فى التعريف فإنه لا يؤثر على موضوع البحث .

وأسوق شيئاً من التوضيح لهذا التعريف :

فمثال **أقواله** صلى الله عليه وسلم : « اتق الله حيثما كنت ، وأتبع السيئة الحسنة تمحها ، وخالق الناس بخلق حسن »[2] .

ومثال **أفعاله** صلى الله عليه وسلم : الأحاديث الواردة فى صفة صلاته صلى الله عليه وسلم ، وكذا الأحاديث الواردة فى صفة حجه صلى الله عليه وسلم ، وقد قال صلى الله عليه وسلم : « صلوا كما رأيتمونى أصلى »[3] وقال : « لتأخذوا عنى مناسككم »[4] .

ومثال **إقراره** صلى الله عليه وسلم : أن الضب[5] أُكِلَ على مائدته صلى الله

---

(١) راجع جامع العلوم والحكم شرح الحديث (٢٨) عند شرح « فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى » ٢/١٢٠ .

(٢) أخرجه أحمد والترمذى والحاكم عن أبى ذر .

(٣) أخرجه البخارى ومسلم والنسائى وأحمد .

(٤) أخرجه مسلم .

(٥) **الضب** : حيوان من جنس الزواحف ، غليظ الجسم خشنه ، وله ذنب عريض حرش أعقد ، يعيش فى صحارى البلاد العربية ، ويأكله أهلها نظراً لأن لحمه يذهب العطش ، وهو أصلاً لا يشرب الماء وإنما يكتفى بالنسيم وبرد الهواء ، وهو من الحيوانات المعمرة حتى لربما عاش سبعمائة عام ، ولا يسقط له سن ، وأسنانه كلها قطعة واحدة . راجع المعجم الوسيط ج ١ ، ص ٥٥٢ ، وبه صورة واضحة للضب ، وراجع فتح البارى ٩/ ٦٦٣، وراجع كتب الحيوان ومنها « حياة الحيوان الكبرى » للدميرى .

عليه وسلم فأقرّ الآكلين ، ولم ينههم عن ذلك [1] . ومن إقراره أيضاً قول عبد الله بن عمر : « كنا نقول ورسول الله ﷺ حيّ أفضل هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر وعمر وعثمان ، والرسول ﷺ يسمعنا فلا ينكر علينا » [2] .

ومثال **صفاته الخَلْقِيّة** : قول أنس : « كان رسول الله ﷺ ليس بالطويل البائن [3] ، ولا بالقصير ، ولا بالأبيض الأمهق [4] ولا بالآدم [5] ، ولا بالجَعْد القَطِط [6] ، ولا بالسَّبْط [7] » .

ومثال **صفاته الخُلُقِيّة** : قول عائشة : « لم يكن رسول الله ﷺ فاحشاً ولا متفحشاً [8] ، ولا صخاباً [9] بالأسواق ، ولا يجزى بالسيئة السيئة ، ولكن يعفو ويصفح [10] .

فأقواله صلى الله عليه وسلم وأفعاله ، وإقراراته وصفاته ، كل ذلك سنته صلى الله عليه وسلم ، وما يطلق عليه سُنة يطلق عليه أيضاً حديث ، فحديثه صلى الله عليه وسلم أقواله ، وأفعاله ، وإقراراته ، وصفاته الخَلْقِيّة والخُلُقية .

ومثال **السنة الراشدة** : جمع الناس على إمام واحد فى صلاة التراويح ، وقد تقدم كثير من ذلك قريباً .

---

(١) الحديث أخرجه البخارى فى الذبائح باب الضب ٦٦٣/٩ حديث رقم ٥٥٣٧ وفى غير هذا الموضع .

(٢) أخرجه الطبرانى فى الكبير – راجع فتح البارى ١٦/٧ ، وفتح المغيث للعراقى ١/ ٦٢ – وأخرجه أبو داود فى السنة باب فى التفضيل ٣٨١/١٢ ، وأصل الحديث فى البخارى فى فضائل الصحابة باب فضل أبى بكر ١٦/٧ وفى باب مناقب عثمان ٥٣/٧ ، ٥٤ .

(٣) **البائن** : معناها الظاهر ، والمعنى أنه صلى الله عليه وسلم لم يكن غريباً فى طوله .

(٤) **الأمهق** : أى ليس شديد البياض .

(٥) **بالآدم** : الأسمر .

(٦) **القطط** : أى ليس شعره شديد التجاعيد والالتواء .

(٧) **بالسَّبْط** : أى ليس شعره بالمسترسل الخالى عن التنوءات ، وهذا الحديث أخرجه البخارى ، ومسلم والترمذى ومالك .

(٨) **الفاحش** : من فى قوله أو فعله قبح ، **والمتفحش** : من يتكلف القبح فى قوله أو فعله .

(٩) **صخاباً** : شديد الصوت .

(١٠) أخرجه الترمذى فى السنن والشمائل .

# إيرادات على التعريف وردّها

## أقضيته صلى الله عليه وسلم :

وقد يقول قائل : كيف يكون كل ما صدر منه سُنة ، هو صلى الله عليه وسلم معصوم فيها ، وقد قال لخصمين تقدما إليه : « إنما أنا بشر ، وإنه يأتينى الخصم فلعل بعضكم أن يكون أبلغ فأحسب أنه صادق ، فأقضى له بذلك ، فمن قضيت له بحق مسلم ، فإنما هى قطعة من النار ، فليأخذها أو ليتركها »[1] ؟

إن هذا الحديث يفيد أنه يقضى حسب الظاهر ، ولو كان بوحى ما قضى إلا بما هو حق فى نفس الأمر .

**أقول** : نعم ، هو صلى الله عليه وسلم يحكم بالظاهر ، إلا أن حكمه هذا صحيح حسب ما أخبر الخصمان . إن المعصوم فيه صلى الله عليه وسلم حكمه على الواقعة .

أما أقوال الخصوم فإنه لم يكلف بالبحث عن صدقها ، فهما يتحدثان ، وكلّ يحضر بينته وأدلته وشهوده والقرائن ، ثم يحكم رسول الله ﷺ ، وحكمه على الحاضر أمامه من أقوالهم وأدلتهم صحيح ، وهو معصوم من الخطأ فيه .

وهو فى هذا يُرسى القدوة ، فالحاكم من بعده ليس مطالباً بالتنقيب عما فى قلوب الناس ، وإنما يحكم وفق ما حضر أمامه ، ويحكم كما حكم رسول الله ﷺ .

ومن هنا يقول صلى الله عليه وسلم : « إنى لم أُومر أن أنقُب عن قلوب الناس ، ولا أشق بطونهم »[2] أى أنه صلى الله عليه وسلم إنما كُلِّف أن يحكم بالظاهر والله يتولى السرائر .

---

(١) أخرجه البخارى فى الأحكام باب من قضى له بحق أخيه فلا يأخذه ١٧٢/١٣ .

(٢) أخرجه مسلم فى الزكاة باب ذكر الخوارج وصفاتهم ٧٤٢/٢ ، وأخرجه البخارى فى المغازى باب بعث على بن أبى طالب عليه السلام وخالد بن الوليد رضى الله عنه إلى اليمن قبل حجة الوداع ٦٧/٨ حديث ٤٣٥١ .

على أن العقل يحكم بذلك ، فلو أنه صلى الله عليه وسلم حكم بالوحى ، وأعلمه الله بحقيقة الأمر وَحْياً فكيف يحكم القضاة بعده صلى الله عليه وسلم ؟ بدهى أنهم لن يستطيعوا فعل ذلك ، فكان حكمه حسب الظاهر هو المستطاع منه ومن غيره ممن يحكمون حسب الظاهر .

وعليه فهذا لا يعكر على أن كل ما صدر منه سُنة ، هو معصوم فيه صلى الله عليه وسلم .

## تأبير النخل [1] :

ومن حق قائل أن يقول : إذا كان كل ما صدر عنه صلى الله عليه وسلم سُنة ، وكان صلى الله عليه وسلم معصوماً فى كل ما صدر عنه ، فما بالك بحديث تأبير النخل ؟ إنه صلى الله عليه وسلم قلل من شأن التأبير فكانت الثمرة لا كما يحبون .

**والجواب** : حديث تأبير النخل أخرجه مسلم من حديث طلحة بن عبيد الله قال : « مررت مع رسول الله ﷺ بقوم على رؤوس النخل فقال: ما يصنع هؤلاء؟ فقالوا : يلقِّحونه ، ويجعلون الذكر فى الأنثى فتلقَّح . فقال رسول الله ﷺ : ما أظن يغنى ذلك شيئاً . قال : فأُخبروا بذلك ، فتركوه ، فأُخبر رسولُ الله ﷺ بذلك فقال : إن كان ينفعهم ذلك فليصنعوه ، فإنى إنما ظننتُ ظناً فلا تؤاخذونى بالظن ، ولكن إذا حدثتكم عن الله شيئاً فخذوا به ، فإنى لن أكذب على الله عز وجل » [2] .

* وواضح من الحديث أنه صلى الله عليه وسلم لم يَنْهَهُمْ ، وإنما قال : « ما أظن يغنى ذلك شيئاً » ولم يُرِدْ صلى الله عليه وسلم بذلك صرفَهم عما هم فيه ، بدليل أنهم لما تركوا التأبير ووصل الخبر إليه صلى الله عليه وسلم بيّن لهم ، أنه ظَنٌّ ، وأنه ما يصح أن يصرفهم الظَنُّ عن أمر يرونه صواباً ، فهم غلطوا فى ظنهم أنه نهاهم ، كما غلط من غلط فى ظنه أن الخيط الأبيض والخيط الأسود هو الحبل الأبيض والأسود [3] .

---

(١) **التأبير** : أخذ شيء من طلع الذكر ويوضع فى طلع الأنثى ، فيكون الإنتاج بإذن الله أكثر وأجود .

(٢) أخرجه مسلم فى الفضائل ، باب وجوب امتثال ما قاله شرعاً ، ٥/٢١٢ طبعة الشعب ، وأخرجه ابن ماجه ، فى الرهون ، باب تلقيح النخل ٢/٨٢٥ ، وأخرجه أحمد ٦/١٢٣ .

(٣) حينما نزل قول الله تعالى : ﴿ **وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط** =

* ثم إنه صلى الله عليه وسلم بيّن أن أمور الدنيا ، تلك التى يرجى منها كثرة المال وحطام الدنيا هذه موكولة إلى دراسة الأمة وخبرتها ، دل على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم فى رواية أخرى(1) « أنتم أعلم بأمر دنياكم » وقوله أيضاً فى رواية أخرى(2) « إن كان شيئاً من أمر دنياكم فشأنكم به ، وإن كان من أمور دينكم فإلىّ » .

إن الجانب العقدى والخلقى ، والذى يرسم علاقة الإنسان بربه ، وبغيره من الكائنات يقوم به الدين ، أما الجانب التجريبى الذى به تُجمع الأموالُ ويُستكثر من حطام الدنيا فهذا موكول للناس ، يسلكونه بتجاربهم ، لكن وَفق المنهج الخلقى الذى يرسمه الإسلام ، فليجمع المرء المال بكل وسيلة يراها ، لكن دونما غش ، أو كذب ، ودونما ربا ، أو أى كسب محرم .

إن هذا موكول لتجارب الناس وجهدهم ، وهم مدعوون إلى ألا يشغلوا أنفسهم به كثيراً ، ويجب أن يكون الشاغل الأكبر هو ذكر الله تعالى وطاعته ، كما قال سبحانه : ﴿ **ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر** ﴾(3) أى شغلكم المباهاة بكثرة المال والعَدَد عن طاعة الله حتى مِتُّم ودُفِنْتُم فى المقابر(4) .

إنه صلى الله عليه وسلم لم تكن همته جمع المال أو الاستكثار من حطام الدنيا ، وإنما كانت همته الآخرة ، كما فى حديث « مالى وللدنيا ، وما للدنيا ومالى ، والذى نفسى بيده ، ما مثلى ومثل الدنيا إلا كراكب سار فى يوم صائف ، فاستظل تحت شجرة ساعة من نهار ، ثم راح وتركها »(5) .

* أما ما جاء فى رواية رافع بن خديج عند مسلم من قوله صلى الله عليه وسلم :

---

= **الأسود** ﴾ ظن ناس أن المراد أن يظل الصائم يأكل حتى يتبين له الحبل الأبيض من الحبل الأسود ، وهذا غلط صححته الآية إذ نزل قوله تعالى ﴿ **من الفجر** ﴾ فعلموا أنه إنما يعنى الليل والنهار ، وبيّن رسول الله ﷺ ذلك لهم كما فى صحيح البخارى فى الصوم باب قول الله تعالى : ﴿ **وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر** ﴾ ١٣٢/٤ ، وراجع مجموع فتاوى ابن تيمية ج ١٨ ، ص ١٢ .

(1) عند مسلم فى التخريج السابق .

(2) عند ابن ماجه وأحمد فى التخريج السابق .

(3) سورة التكاثر الآيتين الأوليين منها .

(4) تفسير القرطبى ١٦٨/٢٠ .

(5) أخرجه الحاكم فى الرقاق باب إذا أحب الله عبداً حماه الدنيا ٣٠٩/٤ ، ٣١٠ .

« إنما أنا بشر إذا أمرتكم بشيء من دينكم فخذوا به ، وإذا أمرتكم بشيء من رأيي فإنما أنا بشر » فهذا لا يُضْعِف الأخذ برأيه صلى الله عليه وسلم ، فإن عكرمة بن عمار أحد رجال السند قال بعد أن رواه : أو نحو هذا . فهو لم يروه باللفظ ، وإنما رواه بالمعنى ، والروايات الأخرى تبين أنه ظن فقط ، على أنه إذا أخذنا بهذه الرواية فإنها محمولة على الرأى فى أمور الدنيا ومعايشها ، أمَّا ما قاله باجتهاده صلى الله عليه وسلم ورآه شرعاً فإنه يجب العمل به ، والتأبير من أمور الدنيا[1] .

**وخلاصة القول** : إن حديث تأبير النخل لا يؤثر على القول بأن كل ما صدر منه فإنما هو سُنة ، لأنه صلى الله عليه وسلم ما تكلم فى أمور جمع المال والمعايش ، وإنما تفرغ فترة رسالته لأمور تبليغ الأمة وتعليمها كما قال : « ما أوحى الله إلىّ أن أجمع المال وأكون من التاجرين ، ولكن أوحى إلىّ أن ﴿ **سبح بحمد ربك وكن من الساجدين • واعبد ربك حتى يأتيك اليقين** ﴾[2] وهذه الأمور أى أمور جمع المال والمعايش موكولة إلى خبرة الأمة ، والقائمون بالتأبير لم يدركوا ذلك ، فأبان صلى الله عليه وسلم أن أمور المعايش موكولة إليكم ، أما أمور الدين والخُلُق ، أمور العقيدة والعبادة فهذه رسالته صلى الله عليه وسلم .

* * *

---

(١) راجع شرح النووى لصحيح مسلم ٢١٢/٥ طبعة الشعب .
(٢) أخرجه أحمد فى الزهد ص ٣٩١ ، والآيتان هما ختام سورة الحجر .

# زمن السُّنة النبوية

بدأت السُّنّة النبوية ببدء نزول الوحى على رسول الله ﷺ، وذلك على رأس الأربعين من عمره صلى الله عليه وسلم ، حينما نزلت عليه الآيات الأولى من القرآن الكريم ، جاءه بها جبريل عليه السلام ، وهو صلى الله عليه وسلم يتعبد فى غار حراء ، ثم فتر الوحى بعض الوقت تطميناً له صلى الله عليه وسلم ، ثم تتابع ، منذ هذه الفترة بدأت السُّنة ، وأعلم الله تبارك وتعالى عبده محمداً بأنه قد اصطفاه وأنه رسول الله إلى خلقه .

نعم كانت هناك قبل ذلك أمور تشير إلى نبوته ، منها ما سمعه من بحيرا الراهب ، وما حدث له حينما كان يشارك فى بناء الكعبة حيث قيل له : « اشدد عليك إزارك » وتسليم الحجر عليه ، لكن هذه لم يكن الإخبار فيها بنبوته صلى الله عليه وسلم صريحاً ، وإنما كانت الصراحة بمجىء الوحى على رأس الأربعين ، وبإعلامه صلى الله عليه وسلم باصطفاء الله له ، وأنه رسول رب العالمين ، وببدء نزول الوحى عليه بدأت السُّنة ، فصار كل فعل له سُنة ، وكل قول له - عدا القرآن - سُنة ، وقد أصبح صلى الله عليه وسلم المعصوم الذى يبلغ الناس عن الله دين الله سبحانه وتعالى .

وتُحدثنا أم المؤمنين عائشة - رضى الله عنها - عن هذه الفترة فتقول : « أول ما بُدِئَ به رسول الله ﷺ من الوحى الرؤيا الصالحة فى النوم ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح(1) ، ثم حُبِّب إليه الخلاء(2) ، وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه - وهو التعبد - الليالىَ ذوات العدد ، قبل أن ينزع إلى أهله(3) ،ويتزودُ لذلك(4) ، ثم يرجعُ إلى خديجه ، فيتزودُ لمثلها ، حتى جاءه الحق(5) ، وهو فى غار

---

(1) أى إلا تحققت كما رآها .

(2) الخلاء : الخلْوة .

(3) قبل أن يرجع إلى أهله ، والمراد : زوجته أم المؤمنين خديجة ، وأولاده منها .

(4) ويأخذ معه زاده لمدة تعبد أخرى .

(5) جاءه الحق : الوحى .

حراء ، فجاءه المَلَكُ فقال : اقرأ . قال : ما أنا بقارئ . قال : فأخذنى فغطنى (١) حتى بلغ منى الجهدَ ، ثم أرسلنى فقال : اقرأ . قلت : ما أنا بقارئ ، فأخذنى فغطنى الثانية حتى بلغ منى الجهدَ ، ثم أرسلنى فقال : اقرأ . فقلت : ما أنا بقارئ . فأخذنى فغطنى الثالثة ، ثم أرسلنى فقال : ﴿ **اقرأ باسم ربك الذى خلق * خلق الإنسان من علق * اقرأ وربك الأكرم** ﴾ فرجع بها رسول الله ﷺ يَرْجُفُ فؤاده ، فدخل على خديجة بنت خويلد رضى الله عنها فقال : زمّلونى زَمّلُونى (٢) فزملوه حتى ذهب عنه الرَّوْعُ (٣) ، فقال لخديجة وأخبرها الخبر : لقد خشيت على نفسى ، فقالت خديجة : كلا والله ما يُخزيك الله أبداً ، إنك لَتصِل الرحم ، وتَحْمل الكَلَّ (٤) وتَكْسِبُ المعدوم (٥) ، وتَقْرِى الضيف ، وتُعِين على نوائب الحق .

فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى - ابن عم خديجة - وكان امرَءاً تَنَصَّر فى الجاهلية ، وكان يكتب الكتاب العِبرانى ، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب ، وكان شيخاً كبيراً قد عمى ، فقالت له خديجة : يا ابن عم اسمع من ابن أخيك . فقال له ورقة : يا ابن أخى ماذا ترى ؟ فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى . فقال له ورقة : هذا الناموس (٦) الذى نزل الله على موسى يا ليتنى فيها جَذَعاً ، ليتنى أكون حياً إذ يخرجك قومك ، فقال رسول الله ﷺ : أو مُخْرِجِىَّ هُمْ ؟ قال : نعم لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودى ، وإن يدركنى يومك أنصرك نصراً مؤزراً ، ثم لم ينشب (٧) ورقة أن توفى وفتر الوحى (٨) .

---

(١) **الغط** : حبس النفس ، وفى رواية « فأخذ بحلقى » .
(٢) **زَمّلُونى** : لفونى .
(٣) **الرَّوْعُ** : الفزع .
(٤) **وتَحمل الكَلَّ** : الضعيف الذى لا يستطيع أن يقوم بأعباء نفسه .
(٥) **وتَكْسِبُ المعدوم** : أى تعطى الفقراء ما لا يجدونه عند غيرك .
(٦) **الناموس** : الملك .
(٧) **ينشب** : يلبث .
(٨) **وفتر الوحى** : أى توقف لعدة أيام حتى يتهيأ صلى الله عليه وسلم ويتأهب لما سيوحى إليه ، وهذا الحديث أخرجه البخارى ثالث حديث من صحيحه ٢٢/١ .

لقد كان أول الوحى إليه صلى الله عليه وسلم الرؤيا الصادقة ، وذلك تهيئة وتوطئة ، ثم استعلن له جبريل وظهر ، ثم حمى الوحى وتتابع ، وعلى أى قول فى مدة فترة الوحى ، فإنه منذ بداية الرؤيا الصالحة بدأ الوحى ، وفترة الوحى لا تمثل مشكلة فى هذا ، فإن الوحى لم يتوقف ، وإنما فتر ، بمعنى خفّ أو قلّ ، ثم بعد ذلك حمى وتتابع .

نعم ذهب المحدثون إلى أن السُّنة تشمل بعض ما كان قبل البعثة رائين أن كريم سيرته قبل البعثة له دخل فى إثبات نبوته صلى الله عليه وسلم كثيراً ، كما حصل من هرقل فى حديثه المشهور .

**قلت** : ما كان قبل البعثة إن كان تكلم به صلى الله عليه وسلم بعد البعثة ، فهو من السُّنة على رأى المحدثين وغيرهم ، لأنه من أقواله صلى الله عليه وسلم بعد البعثة ، وذلك مثل قوله صلى الله عليه وسلم : « ما هممت بما كان أهل الجاهلية يهمون به إلا مرتين من الدهر ، كلاهما يعصمنى الله تعالى منهما ، قلت ليلة لفتى كان معى من قريش فى أعلى مكة فى أغنام لأهلها ترعى : أبصر لى غنمى حتى أسمر هذه الليلة بمكة ، كما تسمر الفتيان . قال : نعم ، فخرجت ، فلما جئت أدنى دار من دور مكة سمعت غناء وصوت دفوف وزمر ، فقلت ما هذا ؟ قالوا : فلان تزوج فلانة لرجل من قريش تزوج امرأة ، فلهوت بذلك الغناء والصوت حتى غلبتنى عينى ، فنمت ، فما أيقظنى إلا مس الشمس ، فرجعت ، فسمعت مثل ذلك ، فقيل لى مثل ما قيل لى ، فلهوت بما سمعت ، وغلبتنى عينى فما أيقظنى إلا مس الشمس ، ثم رجعت إلى صاحبى ، فقال : ما فعلت ؟ فقلت : ما فعلت شيئاً . قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « فوالله ما هممت بعدها أبداً بسوء مما يعمل أهل الجاهلية ، حتى أكرمنى الله تعالى بنبوته »[1] .

وإن كان تكلم به غيره بعد البعثة أمامه صلى الله عليه وسلم فأقره ، فهذا أيضاً من السُّنة على رأى المحدثين وغيرهم ، إذ هذا من إقراراته صلى الله عليه وسلم ، وهى

---

(١) أخرجه الحاكم فى التوبة باب عصمة النبى ﷺ عن عمل الجاهلية قبل النبوة ٢٤٥/٤ وقال : صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبى ، وأخرجه ابن حبان فى كتاب التاريخ باب بدء الخلق « ذكر الخبر المدحض قول من زعم أن النبى ﷺ كان على دين قومه قبل أن يوحى إليه » ١٦٩/١٤ الإحسان .

من سُنته صلى الله عليه وسلم على رأى المحدثين وغيرهم ، ومثال ذلك قول السائب : « أتيت النبى ﷺ فجعلوا يثنون عليّ ويذكرونى ، فقال رسول الله ﷺ أنا أعلمكم - يعنى به - قلت : صدقت ، بأبى أنت وأمى ، كنت شريكى فنعم الشريك ، كنت لا تدارى ولا تمارى »[1] لقد مدحه السائب بأنه صلى الله عليه وسلم كان فى تجارته قبل البعثة « لا يدارى » يعنى لا يختلف ولا يمانع « ولا يمارى » يعنى لا يجادل ولا يخاصم ، وسمع ذلك صلى الله عليه وسلم وأقره .

أما إن تكلم متكلم بالأمر حدث فى حياته صلى الله عليه وسلم قبل البعثة ، ولم يسمع ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يقره بعد البعثة ، فهذا إذا اعتبره المحدثون من السُّنة فهو بعيد ، ولم أقف على شىء منه عندهم ، وأرى أنه من السيرة لا من السنة ، ومثال ذلك قول برّة بنت أبى تجرأة : أول من أرضع رسول الله ﷺ ثويبة بلبن ابن لها ، يقال له مسروح ، أياماً قبل أن تقدم حليمة ، وكانت قد أرضعت قبله حمزة بن عبد المطلب ، وأرضعت بعده أبا سلمة بن عبد الأسد المخزومى[2] .

وعليه فالسنة النبوية بدأت بنزول الوحى عليه صلى الله عليه وسلم ، وما كان منها متعلقاً بحياته قبل البعثة ، فإن كان صلى الله عليه وسلم هو المتحدث به بعد البعثة أو تحدث به غيره فأقره صلى الله عليه وسلم بعد البعثة ، فهو داخل فى السنة من هذه الحيثية - حيثية تحدثه به أو إقراره بعد البعثة - وانتهت سنته صلى الله عليه وسلم بوفاته صلى الله عليه وسلم .

وهى وإن كانت تنتهى بوفاته صلى الله عليه وسلم إلا أنها مشتملة على الفتن والملاحم ، ومحذرة الأمة مما سيحدث لها ، أعلمه الله تبارك وتعالى بذلك ، لأنه الرسول الخاتم ، فحدث أمته بما سيحدث لها ، وحذرها المتالف والمهالك ، وكأنه صلى الله عليه وسلم موجود بينها إلى قيام الساعة ، ومثال ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : « صنفان من أهل النار لم أرهما ، قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ، ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة ، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها ، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا

---

(١) أخرجه أبو داود فى الأدب باب فى كراهية المراء ١٨١/١٣ .

(٢) أخرجه ابن سعد فى ذكر من أرضعه صلى الله عليه وسلم ١٠٨/١ .

وكذا »(١) . إنه صلى الله عليه وسلم يحذر أمته هذين الصنفين ؛ الذين يعذبون خلق الله والنساء المتبرجات ؛ ويبين أن هذين الصنفين من أهل النار ، ولا يدخلون الجنة ، ولا يشمون رائحتها ، وكأنه صلى الله عليه وسلم موجود بيننا . يقول لهذين الصنفين : إنكم من أهل النار ، فليربأ كل إنسان بنفسه عن ذلك .

وهكذا تكون السنة النبوية هى : أقواله صلى الله عليه وسلم ، وأفعاله ، وإقراراته ، وصفاته منذ سن الأربعين إلى وفاته صلى الله عليه وسلم . ففى هذه الفترة والتى هى ثلاث وعشرون سنة كل ما صدر منه صلى الله عليه وسلم حفظه الصحابة ووعوه ، مدركين أنهم مكلفون باستيعاب سنته ، وهى كل ما يصدر عنه صلى الله عليه وسلم .

وأما « **السنة الراشدة** » فمن وفاته صلى الله عليه وسلم إلى نهاية زمن على بن أبى طالب ، رابع الخلفاء الراشدين ، وذلك فى رمضان سنة أربعين من الهجرة ، فتكون مدتها ثلاثين سنة .

وقد قال صلى الله عليه وسلم : « الخلافة بعدى ثلاثون سنة ، ثم تكون ملكاً »(٢) .

* * *

---

(١) أخرجه مسلم فى اللباس باب النساء الكاسيات العاريات ١٦٨٠/٣ ، وفى الجنة باب النار يدخلها الجبارون ٢١٩٢/٤ .

(٢) أخرجه أحمد ٢٢٠/٥ ، ٢٢١ ، وأخرجه أيضاً أبو داود رقم ٤٦٣٧ ، وابن أبى عاصم رقم ١١٤١ ، والطبرانى فى الكبير رقم ٦٩٦٥ .

# السُّنة وحي الله إلى رسوله

* تقـديم .
* الاستدلال من القرآن الكريم على أن السنة وحي .
* تفسير « الكتاب » و « الحكمة » .
* الاستدلال من حديث الرسول ﷺ على أن السنة وحي .
  ١ – التصريح بأن السنة وحي .
  ٢ – التصريح بإعلام الله له صلى الله عليه وسلم .
  ٣ – التصريح بمجيء جبريل بالأمر من السنة .
  ٤ – التصريح بأن بعض الملائكة قال كذا أو فعل كذا .
  ٥ – التصريح بما يفيد قبول العمل أو رده .
* إيمان السلف بأن السنة وحي .
* أقسام الوحي .



# مصدر السُّنّة

سنة رسول الله ﷺ وحى من الله تعالى إليه صلى الله عليه وسلم ، يوحى الله إليه ما شاء بكيفية من كيفيات الوحى .

وفى كثير من الآيات والأحاديث ما يبيّن ذلك ، فالله قد أعلم رسوله الكثير والكثير ، وأوحى إليه دينه كاملاً ، وبلغه صلى الله عليه وسلم أمته ، وهو حجة على البشرية كلها .

إن الله سبحانه وتعالى أوحى إلى رسوله القرآن الكريم ، وأوحى إليه بيان القرآن الكريم ، وهو ما يسمى بالسنة ، وفيهما بيان الدين ، وبيان كل ما تحتاجه الأمة فى شخصيتها بين الأمم ، وأمور المعاد ، والفتن ، والدار الآخرة .

## الأدلة القرآنية على أن السنة وحى الله إلى رسوله :

ومن الآيات المفيدة أن السنة وحى من الله سبحانه وتعالى إلى رسوله ﷺ ما يلى :

١ - قول الله تعالى : ﴿ **وما ينطق عن الهوى ۝ إن هو إلا وحى يوحى** ﴾ (١) .

فأعلمنا ربنا سبحانه وتعالى أن رسوله ﷺ لا ينطق عن هوى وغرض ، وإنما ينطق حسبما جاءه الوحى من الله تعالى .

و « إن » فى قوله تعالى : ﴿ **إن هو إلا وحى يوحى** ﴾ نافية بمعنى « ما » أى : ما هو أى نطقه - صلى الله عليه وسلم - إلا وحى .

ومجىء النفى والاستثناء فى الجملة ﴿ **إن هو إلا وحى** ﴾ فإن بمعنى ما النافية ، وإلا للاستثناء ، يسمى أسلوب قصر أو حصر ، قصر الموصوف على الصفة ، فالمعنى إنه صلى الله عليه وسلم ينطق بناء على الوحى ليس إلا . أى : أنه لا ينطق عن أى

(١) أول سورة النجم .

باعث سوى الوحى ، فإنما هو مبلغ عن الله سبحانه وتعالى .

و « يوحى » جملة صفة لـ « وَحْى » ، وتفيد أن نطقه صلى الله عليه وسلم إنما هو بوحى يوحيه الله إليه ، وليس من خاطره ، إنه وحى يأتيه من الله تعالى له طرقه وأنواعه ، وهو صلى الله عليه وسلم متبع لكل ما يأتيه به الوحى من الله تعالى ، دون زيادة أو نقصان .

و « يوحى » فعل مضارع يفيد التجدد والاستمرار ، فتفيد أن الوحى متتابع إليه صلى الله عليه وسلم إلى أن يتم الله دينه ، ولقد ظل الوحى فعلاً متتابعاً إلى أن أكمل الله دينه ، وأتم علينا سبحانه وتعالى نعمته .

٢ - وقول الله تعالى : ﴿ **قل لا أقول لكم عندى خزائن اللّه ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إنى ملك إن أتبع إلا ما يوحى إلىّ** ...﴾ (١) .

يقول سبحانه وتعالى لرسوله : قل لبنى البشر ليس عندى خزائن الله ، فلست أملكها ، ولا أتصرف فيها ، وإنما ذلك لله وحده ، ولا أعلم الغيب ، وإنما يعلمه الله وحده ، ولا أقول لكم إنى ملك من الملائكة ، وإنما أنا بشر ، وما أتبع إلا ما يوحيه إلىّ ربى ، لا أتبع إلا ذلك ، ولا أتجاوزه أى تجاوز .

وهكذا تفيد الآية أنه صلى الله عليه وسلم متبع لوحي الله تعالى ليس إلا ، ولقد جاءت الآية بأسلوب الحصر أيضاً ، فأفادت أنه صلى الله عليه وسلم لا يتبع إلا ما أوحاه الله إليه .

فأفادت الآية الأولى أن نطقه لا يكون إلا بالوحىٰ ، وأفادت الآية الثانية أنه لا يتبع إلا الوحى .

٣ - وقول الله تعالى : ﴿ **وأنزل اللّه عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل اللّه عليك عظيماً** ﴾ (٢) .

٤ - وقول الله تعالى : ﴿ **واذكروا نعمة اللّه عليكم وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به** ﴾ (٣) .

---

(١) سورة الأنعام الآية : ٥٠ . (٢) سورة النساء الآية : ١١٣ .
(٣) سورة البقرة الآية ٢٣١ .

إن هاتين الآيتين تفيدان أن الله - - تبارك وتعالى - - أنزل على رسوله شيئين : الكتاب وهو القرآن ، والحكمة : وهى سنته صلى الله عليه وسلم[1] .

٥ - وقول الله تعالى : ﴿ **لقد مَنّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة** ﴾[2] .

٦ - وقول الله سبحانه وتعالى لنساء رسول الله ﷺ : ﴿ **واذكرن ما يتلى فى بيوتكن من آيات الله والحكمة** ﴾[3] .

وهاتان الآيتان تفيدان أن رسول الله ﷺ يعلم الأمة شيئين هما : الكتاب والحكمة .

فالآيتان [ ١ ، ٢ ] تفيدان أنه صلى الله عليه وسلم لا ينطق إلا بوحى عن الله ، ولا يتبع إلا وحى الله تعالى .

والآيتان [ ٣ ، ٤ ] تفيدان أنه صلى الله عليه وسلم أنزل الله عليه القرآن والسنة .

والآيتان [ ٥ ، ٦ ] تفيدان أنه صلى الله عليه وسلم يعلم الأمة القرآن والسنة .

وعليه فالقرآن والسنة وحى الله إلى رسوله ، ولقد بلغهما صلى الله عليه وسلم الأمة ، وهى مكلفة بالأخذ بهما ، والسير على نهجهما .

## تفسير الكتاب والحكمة :

ونلاحظ فى الآيات السابقة أن الله - - تبارك وتعالى - - قرن الحكمة بالكتاب ، فيما أنزله على رسوله ﷺ، وفيما يُعَلِّمه رسول الله ﷺ الأمة ﴿ **وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة** ﴾ ﴿ **ويعلمهم الكتاب والحكمة** ﴾ .

أما « **الكتاب** » فهو القرآن الكريم ، سُمّى كتاباً لأنه مكتوب .

---

(١) سيأتى مزيد بيان للحكمة إن شاء الله تعالى بعد ورقة أو ورقتين .

(٢) سورة آل عمران الآية : ١٦٤ .

(٣) سورة الأحزاب الآية : ٣٤ .

ويسمى أيضاً : « الفُرْقَان » .

ويسمى أيضاً : « الذِّكر »[1] .

وأما « **الحكمة** » فمعناها فى الآيات المتقدمة[2] : فهم القرآن الكريم ، والفقه فى الدين ، إنها كلمة جامعة للعلوم الدينية . إنها النبوة ، التى مَنّ الله بها على رسوله ﷺ ، فأعلمه كل أمور الدين ، وكل ما يتعلق بدعوته وأمته .

وأسوق أقوال بعض السلف فى تفسير « الحكمة » :

* فعن ابن عباس قال : « الكتاب والحكمة » : الكتاب والسنة[3] .
* وعن قتادة قال : والحكمة أى السنة[4] .

* وقال ابن زيد : « الحكمة » الدين الذى لا يعرفونه إلا به صلى الله عليه وسلم ، ويعلمهم إياها ، وقال : و« الحكمة » العقل فى الدين ، وقرأ : ﴿**ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيراً كثيراً**﴾ وقال عن عيسى : ﴿**ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل**﴾[5] وقرأ ابن زيد : ﴿**واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها**﴾ قال : لم ينتفع بالآيات حيث لم تكن معها حكمة . قال : والحكمة شيء يجعله الله فى القلب ينوِّر له به[6] .

* قال الشافعى : فذكر الله الكتاب وهو القرآن ، وذكر الحكمة فسمعت من أرضى من أهل العلم بالقرآن يقول : الحكمة : سنة رسول الله ﷺ . قال : وهذا يشبه ما قال ، والله أعلم ؛ لأن القرآن ذُكِر وأُتْبِعَتْه الحكمة ، وذكر الله مَنَّهُ على خلقه بتعليمهم الكتاب والحكمة ، فلم يجز – والله أعلم – أن يقال الحكمة ههنا إلا

---

(١) راجع مقدمة تفسير الطبرى باب القول فى تأويل أسماء القرآن ٤١/١ .

(٢) ذكر صاحب بصائر ذوى التمييز ٤٩٠/٢ لها ستة معانى فى القرآن الكريم ، ولقد اقتصرتُ على المعنى المراد فى الآيات التى أستدل بها .

(٣) أخرجه ابن المبارك فى زيادات الزهد ص ٢٢ رقم ٨٩ .

(٤) تفسير الطبرى ٥٥٧/١ ، والفقيه والمتفقه للخطيب ٢٦٠/١ فقرة ٢٥٨ ، وابن المبارك فى زيادات الزهد ص ٢٢ رقم ٩٠ .

(٥) سورة آل عمران الآية : ٤٨ . و« الكتاب » فيها بمعنى الكتابة أى الخط .

(٦) تفسير الطبرى٥٥٧/١ للآية ١٢٩ من سورة البقرة .

سنة رسول الله ، وذلك أنها مقرونة مع كتاب الله [1] .

وقيل لمالك : ما الحكمة ؟ قال : المعرفة بالدين ، والفقه في الدين ، والاتباع له [2] .

• وقال الطبرى [3] : والصواب من القول عندنا فى الحكمة أنها العلم بأحكام الله التى لا يدرك علمها إلا ببيان الرسول ﷺ والمعرفة بها ، وما دل عليه ذلك من نظائره ، وهو عندى مأخوذ من الحكم بمعنى الفصل بين الحق والباطل بمنزلة الجلسة والقعدة من الجلوس والقعود ، ويقال منه : إن فلانا لحكيم بيّن الحكمة ، يعنى به أنه لبيّن الإصابة فى القول والفعل ، وإذا كان ذلك كذلك فتأويل الآية : ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم آياتك ، ويعلمهم كتابك الذى تنزله عليهم ، وفصل قضائك ، وأحكامك التى تعلمه إياها [4] .

• وقال الطبرى أيضاً : والحكمة : السُّنة التى سنها الله - جل ثناؤه - للمؤمنين على لسان رسول الله ﷺ ، وبيانه لهم [5] .

• وقال الطبرى أيضاً : والحكمة ما أُوحى إلى رسول الله ﷺ من أحكام دين الله ، ولم ينزل به قرآن ، وذلك السُّنة [6] .

وهكذا يتضح أن الحكمة التى أنزلها الله عليه ، وعلمها الأمة إنما هى سنته صلى الله عليه وسلم .

* * *

---

(١) الرسالة للشافعى ص ٤٥ فقرة ٢٥٢ - ٢٥٥ .

(٢) تفسير الطبرى الموطن السابق .

(٣) فى تفسير قوله تعالى : ﴿ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة﴾ الآية ١٢٩ من سورة البقرة .

(٤) تفسير الطبرى الموطن السابق .

(٥) تفسير الطبرى ١٦٣/٤ فى تفسير قوله تعالى : ﴿لقد مَنَّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم﴾ الآية ١٦٥ من سورة آل عمران .

(٦) تفسير الطبرى ٩/٢٢ فى تفسير قوله تعالى : ﴿واذكرن ما يتلى فى بيوتكن من آيات الله والحكمة﴾ آية ٣٤ من سورة الأحزاب .

## بيان رسول الله ﷺ أن السنة وحى :

تقدم ذكر بعض الآيات القرآنية الدالة على أن السنة النبوية من وحى الله تعالى إلى رسوله ﷺ، وذلك شاف كاف ، إلا أنى أورد هنا من كلام رسول الله ﷺ ما يفيد أن الله أوحى إليه السُّنة النبوية ،وأنه صلى الله عليه وسلم يأتيه الوحى بالسنة على كيفيات مختلفة .

والناظر فى حديث رسول الله ﷺيجد الأدلة صريحة فى أن السنة من وحى الله تعالى إلى رسوله ﷺ ، ولقد اتخذ ذلك صوراً متعددة : فمرة يصرح صلى الله عليه وسلم بأن السنة وحى ، ومرة يصرح بأن الله تعالى أطلعه على كذا ، أو أن الله أعلمه كذا ، ومرة يصرح بأن جبريل جاءه فأخبره بكذا ، ومرة يصرح بأن بعض الملائكة قال كذا ، أو فعل كذا ، ومرة يصرح برؤيته فتح أبواب السماء لعمل ما ، وهناك أحاديث متضمنة فى ثناياها أدلة أنها وحى الله إليه صلى الله عليه وسلم وأفصِّل هذا الإجمال بتوفيق الله وعونه :

## أولاً : التصريح بأن السنة وحى :

١ - عن المقدام بن معدى كرب عن النبى ﷺ قال : « ألا إنى أوتيت الكتاب ومثله معه ... »[١] .

إن المتأمل لهذا الحديث يجد أنه متوائم مع قول الله تعالى : ﴿ **وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة** ﴾[٢] فالآية والحديث يفيدان أن الله تعالى أنزل عليه صلى الله عليه وسلم الكتاب والحكمة ، والحكمة مثل القرآن ، وهى معه ، آتاهما الله له صلى الله عليه وسلم ، بل إن إحدى روايات هذا الحديث تتواءم مع الآية أكثر من هذه الرواية ، ونصها : « آتانى الله الكتاب ومن الحكمة مثله »[٣] .

---

(١) أخرجه أحمد ٤/١٣٠ ، ١٣١ ، وابن حبان فى المقدمة باب ذكر الخبر المصرح بأن سنن المصطفى ﷺ كلها عن الله لا من تلقاء نفسه ١/١٨٩ ، وأخرجه الخطيب فى الفقيه ١/٢٦٢ فقرة ٢٦٢ ، ٢٦٣، وتخريجه فى ابن حبان والفقيه أطول من هنا ، فمن أراد الزيادة فليطلبها من الكتابين .

(٢) سورة النساء الآية : ١١٣ .

(٣) هذه رواية مكحول عن رسول الله ﷺ ، وأخرجها أبو داود فى مراسيله باب فى البدع ص ٢٤٨ .

٢ – وعن أبى أمامة أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « ليدخلن الجنة بشفاعة رجل ليس بنبى مثل الحيين ، أو مثل أحد الحيين ربيعة ومضر ، فقال رجل : يا رسول الله ، أو ما ربيعة من مضر؟ فقال : إنما أَقُول ما أُقَوّل »[1] .

حتى التعبير يأتى بالوحى ، وهو صلى الله عليه وسلم متبع .

٣ – وعن عبيد بن نضلة[2] قال : قيل لرسول الله ﷺ فى عام سَنَةٍ[3] : سعِّر لنا يا رسول الله . قال : « لا يسألنى الله عن سُنَّةٍ أحدثتها فيكم لم يأمرنى بها ، ولكن اسألوا الله من فضله »[4] .

تأمل قوله : « لا يسألنى الله عن سُنَّةٍ أحدثتها فيكم لم يأمرنى بها » إنه يدل على أنه لا يُحْدِث أىّ سُنّة ، وإنما يبلغ عن الله تعالى ما أمره به سبحانه وتعالى ، مما يدل على أن السُّنة إنما تأتيه بوحى الله سبحانه .

## ثانياً : التصريح بإعلام الله له صلى الله عليه وسلم :

٤ – وعن أم سلمة قالت : « قال رسول الله ﷺ : « رأيت ما تعمل أمتى بعدى فاخترت لهم الشفاعة يوم القيامة »[5] .

إن الله – – تبارك وتعالى – – أراه أعمال أُمته من بعده ، فاختار صلى الله عليه وسلم أن يشفعه الله فيهم يوم القيامة .

---

(١) أخرجه أحمد ٢٥٧/٥ ، ٢٦١ ، ٢٦٧ ، وأخرجه كذلك الطبرانى والضياء ، قال فى المجمع ٣٨١/١٠ : رواه أحمد والطبرانى بأسانيد ورجال أحمد وأحد أسانيد الطبرانى رجالهم رجال الصحيح غير عبد الرحمن بن ميسرة وهو ثقة .

(٢) أدرك النبى ﷺ لكنه لم يلقه ، وهو من ثقات التابعين ، ومن أهل القرآن الذين يؤخذ عنهم ، من الطبقة الأولى من أهل الكوفة ، سمع من الصحابة الكبار كابن مسعود ، والمغيرة ، توفى سنة ٧٤ ترجمته فى تهذيب التهذيب ٧٥/٧ .

(٣) أى عام جدب .

(٤) أخرجه الطبرانى فى الكبير بإسناد رجاله ثقات ، سوى بكر بن سهل الدمياطى فإنه ضعفه النسائى ووثقه غيره . كذا فى مجمع الزوائد ١٠٠/٤ ، وهو مروى عن أنس عند أبى داود والترمذى وابن ماجه وأحمد بلفظ : « يا رسول الله غلا السعر ، فسعِّر لنا فقال : إن الله الخالق ، القابض ، الباسط ، الرزاق ، المسعِّر ، إنى لأرجو أن ألقى الله ربى ، وليس أحد منكم يطلبنى بمظلمة فى دم ولا مال » .

(٥) أخرجه أبو يعلى فى مسنده ضمن مسند أم سلمة ٣٨٢/١٢ رقم ٦٩٤٩/١٧ .

ومن صدر الحديث : « رأيت ما تعمل أمتى بعدى » يفهم أن الله سبحانه أطلعه صلى الله عليه وسلم على الكثير والكثير ، فتصرف صلى الله عليه وسلم وفق ذلك ، مما يفيد أن سنته بوحى الله - - تبارك وتعالى - - إليه صلى الله عليه وسلم .

٥ - وعن أسامة بن زيد قال : قال رسول الله ﷺ : « قمت على باب الجنة ، فإذا عامة من دخلها المساكين ، وإذا أصحاب الجد [١] محبوسون ، إلا أصحاب النار فقد أُمِر بهم إلى النار ، وقمت على باب النار ، فإذا عامة من دخلها النساء » [٢] .

إن الله - - تبارك وتعالى - - أطلعه على الجنة وعلى النار ، بل صَوّر له ما سيكون ، وأطلعه على الدار الآخرة ، وذلك حتى يُحَذِّر أمته ليعتبر من كان له قلب . وهذا واضح فى أن السنة من وحى الله إليه .

٦ - وعن ابن عباس قال : « قدم رسول الله ﷺ مكة ، وقد وَهَنتهم [٣] حُمّى يثرب [٤] . فقال المشركون : إنه يقدم عليكم قوم قد وهنتهم الحمى ، ولقوا منها شراً ، فأطلع الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم على ما قالوا ، فأمرهم أن يَرْمُلوا الأشواط الثلاثة ، وأن يمشوا بين الركنين [٥] ، فلما رأوهم رملوا قالوا : هؤلاء الذين ذكرتم أن الحمى قد وهنتهم ؟! هؤلاء أجلد منا » [٦] .

ومن هذا النوع - الأحاديث المصرحة بإعلام الله له مما يدل على أن السنة من وحى الله إليه - الأحاديث القدسية كلها ومنها :

٧ - عن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : « يقول الله - عز وجل - أنا عند ظن عبدى بى ، وأنا معه حين يذكرنى ، إن ذكرنى فى

---

(١) أى أصحاب الغنى والحظوظ الدنيوية ، وإنما حبسوا للحساب .

(٢) أخرجه مسلم فى الذكر باب أكثر أهل الجنة الفقراء ٢٠٩٦/٤ .

(٣) وَهَنتهم : أضعفتهم .

(٤) يثرب : اسم المدينة قبل هجرة الرسول ﷺ إليها .

(٥) كان هذا فى عمرة القضاء سنة سبع ، أمرهم صلى الله عليه وسلم أن يسرعوا السير فى الأشواط الثلاثة الأولى ، إلا بين الركن اليمانى والحجر ، ونسخ هذا بفعله صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع ، فلقد رمل - أسرع السير - فى الثلاثة أشواط كلها .

(٦) أخرجه أبو داود فى المناسك باب فى الرمل ٣٣٩/٥ .

نفسه ذكرته فى نفسى ، وإن ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأٍ هم خير منهم ، وإن تقرب منى شبراً تقربت إليه ذراعاً ، وإن تقرب إلىّ ذراعاً تقربت منه باعاً ، وإن أتانى يمشى أتيته هرولة »[1] .

وهذه الأحاديث كثيرة[2] ، وكلها صريحة كل الصراحة فى أن السُّنة من وحى الله - تبارك وتعالىٰ - إليه صلى الله عليه وسلم .

ومن هذا النوع أحاديث الإسراء ، وفيها أن الله - تبارك وتعالى - كلّمه صلى الله عليه وسلم ، وفرض عليه وعلى أمته خمسين صلاة ، وأنه ظل يسأل الله التخفيف حتى صارت خمساً فى العمل وخمسين فى الأجر والثواب .

وحديث الإسراء مخرج فى كثير من كتب السُّنة[3] ، ولولا خوف الطول لذكرته وكذلك لولا مخافة الطول لذكرت من هذا النوع كثيراً ، ومنها ما هو بارز فى هذا لقوله صلى الله عليه وسلم لأم المؤمنين عائشة : « لتُخبرينى أو ليُخبِرَنِّى اللطيف الخبير »[4] .

ومجمل القول : إن هذه الأحاديث تظهر عظيم قدره صلى الله عليه وسلم ، وعظم فضل الله عليه ، وأن الله - تبارك وتعالى - أعلمه وعلّمه ، وأدناه وكلّمه ، ورفع قدره وكرّمه ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين ، والحمد لله الكريم المنان ، كريم العفو عظيم الإحسان .

---

(١) أخرجه مسلم فى أول كتاب الذكر ٢٠٦١/٤ .

(٢) فيها مؤلفات منها كتاب « الأحاديث القدسية » تأليف لجنة القرآن والحديث بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية بمصر ، وكتاب : « الاتحافات السنية فى الأحاديث القدسية » للشيخ محمد المدنى ، ولقد تكلمت عن الكتابين فى كتابى « طرق تخريج حديث رسول الله ﷺ » ص ٢٤٥ - ٢٤٩ وراجع الفهارس الألفبائية لفظ « سألت ربى » و « رأيت ربى » فستجد كثيراً أيضاً .

(٣) راجعه فى البخارى فى أول كتاب الصلاة ٤٥٨/١ ، وفى مسلم فى كتاب الإيمان باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السمٰوات ١٤٥/١ - ١٥٢ . ولقد جمع ابن كثير عدداً كبيراً من أحاديث الإسراء فى تفسير أول سورة الإسراء .

(٤) راجع حديث السيدة عائشة هذا بطوله فى صحيح مسلم ، كتاب الجنائز ، باب ما يقال عند دخول القبور ٦٦٩/٢ ، ٦٧٠ حديث ١٠٣ .

## ثالثاً : التصريح بمجيء جبريل بالأمر من السُّنة :

٨ - وعن عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - قال : بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم ، إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب ، شديد سواد الشعر ، لا يُرى عليه أثر السفر ، ولا يعرفه منا أحد ، حتى جلس إلى النبى ﷺ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ، ووضع كفيه على فخذيه ، وقال يا محمد : أخبرنى عن الإسلام ، فقال رسول الله ﷺ : الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وتقيم الصلاة ، وتؤتى الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً . قال : صدقت . فعجبنا له يسأله ويصدقه (١) .

قال : فأخبرنى عن الإيمان . قال : أن تؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره . قال صدقت .

قال : فأخبرنى عن الإحسان ، قال : أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك .

قال : فأخبرنى عن الساعة ، قال : ما المسئول عنها بأعلم من السائل .

قال : فأخبرنى عن أمارتها ، قال : أن تلد الأمة ربتها (٢) ، وأن ترى الحفاة ، العراة ، العالة (٣) رعاء الشاء (٤) يتطاولون فى البنيان .

قال : ثم انطلق . فلبثت ملياً (٥) ، ثم قال لى : يا عمر ، أتدرى من السائل ؟

---

(١) لقد تعجب الصحابة من هذا السائل لثلاثة أشياء :

١ - أنه ليس من أهل المدينة ، ومع ذلك لا يظهر عليه أثر السفر .

٢ - على الرغم من غربته إلا أنه يتعامل مع رسول الله ﷺ بألفة شديدة ، حتى إنه وضع ركبتيه قرب ركبتى رسول الله ﷺ .

٣ - أنه يسأل رسول الله ، ثم يقول له صدقت ، ومن شأن السائل المستفهم أن يسأل ليعلم . أما من يقول صدقت فهذا شأن العالم بهذه الأسئلة ، ولم يكن هناك من يعلمها إلا رسول الله ﷺ .

(٢) أى أن تلد الأمة سيدتها ، وهو كناية عن قلب الأوضاع ، فتعامل البنت أمها كأنها أصغر منها ويتعالى الصغار على الكبار ، ويسود السفيه ، وتسند الأمور إلى غير أهلها .

(٣) **العالة** : اى الفقراء .

(٤) **رعاء الشاء** : رعاء جمع راع ، والشاء - بالهمز - جمع شاة ، والمعنى : رعاة الغنم .

(٥) **مليا** : أى مكثت طويلاً .

قلت : الله ورسوله أعلم . قال : فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم »[1] .

٩ - وعن أبى مسعود الأنصارى قال : « إن جبريل نزل فصلى ، فصلى رسول الله ﷺ ، ثم صلى ، فصلى رسول الله ﷺ . ثم صلى ، فصلى رسول الله ﷺ ، ثم صلى ، فصلى رسول الله ﷺ ، ثم صلى ، فصلى رسول الله ﷺ ، ثم قال : بهذا أُمِرْتَ[2] .

والأحاديث فى الصلاة ، ومجيء جبريل عليه السلام إلى رسول الله ﷺ كثيرة .

١٠ - وعن أبى سعيد الخدرى قال : « اعتكف رسول الله ﷺ عشر الأول من رمضان ، واعتكفنا معه ، فأتاه جبريل فقال : إن الذى تطلب أمامك[3] ، فاعتكف العشر الأوسط فاعتكفنا معه ، فأتاه جبريل ، فقال : إن الذى تطلب أمامك . قام النبى ﷺ خطيباً صبيحة عشرين من رمضان فقال : « من كان اعتكف مع النبى ﷺ فليرجع فإنى أُريت ليلة القدر ، وإنى نُسِّيتها ، وإنها فى العشر الأواخر فى وتر ، وإنى رأيت كأنى أسجد فى طين وماء ، وكان سقف المسجد جريد النخل وما نرى فى السماء شيئاً ، فجاءت قَزَعة فأُمطرنا ، فصلى بنا النبى ﷺ ، حتى رأيت أثر الطين والماء على جبهة رسول الله ﷺ وأرنبته[4] ، تصديق رؤياه »[5] .

١١ - وعن أبى سعيد الخدرى أن رسول الله ﷺ صلّى فخلع نعليه ، فخلع الناس نعالهم ، فلما انصرف قال : لم خلعتم نعالكم ؟ فقالوا : يا رسول الله رأيناك خلعت ، فخلعنا . قال : إن جبريل أتانى فأخبرنى أن بهما خبثاً ، فإذا جاء أحدكم المسجد فليقلب نعله ، فلينظر فيها ، فإن رأى بها خبثاً فليمسه بالأرض ، ثم ليصل فيهما »[6] .

---

(١) أخرجه مسلم فى أول صحيحه فى كتاب الإيمان ، الحديث الأول ١٢٨/١ ، وأخرجه البخارى فى الإيمان باب سؤال جبريل النبى ﷺ عن الإيمان ١١٤/١ .
(٢) أخرجه البخارى فى أول مواقيت الصلاة ٣/٢ .
(٣) أى إن ما ترجوه من موافقة ليلة القدر إنما هو فى الأيام الآتية .
(٤) مقدمة الأنف .
(٥) أخرجه البخارى فى الأذان باب السجود على الأنف والسجود على الطين ٢٩٨/٢ .
(٦) أخرجه أحمد ٢٠/٣ ، وتقدم من صحيحى ابن خزيمة وابن حبان .

١٢ - وعن جابر بن عبد الله - رضى الله عنهما - قال : لبس رسول الله ﷺ يوماً قباء ديباج أهدى له ، ثم نزعه ، فأرسل به إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فقيل يا رسول الله لم نزعته ؟ فقال : « جاءنى جبريل فنهانى عنه . قال : فجاء عمر بن الخطاب رضى الله عنه يبكى ، فقال : يا رسول الله تكرهه وتعطينيه !! قال : إنى لم أعطك لتلبسه وإنما أعطيتك لتبيعه ، فباعه بألفى درهم »[1] .

هكذا يراقبه الوحى ، فإذا أصاب نعله شىء من النجاسة نبّهه ، وإذا لبس ما لا يحل أعلمه ، وهو يخبر الأمة بكل ذلك .

والأحاديث التى فيها التصريح بمجىء جبريل - عليه السلام - إلى سيدنا محمد بأشياء من السُّنة كثيرة[2] .

وتفيد النصوص أن جبريل كان يأتى رسول الله ﷺ كثيراً ، وأكثر من ذلك أن جبريل عليه السلام كان مع مَنْ ينافح عن رسول الله ﷺ ، يوضح شيئاً من ذلك :

• ما رواه البراء بن عازب - رضى الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال لحسان ابن ثابت شاعره صلى الله عليه وسلم قال له : « اهجهم ، أو هاجهم ، وجبريل معك »[3] أى : اهج المشركين ، أى ذمهم وجبريل سيساعدك .

فإذا كان جبريل مع شاعره صلى الله عليه وسلم فما بالك به هو صلى الله عليه وسلم ؟ بدهى أن جبريل - عليه السلام - كان قريباً منه جداً ، غدَّاء روَّاح بوحى الله تعالى إليه صلى الله عليه وسلم ، مجيباً عن أسئلته صلى الله عليه وسلم ، مبلغاً وحى الله ، مراقباً للأمور بأمر الله تبارك وتعالى .

---

(١) أخرجه ابن حبان فى اللباس باب الزجر عن لبس المرء ثياب الديباج مع الإخبار بإباحة الانتفاع بثمنه ٢٤٥/١٢ .

(٢) بين يدى منها أكثر مما ذكرت ، فراجع الأحاديث ذات الأرقام الآتية من صحيح ابن حبان : ٥٩ ، ٢٠٣ ، ٤٠٩ ، ٣٣٨٢ ، ٣٨٠٢ ، ٣٨٠٣ ، ٥٨٥٤ ، ٦٤٢٧ ، ٦٤٢٨ ، ٧٢٠٧ .
وراجع مسند أبى يعلى الأحاديث ذات الأرقام الآتية : ٣٦٧ ، ١٣٨٠ ، ٤٠٨٩ ، ٤٢٢٨ ، ٤٩٠٠ ، ٤٩٠٢ ، ٤٩٩٣ ، ٥٣٦٠ ، ٦٠٨٩ ، ٦١٨٢ وراجع المعجم المفهرس لألفاظ الحديث فهرس الأسماء ج ٨ « جبريل » ففيه مواضع كثيرة من الكتب التسعة .

(٣) أخرجه البخارى فى بدء الخلق باب ذكر الملائكة ٣٠٤/٦ حديث ٣٢١٣ ، وفى غير هذا الموضع .

• فعن جبير بن مطعم - رضى الله عنه - أن رجلاً قال : يا رسول الله ، أى البلدان أحب إلى الله ، وأى البلدان أبغض إلى الله ؟ قال : « لا أدرى ، حتى أسأل جبريل عليه السلام ، فأتاه فأخبره جبريل : أن أحسن البقاع إلى الله المساجد ، وأبغض البقاع إلى الله الأسواق »[1] .

## رابعاً : التصريح بأن بعض الملائكة قال كذا ، أو فعل كذا :

١٣ - وعن أنس أن رجلاً جاء فدخل الصف ، وقد حفزه النَّفَس[2] ، فقال : الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه ، فلما قضى رسول الله ﷺ صلاته قال : أيكم المتكلم بالكلمات ؟ فأرمَّ القوم[3] . فقال : أيكم المتكلم بها ، فإنه لم يقل بأساً ؟ فقال رجل : جئت وقد حفزنى النَّفَس فقلتها . فقال : « لقد رأيت اثنى عشر ملكاً يبتدرونها أيهم يرفعها »[4] .

إنه يرى ما لا يرى الناس مما فيه مصلحة الدعوة والأمة ، إن الله أراه ما أفاد قدر هذه التسبيحة ، فأعلم صلى الله عليه وسلم أمته ، أن هذه التسبيحة من العظمة بمكان بحيث رأى صلى الله عليه وسلم عدداً من الملائكة يود كل منهم أن يحظى برفعها إلى حيث تسجل الأعمال فى صحائف أهلها .

جاء فى رواية البخارى : « أيهم يكتبها أول » إن الحفظة ليسوا هم الذين يكتبونها ، وإنما حرص الكثير من الملائكة على كتابتها .

١٤ - وعن عوف بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : « أتانى آت من ربى فخيّرنى بين أن يدخل نصف أمتى الجنة ، وبين الشفاعة فاخترت الشفاعة »[5] .

١٥ - وعن أبى هــريرة - رضى الله عنه - قال : قال رســول الله ﷺ :

---

(١) أخرجه البزار وأحمد ، وأبو يعلى ، والحاكم وقال : صحيح الإسناد .

(٢) أى أنه يتنفس بقوة ، وذلك من سرعته إلى المسجد لإدراك الجماعة ، ولقد نهى رسول الله ﷺ عن ذلك إلا أن هذا فعل ذلك قبل النهى .

(٣) فأرمَّ القوم : أى سكتوا .

(٤) أخرجه مسلم فى المساجد باب ما يقال بين تكبيرة الإحرام والقراءة ٤١٩/١ .

(٥) أخرجه ابن حبان فى مناقب الصحابة باب ذكر عوف بن مالك ١٨٥/١٦ .

« ما طرف[1] صاحب الصور منذ وُكل به ، مستعد ، ينظر نحو العرش مخافة أن يؤمر قبل أن يرتد إليه طرفه ، كأن عينيه كوكبان دريان »[2] .

١٦ - وعن أبى سعيد - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : « كيف أنعم[3] وصاحب الصور[4] قد التقم الصور ، وأصغى سمعه ، وحنى جبهته ، ينتظر متى يؤمر بالنفخ . قالوا : يا رسول الله ، كيف نقول ؟ قال : قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل ، على الله توكلنا »[5] .

من ذا الذى أعلمه بأحوال هؤلاء الملائكة إلا الله ؟ بدهى أن ذلك لا يكون إلا بوحى من الله - عز وجل - إليه صلى الله عليه وسلم .

## خامساً : التصريح بما يفيد قبول العمل أو رده :

١٧ - وعن ابن عمر - رضى الله عنهما - قال : بينما نحن نصلى مع رسول الله ﷺ إذ قال رجلٌ من القوم : الله أكبر كبيراً ، والحمد لله كثيراً ، وسبحان الله بكرة وأصيلاً . فقال رسول الله ﷺ : « من القائل كلمة كذا وكذا ؟ قال رجل من القوم : أنا يا رسول الله . قال : عجبت لها ، فتحت لها أبواب السماء » قال ابن عمر : فما تركتهن منذ سمعت رسول الله ﷺ يقول ذلك[6] .

رأى صلى الله عليه وسلم أبواب السماء فتحت لهذه التسبيحة مما يدل على عظم قدرها ، فأخبر الأمة بذلك ، فاجتهد فى ذلك أهل الصدق والاتباع .

وهكذا يريه الله - تبارك وتعالى - ما ينفع دعوته ، ويتم به دينه .

وعبد الله بن عمر يمتثل فوراً ، فيحرص على هذه التسبيحة بمجرد سماع كلام رسول الله ﷺ عليها ، ذلك لمعرفتهم بقدر سنته صلى الله عليه وسلم .

---

(١) **ما طرف** : ما غمضت عيناه .

(٢) أخرجه أبو الشيخ فى العظمة ص ١٤٥ رقم ٣٩٣/٧ وعزاه محققه إلى الحاكم ٥٥٨/٤ .

(٣) **أنعم** : أسعد .

(٤) **وصاحب الصور** : أى الملك والموكل بالنفخ فى الصور لقيام القيامة .

(٥) أخرجه أبو الشيخ فى العظمة ص ١٤٧ ٣٩٨/١٢ ، وعزاه محققه إلى أحمد ٧/٣ ، وابن المبارك فى الزهد برقم ١٥٩٧ .

(٦) أخرجه مسلم فى المساجد باب ما يقال بين تكبيرة الإحرام والقراءة ٤١٩/١ .

١٨ - وعن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا دخل شهر رمضان فتحت أبواب السماء ، وغلقت أبواب جهنم ، وسلسلت الشياطين »[1] إنه صلى الله عليه وسلم يخبر أن شهر رمضان أرجى لقبول العمل ، وأعظم فى الأجر ، وذلك لا يكون إلا بالوحى إليه بذلك من الله تعالى .

وهكذا بأكثر من وجه تفيد الأحاديث أن السُّنة وحى من الله تعالى إلى نبيه ﷺ ، وإذا كانت هذه الأحاديث التى ذكرتها ، وما على شاكلتها مما ظهرت فيه أمارات الوحى ، فإن غيرها الكثير منه فيه ما يدل على أن السُّنة وحى من الله إلى رسوله .

• فالأحاديث التى قالها صلى الله عليه وسلم فتحققت وفق ما أخبر ، هذه يعترف العقل أنها لابد من وحى الله إليه صلى الله عليه وسلم .
(راجع كتب دلائل النبوة ، ومن أهمها كتاب البيهقى )

الأحاديث التى تحدث فيها عن أخبار السابقين ، وهو الصادق المصدوق ناطقة بأنهامن وحى الله إليه ، فما الذى أعلمه أخبار الأمم السابقة وأنبيائها إلا الوحى من الله تعالى إليه ؟ (راجع كتاب بدء الخلق ، وكتاب الأنبياء من صحيح البخارى وغيره ) .

• والأحاديث التى تحدث فيها عن سنن الله الكونية وأسرار الخليقة ، كتحدثه عن تكوين الجنين فى بطن أمه ، وأنه كيف يشبه أخواله أو أعمامه ، وتحدثه عن الكثير من أسباب الصحة ، فيحذر من امتلاء البطن ،ويحث على النظافة ، هذه مما يسلم العقل أنها من وحى الله تعالى إليه صلى الله عليه وسلم .

• ومن أقوى الأدلة على أن السنة من وحى الله الخالق سبحانه إلى رسوله ﷺ : أن السُّنة على كثرة أحاديثها ، وذيوعها وانتشارها لا يجد فيها العقلاء إلا الحق الذى يُسعد البشرية فى كل ناحية من نواحى الحياة ، فى صحتها ، فى اجتماعياتها ، فى اقتصادها ، فى عسكريتها ، فى نسلها ، فى عقلها ، فى كل شئون حياتها .

إن أحاديث رسول الله ﷺ منذ أن قالها إلى الآن تنهل البشرية من خيرها وصوابها ، يعترف بذلك المسلمون ، والمنصفون من غير المسلمين ، وهذا دليل قوى على أنها من وحى الله - سبحانه وتعالى - إليه صلى الله عليه وسلم .

(١) أخرجه البخارى فى الصوم باب هل يقال رمضان ١١٢/٤ .

## السلف يؤمنون بأن السُّنة وحى :

وإنى قد ذكرت الأدلة من كتاب ربنا وسُنة نبينا ﷺ على أن السُّنة وحى من الله إلى رسوله ، فإنى أزيد ذلك توضيحاً ورسوخاً بإيراد أقوال بعض السلف بما يفيد أن السُّنة النبوية وحى من الله - عز وجل - إلى رسوله ﷺ :

١ - فعن حسان بن عطية قال : كان جبريل ينزل على النبى ﷺ بالسُّنة كما ينزل عليه بالقرآن ، ويعلمه إياها كما يعلمه القرآن [١] .

٢ - وعن الأوزاعى قال : كان جبريل ينزل على النبى ﷺ بالسُّنة كما ينزل بالقرآن [٢] .

٣ - وعن سعيد بن المسيب عن سعد بن معاذ [٣] قال : ثلاث أنا فيهن رجل كما ينبغى ، وما سوى ذلك فأنا رجل من الناس :

* ما سمعت من رسول الله ﷺ حديثاً قط إلا علمت أنه حق من الله .
* ولا كنت فى صلاة قط فشغلت نفسى بغيرها حتى أقضيها .
* ولا كنت فى جنازة قط فحدَّثْتُ نفسى بغير ما تقول ويقال لها حتى أنصرف عنها .

قال سعيد بن المسيب : هذه الخصال ما كنت أحسبها إلا فى نبى [٤] .

---

(١) أخرجه ابن المبارك فى زيادات الزهد ص ٢٣ رقم ٩١ ، وأخرجه المروزى فى السنة ص ٣٢ رقم١٠٢ ، وأخرجه الدارمى فى المقدمة باب السنة قاضية على كتاب الله ١١٧/١ رقم ٥٩٤ ، وأخرجه الخطيب فى الكفاية ص ٤٧ باب تخصيص السنن لعموم محكم القرآن ، وفى الباب قبله ص ٤٤ ، وذكره فى الفتح ٢٩١/١٣ وعزاه للبيهقى بسند صحيح وقال : حسان أحد التابعين من ثقات الشاميين ، وذكره صاحب بذل المساعى ص ٤٢٩ ، وأخرجه الخطيب فى الفقيه ٢٦٦/١ فقرة ٢٦٨ ، ٢٦٩ .

(٢) أخرجه الخطيب فى الفقيه ٢٦٧/١ فقرة ٢٧٠ . .

(٣) الصحابى الجليل سيد الأوس ، الذى قال فيه رسول الله ﷺ : « قوموا إلى سيدكم » أخرجه البخارى ، وقال فيه صلى الله عليه وسلم أيضاً : « اهتز العرش لموت سعد بن معاذ » وهو فى الصحيحين ، ترجمته فى الإصابة ٨٤/٣ وفى التهذيب ٤٨١/٣ وفى تهذيب الكمال ٣٠٠/١٠ .

(٤) أخرجه ابن عبد البر فى جامع بيان العلم باب موضع السنة من الكتاب ٢٣٥/٢ ، وفى الاستيعاب فى ترجمة سعد ٦٠٥/٢ مسنداً ، وذكره المزى فى ترجمة سعد ، وذكره ابن حجر فى ترجمة سعد فى التهذيب وتقدم بيان موضعها فيهما .

تأمل الخصلة الأولى : إنه يؤمن أن كل ما يسمعه من رسول الله فإنما هو حق من الله .

إن هذا يدل مع ما سبق من النصوص أن كل ما سنه رسول الله ﷺ فإنما هو من عند الله سبحانه وتعالى ، جاءه به الوحى .

إن هذا الصحابى الجليل يعترف بحسن حاله فى كونه لا يسمع حديثاً من أحاديث رسول الله ﷺ إلا علم أنه حق من الله ، إنه يعتبر هذه ميزة ، نعم ، هى ميزة بنص كتاب الله : ﴿ **فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً** ﴾[1] إنها ميزة بنص كتاب الله فى كثير من الآيات[2] .

والتابعى الجليل سعيد بن المسيب ، أحد فقهاء المدينة السبعة ، يُعلى من شأن هذه الخصال التى فى سعد بن معاذ ، ومنها حسن التلقى للسُّنة النبوية ، والإيمان بأنها من عند الله تعالى .

٤ – وعن إسماعيل بن عبيد الله[3] بن أبى المهاجر قال : ينبغى لنا أن نحفظ ما جاءنا عن رسول الله ﷺ ، فإن الله يقول : ﴿ **وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا** ﴾[4] فهو عندنا بمنزلة القرآن[5] .

٥ – وعن عبد الله بن المبارك قال : كان جبريل إذا نزل بالقرآن على النبى ﷺ يأخذه كالغشوة ، فيلقيه على قلبه فيسرى عنه وقد حفظه فيقرؤه ، وأما السُّنن فكان يعلمه جبريل ويشافهه به[6] .

---

(١) سورة النساء الآية : ٦٥ .

(٢) راجع « نص القرآن على وجوب العمل بالسنة » ص ٧٧ فلقد ذكرت هناك الكثير من الآيات .

(٣) تابعى ثقة إمام من أئمة المسلمين روى عن أنس بن مالك وعبد الرحمن بن غنم وأدرك معاوية ، توفى سنة ١٣٢ هـ تهذيب التهذيب ٣١٧/١ تهذيب الكمال ١٤٣/٣ .

(٤) سورة الحشر الآية : ٧ .

(٥) أخرجه المروزى فى السنة ص ٣٢ رقم ١٠١ وذكره المزى فى تهذيب الكمال فى ترجمة إسماعيل هذا ١٤٨/٣ ، وأخرجه الخطيب فى الكفاية ص ٤٤ .

(٦) أخرجه المروزى فى السنة ص ٣٤ رقم ١١٢ .

وهكذا توضح الآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية ، وأقوال الصحابة والسلف ، أن السنة النبوية وحى من الله تعالى إلى رسوله صلى الله عليه وسلم ، توضح القرآن وتبينه ، وهى شاملة لكل أمور الإسلام ، ترسم الخط المستقيم ، وعليها يسير أهل القلب السليم والفكر القويم .

أهل الصدق اتبعوها ، وأهل الفكر أعظموها ، والسابقون التزموها .

جبريل غدّاء روّاح بها إلى رسول الله ﷺ ، يُعْلِمه مراد الله ، ويعلمه دين الله ، أحياناً يظهر فى صورة رجل فيراه الصحابة ، وأحياناً لا يرونه ، يسأله الصحابة عن الأمر فيأتيه الوحى فيعلمه [1] ، وربما سألوه عن الأمر لا دخل للسُّنة فيه ، فيصرح بأنه لا يفعل إلا ما أمره الله به ، وأنه لا يُحْدث من عند نفسه سُنة على أنها من عند الله .

والسلف الصالح يعتزون بإيمانهم بأنها من عند الله ، ويعلنون أنها نزل بها الملك عليه من عند الله ، ويعلنون أنهم قد أمروا بالإيمان بما جاء به صلى الله عليه وسلم والتسليم له .

وللوحى كيفيات متعددة ، فأحياناً يبتدئه صلى الله عليه وسلم فيأتيه الملك ، يراه ، أو لا يراه ، أو يلقى العلوم فى قلبه ، أو يرى رؤيا ، وقد لا يبتدئه الوحى ، وإنما يتصرف والوحى يراقبه ، فإن أصاب مراد الله أقره وإلا نبهه ، بل إن الأمة كلها مراقبة بالوحى فى هذه الفترة ، وتوضيح ذلك فى العنوان التالى إن شاء الله تعالى .

* * *

---

(1) راجع حديث الذى سأل رسول الله ﷺ أتكفّر الشهادة فى سبيل الله ذنوبه ، فجاءه الوحى ، فقال صلى الله عليه وسلم : إلا الدَّين . وسيأتى هذا الحديث إن شاء الله تعالى .

# أقسام الوحى

والوحى إليه صلى الله عليه وسلم قسمان :

( أ ) **إعلامى** : وفيه يعلمه الله سبحانه وتعالى الشىء بكيفية من كيفيات هذا النوع وستأتى .

( ب ) **إقرارى** : وفيه يجتهد صلى الله عليه وسلم فى المسألة ، ويراقبه الوحى ، فإن أصاب أقرّه وإلاّ نَبَّهَه إلى مراد الله تعالى .

## كيفيات الوحى الإعلامى :

وللوحى الإعلامى كيفيات متعددة هى :

**الكيفية الأولى** : أن يُوحَى إليه بواسطة الإلهام ، فيُلقى الله فى قلبه المعانى ، مع العلم اليقينى أن هذا من عند الله - سبحانه وتعالى - ، وهذه الكيفية هى المرادة من قول الله سبحانه وتعالى : ﴿ **وما كان لبشر أن يكلمه الله إلّا وحياً** ﴾ [1] إذ يقابلها إجمال بقية الكيفيات فى قوله سبحانه : ﴿ **أو من وراء حجاب أو يرسل رسولاً فيوحى بإذنه ما يشاء** ﴾ [2] وبهذا قال أكثر المفسرين .

**الكيفية الثانية** : أن يكلمه الله سبحانه وتعالى من وراء حجاب ، فلا يرى صلى الله عليه وسلم ربه ، وإنما يسمع كلامه سبحانه وتعالى ، مع اليقين بأنه يُكَلِّمُه الله تعالى ، وهذا مفهوم من قول الله سبحانه : ﴿ **وما كان لبشر أن يكلمه الله إلّا وحياً أو من وراء حجاب** ﴾ فقوله سبحانه : ﴿ **أو من وراء حجاب** ﴾ هى الكيفية المذكورة هنا .

وتكليم الله نبيه ﷺ إما فى اليقظة ، كما فى ليلة الإسراء حين فرض سبحانه الصلاة ، وإما فى النوم كما فى حديث : « رأيت ربى فى أحسن صورة ، قال : فيم يختصم الملأ الأعلى .. ؟ الحديث [3] وروايات الحديث فيها ما هو أصرح من ذلك

---

(١) ، (٢) سورة الشورى الآية : ٥١ .

(٣) أخرجه الدارمى فى الرؤيا ٢/٥١ رقم ٢١٥٥ مرسلاً أو معضلاً ، وأخرجه أحمد عن ابن عباس =

فى أنه صلى الله عليه وسلم رأى ربه مناماً .

**الكيفية الثالثة** : الرؤيا الصادقة : فيرى صلى الله عليه وسلم الشىء فى الرؤيا فهذا من الوحى ، إذ رؤيا الأنبياء وحى ، وهى حق كما جاء ذلك فى حديث عائشة : « أول ما بُدِئ به رسول الله ﷺ من الوحى الرؤيا الصالحة فى النوم فكان لا يرى رؤيا إلّا جاءت مثل فلق الصبح ... الحديث »[1] ، وواضح من قولها - رضى الله عنها - « أول ما بدئ به ... من الوحى الرؤيا الصالحة » أن الرؤيا الصالحة كيفية من كيفيات الوحى ، وقد جاء ذلك مصرحاً به فى أحاديث منها :

- ما أخرجه ابن أبى حاتم عن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال : قال رسول الله ﷺ : « رؤيا الأنبياء وحى »[2] .

- وما أخرجه البخارى عن عبيد بن عمير بن قتادة[3] قال : « إن رؤيا الأنبياء وحى ، ثم قرأ : ﴿ **إنى أرى فى المنام أنى أذبحك** ﴾ »[4] .

- وما أخرجه أحمد والطبرانى فى الكبير عن معاذ بن جبل قال : « ما رأى رسول الله ﷺ فى نومه ، أو يقظته فهو حق »[5] .

- وما أخرجه الحاكم والطبرانى - أيضاً - عن ابن عباس رضى الله عنهما : « رؤيا الأنبياء وحى »[6] .

---

= ومعاذ وبعض الصحابة راجع المسند ٣٦٨/١ ، ٦٦/٤ ، ٢٤٣/٥ ، ٣٧٨ وقال فى الجامع الأزهر ١٣/١ ( أ ) رجاله ثقات ، وسيأتى هنا إن شاء الله تعالى ص ١٨٣ .

(١) أخرجه البخارى فى بدء الوحى ٢٢/١ حديث رقم ٣ .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم ٣٢٢١/١٠ حديث رقم ١٨٢٣١ وهو من جمع المحقق إذ هذا من القدر المفقود ، وذكره فى الدر ٢٨٠/٥ وعزاه لابن أبى حاتم .

(٣) عبيد : تابعى كبير ، وأبوه : عمير بن قتادة صحابى .

(٤) أخرجه البخارى فى الوضوء باب التخفيف فى الوضوء ٢٣٨/١ رقم ١٣٨ وفى الأذان باب وضوء الصبيان ٣٤٤/٢ رقم ٨٥٩ والآية رقم ١٠٢ من سورة الصافات ، وفى الفتح ٢٣٩/١ ذكر أن مسلماً أخرج هذا الحديث مرفوعاً ، ولم أقف عليه عند مسلم .

(٥) أخرجه فى المسند ٢٤٥/٥ ، وراجع الخصائص ٣٣٨/٣ .

(٦) أخرجه الحاكم فى المستدرك فى كتاب التفسير تفسير سورة الصافات ج ٢ ، ص ٤٣١ وقال : صحيح على شرط الشيخين ، ووافقه الذهبى ، أما رواية الطبرانى فرجالها ثقات سوى شيخ الطبرانى عبد الله ابن محمد بن سعيد بن أبى مريم فهو ضعيف ، كذا فى الجامع الأزهر ج ١ ل ٢٣٧. قلت : لكنه توبع .

فرؤياه المنامية صلى الله عليه وسلم حق ، لا يعتريها تلبيس أو تخبيل ، وكذا جميع الأنبياء ، تجد هذا واضحاً فى قصة ذبح إبراهيم ولده ، وكيف أن ذلك كان بناء على رؤيا منامية ، وتجده أيضاً فى قصة يوسف ، وأن رؤياه الأحد عشر كوكباً والشمس والقمر له ساجدين ، قد تحققت بعد سنوات .

قال ابن المرابط فى تفسير الرؤيا الصالحة : هى التى ليست ضغثاً ، ولا من تلبيس الشيطان ، ولا فيها ضرب مثل مشكل[1] ا هـ. وقوله : ولا فيها ضرب مثل مشكل . أى لا يتوقف على تأويله .

**الكيفية الرابعة** : أن يوحى إليه بواسطة الملك ، وقد تمثل له الملك رجلاً ، فيكلمه بما أُمر به من الوحى .

فأحياناً كان جبريل عليه السلام يأتى رسول الله ﷺ على صورة دحية الكلبى ، فيبلغه عن الله ما أمره سبحانه وتعالى به ، وهذه الكيفية نادرة ، ومنها الحديث الجامع الذى أخرجه مسلم عن عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - قال : بينما نحن عند رسول الله ﷺ إذا طلع علينا رجل شديد بياض الثياب ، شديد سواد الشعر ، لا يُرى عليه أثرُ السفر ، ولا يعرفه منا أحد ، حتى جلس إلى النبى ﷺ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ، ووضع كفيه على فخذيه . قال : يا محمد أخبرنى عن الإسلام ؟ فقال رسول الله ﷺ : أن تشهد أن لا إله إلاّ الله ، وأن محمداً رسول الله ، وتقيم الصلاة ، وتؤتى الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا ... الحديث[2] ، وفى نهايته قال صلى الله عليه وسلم : يا عمر أتدرى من السائل ؟ قلت : الله ورسوله أعلم . قال : فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم .

ومما يثبت هذه الكيفية أيضاً حديث الحارث بن هشام ، فلقد سأل رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله كيف يأتيك الوحى ؟ فقال رسول الله ﷺ : « أحياناً يأتينى مثل صلصلة الجرس ، وهو أشدّه على فَيَفْصَمُ[3] عنى وقد وعيت عنه

---

(١) الفتح ٧١٧/٨ .

(٢) أخرجه مسلم فى أول صحيحه فى كتاب الإيمان الحديث الأول ١٢٨/١ .

(٣) بفتح الياء وسكون الفاء وكسر الصاد المهملة من الثلاثى ، أو بضم الياء وسكون الفاء وكسر الصاد من الرباعى ، روى من أفصم أو فصم ، معناه أقلع . وروى بالبناء للمجهول بضم أوله - الياء - وفتح الصاد من فصم ، وهى التى فى رواية البخارى التى معنا ، والمعنى ينجلى ويفارقنى .

ما قال ، وأحياناً يتمثل لى الملك رجلاً فيكلمنى فأعى ما يقول »[1] .

وعن ابن عمر قال : « وكان جبريل عليه السلام يأتى النبى ﷺ فى صورة دحية »[2] .

ودحية هذا صحابى جليل ، شهد المشاهد مع رسول الله ﷺ خلا بدر ، وكان جميل الهيئة .

وعن أنس أن النبى ﷺ قال : « كان جبريل يأتينى على صورة دحية الكلبى » قال أنس : ودحية كان رجلاً جسيماً أبيض[3] .

وهذه الكيفية أهون كيفيات نزول الملك عليه صلى الله عليه وسلم ، وقد جاء فى رواية هذا الحديث عند أبى عوانة : « وهو أهونه علىّ » والذى يظهر لى أنها أهون كيفيات مجىء الملك ، ولا أتصور أن تكون أخف من الرؤيا والكيفيات السابقة .

**الكيفية الخامسة** : أن يوحى إليه بواسطة الملك ولا يرى الملك ، وإنما يعلم بمجىء وحى بظهور علامات تدل على ذلك ، من دوىّ كدوى النحل ، أو صلصلة كصلصلة الجرس ، فيكلمه الملك بالوحى ، وهذه الكيفية يدل لها الحديث السابق - حديث الحارث بن هشام - وفيه قال عنها صلى الله عليه وسلم : « وهو أشده علىّ » فهى أثقل الكيفيات ، حتى قالت عائشة عنها : « ولقد رأيته ينزل عليه الوحى فى اليوم الشديد البرد فيفصم عنه ، وإن جبينه ليتفصد عرقاً » .

ويدل لها أيضاً حديث عمر : « كان إذا نزل على رسول الله ﷺ الوحى يُسْمع عند وجهه دوىٌّ كدوى النحل ... الحديث »[4] .

---

(١) أخرجه البخارى فى بدء الوحى الحديث الثانى ج ١ ، ص ١٨ .

(٢) أخرجه أحمد ١٠٧/٢ ، وذكر الحافظ فى الإصابة ٣٨٥/٢ أن النسائى أخرجه أيضاً بإسناد صحيح ، وأخرجه ابن سعد فى ترجمة دحية ج ٤ ، ص ٢٥٠ ، وإسناده إسناد الإمام أحمد ، التقى معه فى شيخه عفان بن مسلم . وإسناد أحمد وابن سعد صحيح .

(٣) أخرجه الطبرانى فى الأوسط وفيه عفير بن معدان وهو ضعيف ، كذا فى مجمع الزوائد ٣٧٨/٩ قلت : تقدم له شاهد عن ابن عمر فيجعله فى دائرة الحسن ، ويخرجه من دائرة الضعيف .

(٤) أخرجه أحمد ٣٤/١ .

والحكمة فيما يعانيه صلى الله عليه وسلم عند نزول الوحى متعددة ، منها ما يترتب على المشقة من زيادة الأجر ، ورفعة الدرجة ، ومنها أن يتفرغ صلى الله عليه وسلم للوحى ، وتتفرغ جوارحه لما سيلقى عليه .

ومن هذه الكيفية حديث يعلى بن أمية أن رجلاً أتى النبى ﷺ وهو بالجعرانة ، وعليه جبة وعليه أثر الخلوق ، وفيه أن يعلى رأه صلى الله عليه وسلم حال نزول الوحى محمّر الوجه يغط [1] كما يغط البكر ... الحديث [2] .

**الكيفية السادسة :** أن يوحى إليه بواسطة المَلَك ، دون أن يرى الملك ، ودون أن يكلمه ، وإنما يلقى المَلَك فى قلبه صلى الله عليه وسلم ما أمر به من الوحى .

ومن هذه الكيفية حديث : « إن روح القدس [3] نفث فى روعى [4] أنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها ، فاتقوا الله وأجملوا فى الطلب » [5]

**الكيفية السابعة :** أن يوحى إليه بواسطة الملك ، وقد ظهر الملك على صورته التى خلقه الله عليها ، له ستمائة جناح ، كل جناح قد سدَّ الأفق .

فعن ابن مسعود فى تفسير قوله تعالى : ﴿ **فكان قاب قوسين أو أدنى فأوحى إلى عبده ما أوحى** ﴾ قال - أى ابن مسعود - إنه أى رسول الله ﷺ رأى جبريل له ستمائة جناح [6] ، وفى رواية أخرى : « له ستمائة جناح يتناثر منها تهاويل الدر والياقوت » [7] ، وفى رواية : « رأى جبريل فى حلة من رفرف قد ملأ ما بين السماء

---

(1) يغط : ينفخ ، والغطيط : صوت النفس المتردد من النائم أو المغمى . فتح ٣/٣٩٤ .

(2) أخرجه البخارى فى الحج باب غسل الخلوق ثلاث مرات ٣/٣٩٣ ، وفى العمرة باب يفعل بالعمرة ما يفعل بالحج ٣/٦١٤ وفى غير هذين .

(3) **روح القدس** : جبريل .

(4) **روعى** بضم الراء : قلبى وعقلى . راجع النهاية لابن الأثير ، ومختار الصحاح

(5) أخرجه الحاكم فى البيوع باب إن الله لا يُنال فضله بمعصية ج ٢ ، ص ٤ عن ابن مسعود أخرجه شاهداً لحديث جابر الذى ساقه أصلاً ثم شاهداً لهذا الأصل ، وأخرجه الشافعى فى الرسالة ص ٥٣ فقرة رقم ٣٠٦ عن المطلب ، وأخرجه أبو نعيم فى الحلية ج ١٠ ص ٢٦ ، ٢٧ عن أبى أمامة ، وأخرجه الخطيب فى الفقيه ص ٩٢ ، ٩٣ من طريق الشافعى .

(6) أخرجه البخارى فى التفسير باب فكان قاب قوسين أو أدنى ٨/٦١٠ ، ٦١١ ، وفى البابين بعده ، وأخرجه كذلك مسلم والترمذى وغيرهم .

(7) عند النسائى وابن مردويه ، كذا فى الفتح ٨/٦١١ .

والأرض ﴾[1] ، وفى رواية فى تفسير : ﴿ لقد رأى من آيات ربه الكبرى ﴾ قال - أى ابن مسعود - : رأى رفرفاً أخضر قد سد الأفق[2] .

وفى رواية عنه - أى ابن مسعود - : إن رسول الله ﷺ لم ير جبريل فى صورته إلّا مرتين ، أما واحدة فإنه سأله أن يراه فى صورته ، فأراه صورته فسدّ الأفق ، وأما الثانية فإنه كان معه حيث صعد ، فذلك قوله : ﴿ وهو بالأفق الأعلى ﴾ ﴿ لقد رأى من آيات ربه الكبرى ﴾ قال : خَلْق جبريل[3] .

ومن هذه الروايات يتضح أنه صلى الله عليه وسلم رأى جبريل على صورته التى خلق عليها ، له ستمائة جناح ، عليه حلة قد سد الأفق ، يتناثر من ريشه تهاويل الدر والياقوت ، أى أن ريشه فيه من الجمال ما فيه ، فهو مُزَيّن بالعديد من الألوان ، من صفرة وحمرة وخضرة وبياض[4] .

ومن هذه الكيفية رؤيته صلى الله عليه وسلم جبريل فى ليلة المعراج على صورته التى خلق عليها ، وفى هذه الليلة أبلغه جبريل عن الله ما أبلغه ، وأجابه ورافقه .

هذه هى كيفيات الوحى الإعلامى ، منها ما هو بدون مَلَك ، ومنها ما فيه الملك ، ومنها ما يكون فى اليقظة ، ومنها ما يكون فى النوم ، والصفة العامة فى كل هذه الكيفيات أنه ﷺ يَحْدُث عنده علم يقينى بأن هذا من الله عز وجل .

## الوحى الإقرارى :

أما الوحى الإقرارى فهو أن يجتهد صلى الله عليه وسلم[5] فى الأمر فيسلك

---

(١) رواية أحمد والترمذى وصححه .

(٢) رواية البخارى فى التفسير باب « لقد رأى من آيات ربه الكبرى » ٦١١/٨ .

(٣) أخرجه أحمد والطبرى والطبرانى .

(٤) راجع تاج العروس ١٧٥/٨ ، والنهاية فى غريب الحديث ٢٨٣/٥ .

(٥) الراجح - بل الصحيح - أنه يجوز للأنبياء الاجتهاد ، وبهذا قال مالك والشافعى وأحمد وأبو يوسف وعبد الجبار وهو مذهب الجمهور فيجوز للنبى أن يجتهد إذا انقطع طمعه عن الوحى ولا يقر فى اجتهاده هذا على باطل ، وراجع المحصول ٩/٣/٢ «المجتهد» ، والإحكام لآمدى ١٦٥/٤ ، ونهاية السول ٣/ ١٧٢، والتقرير والتحبير ٧٩/٢ ، والمغنى للخبازى ص ٢٦٤ ، وراجع هذه الكتب وغيرها من كتب الأصول ففيها خير كثير ، ذكرت هنا خلاصته .

فيه مسلكاً ما ، فإن كان صواباً أقره الوحى ، وإن كان غير صواب نبهه الوحى وحينئذ يكون إعلامياً ، فالوحى التقريرى هو ما أقر الله سبحانه وتعالى نبيه فيه على صواب فعله من تلقاء نفسه .

فما صدر منه صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو إقرار دائر بين حالين :

( أ ) **حال الإيحاء** : بأن يوحى الله إليه بالأمر ابتداء فيمتثل ، أو يوحى إليه انتهاء ليعرفه سبحانه ما يتفق وشريعته ، وهذا قليل نادر ، ومثاله ما حدث فى أسرى بدر .

وهذه الحال الكثير الغالب ، فكثيراً ما ابتدأه الوحى ، وربما سئل عن الشىء فسكت حتى جاءه الوحى ، كما فى حديث الذى أحرم وعليه جبة وخلق [1] وكما فى حديث المتلاعنين [2] ، وسئل عن الروح فسكت حتى نزلت الأية [3] ، وسئل عن توزيع التركة فسكت حتى نزلت آية الميراث [4] ، ولما أخبر النساء عن فضل من مات له ثلاثة من الولد سألته إحداهن عمن مات له اثنان ، فسكت فأعادتها مرتين ، فلما أوحى إليه قال لها : واثنين واثنين واثنين [5] .

( ب ) **حال عدم الإيحاء** : وذلك بتركه صلى الله عليه وسلم وشأنه فيتصرف صواباً فيقره الله سبحانه وتعالى على ذلك .

وهذه الحال من مستلزمات سلامة الدين ، فما كان الله عز وجل ليترك خطأ يصدر من رسوله المبلِّغ عنه ، مما يترتب عليه وقوع الأمة فيه اتباعاً ، وإذا كانت الحكمة من إرسال الرسل أن لا تكون للناس على الله حجة ﴿ **رسلاً مبشرين**

---

(١) تقدمت الإشارة إليه وتخريجه .

(٢) أخرجه البخارى فى الاعتصام باب ما يكره من التعمق والتنازع ٢٧٦/١٣ حديث رقم ٧٣٠٤ .

(٣) أخرجه البخارى فى العلم باب قول الله تعالى : ﴿ **وما أوتيتم من العلم إلّا قليلا** ﴾ ٢٢٣/١ وفى غير هذا الموضع .

(٤) أخرجه البخارى فى الاعتصام باب ما كان النبى ﷺ يسأل مما لم ينزل عليه الوحى ٢٩٠/١٣ رقم الحديث ٧٣٠٩ وهو عنده فى غير هذا الموضع .

(٥) راجع حديث رقم ٧٣١٠ فى البخارى فتح البارى ج ١٣ ، ص ٢٩٢ كتاب الاعتصام باب تعليم النبى ﷺ أمته من الرجال والنساء مما علمه الله . وراجع الفتح ١١٩/٣ - ١٢١ .

ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ﴾[1] فإن ذلك يتم بعصمة المُرْسَل من الوقوع فى أى خطأ ، وإلاَّ نبهه ، كما فى حديث أبى قتادة أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ أرأيت إن قتلت فى سبيل الله تكفر عنى خطاياى؟ فقال له رسول الله ﷺ : نعم ، إن قتلت فى سبيل الله ، وأنت صابر محتسب ، مقبل غير مدبر ، ثم قال رسول الله ﷺ كيف قلت؟ قال : أرأيت إن قُتلتُ فى سبيل الله أتكفَّر عنى خطاياى؟ فقال رسول الله ﷺ : نعم ، وأنت صابر محتسب ، مقبل غير مدبر إلَّا الدَّيْن فإن جبريل - عليه السلام - قال لى ذلك[2] .

ولقد كان معلوماً لدى الصحابة أن إقرار الرسول ﷺ إقرار من الله سبحانه وتعالى ، وأنه لو حدث أمر يخالف الإسلام لجاء الوحى فأنكر عليهم ذلك ، لقد كانوا يعرفون أن الوحى قريب وكثير ، فلن يترك أمراً مخالفاً يمر ، فما أقره رسول الله ﷺ دون وحى فإنما هو من الإسلام وإلَّا جاء الوحى .

يشهد لذلك ما روى عن جابر من قوله : « كنا نعزل على عهد رسول الله ﷺ والقرآن ينزل » قال سفيان - أحد رجال إسناد هذا الحديث - موضحاً كلام جابر : لو كان شيئاً يُنْهَى عنه لنهانا عنه القرآن[3] ، ويظهر لى من كلام جابر هذا أن جابراً استدل على شرعية العزل بتقرير الله سبحانه وتعالى ، وعليه فجابر يرى أن الوحى لا يقتصر على مراقبة رسول الله ﷺ ، وإنما يراقب الأمة كلها ، فأيما فعل فعلوه مخالفاً الإسلام نبه الوحى عليه ، وأيما فعل فعلوه زمن الوحى وأقرهم عليه الوحى فهو من الإسلام .

* * *

---

(١) سورة النساء الآية : ١٦٥ .

(٢) أخرجه مسلم فى الإمارة باب من قتل فى سبيل الله كفرت عنه خطاياه إلَّا الدَّيْن ٥٤٨/٤ رقم ١١٨ ، ومالك فى الجهاد باب الشهداء فى سبيل الله ٤٦١/٢ رقم ٣١ .

(٣) أخرجه مسلم فى النكاح باب حكم العزل ٦١٧/٣ والبخارى فى النكاح باب العزل ٣٠٥/٩ حديث رقم ٥٢٠٧ - ٥٢٠٩ .

## الوحى يراقب الأمة :

والذى يظهر لى أن هذا - إقرار الوحى الأمة - هو الذى يفيده حديث جابر الذى معنا وتفيده النصوص [1] ، ففى رواية لحديث جابر [2] « كنا نعزل على عهد رسول الله ﷺ والقرآن ينزل » ففيه تصريح بنزول الوحى مع إضافته لعهده صلى الله عليه وسلم ، مما يشعر أنه يلحظ قضية إقرار الوحى الأمة على ما تفعل أو ينكر .

وهذا هو الذى يفيده أيضاً حديث ابن عمر « كنا نتقى الكلام والانبساط إلى نسائنا هيبة أن ينزل فينا شىء على عهد النبى ﷺ ، فلما مات النبى ﷺ تكلمنا وانبسطنا [3] ، ومنه حديث عمر حينما سأل رسول الله ﷺ ثلاث مرات فلم يجبه فقال - أى عمر - ثكلتك أمك يا عمر ، ثم قال : وخشيت أن ينزل فىّ قرآن [4] .

ومنه حديث سلمة بن صخر البياضى إذ أتى زوجته فى رمضان فقال لقومه : امشوا معى إلى رسول الله ﷺ ، فقالوا : لا والله لا نمشى معك ، ما نأمن أن ينزل فيك القرآن ، أو أن يكون فيك من رسول الله ﷺ مقالة يلزمنا عارها ... الحديث [5] .

ومن إنكار الوحى عليهم حديث زيد بن خالد الجهنى قال : صلى رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية فى إثر سماء كانت بالليل ، فلما انصرف أقبل على الناس فقال : هل تدرون ماذا قال ربكم ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : قال أصبح من عبادى مؤمن بى وكافر ، فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بى ، كافر بالكواكب ، وأما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بى ، مؤمن

---

(١) وإن كان ابن دقيق العيد استغربه فقال : استدلال جابر بالتقرير من الله غريب . فتح ٩/ ٣٠٥، ٣٠٦ .

(٢) عند البخارى فى التخريج السابق رواية رقم ٥٢٠٩ .

(٣) أخرجه البخارى فى النكاح باب الوصاية بالنساء ٢٥٣/٩ حديث رقم ٥١٨٧ ، وأخرجه ابن ماجه فى الجنائز باب ذكر وفاته ودفنه صلى الله عليه وسلم ج ١ ، ص ٥٢٣ حديث رقم ١٦٣٢، وأخرجه أحمد ٢/ ٦٢، وفى رواية ابن ماجه « مخافة أن ينزل فينا القرآن » وكذا عند أحمد .

(٤) أخرجه البخارى فى المغازى باب غزوة الحديبية ٤٥٢/٧ رقم ٤١٧٧ .

(٥) أخرجه الدارمى فى الطلاق باب فى الظهار ٨٦/٢ حديث رقم ٢٢٧٨ .

بالكواكب[١] ، وهكذا يتضح أن الوحى كان يراقب تصرفاته صلى الله عليه وسلم ويراقب الأمة أيضاً .

فأى خطأ ارتكبوه يظنونه صواباً نبههم القرآن عليه ، وربما فعلوا الشىء فسألوه صلى الله عليه وسلم ، وربما فعلوه ظانّين صوابه فلم يسألوا فجاء الوحى فَنَبَّهَ .

ومجمل القول : إن مصدر السنة وحى الله سبحانه وتعالى إلى نبيه ﷺ ، وهذا الوحى منه إعلامى ، وله كيفيات متعددة ، ومنه إقرارى يُقر الله نبيه على تصرف تصرفه صواباً ، ولقد كان الوحى يراقب تصرفات الأمة أيضاً ، فينبه على ما ارتكبوه من أخطاء يظنونها صواباً ، أو لم يعرفوا مخالفتها ، أما ما عرفت مخالفته ووقع فيه فاعله مدركاً تقصيره ، وعالماً حكمه ، فهذا ليس داخلاً فى دائرة الوحى ، وهذا من رحمة الله سبحانه وتعالى بالأمة .

قال الشاطبى – رحمه الله تعالى – كل ما أخبر به رسول الله ﷺ من خبر فهو كما أخبر ، وهو حق وصدق معتمد عليه فيما أخبر به ، وعنه ، سواء علينا انبنى عليه فى التكليف حكم أم لا ، كما أنه إذا شرع حكماً ، أو أقر أو نهى فهو كما قال عليه الصلاة والسلام ، لا يفرق فى ذلك بين ما أخبر به الملك عن الله ، وبين ما نفث فى روعه وألقى فى نفسه ، أو رآه رؤية كشف واطلاع على مغيب على وجه خارق للعادة ، أو كيف ما كان ، فذلك معتبر يُحْتَجُّ به ، ويبنى عليه فى الاعتقادات والأعمال جميعاً ، لأنه صلى الله عليه وسلم مؤيد بالعصمة وما ينطق عن الهوى[٢] ا هـ .

* * *

(١) أخرجه مسلم فى الإيمان باب كفر من قال مطرنا بالنوء ٢٥٨/١ رقم ١٠٩ ، والبخارى فى الأذان باب يستقبل الإمام الناس إذا سلّم ٣٣٣/٢ رقم ٨٤٦ .

(٢) الموافقات ٥٢/٤ طبعة محيى الدين .

# وجوب العمل بالسُّنّة

* تقديم .
* القرآن الكريم يوجب العمل بالسنة :
– الأمر باتباعه صلى اللّه عليه وسلم .
– الأمر بطاعته صلى اللّه عليه وسلم .
– التحذير من مخالفته صلى اللّه عليه وسلم .
– تعظيم قدره صلى اللّه عليه وسلم وقدر رسالته .
– بيان أن السنة وحدها هى الموصلة إلى اللّه تعالى .
* الرسول صلى اللّه عليه وسلم ينص على وجوب العمل بالسنة .
– الأمر باتباع السُنة .
– التحذير من بدائل السنة :
التحذير من الكذب عليه صلى اللّه عليه وسلم .
التحذير من الرأى .
التحذير من البدع .
* إجماع الأمة على وجوب العمل بالسُنة .

# وجوب العمل بالسُّنة النبوية

**تقديم :**

سنة الله فى ملكه أن أرسل الرسل يأخذون بيد العباد إلى صراط الله المستقيم ، قال سبحانه : ﴿ **رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزاً حكيماً** ﴾ [1] وأوحى سبحانه وتعالى إلى هؤلاء الرسل بما يحب أن يكون عليه خلقه ، وعصم هؤلاء الرسل ، وأمرهم بتبليغ دينه ، فقاموا بذلك خير قيام وقال سبحانه : ﴿ **وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً** ﴾ [2] .

وأمر سبحانه وتعالى خلقه أن يطيعوا هؤلاء الرسل ، وأن يقتدوا بهم ، وأن يقيموا حياتهم على ما جاء به هؤلاء المرسلون ، قال سبحانه : ﴿ **وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله** ﴾ [3] .

وقال سبحانه على لسان كثير من رسله أنهم طلبوا من أممهم أن يطيعوهم :

فقال سبحانه على لسان نوح ، وهود ، وصالح ، ولوط ، وشعيب ، وعيسى ، أن كل واحد منهم قال لقومه : ﴿ **فاتقوا الله وأطيعون** ﴾ [4] .

إنهم رسل الله إلى خلقه ، عصمهم ربنا وكلفهم بالتبليغ ، وأمر الخلق أن يطيعوهم ، وبيّن سبحانه أن من خالف رسله فعاقبته وخيمة ، وجزاؤه جهنم . يقول سبحانه : ﴿ **وللذين كفروا بربهم عذاب جهنم وبئس المصير * إذا ألقوا فيها**

---

(١) سورة النساء الآية ١٦٥ . (٢) سورة الإسراء الآية : ١٥ .

(٣) سورة النساء الآية : ٦٤ .

(٤) على لسان نوح فى سورة الشعراء الآيات : ١٠٨ - ١١٠ ، وعلى لسان هود فى نفس السورة الآيات : ١٢٦ - ١٣١، وعلى لسان صالح فى نفس السورة الآية : ١٤٤ ، وعلى لسان لوط فى نفس السورة الآية : ١٦٣ ، وعلى لسان شعيب فى نفس السورة الآية : ١٧٩ ، وعلى لسان عيسى فى سورة آل عمران الآية : ٥٠ وفى سورة الزخرف الآية : ٦٣ .

**سمعوا لها شهيقاً وهى تفور. تكاد تميز من الغيظ كلما ألقى فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير. قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شىء إن أنتم إلا فى ضلال كبير. وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا فى أصحاب السعير. فاعترفوا بذنبهم فسحقاً لأصحاب السعير﴾**[1] .

وقال سبحانه : **﴿وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمراً حتى إذا جاءُوها فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين﴾**[2] .

وقال سبحانه : **﴿وجاء فرعون ومن قبله والمؤتفكات بالخاطئة. فعصوا رسول ربهم فأخذهم أخذة رابية﴾**[3] .

وقال سبحانه : **﴿كذبت ثمود بطغواها. إذ انبعث أشقاها. فقال لهم رسول الله ناقة الله وسقياها. فكذبوه فعقروها فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها. ولا يخاف عقباها﴾**[4] .

وهكذا تكون الإنسانية على مر تاريخها مكلفة باتباع رسل الله وطاعتهم، كل أمة تتبع رسولها، تسعد بذلك فى الدنيا والآخرة، أما إن تنكبت وعصته فإن المصير بئيس والعاقبة وخيمة .

## القرآن الكريم يوجب العمل بالسنة :

ورسول الله محمد ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين ، أمرنا الله باتباعه وطاعته، وحثنا على الاقتداء به ، والعمل بسنته، وحذرنا مخالفته ، وجاءت آيات القرآن فى ذلك صريحة واضحة فى اتباع سنته ، ووجوب العمل بها ، ويمكن تصنيف الآيات فى ذلك إلى :

آيات تأمر باتباعه صلى الله عليه وسلم .

---

(١) سورة الملك الآيات : ٦ - ١١ .
(٢) سورة الزمر الآية ٧١ .
(٣) سورة الحاقة الآيتان : ٩ ، ١٠ .
(٤) سورة الشمس الآيات : ١١ - ١٥ .

وآيات تأمر بطاعته صلى الله عليه وسلم .

وآيات تحذر من مخالفته صلى الله عليه وسلم .

وآيات تعلى قدره صلى الله عليه وسلم وقدر رسالته .

وآيات تبين أن السُّنة وحدها هى الموصلة إلى الله .

وأسوق شيئاً من ذلك على سبيل المثال لا الحصر .

## الأمر باتباعه صلى اللّه عليه وسلم :

• قال الله تعالى : ﴿ **قل إن كنتم تحبون اللّه فاتبعونى يحببكم اللّه ويغفر لكم ذنوبكم واللّه غفور رحيم • قل أطيعوا اللّه والرسول فإن تولوا فإن اللّه لا يحب الكافرين** ﴾[1] .

أخرج الطبرى عن الحسن قال : قال قوم على عهد النبى ﷺ يا محمد إنا نحب ربنا ، فأنزل الله عز وجل : ﴿ **قُل إن كنتم تحبون اللّه فاتبعونى يحببكم اللّه ويغفر لكم ذنوبكم** ﴾ فجعل اتباع نبيه محمد ﷺ علماً لحبه[2] ، وعذاب من خالفه[3] ، وأخرج عن ابن جريج نحوه .

• وقال سبحانه : ﴿ **اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلاً ما تذكرون** ﴾[4] ، يأمرنا سبحانه باتباع ما أنزل على رسوله ﷺ ، وقد جاء فى آية أخرى : ﴿ **وأنزل اللّه عليك بالكتاب والحكمة** ﴾[5] وعليه فالأمر باتباع ما أنزل إلينا منه سبحانه ، هو أمر باتباع الكتاب والحكمة ، أما الكتاب فهو القرآن ، وأما الحكمة فما أوتيه صلى الله عليه وسلم من علم النبوة مع القرآن الكريم ، وهو سنته صلى الله عليه وسلم .

يقول ابن كثير فى تفسير قول الله تعالى : ﴿ **اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم** ﴾

---

(١) سورة آل عمران الآيتان : ٣١ ، ٣٢ .

(٢) أى دليلاً على حبهم الله ، أما من لم يتبعه صلى الله عليه وسلم فليس ممن يحبون الله ، ولا يحبهم الله ، ولا ممن يغفر الله لهم ، وإنما هو من المعذبين .

(٣) تفسير الطبرى ٢٣٢/٣ .

(٤) سورة الأعراف الآية : ٣ .

(٥) سورة النساء الآية : ١١٣ .

أى اقتفوا آثار النبى الأمى ، الذى جاءكم بكتاب أنزل إليكم من ربّ كُلّ شىء ومليكه [1] .

• وقال سبحانه : **﴿ قل يا أيها الناس إنى رسول اللّه إليكم جميعاً الذى له مُلك السمٰوات والأرض لا إلـه إلا هو يحيى ويميت فآمنوا باللّه ورسوله النبى الأمى الذى يؤمن باللّه وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون ﴾** [2] .

إن الله – تبارك وتعالى – يأمرنا أن نتبعه صلى الله عليه وسلم فى كل ما جاءنا به ، يُحِبّنا ربنا ويغفر لنا ونكون بذلك من المهتدين .

• وقال سبحانه : **﴿ وإنه لعلم للساعة فلا تمترن بها واتبعون هذا صراط مستقيم ﴾** [3] لما قارن المشركون بين عيسى عليه السلام الذى يعبده النصارى ، وبين أوثانهم ، تكلم ربنا وبيّن أن عيسى عبد مَنّ الله عليه بالنبوة ، ثم بيّن أنه علامة من علامات الساعة ، إذ ينزل فى آخر الزمان ، فلا تشكون فى الساعة ، ثم أَمرنا باتباع رسول الله محمد ﷺ ، فهذا هو الصراط المستقيم ، لأنه حظنا من الأنبياء ، ونحن حظه من الأمم صلى الله عليه وسلم .

• وقال سبحانه : **﴿ لقد كان لكم فى رسول اللّه أسوة حسنة لمن كان يرجو اللّه واليوم الآخر وذكر اللّه كثيراً ﴾** [4] .

• وقال سبحانه : **﴿ يا أيها الذين آمنوا استجيبوا للّه وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم ﴾** [5] فكلفنا سبحانه أن نقتدى به صلى الله عليه وسلم ، وأن نستجيب له صلى الله عليه وسلم فى كل ما يدعونا إليه ، وفى كل ذلك أمر باتباع سنته صلى الله عليه وسلم .

## الأمر بطاعته صلى اللّه عليه وسلم :

جاءت الآيات الكريمات تأمر بطاعته صلى الله عليه وسلم ، وتعلى من قدر هذه الطاعة ، وأنها طاعة لله سبحانه ، فرسول الله مبلّغ عن الله ، ومن يطيعه فإنما

---

(١) تفسير ابن كثير ٢/٢٠٠ .
(٢) سورة الأعراف الآية : ١٥٨ .
(٣) سورة الزخرف الآية : ٦١ .
(٤) سورة الأحزاب الآية : ٢١ .
(٥) سورة الأنفال الآية : ٢٤ .

يطيع الله ، فيكون من أهل الجنة ، أما من تنكب وعصاه صلى الله عليه وسلم فهو من الكافرين ، ومن أهل الجحيم .

• يقول ربنا سبحانه وتعالى : **﴿ وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون ﴾** [1] .

• ويقول سبحانه : **﴿ ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ﴾** [2] .

• ويقول سبحانه : **﴿ من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظاً ﴾** [3] .

فجعل ربنا سبحانه وتعالى طاعة رسوله طاعة له ، وذلك لأنه صلى الله عليه وسلم مبلغ عن الله ، وكل الهَدْى الذى جاء به إنما هو من رضوان الله . وفى ذلك إعلاء لكل ما جاءنا به رسول الله ﷺ، وأن سنته من دين الله ، على المسلم أن يلتزم بها ، وأن يطيع أوامر القرآن الكريم والسُنة النبوية ، وأن ينتهى عن نواهى القرآن الكريم والسنة النبوية .

• ويقول سبحانه وتعالى : **﴿ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً ﴾** [4] .

قال مجاهد : ﴿ فردوه إلى الله والرسول ﴾ إلى الله : إلى كتابه ، وإلى الرسول : إلى سُنة نبيه صلى الله عليه وسلم [5] .

وقال ميمون بن مهران : الرد إلى الله : الرد إلى كتابه ، والرد إلى رسوله إن كان حياً ، فإن قبضه الله إليه فالرد إلى السُنة [6] .

قال ابن القيم - تعليقاً على هذه الآية - فأمر تعالى بطاعته وطاعة رسوله ، وأعاد الفعل إعلاماً بأن طاعة الرسول تجب استقلالاً من غير عرض ما أمر به على

---

(١) سورة آل عمران الآية : ١٣٢ . (٢) سورة النساء الآية : ١٣ .

(٣) سورة النساء الآية : ٨٠ . (٤) سورة النساء الآية : ٥٩ .

(٥) أخرجه عبد الرزاق فى تفسيره ١٦٢/١ رقم ٦١٣ ، وأخرجه ابن جرير ١٥١/٥ .

(٦) أخرجه ابن جرير ١٥١/٥ .

الكتاب ، بل إذا أمر وجبت طاعته مطلقاً ، سواء كان ما أمر به فى الكتاب أو لم يكن فيه ، فإنه أوتى الكتاب ومثله معه ، ولم يأمر بطاعة أولى الأمر استقلالاً ، بل حذف الفعل ، وجعل طاعتهم فى ضمن طاعة الرسول ، إيذاناً بأنهم إنما يطاعون تبعاً لطاعة الرسول ، فمن أمر منهم بطاعة الرسول وجبت طاعته ، ومن أمر بخلاف ما جاء به الرسول فلا سمع ولا طاعة [1] ا هـ .

* ويقول سبحانه : ﴿ **ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً** ﴾ [2] .

وفى ذلك إعلاء عظيم لقدر من أطاع الله - تبارك وتعالى - فعمل بما فى القرآن الكريم وأطاع رسول الله ﷺ فعمل بما فى سنته ، إنه مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحَسُن أولئك رفيقا .

يقول ابن كثير فى تفسير هذه الآية : من عمل بما أمره الله به ورسوله ، وترك ما نهاه الله عنه ورسوله ، فإن الله - عز وجل - يُسكنه دار كرامته ، ويجعله مرافقاً للأنبياء ، ثم لمن بعدهم فى الرتبة وهم الصديقون ، ثم الشهداء ، ثم عموم المؤمنين وهم الصالحون الذين صلحت سرائرهم وعلانيتهم ، ثم أثنى عليهم تعالى فقال : ﴿ **وحسُن أولئك رفيقا** ﴾ [3] ا هـ .

* ويقول سبحانه : ﴿ **إنما كان قول المؤمنين إذ دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون** ﴾ [4] إنه سبحانه يؤدب الأمة كلها ، ويعلمها أن عليها أن تسمع وتطيع رسول الله ﷺ ، وأفرد الضمير فى « ليحكم » لأنه يعود على الرسول ﷺ ، لأنه المباشر للحكم وإن كان الحكم فى الحقيقة لله سبحانه .

وسياق الآية وإن كان على طريقة الخبر فليس المراد به ذلك ، بل المراد به تعليم هذا الأدب ، وأنه يجب على المؤمنين أن يقبلوا حكمه صلى الله عليه وسلم ، ويمتثلوا أمره ، وهم بذلك المفلحون الفائزون بخير الدنيا والآخرة ، دون من عداهم ممن لم يمتثلوا أمره صلى الله عليه وسلم [5] .

---

(١) أعلام الموقعين ٥٠/١ . (٢) سورة النساء الآية : ٦٩ .
(٣) تفسير ابن كثير ٥٢٢/١ . (٤) سورة النور الآية : ٥١ .
(٥) راجع فتح القدير ٤٥/٤ ، ٤٦ ، وتفسير الطبرى ١٥٧/١٨ ، وتفسير ابن كثير ٢٩٩/٣ .

وبينما تعلى الآيات هكذا من طاعته صلى الله عليه وسلم تأتى آيات أخرى ، فتبين أن من لم يطعه صلى الله عليه وسلم فليس من المسلمين مطلقاً ، والله سبحانه وتعالى غير راض عنه مهما ادعى حب الله ، ومهما ظن أنه على شرع الله .

• يقول ربنا سبحانه وتعالى : **﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم • قل أطيعوا الله والرسول فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين ﴾** [١] .

يقول الإمام الزمخشرى - رحمه الله تعالى - : والمعنى : إن كنتم مريدين لعبادة الله على الحقيقة فاتبعونى حتى يصح ما تدعونه من إرادة عبادته يرضى عنكم ويغفر لكم .

وعن الحسن زعم قوم على عهد رسول الله ﷺ أنهم يحبون الله فأراد أن يجعل لقولهم تصديقاً من عمل .

فمن ادعى محبته وخالف سُنة رسوله فهو كذاب ، وكتاب الله يكذبه ، وإذا رأيت من يذكر محبة الله ويصفق بيديه مع ذكره ويطرب ، وينعر ويصعق فلا تشك فى أنه لا يعرف ما الله ، ولا يدرى ما محبة الله ، وما تصفيقه وطربه ، ونعرته وصعقته إلا لأنه تصور فى نفسه الخبيثة صورة مستملحة معشقة فسماها الله بجهله ودعارته ثم صفق وطرب ، ونعر وصعق على تصورها ، وربما رأيت المنى قد ملأ إزار ذلك المحب عند صعقته ، وحمقى العامة حواليه قد ملؤوا أردانهم بالدموع لما رققهم من حاله [٢] .

ويقول الحافظ ابن كثير : هذه الآية حاكمة على كل من ادعى محبة الله وليس هو على الطريقة المحمدية ، فإنه كاذب فى نفس الأمر حتى يتبع الشرع المحمدى والدين النبوى فى جميع أقواله وأفعاله ، كما ثبت فى الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال : « من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد » [٣] ولهذا قال : **﴿ إن كنتم**

---

(١) سورة آل عمران الآيتان : ٣١ ، ٣٢ .

(٢) تفسير الكشاف ٤٢٣/١ والأثر الذى عن الحسن ذكره فى الدر ١٧/٢ وعزاه لابن أبى حاتم ، وابن جرير .

(٣) أى مردود على فاعله ، والحديث أخرجه مسلم فى صحيحه .

**تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله** ﴾ أى يحصل لكم فوق ما طلبتم من محبتكم إياها ، وهو محبته إياكم ، وهو أعظم من الأول ، كما قال بعض العلماء الحكماء : ليس الشأن أن تُحِبَّ إنما الشأن أن تُحَبَّ .

وقال الحسن البصرى وغيره من السلف : زعم قوم أنهم يحبون الله فابتلاهم الله بهذه الآية فقال : ﴿ **قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله** ﴾ .

ثم قال تعالى : ﴿ **ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم** ﴾ أى باتباعكم الرسول ﷺ يحصل لكم هذا من بركة سفارته .

ثم قال تعالى - آمراً كل أحد من خاص وعام - : ﴿ **قل أطيعوا الله والرسول فإن تولوا** ﴾ أى تخالفوا عن أمره ﴿ **فإن الله لا يحب الكافرين** ﴾ فدل على أن مخالفته فى الطريقة كفر ، والله لا يحب من اتصف بذلك وإن ادعى وزعم فى نفسه أنه محب لله ويتقرب إليه حتى يتابع الرسول - النبى الأمى - خاتم الرسل ، ورسول الله إلى جميع الثقلين « الجن والإنس » الذى لو كان الأنبياء بل المرسلون ، بل أولو العزم منهم فى زمانه ما وسعهم إلا اتباعه والدخول فى طاعته واتباع شريعته ، كما سيأتى تقريره عند قوله تعالى : ﴿ **وإذا أخذ الله ميثاق النبيين** ﴾ الآية إن شاء الله تعالى (٢) .

وفى التقرير الذى يشير إليه الحافظ ابن كثير والذى هو فى تفسير الآية : ﴿ **وإذ أخذ الله ميثاق النبيين** ﴾ ذكر فيه حديث عبد الله بن ثابت قال : « جاء عمر بن الخطاب إلى النبى ﷺ ، فقال يا رسول الله : إنى مررت بأخ لى من قريظة فكتب لى جوامع من التوراة ، ألا أعرضها عليك ؟ قال : فتغير وجه رسول الله ﷺ قال عبد الله : فقلت له : ألا ترى ما بوجه رسول الله ﷺ ؟ فقال عمر : رضينا بالله

---

(١) تفسير ابن كثير ٣٥٨/١ ، وآية : ﴿ **وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصرى قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين** ﴾ هى الآية ٨١ من سورة آل عمران وتفسيرها فى ابن كثير ٣٧٨/١ ، ولقد فسر ابن عباس ﴿ **ميثاق النبيين** ﴾ بأنه ميثاقهم على أممهم : أى أن الله سبحانه وتعالى أخذ هذا الميثاق على النبيين ، والنبيون أخذوه على أممهم ، وهذا الأثر المروى عن ابن عباس ذكره فى الدر ٤٧/٢ ، وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم .

ربا ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد ﷺ رسولاً . قال : فَسُرِّىَ عن النبى ﷺ ثم قال : « والذى نفسى بيده لو أصبح فيكم موسى ثم اتبعتموه وتركتمونى لضللتم ، إنكم حظى من الأمم ، وأنا حظكم من النبيين »[1] .

وذكر فيه أيضاً حديث جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء ، فإنهم لن يهدوكم وقد ضلوا ، فإنكم إما أن تصدقوا بباطل ، أو تكذبوا بحق، فإنه لو كان موسى حياً بين أظهركم ما حل له إلا أن يتبعنى »[2] .

ثم قال الحافظ : وفى بعض الأحاديث : « لو كان موسى وعيسى حيين لما وسعهما إلا اتباعى » فالرسول محمد خاتم الأنبياء صلوات الله وسلامه عليه دائماً إلى يوم الدين ، هو الإمام الأعظم الذى لو وُجد فى أى عصر لكان هو الواجب الطاعة ، المقدم على الأنبياء كلهم ، ولهذا كان إمامهم ليلة الإسراء ، لما اجتمعوا ببيت المقدس ، وكذلك هو الشفيع فى المحشر فى إتيان الرب جل جلاله لفصل القضاء بين عباده ، وهو المقام المحمود الذى لا يليق إلا له ، والذى يحيد عنه أولو العزم من الأنبياء والمرسلين حتى تنتهى النوبة إليه ، فيكون هو المخصوص به ، صلوات الله وسلامه عليه[3] .

• ويقول سبحانه : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم** ﴾[4] .

يقول القرطبى : أمر - الله - المؤمنين بلزوم الطاعة له فى أوامره ، والرسول فى سننه . ونقلْ عن مقاتل[5] أنه قال فى تفسير هذه الآية : يقول الله تعالى : إذا عصيتم الرسول فقد أبطلتم أعمالكم[6] .

ويقول سبحانه : ﴿ **ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الأنهار ومن يتولَّ يعذبه عذاباً أليماً** ﴾[7] .

---

(١) أخرجه أحمد ٤٧٠/٣ ، ٤٧١ و ٢٦٦/٤ وهو فى ابن كثير ٣٧٨/١ .
(٢) مسند أحمد ٣٣٨/٣ والحديثان ذكرتهما من مسند أحمد ، لا من تفسير ابن كثير .
(٣) تفسير ابن كثير ٣٧٨/١ . (٤) سورة محمد الآية : ٣٣ .
(٥) مقاتل بن سليمان الأزدى ، صاحب التفسير ، وأحد علماء الأمة المشهورين ، قال الشافعى : من أراد التفسير فعليه بمقاتل بن سليمان . تهذيب الكمال ٤٣٤/٢٨ .
(٦) تفسير القرطبى ٢٥٤/١٦ ، ٢٥٥ . (٧) سورة الفتح الآية : ١٧ .

• ويقول سبحانه : ﴿**وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن توليتم فإنما على رسولنا البلاغ المبين**﴾ [1] .

ومن هذه الآيات يتضح أن على كل مسلم أن يطيع الله ، وأن يطيع رسول الله ، فإنه صلى الله عليه وسلم مبلِّغ عن الله عز وجل ، فمن لم يطع رسول الله ﷺ فإن الآيات صريحة فى كفره ، وأنه من أهل عذاب الله .

## التحذير من مخالفته صلى الله عليه وسلم :

وجاءت آيات كريمات من كتاب الله تعالى تحذر من مخالفة سنته ، وطريقته صلى الله عليه وسلم ، وتبين أن من خالفه صلى الله عليه وسلم فقد ضل ضلالاً مبيناً ، ومصيره جهنم خالداً فيها وله عذاب مهين .

لقد أكدت الآيات هذا المعنى كثيراً ، حتى إننى أقف متعجباً أمامها ، إنها آيات كثيرة ، فيها التحذير والوعيد ، فيها بيان سوء عاقبة من خالفه ، وأن المخالفين أُناس عميت بصائرهم ، ولم تشرق أنوار الإيمان فى قلوبهم ، فلا يريدون هدى الله الذى أرسل به محمداً ﷺ ، وإنما يريدون الكفر والنفاق !!

فاقرأ هذا القدر من سورة النساء :

﴿**يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا• ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً• وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدوداً• فكيف إذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم ثم جاءوك يحلفون بالله إن أردنا إلا إحسانا وتوفيقاً• أولئك الذين يعلم الله ما فى قلوبهم فأعرض عنهم وعظهم وقل لهم فى أنفسهم قولاً بليغاً• وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك**

(١) سورة التغابن الآية : ١٢ .

فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً ۞ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً ﴾[1] .

واقرأ هذه الآيات من سورة النور :

﴿ ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين ۞ وإذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم إذا فريق منهم معرضون ۞ وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين ۞ أفى قلوبهم مرض أم ارتابوا أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله بل أولئك هم الظالمون ۞ إنما كان قول المؤمنين إذا دُعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون ۞ ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون ۞ وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن أمرتهم ليخرجن قل لا تقسموا طاعة معروفة إن الله خبير بما تعملون ۞ قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن تولوا فإنما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم وإن تطيعوه تهتدوا وما على الرسول إلا البلاغ المبين ۞ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً يعبدوننى لا يشركون بى شيئاً ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون ۞ وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون ۞ لا تحسبن الذين كفروا معجزين فى الأرض ومأواهم النار ولبئس المصير ﴾[2] .

وأيضاً هذه الآيات من سورة النور :

﴿ إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه إن الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فإذا استأذنوك لبعض شأنهم فَأْذَنْ لمن شئت منهم واستغفر لهم الله إن الله غفور رحيم ۞ لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً قد يعلم الله الذين

---

(١) سورة النساء الآيات : ٥٩ - ٦٥ .

(٢) سورة النور الآيات : ٤٧ - ٥٧ .

**يتسللون منكم لواذا فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم﴾** (1) .

إنها آيات كثيرة وقوية المعنى جداً ، تأمر بطاعته صلى الله عليه وسلم ، وتأمر بالرجوع إليه فيما أشكل علينا **﴿فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول﴾** (2) .

يقول ميمون بن مهران (3) : الرد إلى الله : الرد إلى كتابه ، والرد إلى رسوله إن كان حيّاً ، فإن قبضه الله إليه فالرد إلى السُّنة (4) .

ويقول مجاهد (5) : فردوه إلى كتاب الله وسُنة رسوله (6) .

ويقول قتادة (7) : ردوه إلى كتاب الله وسنة رسوله (8) .

وفى تفسير هذه الآية وما بعدها **﴿فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر﴾** ، يقول ابن كثير : قال مجاهد وغير واحد من السلف ، أى إلى كتاب الله وسنة رسوله . وهذا أمر من الله عز وجل ، بأن كل شىء تنازع الناس فيه من أصول الدين وفروعه أن يرد التنازع فى ذلك إلى الكتاب والسنة ، كما قال تعالى : **﴿وما اختلفتم فيه من شىء فحكمه إلى الله﴾** فما حكم به الكتاب والسُّنة ، وشهدا له بالصحة فهو الحق ، وماذا بعد الحق إلا الضلال ، ولهذا قال تعالى : **﴿إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر﴾** أى ردوا الخصومات والجهالات إلى كتاب الله وسُنة رسوله فتحاكموا إليهما فيما شجر

---

(1) سورة النور الآيتين ٦٢ ، ٦٣ . (2) سورة النساء الآية : ٥٩ التى تقدمت .

(3) تلميذ الصحابة ، تابعى جليل ثقة ، ترجمته فى تهذيب الكمال ٢١٠/٢٩ .

(4) تفسير الطبرى ١٥١/٥ واللالكائى فى شرح أصول الاعتقاد ص ٧٢ رقم ٧٦ .

(5) مجاهد بن جبر المكى ، تابعى جليل ، تحدث عن نفسه فقال : عرضت القرآن على ابن عباس رضى الله عنه ثلاث عرضات ، أقف عند كل آية أسأله فيم نزلت ؟ وكيف كانت ؟ توفى سنة ١٠٣ عن ٨٣ سنة ، ترجمته فى تذكرة الحفاظ ٩٢/١ .

(6) تفسير الطبرى ١٥١/٥ .

(7) قتادة بن دعامة السدوسى : تابعى إمام ، كان آية فى الحفظ ، عجيباً فى جمع العلم ، توفى سنة ١١٨ هـ عن ٥٧ سنة ، ترجمته فى تذكرة الحفاظ ١٢٢/١ .

(8) تفسير الطبرى ١٥١/٥ .

بينكم ﴿ **إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر** ﴾ فدل على أن من لم يتحاكم فى محل النزاع إلى الكتاب والسنة ولا يرجع إليهما فى ذلك فليس مؤمناً بالله ولا باليوم الآخر ..

﴿ **ذلك خير** ﴾ أى التحاكم إلى كتاب الله وسنة رسوله ، والرجوع إليهما فى فصل النزاع خير وأحسن تأويلا ، أى وأحسن عاقبة ومآلاً ، وأحسن جزاءً .

﴿ **ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت ...** ﴾ [1] .

يقول ابن كثير – رحمه الله – : هذا إنكار من الله عز وجل ، على من يدَّعى الإيمان بما أنزل الله على رسوله ، وعلى الأنبياء الأقدمين ، وهو مع ذلك يريد أن يتحاكم فى فصل الخصومات إلى غير كتاب الله وسنة رسوله .. والآية ذامّةٌ لمن عدل عن الكتاب والسُّنة ، وتحاكموا إلى ما سواهما من الباطل ، وهو المراد بالطاغوت هنا .

وفى قوله تعالى : ﴿ **فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً** ﴾ [2] .

يقول ابن كثير – رحمه الله تعالى – يقسم الله تعالى بنفسه الكريمة المقدسة أنه لا يؤمن أحد حتى يحكِّم الرسول ﷺ فى جميع الأمور ، فما حكم به فهو الحق الذى يجب الانقياد له باطناً وظاهراً ولهذا قال : ﴿ **ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً** ﴾ أى إذا حكموك يطيعونك فى بواطنهم ، فلا يجدون فى أنفسهم حرجاً مما حكمت به ، وينقادون له فى الظاهر والباطن ، فيسلمون لذلك تسليماً كليّا من غير ممانعة ، ولا مدافعة ، ولا منازعة ، كما ورد فى الحديث : « والذى نفسى بيده لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به » [3] .

---

(١) سورة النساء الآية : ٦٠ ، وقد تقدمت .

(٢) سورة النساء الآية : ٦٥ ، وقد تقدمت .

(٣) تفسير ابن كثير ج ١ ، ص ٥١٨ – ٥٢٠ بتصرف ، وحديث « والذى نفسى بيده ...» أخرجه البغوى فى شرح السنة كتاب الإيمان باب رد البدع والأهواء ١/ ٢١٢، وذكره النووى فى الأربعين ( حديث رقم ٤١ ) وقال : رويناه فى كتاب الحجة بإسناد صحيح ، وتكلم ابن رجب عليه كلاماً مطولاً انتقد فيه تصحيح النووى وذلك فى جامع العلوم والحكم ٢/ ٣٩٣، وذكره الحافظ ابن حجر فى فتح البارى ٢٨٩/١٣ وعزاه للحسن بن سفيان وغيره ، وقال : ورجاله ثقات وقد صححه النووى فى آخر الأربعين ا هـ. وأخرجه أيضاً ابن أبى عاصم فى السنة ١٢/١ حديث رقم ١٥ .

وفى الآيات السابقة من سورة النور نقرأ : ﴿ **ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين** ﴾ (1) .

يقول الطبرى - رحمه الله تعالى - : يقول تعالى ذكره : ويقول المنافقون : صدقنا بالله وبالرسول ، وأطعنا الله ،وأطعنا الرسول ، ثم ﴿ **يتولى فريق منهم** ﴾ يقول : ثم تُدْبر كل طائفة منهم ، من بعد ما قالوا هذا القول عن رسول الله ﷺ ، وتدعو إلى المحاكمة إلى غيره خصمها ﴿ **وما أولئك بالمؤمنين** ﴾ يقول : وليس قائلو هذه المقالة يعنى قوله : ﴿ **آمنا بالله وبالرسول وأطعنا** ﴾ ﴿ **بالمؤمنين** ﴾ لتركهم الاحتكام إلى رسول الله ﷺ وإعراضهم عنه إذا دعوا إليه (2) .

وفى سورة النور أيضاً قوله سبحانه : ﴿ **فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم** ﴾ (3) أى فليحذر الذين يخالفون عن أمر رسول الله ﷺ ، وهو سبيله ، ومنهاجه ، وطريقته ، وسنته ، وشريعته ، فتوزن الأقوال والأعمال بأقواله وأعماله ، فما وافق ذلك قُبِل ، وما خالفه فهو مردود على قائله وفاعله كائناً من كان ، كما ثبت فى الصحيحين وغيرهما عن رسول الله ﷺ أنه قال : « **من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد** » - أى مردود عليه ولا عبرة به - أى فليحذر وليخش من خالف شريعة الرسول باطناً وظاهراً ﴿ **أن تصيبهم فتنة** ﴾ أى فى قلوبهم من كفر أو نفاق أو بدعة ﴿ **أو يصيبهم عذاب أليم** ﴾ أى فى الدنيا بقتل أو حد أو حبس أو نحو ذلك (4) ا هـ .

وفى تفسير هذه الآية ﴿ **فليحذر الذين يخالفون عن أمره ...** ﴾ (5) يسوق ابن العربى بإسناده عن سفيان بن عيينة قال : سمعت مالك بن أنس - وأتاه رجلٌ - فقال : يا أبا عبد الله ، من أين أُحرم؟ قال : من ذى الحليفة (6) من حيث أحرم رسول الله ﷺ . فقال : إنى أريد أن أُحْرِم من المسجد ، فقال : لا تفعل . قال : إنى

---

(1) سورة النور الآية : 47 .    (2) تفسير الطبرى 18/156 .

(3) سورة النور الآية : 63 .

(4) تفسير ابن كثير 3/307 بشىء من التوضيح .

(5) سورة النور الآية : 63 .

(6) المكان الذى يحرم منه أهل المدينة بالحج وبه بئر يسمى بئر على ، وأصبح الآن يُعرف باسم «آبار على» وبه مسجد كبير .

أريد أن أُحْرِم من المسجد من عند القبر . قال : لا تفعل ، فإنى أخشى عليك الفتنة . قال : وأى فتنة فى هذا ؟ إنما هى أميال أزيدها . قال : وأى فتنة أعظم من أن ترى أنك سبقت إلى فضيلة قصّر عنها رسول الله ﷺ ! إنى سمعت الله يقول ﴿ **فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم** ﴾ [1] .

وهكذا تحذر هذه الآيات القرآنية من مخالفة رسول الله ﷺ ، وتبين أن مخالفته كفر وضلال ، يترتب عليها خسارة الدنيا والآخرة .

• ويقول الله تعالى : ﴿ **وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالاً مبيناً** ﴾ [2] والمعنى : أنه لا يصح أن يكون للمؤمن اختيار فيما قضى الله ورسوله ، بل أمر الله لازم ، وكذا أمر رسوله ﷺ، فعلى كل المؤمنين أن يتقبلوا أمر الله بالامتثال ونهيه بالامتناع ، وكذا أمر رسوله فإنه مبلغ عن الله سبحانه ، فطاعته طاعة لله سبحانه .

ثم حذر ربنا سبحانه المؤمنين من معصيته سبحانه ، ومن معصية رسوله ﷺ مبيناً أن هذه المعصية ضلال بيّن الانحراف عن الصواب .

ومن هنا حرص السلف على هَدْى رسول الله ﷺ فهاهو طاووس بن كيْسَان [3] يصلى ركعتين بعد العصر فقال له ابن عباس رضى الله عنهما : اتركهما . قال : إنما نهى عنها أن تتخذ سلما [4] . قال ابن عباس رضى الله عنهما : فإنه قد نهى عن صلاة بعد العصر فلا أدرى أتعذب عليها أم تؤجر ، لأن الله يقول : ﴿ **وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم** ﴾ قال سفيان [5] :

---

(١) أحكام القرآن لابن العربى ١٤٠٠/٣ ، ١٤٠١ .

(٢) سورة الأحزاب الآية : ٣٦ .

(٣) تابعى جليل أدرك خمسين صحابياً ، وحج أربعين مرة ، جمع بين العبادة والعلم ، ترجمته فى تهذيب الكمال ٣٥٧/١٣ .

(٤) أى يصلى أربعاً مثلاً ، ثم يزيد ، ثم يزيد ، حتى يؤذن المغرب ، وسيأتى هذا التفسير عن أحد رجال السند .

(٥) هو سفيان بن عيينة ، أحد أئمة الإسلام ، وأحد رجال السند .

« تتخذ سلماً » يقول : يصلى بعد العصر إلى الليل(١) .

والآيات كثيرة تحذر من مخالفته صلى الله عليه وسلم ، أذكر منها – مقتصراً على النص – ما يلى :

قال الله تعالى : ﴿ **إنا أرسلنا إليكم رسولاً شاهداً عليكم كما أرسلنا إلى فرعون رسولا فعصى فرعون الرسول فأخذناه أخذاً وبيلا** ﴾(٢) .

وقال تعالى : ﴿ **إن الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيراً خالدين فيها أبداً لا يجدون ولياً ولا نصيراً ۞ يوم تقلب وجوههم فى النار يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا ۞ ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعناً كبيراً** ﴾(٣) .

وقال تعالى : ﴿ **يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الأرض ولا يكتمون الله حديثاً** ﴾(٤) .

وقال تعالى : ﴿ **ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نولّه ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً** ﴾(٥) .

وقال تعالى : ﴿ **ولقد استهزئ برسل من قبلك فأمليت للذين كفروا ثم أخذتهم فكيف كان عقاب** ﴾(٦) .

وقال تعالى : ﴿ **وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً وما جعلنا القبلة التى كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه** ﴾(٧) .

---

(١) أخرجه الدارمى فى المقدمة باب ما يتقى من تفسير حديث رسول الله ﷺ ١/٩٥ حديث ٤٤٠، وأخرجه الحاكم فى العلم باب إنما حرم رسول الله ﷺ كما حرم الله ١/١١٠ ، وصححه على شرطهما ، ووافقه الذهبى .

(٢) سورة المزمل الآيتان : ١٥ ، ١٦ .

(٣) سورة الأحزاب الآيات : ٦٤ – ٦٨ .

(٤) سورة النساء الآية : ٤٢ .

(٥) سورة النساء الآية : ١١٥ .

(٦) سورة الرعد الآية : ٣٢ .

(٧) سورة البقرة الآية : ١٤٣ .

وغير ذلك من الآيات كثير ، تحذر من معصية رسول الله ، وتبين أن الله سبحانه ينتقم ممن عصى رسوله ﷺ .

وهكذا يؤكد القرآن الكريم على وجوب العمل بسنته صلى الله عليه وسلم :

□ فيأمرنا ربنا - تبارك وتعالى - باتباع رسوله صلى الله عليه وسلم .

□ ويأمرنا سبحانه بطاعته صلى الله عليه وسلم .

□ ويحذرنا سبحانه من مخالفته صلى الله عليه وسلم .

وكل ذلك يدل على وجوب العمل بالسنة النبوية ، هذا العلم الذى مع القرآن الكريم يُكوِّن مصدر الإسلام وأساسه .

## تعظيم قدره صلى الله عليه وسلم وقدر رسالته :

ولم تقف الآيات القرآنية عند حد الأمر باتباعه صلى الله عليه وسلم .

والأمر بطاعته صلى الله عليه وسلم .

والتحذير من مخالفته صلى الله عليه وسلم .

وإنما أعلت من قدره صلى الله عليه وسلم كثيراً ، وأعظمت رسالته ودينه كل الإعظام ، مما يوجب على كل عاقل أن يتمسك بهديه صلى الله عليه وسلم ، ويوجب على كل كريم أن يقتدى به صلى الله عليه وسلم .

• يقول الله - تبارك وتعالى - : ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾[1]

و « العالمين » اسم لما سوى الله تعالى ، جمع عالَم ، فيشمل جميع المخلوقات ، فهو صلى الله عليه وسلم رحمة لكل الخلائق .

فبه عرفت البشرية طريق الحق ، وعرفت الخُلُق الكريم ، وبه استقام الموحِّدون على دين الله الإسلام ، وبكل ذلك يرحم الله البشرية ، وفى كل ذلك رحمة وخير لكل الخلق .

قال ابن عباس - رضى الله عنهما - هو رحمة للمؤمنين وللكافرين إذ عوفوا مما أصاب غيرهم من الأمم المكذبة[2] .

---

(١) سورة الأنبياء الآية : ١٠٧ .

(٢) ذكره فى الشفا ١٩/١ وعزاه مخرجه إلى الطبرانى ، والبيهقى فى الدلائل ، وابن جرير ، وابن أبى حاتم ، وهو عند البيهقى ٤٨٦/٥ .

• وقال سبحانه : ﴿ **إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً • وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً** ﴾ [1] .

• وقال سبحانه : ﴿ **قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين • يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم** ﴾ [2] .

قال الطبرى : يعنى بالنور محمداً ﷺ الذى أنار الله به الحق ، وأظهر به الإسلام ، ومحق به الشرك ، فهو نور لمن استنار به ، يبين الحق [3] .

• وقال سبحانه : ﴿ **وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم • صراط الله الذى له ما فى السموات وما فى الأرض ألا إلى الله تصير الأمور** ﴾ [4] .

• وقال سبحانه : ﴿ **إنما أنت منذر ولكل قوم هاد** ﴾ [5] .

فأثبت سبحانه له صلى الله عليه وسلم أنه يهدى إلى الطريق القويم ، ويهدى كل الناس فكل من أراد الهداية ففيما جاء به محمد ﷺ له الكفاية .

• وقال سبحانه : ﴿ **بل جاء بالحق وصدق المرسلين** ﴾ [6] .

• وقال سبحانه : ﴿ **والقرآن الحكيم • إنك لمن المرسلين • على صراط مستقيم** ﴾ [7] وأقسم ربنا بحياته صلى الله عليه وسلم فقال : ﴿ **لعمرك إنهم لفى سكرتهم يعمهون** ﴾ [8] ، ولم يقسم ربنا سبحانه وتعالى بحياة أحد من خلقه إلا هو صلى الله عليه وسلم ، وفى هذا نهاية التعظيم وغاية البر والتشريف له صلى الله عليه وسلم .

قال ابن عباس - رضى الله عنهما - ما خلق الله تعالى ، وما ذرأ ، وما برأ [9] نفساً أكرم عليه من محمد ﷺ ، وما سمعت الله تعالى أقسم بحياة أحد غيره [10] .

---

(١) سورة الأحزاب الآيتان : ٤٥ ، ٤٦ . (٢) سورة المائدة الآيتان : ١٥ ، ١٦ .
(٣) تفسير الطبرى ١٦١/٦ .
(٤) سورة الشورى الآيتين الأخيرتين ٥٢ ، ٥٣ .
(٥) سورة الرعد الآية :٧ . (٦) سورة الصافات الآية :٣٧ .
(٧) أول سورة يس . (٨) سورة الحجر الآية : ٧٢ .
(٩) خلق ، وذرأ ، وبرأ كلها بمعنى واحد .
(١٠) ذكره فى الشفا ٤١/١ وعزاه مخرجه للبيهقى فى الدلائل ، وأبى نعيم ، وأبى يعلى .

• وقال سبحانه : ﴿ **إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم** ﴾ [1] فجعل سبحانه وتعالى مبايعة محمد ﷺ مبايعة لله تعالى .

• وقال سبحانه : ﴿ **إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله** ﴾ [2] فقرن سبحانه وتعالى الإيمان برسوله بالإيمان به سبحانه وتعالى ، وتكرر هذا فى كثير من الآيات القرآنية . يعطف بالواو المفيدة للاشتراك فى الفعل ، أى الذين آمنوا بالله ، وآمنوا برسوله صلى الله عليه وسلم ، وليس ذلك لأحد إلا له صلى الله عليه وسلم .

والآيات فى التعريف بقدره ، والتعريف بقدر ما جاء به من عند الله كثيرة جداً [3] ، وهى تأخذ بأيدى المؤمنين إلى الاقتداء به صلى الله عليه وسلم ، والحرص على كل ما هو من سنته وطريقته ، فهو الذى اصطفاه الله لدينه ، وأنزل عليه وحيه ، وأسرى به وأراه من آياته ، ووفقه وشرفه ، وأعلاه وكرمه . لقد رأى أصحابه الكثير من تأييد الله له ، وسألوه كثيراً فأجاب والوحى من الله ينزل عليه .

لقد علموا أنه مؤيد من الله ، يأتيه الوحى فى الوقت المناسب ، ويؤيده الله فى كل المواقف ، وفى الآيات ما يوضح حب الله له ، وفى الواقع ما يبين ذلك ، فقد نبع الماء من بين أصابعه حتى شرب الكثيرون ، وسمى على طعام يكفى ثلاثة فبارك الله فيه حتى أكل منه أهل المدينة أجمعون ، ورد عين صحابى فقئت فكانت أقوى من السليمة ، وتحدث عن أمور ستقع فوقعت كما أخبر ، فتحدث عن الفتوحات الإسلامية فوقعت طبق ما أخبر تماماً .

إنه الرسول الذى اصطفاه الله وأيده ، إنه المعصوم الذى أعلى الله قدره ، ورفع له ذكره ، وجعل السعادة فى اتباعه .

من هنا اتبعه السلف اتباعاً صادقاً دقيقاً ، فاقتدوا به فى كل أمر ، واهتدوا به فى كل حال ، رضى الله عنهم وأرضاهم ، وهكذا يجب أن يكون المسلم فى كل زمان ومكان .

---

(١) سورة الفتح الآية : ١٠ .

(٢) سورة الحجرات الآية : ١٥ .

(٣) وراجع كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى ﷺ للقاضى عياض ، وراجع كتب الخصائص ومنها : « نهاية السول فى خصائص الرسول لابن الملقن » ولأخينا الدكتور / خليل ملا خاطر رسالة فى : عظيم قدره صلى الله عليه وسلم ورفعة مكانته عند ربه عز وجل ، وهى مفيدة فى موضوعها .

## بيان أن السُّنَّة وحدها هى الموصلة إلى الله :

وأبانت الآيات القرآنية أن طريقته صلى الله عليه وسلم وسنته هى وحدها الموصلة إلى رضوان الله سبحانه وتعالى ، أما بقية الطرق فإنها طرق الشياطين ، سالكها خاسر ، ومأواه جهنم وبئس المصير .

* يقول الله تعالى : ﴿ **فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون ۞ قل يا أيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعاً الذى له ملك السموات والأرض لا إله إلا هو يحيى ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبى الأمى الذى يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون** ﴾[1] .

فجعل سبحانه الإيمان به صلى الله عليه وسلم وتوقيره ونصرته واتباع ما أنزل عليه باب الفلاح والهداية ، وقصر الفلاح على أتباعه ، فلا فلاح لغيرهم ، وإنما هم المفلحون وحدهم .

* ويقول سبحانه : ﴿ **وأن هذا صراطى مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون** ﴾[2] .

إن الصراط المستقيم أعنى الطريق القويم هو الذى عليه محمد ﷺ كما فى قوله سبحانه : ﴿ **وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم** ﴾[3] وهو طريق واحد ، لا مثيل له ، ولا بديل عنه ، إنه يوصل إلى تقوى الله ورضوانه .

أما بقية السبل أى الطرق فإنها لا توصل إلى رضوان الله ، وإنما توصل إلى الخسارة والضلال .

– قال رجل لعبدالله بن مسعود : ما الصراط المستقيم ؟ قال : تَرَكَنا محمدٌ صلى الله عليه وسلم فى أدناه ، وطرفه فى الجنة ، وعن يمينه جوادّ[4] ، وعن يساره جوادّ ، وثَمّ رجال يدعون من مرّ بهم ، فمن أخذ فى تلك الجوادّ انتهت به إلى

---

(١) سورة الأعراف الآيتان : ١٥٧ ، ١٥٨ .

(٢) سورة الأنعام الآية : ١٥٣ .

(٣) سورة الشورى الآية : ٥٣ .

(٤) جوادّ : جمع جادة وهى الطريق .

النار ، ومن أخذ على الصراط انتهى به إلى الجنة ، ثم قرأ ابن مسعود : ﴿ **وأن هذا صراطى مستقيماً ...** ﴾ الآية [1] .

إنه طريق واحد يوصل لرضوان الله وجنته ، إنه طريق محمد ﷺ ، فمن اتبعه واقتدى به نال رضوان الله وجنته ، ومن حاد فقد ضيع نفسه .

* ويقول سبحانه وتعالى : ﴿ **فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله إن الله لا يهدى القوم الظالمين** ﴾ [2] .

وواضح من هذه الآية أن الإنسان إما أن يكون مستجيباً لرسول الله ﷺ فيسير على الكتاب والسنة ، وإما أن يسير وفق هواه ، وهذا الثانى قد بلغ فى الضلال منتهاه . ففيها حث على اتباع هَدْى رسول الله ، وتحذير من اتباه الهوى ، فالدين من الله أوحاه إلى رسوله وبلغه الرسول الأمة ، فلا عبادة برأى ، ولا باختراع عقل ، ولا بفلسفات وتأويلات ، وإنما بهدى الله . تفهم نصوص الوحى من كتاب وسنة وفق ما تقتضيه اللغة وفى ضوء فهم الصحابة والأئمة .

* ويقول سبحانه تعالى : ﴿ **أرأيت من اتخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا** ﴾ [3] أى من اتبع ما يهوى ، وعبد ما يَسْتَحْسِن فلست حفيظاً له تهديه وتصرف عنه الضلال ، فإنه ما عليك إلا البلاغ .

سئل الحسن البصرى : أفى أهل القبلة شرك ؟ قال : نعم . المنافق مشرك . إن المشرك يسجد للشمس والقمر من دون الله ، وإن المنافق عبد هواه ثم تلا هذه الآية : ﴿ **أرأيت من اتخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا** ﴾ [4] .

وهكذا توضح الآيات أن الهدى كل الهدى فى اتباع رسول الله ﷺ ، وليس هناك طريق استقامة غير طريقه صلى الله عليه وسلم . توضح أن طريق الحق واحد ، وهو ما كان عليه رسول الله وأصحابه ، أما غير ذلك فهى طرق شياطين تؤدى إلى الهاوية .

---

(١) أخرجه الطبرى ٨/٨٨ ، ٨٩ .
(٢) سورة القصص الآية : ٥٠ .
(٣) سورة الفرقان الآية : ٤٣ .
(٤) ذكره فى الدر ٥/٧٢ وعزاه لعبد بن حميد ، والآية من سورة الفرقان رقم ٤٣ .

إن الآيات توجب علينا سلوك طريقه صلى الله عليه وسلم لنصل إلى رضوان الله ، وتحذرنا من أى طريق غير طريقه فليس للحق إلا هدى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

* * *

وهكذا ينص القرآن الكريم على وجوب العمل بالسنة النبوية ، وذلك بعدة أوجه :

□ فيأمرنا ربنا - سبحانه وتعالى - باتباعه صلى الله عليه وسلم .

□ ويأمرنا - سبحانه وتعالى - بطاعته صلى الله عليه وسلم .

□ ويحذرنا - سبحانه وتعالى - من مخالفته صلى الله عليه وسلم .

هذا فضلاً عن :

○ التعريف بقدره صلى الله عليه وسلم وقدر رسالته .

○ بيان أن سنته صلى الله عليه وسلم هى الطريق الوحيد الموصل إلى رضوان الله سبحانه وتعالى .

وكل ذلك يدل على وجوب العمل بسنته صلى الله عليه وسلم ، هذا العلم - السنة - الذى مع القرآن الكريم يُكَوِّن مصدر الإسلام وأساسه .

## الرسول ﷺ يبين ما جاء به القرآن من وجوب العمل بالسنة :

نبه رسول الله ﷺ الأمة إلى أن العمل بسنته واجب ، وأن على الأمة أن تتبعه صلى الله عليه وسلم كما أمرهم بذلك ربنا - تبارك وتعالى - فى كتابه الكريم ، وعلى لسان رسوله ﷺ .

لقد بيّن صلى الله عليه وسلم أن على الأمة أن تلتزم بالقرآن الكريم ، وبالبيان الذى صدر عنه صلى الله عليه وسلم ، موضحاً أن تشريعات القرآن المجملة إنما يأتى بيانها منه صلى الله عليه وسلم ، وأن الأمة إنما تستقى دينها من القرآن والسنة ، وليس من حق أحد أن يبتدع شيئاً فى الدين .

إن الإسلام قد كمل بانتهاء الوحى ، وعلى الأمة أن تلتزم بنصوص الوحى من

القرآن والسنة . وبيان رسول الله ﷺ وجوب العمل بالسنة يقع فى عدة نقاط :

- الأمر باتباع السنة .
- التحذير من مخالفتها .
- التحذير من بدائل السنة .

وهذا الإجمال أفصله فيما يلى :

## الأمر باتباع السنة :

أمرنا صلى الله عليه وسلم باتباع سنته ، وهذا الأمر ورد كثيراً ، وبأكثر من أسلوب :

١ - فعن العرباض بن سارية قال : « صلى بنا رسول الله ﷺ الصبح ذات يوم ، ثم أقبل علينا ، فوعظنا موعظة بليغة ، ذرفت منها العيون [1] ووجلت منها القلوب [2] ، فقال قائل : يا رسول الله ، كأن هذه موعظة مودِّع [3] ، فماذا تعهد إلينا [4] ؟ قال : أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن عبداً حبشياً مجدَّعاً [5] ، فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً ، فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين فتمسكوا بها ، وعضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة » [6] .

لقد عنون ابن حبان لهذا الحديث فى صحيحه بعنوان : « وصف الفرقة الناجية من بين الفرق التى تفترق عليها أمة المصطفى ﷺ ، وقال عقب إيراد هذا الحديث فى صحيحه : فى قوله صلى الله عليه وسلم : « فعليكم بسنتى » عند ذكره

---

(١) ذرفت منها العيون : بكت ودمعت .

(٢) وجلت منها القلوب : أى خافت وخشعت .

(٣) مودِّع : كأنك تودعنا وستموت قريباً !!

(٤) تعهد إلينا : أى بم توصينا .

(٥) مجدَّعاً : أى واسمعوا وأطيعوا أميركم ولو كان عبداً أسود مقطوع الأطراف .

(٦) أخرجه ابن حبان فى المقدمة باب الاعتصام بالسنة - الإحسان ١٧٨/١ رقم ٥ ، وأخرجه الترمذى وأبو داود والنسائى وابن ماجه وأحمد وغيرهم ، وأخرجه المروزى فى السنة ص ٢٦ رقم ٦٩ - ٧٢ وفيه تخريج طيب له . وهذا الحديث شرحه ابن رجب فى جامع العلوم ١٠٩/٢ حديث رقم ٢٨ من الخمسين حديثاً التى يدور عليها الإسلام .

الاختلاف الذى يكون فى أمته بيان واضح أن من واظب على السنن قال بها ولم يُعَرِّج على غيرها من الأراء ( هو ) من الفرق الناجية فى القيامة ، جعلنا الله منهم بمنّه [1] .

وقوله صلى الله عليه وسلم : « فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين » لفظ « فعليكم » اسم فعل أمر معناه « الزموا » أى : الزموا سنتى واعملوا بها واحرصوا عليها ، ثم أكد ذلك صلى الله عليه وسلم فقال : « فتمسكوا بها » أى لا تحيدوا عنها ، ولا ينبغى أن يصرفكم عنها صارف ، ولا يصح أن تقبلوا أى بديل لها ، لا من شرق ولا من غرب .

ثم أكد صلى الله عليه وسلم ثانية فقال : « عضوا عليها بالنواجذ » والنواجذ : الأضراس التى فى آخر الفك ، والعض كناية عن شدة ملازمة السنة والتمسك بها ، فإن من أراد أن يأخذ شيئاً أخذاً شديداً يأخذه بأسنانه ، أو المعنى : اصبروا على امتثال السنة مهما كلفكم ذلك ، واصبروا على امتثال هدى رسول الله مهما كان كمن أصابه ألم لا يريد أن يظهره فيشتد بأسنانه بعضها على بعض .

ومع هذه التأكيدات حذّر صلى الله عليه وسلم من غيرها فقال : « وإياكم ومحدثات الأمور » أى الأمور التى يبتدعها البعض ، ولا دليل لها من القرآن ولا من السنة ، هذه المبتدعات إياكم أن تعملوا بها ، و « إياكم » اسم فعل أمر ، معناه ، احذروا : أى احذروا محدثات الأمور [2] .

وواضح من هذا الحديث أنه صلى الله عليه وسلم يأمرنا باتباع سنته ، ويؤكد ويشدد على اتباعها ، وعدم البعد عنها .

٢ - وعن جابر بن عبد الله - رضى الله عنهما - « أن رسول الله ﷺ كان يقول : إن خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدى [3] هدى محمد ، وشر الأمور

---

(١) الإحسان فى تقريب صحيح ابن حبان ١٧٨/١ ، ١٨٠ .

(٢) يراجع شرح هذا الحديث فى .
تحفة الأحوذى ٤٣٨/٧ ، وعون المعبود ٣٥٨/١٢ .

(٣) يقرأ : الهُدَى » بضم الهاء وفتح الدال من الاهتداء ، ومعناه راجع إلى معنى الإرشاد ، والمراد : خير ما يرشد المؤمنين إلى جنات الله ما كان عليه رسول الله محمد ، ويقرأ « الهَدْى » بفتح الهاء وإسكان الدال أى الطريق والمذهب والمنهج والمعنى خير طريق أو خير مذهب يتبع هو طريق محمد ﷺ .

محدثاتها ، وكل بدعة ضلالة »[1] .

ففى هذا الحديث يبين صلى الله عليه وسلم أن الخير كل الخير فى اتباع الكتاب والسُّنة ، وأن ما عداهما شر وضلال .

٣ – وعن أبى بكرة الثقفى – نفيع بن الحارث – قال : قال رسول الله ﷺ : « ليبلغ الشاهدُ الغائبَ ، فإن الشاهد عسى أن يبلغ من هو أوعى له منه »[2] . واللام فى « ليبلغ » للأمر . و« الشاهد » هو من يشهد مجلسه صلى الله عليه وسلم و« الغائب » الغائب عن مجلسه صلى الله عليه وسلم ، يبلغ من حضر من لم يحضر . وهذا الأمر قاله صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع ، فأرسى هذا المبدأ ، مبدأ وجوب تبليغ العلم مما يدل على وجوب العمل بالسنة .

٤ – وعن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : « نضّر الله امرءا سمع منا حديثاً ، فبلغه كما سمعه ، فرب مُبَلَّغ أوعى من سامع »[3] . إنه صلى الله عليه وسلم يدعو لمن سمع منه حديثاً فبلّغه غيره ، يدعو له بنضارة الوجه التى هى من علامات رضوان الله ورحمته كما قال سبحانه : ﴿ **وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة** ﴾[4] ودعاؤه صلى الله عليه وسلم مستجاب ، وفى ذلك حث للأمة بأسرها أن تتعلم سننه وأحاديثه ، وأن تعمل بها ، وأن تعلمها ، ومن هنا كثرت مدارس الحديث ، وكثرت المؤلفات فيه ، واعتنى بالسُّنة كل الاعتناء .

٥ – وعن أبان بن عثمان بن عفان قال : خرج زيد بن ثابت من عند مروان[5] قريباً من نصف النهار ، فقلت : ما بعث إليه إلا لشىء سأله ، فقمت إليه ، فسألته ،

---

(١) أخرجه مسلم فى الجمعة باب تخفيف الصلاة والخطبة ٥٩٢/٢ رقم ٨٦٧/٤٣ وأخرجه المروزى فى السنة ص ٢٧ رقم ٧٣ فراجعه وما بعده .

(٢) أخرجه البخارى فى العلم باب قول النبى ﷺ « رُبَّ مُبلغ أوعى من سامع » ١٥٧/١ ، ١٥٨ .

(٣) أخرجه ابن حبان فى كتاب العلم باب دعاء المصطفى ﷺ لمن أدى من أمته حديثاً سمعه ٢٦٨/١ رقم ٦٦ وأخرجه غيره .

(٤) سورة القيامة الآيتان : ٢٢ ، ٢٣ .

(٥) خليفة أموى ، ولد عام اثنين وأدرك النبى ﷺ ورآه ، كان والياً على المدينة المنورة لمعاوية من سنة ٤٢ – ٤٩ هـ ، وتوفى سنة خمس وستين ، وترجمته فى الإصابة ٢٥٧/٦ ، وفى الأعلام ٢٠٧/٧ وفيه عدد من مصادر ترجمته .

فقال : أجل سألنا عن أشياء سمعناها من رسول الله ﷺ « رحم الله امرءاً سمع منى حديثاً ، فحفظه حتى يبلغه غيره ، فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه ، ورب حامل فقه ليس بفقيه »[1] .

وهذا الحديث يدل على وجوب العمل بالسنة ، فإن المصطفى صلى الله عليه وسلم دعا لمن سمع حديثه فحفظه حتى يبلغه غيره ، دعا له برحمة الله ، وبيّن صلى الله عليه وسلم أن أحاديثه تتناقل وتروى من أجل التفقه فيها ، واستنباط فوائدها ، وما كل ذلك إلا لوجوب العمل بها .

وسؤال مروان عن الأحاديث النبوية إنما لإيمانه بوجوب العمل بالسنة النبوية .

٦ - وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : إن وفد عبد القيس لما أتوا النبى ﷺ قال : من القوم - أو من الوفد ؟ - قالوا : ربيعة . قال : مرحباً بالقوم - أو بالوفد - غير خزايا ولا ندامى . فقالوا : يا رسول الله ، إنا لا نستطيع أن نأتيك إلا فى الشهر الحرام ، وبيننا وبينك هذا الحى من كفار مضر ، فمرنا بأمر فصل نخبر به من وراءنا ، وندخل به الجنة . وسألوه عن الأشربة ، فأمرهم بأربع ، ونهاهم عن أربع : أمرهم بالإيمان بالله وحده . قال : أتدرون ما الإيمان بالله وحده ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصيام رمضان ، وأن تعطوا من المغنم الخمس . ونهاهم عن أربع : عن الحنتم[2] ، والدباء[3] ، والنقير[4] ، والمزفت[5] - وربما قال : المقير - وقال : احفظوهن وأخبروا بهن من وراءكم »[6] .

---

(١) أخرجه ابن حبان فى كتابه العلم باب ذكر رحمة الله جل وعلا من بلغ أمة المصطفى ﷺ حديثاً صحيحاً عنه ٢٧٠/١ رقم ٦٧ .

(٢) **الحنتمة** : جرة تصنع من طين وشعر ودم .

(٣) **الدباءة** : القرع .

(٤) **النقير** : أصل النخلة ينقر فيتخذ منه وعاء .

(٥) **المزفت** : الإناء المطلى بالزفت و « المقير » : الإناء المطلى بالقار وهو الزفت ، وإنما نهاهم صلى الله عليه وسلم عن هذه الأوانى أن ينتبذوا فيها ، بمعنى يضعون فيها الزبيب فى الماء فترة ، لأن التخمر يسرع له فيصير مسكراً .

(٦) أخرجه البخارى فى الإيمان ١٢٩/١ حديث رقم ٥٣ ، وفى غير هذا الموضع ، وأخرجه مسلم أيضاً فى الإيمان باب الأمر بالإيمان بالله تعالى ورسوله ﷺ ٤٧/١ رقم ٢٤ .

تأمل قول الوفد : فمرنا بأمر فصل نخبر به من وراءنا ، وندخل به الجنة . لقد كانوا يعرفون مكانته صلى الله عليه وسلم ، ويعلمون ما وكل الله إليه من المهام ، « مرنا بأمر فصل » لقد جعلوا له أمراً يدخلهم الجنة ، وعليهم أن يبلغوه أقوامهم ، وفى ذلك دليل على وجوب العمل بسنته صلى الله عليه وسلم .

وقال صلى الله عليه وسلم لهم : « احفظوهن وأخبروا بهن مَنْ وراءكم » احفظوا هذه الأوامر ، وهذه النواهى ، وأخبروا بها من وراءكم من أهل وعشيرة ، ومن سيولد لكم . وما ذلك إلا لوجوب امتثال أوامره ، ونواهيه صلى الله عليه وسلم .

إنهم يعلمون وجوب العمل بسنته صلى الله عليه وسلم ، وهو يقرهم على هذا ، ثم يأمرهم صلى الله عليه وسلم بحفظ السنة وتبليغها .

٧ - وعن جابر بن عبد الله - رضى الله عنهما - قال : « كان رسول الله ﷺ يعلمنا الاستخارة فى الأمور كما يعلمنا السورة من القرآن ، يقول : إذا همّ أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة ، ثم ليقل : اللهم إنى أستخيرك بعلمك ، وأستقدرك بقدرتك ، وأسألك من فضلك العظيم ، فإنك تقدر ولا أقدر ، وتعلم ولا أعلم ، وأنت علام الغيوب ، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لى فى دينى ومعاشى وعاقبة أمرى - أو قال : عاجل أمرى وآجله - فاقدره لى ، ويسره لى ، ثم بارك لى فيه . وإن كنت تعلم ان هذا الأمر شر لى فى دينى ومعاشى وعاقبة أمرى - أو قال فى عاجل أمرى وآجله - فاصرفه عنى واصرفنى عنه ، واقدر لى الخير حيث كان ، ثم أرضنى قال : ويسمى حاجته [(١)] .

٨ - وعن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال : « كان رسول الله ﷺ يعلمنا التشهد كما يعلمنا السورة من القرآن » [(٢)] .

وواضح من هذين الحديثين أنه صلى الله عليه وسلم كان يعلمهم الأمر من السنة كما يعلمهم القرآن ، يعلمهم الاستخارة كما يعلمهم القرآن ، ويعلمهم التشهد كما يعلمهم القرآن ، وما ذلك إلا لوجوب العمل بسنته صلى الله عليه وسلم ، فعلمهم .

---

(١) أخرجه البخارى فى التهجد باب ما جاء فى التطوع مثنى مثنى ٤٨/٣ .

(٢) أخرجه مسلم فى الصلاة باب التشهد فى الصلاة ٣٠٣/١ رقم ٦١ .

ولقد كان الصحابة يدركون ذلك فكانوا يحرصون على الأخذ منه صلى الله عليه وسلم .

إن المتتبع لأحاديث السنة يجد أن رسول الله ﷺ علم الصحابة كثيراً ، وعلمهم جيداً ، حتى قال أبو ذر : « تركنا رسول الله ﷺ وما طائر يطير بجناحيه إلا عندنا منه علم » [1] أى أنه صلى الله عليه وسلم علمنا كل ما ينفعنا فى أمور ديننا ودنيانا وآخرتنا . كما قال صلى الله عليه وسلم : « قد تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدى إلا هالك ، ومن يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم بما عرفتم من سنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ... » [2] والمعنى أنه صلى الله عليه وسلم وضح الديانة ، وأبان الملة حتى أصبحت واضحة لا لبس فيها ، ولا يخفى شىء منها على أحد ، فمن حاد فإنما ذلك لمرض فى قلبه ، يجحد الحق ، ويبغض الاستقامة .

ويقول أبو موسى الأشعرى : أما تعلمون كيف تقولون فى صلاتكم ؟ إن رسول الله ﷺ خطبنا فبين لنا سنتنا وعلمنا صلاتنا » [3] أى أن الدين واضح ، وضحه رسول الله ﷺ كل الوضوح .

لقد كان معلوماً لدى الصحابة ما خصّ الله به رسوله من نعم عديدة ووفيرة ، ومنها نعمة العلم ، فلقد جمع الله له من المعارف والعلوم ما ليس لبشر سواه ، وأطلعه على كثير من أمور الكون وبما ينصلح به الدين والدنيا والآخرة :

– فعن المغيرة بن شعبة قال : « قام فينا رسول الله ﷺ مقاماً خبّرنا بما يكون فى أمته إلى يوم القيامة ، وعاه من وعاه ، ونسيه من نسيه » [4] .

– وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال : « أوتيت مفاتيح كل شىء إلا الخَمْس [5] ﴿ **إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما فى**

---

(١) أخرجه ابن حبان فى العلم باب الزجر عن كتبة المرء السنن ١/٢٦٧ رقم ٦٥ .

(٢) أخرجه أحمد ٤/١٢٦ ، والحاكم ١/٩٦ .

(٣) أخرجه مسلم فى الصلاة باب التشهد فى الصلاة ١/٣٠٣ رقم ٦٢ .

(٤) رواه أحمد والطبرانى ، ورجال أحمد رجال الصحيح غير عمر بن إبراهيم بن محمد ، وقد وثقه ابن حبان كذا فى مجمع الزوائد ٨/٢٦٤ .

(٥) أى إلا الخمس خصال التى اختص الله بعلمها ، وسيذكرها فى نص الحديث من آخر آية من سورة لقمان .

**الأرحام وما تدرى نفس ماذا تكسب غداً وما تدرى نفس بأى أرض تموت إن الله عليم خبير﴾ »**[1] .

فقوله صلى الله عليه وسلم : « أوتيت مفاتيح كل شيء » دليل على عظيم ما منّ الله به عليه من علوم ؛ ولقد علم الأمة الكثير والكثير ، وأمرهم ربنا باتباعه ، ودعاهم صلى الله عليه وسلم إلى التمسك بسنته ، وعلى هذا كانوا ، فتمسكوا بسنته تمسكاً شديداً ، وحافظوا على اتباعه بكل جد .

٩ - وعن عمرو بن عوف المزنى أن النبى ﷺ قال لبلال بن الحارث : « اعلم . قال ما أعلم يا رسول الله ؟ قال : إنه من أحيا سنة من سنتى قد أميتت بعدى ، كان له من الأجر مثل من عمل بها ، من غير أن يُنقص من أجورهم شيئاً ، ومن ابتدع بدعة ضلالة لا يرضاها الله ورسوله ، كان عليه مثل آثام من عمل بها ، لا ينقص ذلك من أوزار الناس شيئاً »[2] ، إنه صلى الله عليه وسلم يدعونا إلى إحياء سنته ، وذلك لا يكون إلا بدراستها وفهمها ، والعمل والالتزام بها ، ويحذر أيضاً من مخالفتها .

إن من أحيا سنة من سننه صلى الله عليه وسلم له عظيم الأجر وكثير الثواب لأنه أخذ بيد مجتمعه إلى الحق والخير ، أما من ابتدع بدعة فيا ويله ويا ويله له كثير من السيئات والعديد من الآثام إنه أشاع فى الناس باطلاً ، فليحذر العاقل البدعة ، وليحرص على السنة .

١٠ - وعن أبى هريرة - رضى الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال : « كل أمتى يدخلون الجنة إلا من أبى . قالوا : يا رسول الله ، ومن يأبى ؟ قال : من أطاعنى دخل الجنة ، ومن عصانى فقد أبى »[3] .

---

(١) رواه أحمد والطبرانى ورجال احمد رجال الصحيح ، كذا فى مجمع الزوائد ٢٦٣/٨ .

(٢) أخرجه الترمذى فى العلم باب الأخذ بالسنة واجتناب البدعة ٤٤٣/٧ وحسنه ، والإسناد وإن كان فيه كثير بن عبدالله بن عمرو بن عوف ، وقد جرحه كثيرون ، إلا أنى أخذت بقول البخارى ويحيى بن سعيد الأنصارى ، والترمذى ، ورحم الله ابن حجر إذ قال فيه : ضعيف أفرط من نسبه إلى الكذب ، تهذيب الكمال ١٣٦/٢٤ ، والتقريب ص ٨٠٨ رقم ٥٦٥٢ ، وأخرجه ابن ماجه فى المقدمة باب من أحيا سنة قد أميتت ٧٦/١ .

(٣) أخرجه البخارى فى كتاب الاعتصام بالكتاب والسنن باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ ٢٤٨/١٣ رقم ٧٢٨٠ .

إنه صلى الله عليه وسلم يبين لهم أن أمته يدخلون الجنة إلا صنفاً واحداً ، هذا الصنف هم الذين يرفضون ، وتوقع الصحابة أن الرفض والإباء عن دخول الجنة فاستغربوا قائلين : ومن يأبى ؟ أى من يرفض دخول الجنة ؟ فبين لهم صلى الله عليه وسلم أن دخول الجنة إنما يكون باتباعه صلى الله عليه وسلم ، فمن أبى أن يتبعه صلى الله عليه وسلم ، فقد أبى أن يدخل الجنة .

وفى هذا الحديث دليل على أن دخول الجنة مترتب على طاعته صلى الله عليه وسلم ، وأن من يعصاه صلى الله عليه وسلم ويرفض سنته فإنما ضيع نفسه وأوقعها فى جهنم .

وقد جاء فى حديث آخر عن أبى هريرة أيضاً قال صلى الله عليه وسلم : « لتدخلن الجنة إلا من أبى ، وشرد على الله شراد البعير »[1] .

١١ - وعن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « من أطاعنى فقد أطاع الله ، ومن عصانى فقد عصى الله » [2] .

إن قوله صلى الله عليه وسلم : « من أطاعنى فقد أطاع الله » متفق مع قول الله تعالى : ﴿ من يُطع الرسول فقد أطاع الله ﴾[3] أى لأنى لا آمر إلا بما أمر الله به ، فمن فعل ما آمره به ، فإنما أطاع الله الذى أمرنى أن آمركم به ، أو المعنى : لأن الله أمر بطاعتى فمن أطاعنى فقد أطاع أمر الله له بطاعتى ، وفى المعصية كذلك[4] .

١٢ - وعن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال : « دعونى ما تركتكم ، فإنما أهلك من كان قبلكم سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم ، فإذا نهيتكم عن شىء فاجتنبوه ، وإذا أمرتكم بشىء فأتوا منه ما استطعتم » [5] .

إنه صلى الله عليه وسلم يبين أن نواهيه يُنتهى عنها ، لا عذر لأحد فى ذلك ، وأن

---

(١) أخرجه أحمد والحاكم .

(٢) أخرجه البخارى فى أول كتاب الأحكام ١١١/١٣ ، وفى الجهاد باب يقاتل من وراء الإمام ١١٦/٦ وأخرجه مسلم فى الإمارة باب وجوب طاعة الأمراء ١٤٦٦/٣ .

(٣) سورة النساء الآية ٨٠ . (٤) راجع فتح البارى ١١٢/١٣ .

(٥) أخرجه البخارى فى الاعتصام بالكتاب والسنة باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ ٢٥١/١٣ رقم ٧٢٨٨ .

أوامره تُتَّبع جهد الطاقة ، وفى هذا دليل على وجوب اتباع السنة فى كل أمر ونهى .

**لقد أضاف الأمر والنهى إلى نفسه صلى الله عليه وسلم « نهيتكم » و « أمرتكم »** وفى هذا دليل على حجية السنة ، وأن على الأمة أن تمتثل أوامره صلى الله عليه وسلم ونواهيه ، ولا غرابة فى إسناد مصدر التشريع إليه صلى الله عليه وسلم فإن الله سبحانه قد اصطفاه ، وأسند التشريع إليه فى كثير من المواضع كما فى قوله تعالى : ﴿ **فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليما** ﴾[1] .

تأمل قول الله سبحانه : ﴿ **يحكموك** ﴾ وقوله سبحانه ﴿ **قضيت** ﴾ تجد أن الله أسند إليه صلى الله عليه وسلم ما يفيد أن سنته مصدر من مصادر التشريع ، فلا غرابة أن يقول : ﴿ **نهيتكم** ﴾ و ﴿ **أمرتكم** ﴾ .

١٣ - وعن أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله ﷺ : « يا أيها الناس إنى قد تركت فيكم الثقلين كتاب الله وسنتى ، فاستنطقوا القرآن بسنتى ، ولا تعسفوه فإنه لن تعمى أبصاركم ، ولن تزل أقدامكم ، ولن تقصر أيديكم ما أخذتم بهما »[2] .

إن الله سبحانه قال لنبيه : ﴿ **وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة** ﴾[3] وقال سبحانه : ﴿ **لقد منّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة** ﴾[4] فعلمنا أن الله أنزل على رسوله « الكتاب » وهو القرآن ، و « الحكمة » وهى سنته صلى الله عليه وسلم ، ورسول الله ﷺ علم الأمة القرآن والسنة ، وقال لنا فى هذا الحديث إنه ترك فينا القرآن والسنة ، فتعانق هذا الحديث مع الآيتين ومع بقية الآيات التى فى هذا الموضوع ، يبينها ويوضح المنهج الذى على الأمة أن تتبعه وهو القرآن والسنة . إن الأمة بهذا تكون

---

(١) سورة النساء الآية : ٦٥ .

(٢) أخرجه الخطيب فى الفقيه باب ذكر الخبر عن رسول الله ﷺ بأن سنته لا تفارق كتاب الله عز وجل ٩٤/١ ، وعياض فى أول الإلماع ص ٨ ، ٩ ، وله شاهد عن ابن عباس رضى الله عنه وآخر عن أبى هريرة أخرجهما الحاكم ٩٣/١ ، ومن طريقه أخرجهما البيهقى فى الكبرى ١١٤/١٠ ، وأخرج اللالكائى فى شرح أصول الاعتقاد حديث أبى هريرة ٧٩/١ ، ٨٠ رقم ٨٩ ، ٩٠، وأخرج المروزى فى السنة حديث ابن عباس رضى الله عنهما ص ٢٥ رقم ٦٨ .

(٣) سورة النساء الآية : ١١٣ .

(٤) سورة آل عمران الاية : ١٦٤ .

مستقيمة على صراط الله الذى ارتضاه لنا وأوصانا به سبحانه .

١٤ - وعن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله ﷺ : « لكل عمل شِرَّة [١] ، ولكل شِرَّةٍ فترة [٢] ، فمن كانت فترته إلى سنتى فقد أفلح ، ومن كانت إلى غير ذلك فقد هلك » [٣] .

المعنى : إن الإنسان ينشط عندما يبدأ فى أعمال الخير ، ثم يستقر على نهج فيها ، فمن كان فى نشاطه واستقراره على الكتاب والسنة فهو من المفلحين ، أما من اجتهد فى العمل وكان على غير هدى محمد ﷺ فهو من الهالكين .

وعليه فواجب على كل مسلم أن يضبط عمله على الكتاب والسنة حتى يكون من المفلحين .

ولذا فإن ابن حبان يعنون لهذا الحديث بقوله : ذكر إثبات الفلاح لمن كانت شرته إلى سنة المصطفى ﷺ .

١٥ - وعن مالك بن الحويرث قال : قال رسول الله ﷺ : « صلوا كما رأيتمونى أصلى » [٤] .

وهذا واضح أننا نأخذ الصلاة عنه صلى الله عليه وسلم ، والصلاة عماد الدين فأخذها عنه ، وأن نصلى كما صلى ، دليل على وجوب أخذ السنة عنه ، وأن نقتدى به فيما فعل فنفعل ، وفيما ترك فنترك .

١٦ - وعن جابر بن عبد الله - رضى الله عنهما - قال : رأيت النبى ﷺ يرمى على راحلته يوم النحر ، ويقول : « لتأخذوا مناسككم » فإنى لا أدرى لعلى لا أحج بعد حجتى هذه » [٥] .

---

(١) أى حدة ونشاط زائد . (٢) أى هدوء ونشاط معتدل .

(٣) أخرجه أحمد فى المسند ٢/٢١٠ ، وأخرجه ابن حبان فى المقدمة باب الاعتصام بالسنة ١/١٨٧ وفيه تخريج كثير له .

(٤) أخرجه البخارى فى الأذان باب الأذان للمسافر إذا كانوا جماعة ٢/١١١ حديث رقم ٦٣١ وإحالاته فى الباب قبله حديث رقم ٦٢٨ .

(٥) أخرجه مسلم فى الحج باب استحباب رمى جمرة العقبة يوم النحر راكباً ٢/٩٤٣ ح ٣١٠ .

والللام في قوله : « لتأخذوا » لام الأمر ، والمعنى : خذوا عنى مناسككم ، فافعلوا كما فعلت .

قال الإمام النووى : وأما قوله صلى الله عليه وسلم : « لتأخذوا مناسككم » فهذه اللام لام الأمر ، ومعناه خذوا مناسككم ، وهكذا وقع فى رواية غير مسلم [١] ، وتقديره : هذه الأمور التى أتيت بها فى حجتى من الأقوال والأفعال والهيئات هى أمور الحج وصفته ، وهى مناسككم فخذوها عنى ، واقبلوها ، واحفظوها ، واعملوا بها وعلموها الناس [٢] .

وعن أبى موسى عن النبى ﷺ قال : « إنما مثلى ومثل ما بعثنى الله به كمثل رجل أتى قوماً فقال : يا قوم ، إنى رأيت الجيش بعينىّ ، وإنى أنا النذير العريان ، فالنجاء [٣] ، فأطاعه طائفة من قومه فأدلجوا ، فانطلقوا على مهلهم فنجوا ، وكذبت طائفة منهم ، فأصبحوا مكانهم ، وصبحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم ، فذلك مثل من أطاعنى فاتبع ما جئت به ، ومثل من عصانى وكذب بما جئت به من الحق » [٤] .

إن الأحاديث فى الأمر باتباع السنة كثيرة ، تفيض الكتب بين يدىّ بذلك ، يبين صلى الله عليه وسلم أن على الأمة أن تتبعه وأن تقتدى به فى كل ما صدر عنه صلى الله عليه وسلم ، والنصوص فى هذا تبين أن الصحابة كانوا يعلمون هذا جيداً ، ويعملون به وعلى هذا سلف الأمة جيلاً بعد جيل إلى يومنا هذا ، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

وإنى أسوق مثالاً على ذلك :

* فعن عبد الرحمن بن يزيد قال : رمى عبد الله بن مسعود جمرة العقبة من

---

(١) هى رواية النسائى فقد جاءت بلفظ « خذوا مناسككم » أخرجها فى كتاب الحج باب الركوب إلى الجمار ٣/٢١٩ .

(٢) مسلم بشرح النووى ٣/٤٣٢ طبعة الشعب .

(٣) **النذير العريان** : الشخص الذى يرى خطراً داهماً على قومه ، فيخلع ملابسه يلوح بها لهم ليسرعوا التصرف ، يناديهم : النجاء النجاء .

(٤) أخرجه البخارى فى الاعتصام باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ ١٣/٢٥٠ حديث رقم ٧٢٨٣ .

بطن الوادى بسبع حصيات ، يُكبر مع كل حصاة . قال : فقيل له : إن أُناساً يرمونها من فوقها . فقال عبد الله بن مسعود : هذا والذى لا إله غيره مقام الذى أُنزلت عليه سورة البقرة[1].. إن ابن مسعود يفعل كما فعل الذى أُنزلت عليه سورة البقرة ، يعنى رسول الله ﷺ لأنه يتبع سنته ، والمخالفون لابن مسعود لم يعلموا السنة ، فأعلمهم بذلك ، والكل مجمع على ضرورة اتباع السنة .

يقول الإمام الجنيد : الطرق كلها مسدودة إلا طريق من اقتفى آثار النبى ﷺ فإن الله عز وجل يقول : وعزتى وجلالى لو أتونى من كل طريق ، واستفتحوا من كل باب لما فتحت لهم حتى يدخلوا خلفك »[2] .

## التحذير من مخالفتها :

وكما أمر صلى الله عليه وسلم باتباع السنة ، فإنه حذر من مخالفتها ، وبيّن صلى الله عليه وسلم أن من خالف السنة فقد ضل ضلالاً بعيداً ، وهو عاص لله - تبارك وتعالى - ، غير متبع لأوامر الله عز وجل ، وغير متبع لنصح رسول الله ﷺ .

بيّن صلى الله عليه وسلم أن من خالف السنة فهو من أهل النار ، نعوذ بوجه الله منها ، وقد تقدمت نصوص فى ذلك منها :

١ - حديث العرباض بن سارية عنه صلى الله عليه وسلم قال : « فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ، فتمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة »[3] .

٢ - حديث أبى هريرة عنه صلى الله عليه وسلم قال : « كل أمتى يدخلون الجنة إلا من أبى ، قالوا : يا رسول الله ومن يأبى ؟ قال : من أطاعنى دخل الجنة ، ومن عصانى فقد أبى »[4] وفيه أن من خالف السنة فليس من أهل الجنة ، وإنما هو من أهل النار .

---

(١) أخرجه مسلم فى الحج باب رمى جمرة العقبة من بطن الوادى ٩٤٢/٢ رقم ٣٠٥ .

(٢) ذكره ابن القيم فى طريق الهجرتين ص ٧ ، وذكره بشىء من الاختصار السيوطى فى مفتاح الجنة ص ١١٠ فيما اقتبسه من كتاب الحجة باب ١١ طبعة مكتبة القرآن .

(٣) تقدم فى الموضوع السابق - الأمر باتباع السنة - حديث رقم ١ ، وراجع أيضاً الحديث الذى يليه .

(٤) تقدم فى الموضوع السابق - الأمر باتباع السنة - حديث رقم ١٠ .

٣ - حديث أبى هريرة عنه صلى الله عليه وسلم قال : « من أطاعنى فقد أطاع الله ، ومن عصانى فقد عصى الله »[1] .

٤ - حديث أبى سعيد الخدرى عنه صلى الله عليه وسلم قال : « يا أيها الناس إنى قد تركت فيكم الثقلين كتاب الله وسنتى ، فاستنطقوا القرآن بسنتى ولا تعسفوه ، فإنه لن تعمى أبصاركم ، ولن تزل أقدامكم ، ولن تقصر أيديكم ما أخذتم بهما »[2] .

إنه صلى الله عليه وسلم يبيّن أن السنة توضح القرآن الكريم ، وأن أى بُعد عن الكتاب والسنة يورث الضلال والزيغ « فإنه لن تعمى أبصاركم ... ما أخذتم بهما » يورث الخطأ والجهل .

٥ - حديث عبدالله بن عمرو عنه صلى الله عليه وسلم قال : « ... من كانت فترته إلى سنتى فقد أفلح ، ومن كانت إلى غير ذلك فقد هلك »[3] .

أى من استقام خطه على السنة فقد فاز ، أما من سار على غير السنة فقد هلك .

هذه الأحاديث تبين بجلاء أن ترك السنة ضلال يجعل صاحبه من أهل النار ، تبين أن ترك السنة هلاك ، وغير هذه الأحاديث أحاديث أخرى تحذر من مخالفة السنة أذكر منها :

٦ - حديث أنس بن مالك رضى الله عنه : « جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبى ﷺ يسألون عن عبادة النبى ﷺ ، فلما أُخبروا كأنهم تقالُّوها ، فقالوا : وأين نحن من النبى ﷺ ؟ قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر . قال أحدهم : أما أنا فأنا أصلى الليل أبداً . وقال آخر : أنا أصوم الدهر ولا أفطر . وقال آخر : أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً . فجاء رسول الله ﷺ فقال أنتم الذى قلتم كذا وكذا ؟ أما والله إنى لأخشاكم لله وأتقاكم له ، لكنى أصوم وأفطر ، وأصلى وأرقد ، وأتزوج

---

(١) تقدم فى الموضوع السابق - الأمر باتباع السنة - حديث رقم ١١ ص ١٠٦.
(٢) تقدم فى الموضوع السابق - الأمر باتباع السنة - حديث رقم ١٣ ص ١٠٧.
(٣) تقدم فى الموضوع السابق - الأمر باتباع السنة - حديث رقم ١٤ ص ١٠٨.

النساء ، فمن رغب عن سنتى فليس منى »[1] .

والشاهد فى الحديث قوله صلى الله عليه وسلم : « فمن رغب عن سنتى فليس منى » وفعل « رغب » يحدد معناه حرف الجر الذى بعده « فرغب عن كذا » معناه أعرض عنه و « رغب فى كذا » معناه أقبل عليه ، وعليه فمعنى : « من رغب عن سنتى » أى من أعرض عنها . وقوله : « فليس منى » أى ليس على ملتى ، لأن الإعراض عن السنة كفر . هذا هو ظاهر الحديث .

قال الحافظ : وقوله : « فليس منى » إن كانت الرغبة بضرب من التأويل يعذر صاحبه فيه فمعنى : « فليس منى » أى ليس على طريقتى . ولا يلزم أن يخرج من الملة . وإن كان - الرغبة - إعراضاً وتنطعاً يُفضى إلى اعتقاد أرجحية عمله « فليس منى » أى ليس على ملتى لأن اعتقاد ذلك نوع من الكفر[2] . والحافظ يريد أن من تأول شيئاً ، ففهم أمراً من أمور الإسلام على غير ما هو عليه كما فهم هؤلاء الصحابة ، فإن كان الفهم فى دائرة الحب للأحكام ، وفى دائرة الفهم المحتمل للنصوص فإن صاحبه مخالف ، إلا أنها مخالفة لا تؤدى إلى الكفر . أما من خالف مخالفة صريحة للسنة أو رأى غيرها أحسن منها فهذا كافر .

٧ - وعن عائشة - رضى الله عنها - قالت : قال رسول الله ﷺ : « ستة لعنتهم ، ولعنهم الله - وكل نبى مجاب - : المكذب بقدر الله ، والزائد فى كتاب الله ، والمتسلط بالجبروت يذل من أعز الله ويعز من أذل الله ، والمستحل لحرم الله ، والمستحل من عترتى ما حرم الله ، والتارك لسنتى »[3] .

---

(١) أخرجه البخارى فى النكاح ، باب الترغيب فى النكاح ١٠٤/٩ رقم ٥٠٦٣ .

(٢) فتح البارى ١٠٦/٩ فى شرح الحديث المتقدم .

(٣) أخرجه الحاكم فى المستدرك كتاب العلم باب ستة لعنهم الله ٣٦/١ ، و ٥٢٥/٢ و ٩٠/٤ وصححه ووافقه الذهبى فى الموضع الأول والثانى ، وخالفه فى الأخير ، ٩٠/٤ ، وأخرجه الطبرانى فى الكبير قال فى المجمع ١٧٦/١ وفيه عبيد الله بن موهب قال يعقوب بن شيبة : فيه ضعف ، وضعفه يحيى ابن معين فى رواية ووثقه فى أخرى ، وقال أبو حاتم : صالح الحديث ، ووثقه ابن حبان ، وبقية رجاله رجال الصحيح ، وأخرجه الطبرانى أيضاً فى الأوسط . قال فى المجمع ٢٠٥/٧ ورجاله ثقات ، وأخرجه ابن حبان . راجع الإحسان ٦٠/١٣ ، وقد خَرّجه محققه تخريجاً جيداً ، وتكلم عليه بما أغنانى عن الكلام عليه ، لكنى ذكرت ما فى الطبرانى فى المجمع لأنى لم أجده عنده .

إنه صلى الله عليه وسلم يبين فى هذا الحديث أن التارك للسنة النبوية ملعون ، أى مطرود من رحمة الله ، وفى ذلك من الزجر ما فيه . إنه صلى الله عليه وسلم جعل تارك السنة مع المكذب بالقدر وهو كافر ، ومع خصال هى فى الكفر موغلة ، مما يرهب كل الترهيب من ترك سنته صلى الله عليه وسلم .

٨ - عن المقدام بن معديكرب عن رسول الله ﷺ أنه قال : « إنى أوتيت الكتاب وما يَعْدِلُه ، يوشك شبعان على أريكته أن يقول : بينى وبينكم هذا الكتاب ، فما كان فيه من حلال أحللناه ، وما كان فيه من حرام حرمناه ، ألا وإنه ليس كذلك »[١] .

وقوله : « ألا وإنه ليس كذلك » أى أنه ليس الحلال ما ورد حله فى القرآن فقط فقد ورد حل أشياء فى السنة أيضاً ، ففى القرآن : ﴿**حُرمت عليكم الميتة والدم**﴾[٢] فاستثنت السنة من ذلك أشياء ، فالميتة حرام إلا السمك والجراد فميتتهما حلال . والدم حرام إلا الكبد والطحال فهما حلال ، وذلك لقوله صلى الله عليه وسلم : « أحلت لنا ميتتان ودمان : السمك ، والجراد ، والكبد ، والطحال »[٣] وأيضاً ليس الحرام ما ورد تحريمه فى القرآن فقط ، فقد ورد تحريم أشياء فى السنة ، مثل تحريم زواج البنت على عمتها أو على خالتها ، وتحريم زواج المرأة على بنت أخيها وعلى بنت أختها . فهذا مما ورد تحريمه فى السنة . ولذا جاء فى رواية الترمذى لهذا الحديث - حديث المقدام بن معديكرب - جاء فيه : « وإن ما حرم رسول الله ﷺ كما حرم الله » ، وفى رواية أبى داود ذكر صلى الله عليه وسلم أشياء مما ورد حكمه فى السنة للدلالة على أن السنة أيضاً مصدر للتحليل والتحريم .

وصدر هذا الحديث : « إنى أوتيت الكتاب وما يعدله » وفى رواية : « ومثله

---

(١) أخرجه ابن حبان فى المقدمة ، باب الاعتصام بالسنة [ فصل فى ] ذكر الخبر المصرح بأن سنن المصطفى ﷺ كلها عن الله لا من تلقاء نفسه ١٨٩/١ ، وأخرجه الترمذى فى العلم باب ما نهى عنه أن يقال عند حديث رسول الله ﷺ ٤٢٦/٧ ، وأخرجه أبو داود فى السنة باب فى لزوم السنة ١٢/ ٣٥٤.

(٢) سورة المائدة الآية : ٣ .

(٣) أخرجه أحمد ٩٧/٢ ، والدارقطنى وابن ماجه ١١٠٢/٢ والبيهقى ٢٥٤/١ ، ٢٥٧/٩وغيرهم أخرجوه مرفوعاً أى مضافاً إلى رسول الله ﷺ ، وموقوفاً أى من كلام عبد الله بن عمر ، وقال البيهقى : ـه حكم الرفع ، وراجع نصب الراية ٢٠١/٤ ، ٢٠٢ ، وفتح البارى ٦٢١/٩ .

معه » يفيد أن الإسلام يؤخذ من القرآن ومن السّنة ، فإن الله أوحى لنبيه القرآن والسنة ، وما دامت السّنة وحياً فإنه لابد من العمل بها . ثم بيّن صلى الله عليه وسلم أن بعض أهل الرفاهية سيدعون إلى بدعة الاكتفاء بالقرآن وترك السنة ، وهو صلى الله عليه وسلم يحذر من هذا ، فإن سنته صلى الله عليه وسلم هى البيان الصادق الوافى للقرآن الكريم .

وهكذا تحذر الأحاديث مع الآيات القرآنية من مخالفة السّنة ، وتبين أن مخالفتها زيغ وضلال ، وأن الله - تبارك وتعالى - قد توعد من خالف رسوله صلى الله عليه وسلم .

## التحذير من بدائل السنة

ولم تقف الأحاديث النبوية عند حد الأمر باتباع السّنة ، والتحذير من مخالفتها ، وإنما تعدت ذلك إلى التحذير من بدائلها ، فحذرنا صلى الله عليه وسلم من :

- الكذب عليه صلى الله عليه وسلم .
- ومن التعبد بالرأى الذى لا أصل له من الكتاب ولا من السّنة .
- ومن استحداث أمر فى الدين - البدع - .

### التحذير من الكذب عليه :

- فعن على - رضى الله عنه - قال : قال النبى ﷺ : « لا تكذبوا علىّ ، فإنه من كذب علىّ فليلج النار »[1] وقوله : « فليلج » هو أمر بمعنى الخبر ، أى أن الكاذب سيدخل النار بسبب كذبه .

- وعن عبدالله بن الزبير بن العوام رضى الله عنهما قال : قلت للزبير إنى لا أسمعك تحدث عن رسول الله ﷺ كما يحدث فلان وفلان . قال : أما إنى لم أفارقه ، ولكنى سمعته يقول : « من كذب علىّ فليتبوأ مقعده من النار »[2] وقوله : « فليتبوأ مقعده » أى فليتخذ لنفسه مقعداً فى جهنم .

---

(١) أخرجه البخارى فى العلم ، باب إثم من كذب على النبى ﷺ ١٩٩/١ حديث ١٠٦ .
(٢) المصدر السابق حديث ١٠٧ .

– وعن أنس بن مالك قال : إنه ليمنعنى أن أحدثكم حديثاً كثيراً أن النبى ﷺ قال : « من تعمد علىّ كذباً فليتبوأ مقعده من النار »[1] .

– وعن سلمة بن الأكوع قال : قال رسول الله ﷺ : « من يقل علىّ ما لم أقل فليتبوأ مقعده من النار »[2] .

– وعن المغيرة بن شعبة – رضى الله عنه قال : سمعت النبى ﷺ يقول : « إن كذباً علىّ ليس ككذب على أحد ، من كذب علىّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار »[3] .

– وعن المغيرة وعن سَمُرة بن جندب قالا : قال رسول الله ﷺ : « من حدث عنى بحديث يُرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين »[4] .

ضبط « يُرى » بضم الياء بمعنى يظن . وضبط « يَرى » بفتح الياء بمعنى يعلم . وأيضاً « الكاذِبين » ضبط بكسر الباء جمع كاذب . وضبط « الكاذبَيْن » بفتح الباء مثنى كاذب . وفى كلا الأحوال المعنى واضح ، وهو : من حدّث بحديث عن رسول الله ﷺ يظنه مكذوباً أو متيقناً كذبه فهو آثم ، وإثمه كما فى الأحاديث السابقة يورثه دخول النار . كما جاء فى حديث آخر عند أحمد : عن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال : « ان الذى يكذب على يبنى له بيت فى النار »[5] .

وحديث التحذير من الكذب عليه صلى الله عليه وسلم من الأحاديث التى رويت من طرق كثيرة جداً ، وقد جمع طرقه كثير من الأئمة ، ومن أجمعهم ابن الجوزى فى مقدمة كتابه « الموضوعات » أورده فى مقدمة كتابه لبيان شؤم الكذب عليه صلى الله عليه وسلم ، ولقد تكلم عليه الحافظ ابن حجر بإيجاز شديد جداً ، إلا أنه مفيد للغاية[6] .

---

(١) المصدر السابق حديث ١٠٨ . (٢) المصدر السابق حديث رقم ١٠٩ ، وراجع جامع الأصول ٦٠٩/١٠ .

(٣) أخرجه البخارى فى الجنائز ، باب ما يكره من النياحة على الميت ١٦٠/٣ حديث ١٢٩١ .

(٤) أخرجه مسلم فى مقدمة صحيحه ، باب وجوب الرواية عن الثقات وترك الكذابين ٨/١ ، ٩ .

(٥) أخرجه أحمد ٢٢/٢ ، ١٠٣ ، ١٤٤ .

(٦) وذلك فى شرح حديث أبى هريرة آخر حديث فى باب إثم من كذب على النبى ﷺ من كتاب العلم عند البخارى ٢٠٢/١ ، حديث ١١٠ .

إنه صلى الله عليه وسلم يبيّن في هذه الأحاديث أن الكذب عليه ليس كأى كذب ، فإن الكذب عليه كذب على الله سبحانه وتعالى ، لأنه صلى الله عليه وسلم رسول الله ، والمبلغ عن الله ، فلا يصح أن ينسب إليه إلا ما قاله أو فعله أو أقره . إنه رسول الله ﷺ فالكذب عليه يُدخل صاحبه النار ، فلا يصح أن يُتحدث عنه إلا بما ثبت صدقه ، واطمأننا له .

ولما كان الحديث لا يقبل إلا عن المسلمين الذين يخافون غضب الله وعقابه فإن هذا الحديث يمثل سياجاً عظيماً للسُنة من أن يُزاد فيها أو يحرف فيها . إنه صلى الله عليه وسلم أكد وحذر من التحدث عليه بما لم نتأكد صدقه وهذا ألزم الأئمة بالبحث والتحرى ، والتحقيق والتدقيق .

إنه صلى الله عليه وسلم حث على التبليغ عنه[1] ، لكنه فى نفس الوقت حدد أن لا نتحدث عنه إلا بما نثق فى ثبوته عنه ، حتى إن الصحابة أنفسهم كانوا يتحرزون ويحتاطون عند التحدث عنه صلى الله عليه وسلم ، وسيأتى مزيد لحال الصحابة مع الرواية عنه ، ومزيد لحال المحدثين إن شاء الله تعالى .

والتحذير من الكذب عليه صلى الله عليه وسلم يغلق باب البديل المغاير للسنة النبوية ، فلا يجوز أن ينسب إليه صلى الله عليه وسلم إلا ما قاله ، وعليه فلا يمكن وضع بديل مختلق لسنته صلى الله عليه وسلم .

## التحذير من الرأى :

وكما حذر صلى الله عليه وسلم من الكذب عليه فإنه حذّر أيضاً من الرأى ، فإن الله سبحانه إنما يُطاع بما شرع سبحانه ، وأوحاه إلى رسوله ، فبلغه صلى الله عليه وسلم الأمة .

إن الرأى الذى لا مستند له من كتاب ولا من سنة رأى يورث الضلال :

* فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن الله لا ينزع العلم بعد أن أعطاكموه انتزاعاً ، ولكن ينتزعه منهم مع قبض

(١) كما تقدم فى « الأمر باتباع السنة » .

العلماء بعلمهم ، فيبقى ناس جهال ، يستفتون فيفتون برأيهم فيَضِلّون ويُضِلون » [١] .

إن الذى يجعل رأيه بديلاً للوحى الذى أوحاه الله إلى رسوله إنما هو ضال فى نفسه ، مضل لغيره . والصواب كل الصواب أن ندور فى فلك الوحى من كتاب وسنة نفهم ونعمل ، نستنبط ونمتثل .

• ولقد سئل صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا أهتديتم** ﴾ فقال : « بل ائتمروا بالمعروف ، وتناهوا عن المنكر ، حتى إذا رأيت شحاً مطاعاً [٢] ، وهوى متبعاً [٣] ، ودنيا مؤثرة [٤] ، وإعجاب كل ذى رأى برأيه [٥] ، فعليك بخاصة نفسك ودع العوام [٦] ، فإن من ورائكم أياماً الصبر فيهن مثل القبض على الجمر ، للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلاً يعملون مثل عملكم » [٧] .

إنه صلى الله عليه وسلم يحذر من هذه الأربع : الشح المطاع ، والهوى المتبع ، وإيثار الدنيا ، والإعجاب بالرأى الذى لا مستند له من كتاب أو سنة ، يحذر من هذه الأربع فإنها قاصمة ، فإنها تبعد أصحابها عن الصراط المستقيم ، وتصل بهم إلى الضلال وعبادة غير الله ﴿ **أرأيت من اتخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا * أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا** ﴾ [٨] .

---

(١) أخرجه البخارى فى الاعتصام بالكتاب والسنة ، باب ما يذكر من ذم الرأى وتكلف القياس ٢٨٢/١٣، وتقدم عنده فى العلم ، باب كيف يقبض العلم ١٩٤/١ ، وراجع شرح هذا الحديث وما فى موضوعه فى فتح البارى فهو مفيد فى هذا الموضوع ، فتح البارى ٢٨٢/١٣ -٢٩٣ .

(٢) **الشح** : أشد البخل ، و« شحاً مطاعاً » أى بخلاً شديداً يطيع الناس أنفسهم فيهم ولا ينكرونه .

(٣) أى أن الناس يتبعون أهواءهم .

(٤) أى أن الناس يفضلون الدنيا على الدين .

(٥) أى أن الناس يستحسنون آراءهم ويعجبون بأفكارهم ، ولا يرجعون إلى الكتاب والسنة .

(٦) أى الزم نفسك فوطنها على الحق ، واترك أمر عوام الناس الذين لا يحتكمون إلى الكتاب والسنة ، أما الخواص الملتزمون بالكتاب والسنة فكن معهم فى الحق .

(٧) أخرجه الترمذى فى تفسير القرآن فى سورة المائدة ٤٢٣/٨ - ٤٢٥ وقال : حسن غريب وأخرجه أبو داود فى الملاحم باب الأمر والنهى ٤٩٣/١١ .

(٨) سورة الفرقان الآيتان : ٤٣ ، ٤٤ .

هكذا يصل الضلال بالناس إذا لم يتبعوا الكتاب والسنة ، يصل بهم الضلال إلى أن يعبدوا أهواءهم !! يصل بهم إلى أن يعبدوا شهواتهم !! فيصبحوا كالأنعام بل أضل من الأنعام ، فإن الأنعام أى البهائم تقوم بما يطلب منها ، أما المتبعون أهواءهم فإنهم لا يقومون بما طلب منهم ، فإن الله قد طلب منهم عبادته فلم يقوموا بذلك ، وإنما عاشوا لشهواتهم ، نسأل الله الهداية والتوفيق .

## وحذر صلى الله عليه وسلم من البدع :

وهى ما أحدث فى الدين ، بمعنى أنه لا أصل له فى القرآن الكريم ، ولا فى السنة النبوية ، ولا فى أفعال الصحابة ، ولا أجمع عليه علماء الأمة .

إنه صلى الله عليه وسلم قد أتم الله به النعمة ، وأكمل به الدين ، فلا يجوز إحداث شىء فى الدين بعده .

* يقول صلى الله عليه وسلم : « عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين فتمسكوا بها ، وعضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة »[1] .

* ويقول صلى الله عليه وسلم : « شر الأمور محدثاتها ، وكل بدعة ضلالة »[2] .

إنه صلى الله عليه وسلم يحذر من إحداث أمر فى دين الله ، فالدين من عند الله أوحاه الله إلى رسوله ، وبلغه صلى الله عليه وسلم الأمة ، وحفظته الأمة قولاً وعملاً .

* فعن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « من أحدث فى أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد »[3] وفى رواية عند مسلم : « من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد » ومعنى « فهو رد » أى فعمله مردود عليه ، ليس من الدين ، ولا أجر له بل هو معاقب . ومعنى الحديث : إن كل مسلم عليه أن يعمل على هدى رسول الله

---

(١) تقدم الحديث كاملاً عن العرياض بن سارية فى موضوع « الأمر باتباع السنة » حديث رقم ١ .

(٢) تقدم مع سابقه .

(٣) أخرجه البخارى فى الصلح باب إذا اصطلحوا على صلح جور ٣٠١/٥ ، وأخرجه مسلم فى الأقضية باب نقض الأحكام الباطلة ١٣٤٣/٣ ، حديث ١٧١٨ ، وأخرجه أبو داود وابن ماجه وأحمد واللالكائى فى شرح اعتقاد أهل السنة ١١٩/١ ، وابن حبان ٢٠٨/١ .

ﷺ غير مبتدع ولا مغير وإلا فهو ضال ، موزور غير مأجور .

- رأى سعيد بن المسيب رجلاً يصلى بعد العصر الركعتين يكثر ، فقال له : يا أبا محمد أيعذبنى الله على الصلاة ؟ قال : لا ، ولكن يعذبك الله بخلاف السُّنة [1] .

ونظر سعيد بن المسيب أيضاً رجلاً يصلى بعد النداء من صلاة الصبح فأكثر الصلاة فحصبه ، ثم قال : إذا لم يكن أحدكم يعلم فليسأل ، إنه لا صلاة بعد النداء إلا ركعتين ، فانصرف فقال : يا أبا محمد أتخشى أن يعذبنى الله بكثرة الصلاة ؟ قال : بل أخشى أن يعذبك الله بترك السنة [2] .

* ويقول صلى الله عليه وسلم : « ومن ابتدع بدعة ضلالة لا يرضاها الله ورسوله كان عليه مثل آثام من عمل بها لا ينقص ذلك من أوزار الناس شيئاً » [3] .

* ويقول صلى الله عليه وسلم : « لكنى أنا أنام وأصلى ، وأصوم وأفطر ، فمن اقتدى بى فهو منى ، ومن رغب عن سنتى فليس منى ، إن لكل عمل شرة ، ثم فترة ، فمن كانت فترته إلى بدعة فقد ضل ، ومن كانت فترته إلى سنة فقد اهتدى » [4] .

إن لكل عمل حدة ونشاطاً زائداً ، ثم فترة يهدأ فيها المتعبد على نشاط معتدل ، فمن اعتدل على بدعة فهو ضال ، ومن اعتدل على سُنة فقد اهتدى .

وهكذا حذر صلى الله عليه وسلم من البدعة ورهب منها .

وبذا يكون صلى الله عليه وسلم قد أغلق الباب تماماً أمام أى بديل للسنة ، فحذر من الكذب عليه ، ومن التعبد بالرأى ، وحذر من إحداث أمر فى الدين ، وبين أن من عمل على غير ما كان صلى الله عليه وسلم فهو ضال ، وعمله مردود عليه .

وهكذا يكون صلى الله عليه وسلم قد حث على العمل بالسنة ، وحذر من بدائلها .

وأسوق هذا الحديث الذى يبين أن الطريق إلى الله واحد ، وهو الذى دعا إليه

---

(١) أخرجه الدارمى فى المقدمة باب ما يتقى من تفسير حديث النبى ﷺ ٩٦/١ رقم ٤٤٢ .
(٢) أخرجه الخطيب فى الفقيه والمتفقه ، باب تعظيم السنن والحث على التمسك بها ١٤٧/١ .
(٣) تقدم فى « الأمر باتباع السنة » حديث رقم ٩ حديث عمرو بن عوف المزنى .
(٤) مسند أحمد ٤٠٩/٥ عن رجل من الأنصار من أصحاب الرسول ﷺ .

رسول الله ﷺ وبيّنه ، وهو المتمثل فى القرآن الكريم والسُّنة النبوية ، وما عداه فإنما توسوس به الشياطين ، وتنادى به الأبالسة .

فعن عبد الله بن مسعود قال : خطّ لنا رسول الله ﷺ خطّاً فقال : « هذا سبيل الله ، ثم خط خطوطاً عن يمينه وعن شماله ثم قال : وهذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه ، ثم تلا : ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [1] .

وإنما وحد « سبيل الله » لأنه طريق واحد ، أما فى طرق الغواية فإنه جاء بها جمعاً « سُبُل » لأن طرق الغواية متعددة .

يقول قتادة فى تفسير هذه الآية : ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِى مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ﴾ يقول : اعلموا أنما السبيل سبيل واحد ، جِمَاعُه الهُدَى [2] ، ومصيره الجنة ، وإن إبليس اشترع سُبُلاً متفرقة ، جِمَاعُها الضلالة ، ومصيرها النار [3] .

والآية المذكورة فى الحديث هى ثالثة ثلاث آيات طلب رسول الله أن نبايعه عليها فهى آية محروص على امتثالها ، وعلى العمل بها .

فعن عبادة بن الصامت قال : قال رسول الله ﷺ : « أيكم يبايعنى على هؤلاء الآيات الثلاث ؟ ثم تلا : ﴿ **قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحسانا ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون ◦ ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتى هى أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف نفساً إلا وسعها وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون ◦ وأن هذا صراطى مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به**

---

(١) أخرجه ابن حبان فى المقدمة ، باب الاعتصام بالسنة ذكر الأخبار عما يجب على المرء من لزوم سنن المصطفى ﷺ ، وحفظه نفسه عن كل من يأباها من أهل البدع وإن حسنوا ذلك فى عينه ، وزينوه ١٨٠/١ والآية التى فى الحديث من سورة الأنعام رقم ١٥٣ .

(٢) أى أن سبيل الله كله هدى .

(٣) ذكره فى الدر المنثور ٥٥/٣ وعزاه لعبد بن حميد وأبى الشيخ .

لعلكم تتقون ﴾ ثم قال : ومن وفىّ بهن آجره الله ، ومن انتقص منهن شيئاً فأدركه الله فى الدنيا كانت عقوبة ، ومن أخّره إلى الآخرة كان أمره إلى الله إن شاء آخذه وإن شاء عفا عنه »[1] .

إنها آية فى غاية الأهمية توصى المسلم أن يلتزم بالكتاب والسُّنة ، فهذا صراط الله الذى لا بديل له ، ودين الله الذى ارتضاه لخلقه ، وقال : ﴿ **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام ديناً** ﴾[2] .

## إجماع الأمة على وجوب العمل بالسنة :

والأمة كلها سلفاً وخلفاً مجمعون على أن السنة النبوية حجة ، يلزمنا العمل بها ومن أنكرها فهو كافر خارج عن الملة . يقول صاحب « حجية السنة »[3] : لا نجد فى كتب الغزالى والآمدى والبزدوى ، وجميع من اتبع طرقهم فى التأليف – من الأصوليين – تصريحاً ولا تلويحاً بأن فى هذه المسألة – ثبوت حجية السنة – خلافاً ، وهم الذين استقصوا كتب السابقين ومذاهبهم وتتبعوا الاختلافات حتى الشاذة منها ، واعتنوا بالرد عليها أشد الاعتناء ، بل نجدهم – فى هذه المسألة – لا يهتمون بإقامة دليل عليها ، وكل ما فعله بعضهم أن ذكر بحث العصمة[4] قبل مباحث السنة ، على سبيل الإشارة إلى ما تتوقف عليه حجية السُّنة فى الواقع ، ولم يقصدوا بذلك الرد على مخالف فى حجيتها ، وكأنهم قصدوا بعدم التصريح بإقامة دليل عليها إكبارها وإجلالها وإعظام شأنها عن أن ينازع فيها منازع ، أو يتوقف فيها متوقف ، بل نجد أن الكمال[5] ينص على

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٤١٧/٥ ، ١٤١٨ رقم ٨٠٧٧ .

(٢) سورة المائدة الآية : ٣ .

(٣) هو المرحوم الشيخ عبد الغنى عبد الخالق من علماء عصرنا ، توفى فى ١٨ من شوال ١٤٠٣هـ ، الموافق ٢٨ من يوليو ١٩٨٣م ، وكان أستاذاً بكلية الشريعة بجامعة الأزهر ، وله مدرسته وتلامذته فى أنحاء العالم الإسلامى .

(٤) عصمة الرسول ﷺ ، وهو أن الله سبحانه وتعالى عصمه – منعه – من أى مخالفة للإسلام ، فلا يفعل باطلاً ، وإنما يجتهد فى الطاعات .

(٥) هو كمال الدين محمد بن عبد الواحد المعروف بابن الهمام أحد أئمة المذهب الحنفى ، وله مؤلفات منها : « التحرير » فى أصول الفقه ، و« فتح القدير » فى الفقه الحنفى ، توفى سنة ٨٦١هـ. ، راجع فى ترجمته الضوء اللامع ١٢٧/٨ .

أنها ضرورة دينية [1] وأن السعد يسبقه إلى ذلك فى التلويح حيث قال : فإن قلت : فما بالهم يجعلون من مسائل الأصول إثبات الإجماع والقياس ، ولا يجعلون منها إثبات الكتاب والسنة كذلك ؟

قلت : لأن المقصود بالنظر فى هذا الفن هى الكسبيات المفتقرة إلى الدليل ، وكون الكتاب والسنة حجة بمنزلة البدهى ، لتقرره فى الكلام ، وشهرته بين الأنام [2] .

وقال ابن حزم : لما بينا أن القرآن هو الأصل المرجوع إليه فى الشرائع نظرنا فيه فوجدنا فيه إيجاب طاعة ما أمرنا به رسول الله ﷺ ، ووجدناه عز وجل يقول فيه واصفاً لرسوله ﷺ : ﴿ **وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يُوحى** ﴾ فصح لنا بذلك أن الوحى ينقسم من الله عز وجل إلى رسوله ﷺ على قسمين :

**أحدهما** : وحى متلو مؤلف تأليفاً معجز النظام وهو القرآن .

**والثانى** : وحى مروى منقول غير مؤلف ولا معجز النظام ، ولا متلو لكنه مقروء ، وهو الخبر الوارد عن رسول الله ﷺ ، وهو المبين عن الله عز وجل مراده منا ، قال الله تعالى : ﴿ **لتبين للناس ما نزل إليهم** ﴾ [3] ووجدناه تعالى قد أوجب طاعة هذا القسم الثانى كما أوجب طاعة القسم الأول الذى هو القرآن ، ولا فرق ، فقال تعالى : ﴿ **وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول** ﴾ [4] فكانت الأخبار التى ذكرنا أحد الأصول الثلاثة التى ألزمنا طاعتها فى الآية الجامعة لجميع الشرائع أولها عن آخرها ، وهى قوله تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله** ﴾ فهذا أصل ، وهو القرآن . ثم قال تعالى : ﴿ **وأطيعوا الرسول** ﴾ فهذا ثان ، وهو الخبر عن رسول الله ﷺ ، ثم قال تعالى : ﴿ **وأولى الأمر منكم** ﴾ [5] فهذا ثالث ، وهو الإجماع المنقول إلى رسول الله ﷺ حكمه .

وصح لنا - بنص القرآن - أن الأخبار هى أحد الأصلين المرجوع إليهما عند التنازع ، قال تعالى : ﴿ **فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر** ﴾ [6] .

---

(١) انظر التحرير ص ٣٠٥ أو التقرير ٢/٢٢٥ .
(٢) التلويح ١/١٣٨ ، وراجع حجية السنة ص ٢٤٨ .
(٣) سورة النحل الآية : ٤٤ .　　(٤) سورة التغابن الآية ١٢ .
(٥) ، (٦) سورة النساء الآية : ٥٩ .

**ثم قال** - ابن حزم - فلم يسع مسلماً يقر بالتوحيد أن يرجع عند التنازع إلى غير القرآن والخبر عن رسول الله ﷺ ، ولا أن يأبى عما وجد فيهما ، فإن فعل ذلك بعد قيام الحجة عليه فهو فاسق ، وأما من فعله مستحلاً للخروج عن أمرهما وموجباً لطاعة أحد دونهما فهو كافر لا شك عندنا فى ذلك .

**ثم قال** : وإنما احتججنا فى تكفيرنا من استحل خلاف ما صح عنده عن رسول الله ﷺ بقول الله تعالى مخاطباً لنبيه ﷺ : ﴿ **فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليما** ﴾ [1] .

قال على - هو ابن حزم - هذه كافية لمن عقل وحذر وآمن بالله واليوم الآخر ، وأيقن أن هذا العهد عهد ربه تعالى إليه ، ووصيته - عز وجل - الواردة عليه ، فليفتش الإنسان نفسه ؛ فإن وجد فى نفسه مما قضاه رسول الله ﷺ فى كل خبر يصححه مما قد بلغه ، أو وجد نصه غير مُسَلِّمة لما جاءه عن رسول الله ﷺ ، ووجد نفسه مائلة إلى قول فلان وفلان ، أو إلى قياسه واستحسانه ، أو وجد نفسه تُحَكِّم فيما نازعت فيه أحداً دون رسول الله ﷺ من صاحب فمن دونه ، فليعلم أن الله تعالى قد أقسم - وقوله الحق - أنه ليس مؤمناً ، وصدق الله تعالى : وإذا لم يكن مؤمناً فهو كافر ، ولا سبيل إلى قسم ثالث [2]

ويقول الغزالى : وقول رسول الله ﷺ حجة ، لدلالة المعجزة على صدقه ، ولأمر الله تعالى إيانا باتباعه ، ولأنه لا ينطق عن الهوى : ﴿ **إن هو إلا وحى يوحى** ﴾ ثم قسم الأخبار إلى متواتر وآحاد ، وكلاهما يجب العمل به [3] .

وإنما بدأت الموضوع بالنقل عن هؤلاء الأعلام ، لما جمعوه ، ولما استقصوه وإلا فإن أصل الموضوع منقول عن كبار السلف ، فإنهم أبانوا حجية السُّنة ، وأنه يجب العمل بها ، وإلا فالكفر والعياذ بالله تعالى .

يقول عبد الله بن مسعود : من سره أن يلقى الله غداً مسلماً فليحافظ على

---

(١) سورة النساء الآية : ٦٥ .

(٢) الإحكام لابن حزم ١/٩٦ - ٩٩ ولقد أطال ابن حزم النفس فى هذا الموضوع فليراجعه من أراد المزيد . ويراجع أيضاً ٢/٧٩ ، ٨٠ .

(٣) المستصفى من علم الأصول لأبى حامد الغزالى ص ١٥٣ - ١٨٠ .

هؤلاء الصلوات حيث ينادى بهن ، فإن الله شرع لنبيكم ﷺ سُنَن الهُدَى ، وإنهن من سنن الهدى ، ولو أنكم صليتم فى بيوتكم كما يصلى هذا المتخلف فى بيته لتركتم سنة نبيكم ، ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم »[1] .

وفى رواية : « ولو تركتم سنة نبيكم لكفرتم »[2] .

إن ابن مسعود هذا الصحابى الجليل يوضح بجلاء أنه يجب اتباع السنة ، وأن تركها ضلال وكفر .

وعن صفوان بن محرز قال : سألت ابن عمر عن صلاة السفر قال : ركعتان من خالف السنة كفر[3] .

هكذا كانوا - رحمهم الله - يحرصون على سنته ، ويرون وجوب العمل بها ، وأن تركها كفر ، ولا غرابة فى هذا فآيات القرآن تحث على اتباعه ، وتأمر بطاعته ، وتحذر من مخالفته صلى الله عليه وسلم ، لقد علموا قدره صلى الله عليه وسلم ، وعلموا حقيقة الإيمان وأنها لا توجد إلا باتباعه صلى الله عليه وسلم فحافظوا على سنته ، وحذروا من مخالفتها .

وإنى وقد بينت النصوص الموجبة لاتباع السنة النبوية ، فذكرت :

- الآيات القرآنية الواردة فى ذلك .
- والأحاديث النبوية الواردة فى ذلك .
- وذكرت إجماع الأمة على وجوب العمل بالسنة .

فإن هناك باباً يؤكد هذا غاية التأكيد ، وهو باب « السنة هى البيان للقرآن الكريم » فهذا البحث يؤكد وجوب العمل بالسنة ، ويبين مكانتها مع القرآن الكريم ، وتفصيل هذا فى العنوان الآتى ، وبالله التوفيق :

---

(١) أخرجه مسلم فى المساجد ، باب صلاة الجماعة من سنن الهدى ٤٥٣/١ ح ٦٥٤/٢٥٧ .

(٢) عند أبى داود فى الصلاة باب التشديد فى ترك الجماعة ٢٥٤/٢ - ٢٥٦ .

(٣) أخرجه ابن عبد البر فى جامع بيان العلم باب فضل السنة ٢٣٨/٢ ، والطبرانى فى الكبير كذا فى مجمع الزوائد ١٥٤/٢ وقال : ورجاله رجال الصحيح ، وأخرجه البيهقى فى الصلاة باب كراهية ترك التقصير .. رغبة عن السنة ١٤٠/٣ .

# السنة البيان الكامل للقرآن الكريم

* الاستدلال من القرآن الكريم
* التحذير من تفسير القرآن بالرأى
* العلاقة بين القرآن والسنة :
  - الموافقـة
  - بيان المجمل
  - التخصيص والتقييد
  - استقلال السنة بأحكام
  - عرض السنة على القرآن
  - تخصيص القرآن للسنة
  - العقل والسنة



# السُّنة البيان الكامل للقرآن الكريم

## الاستدلال من القرآن الكريم :

القرآن الكريم كتاب الله تعالى الذى أنزله على رسوله محمد ﷺ هداية للبشرية ، يأخذ بأيديها إلى الإيمان والحق والخير ، قال الله فيه : ﴿ **كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور** ﴾[1] من ظلمات الكفر والجهل والضلالة إلى نور الإيمان والعلم والهداية[2] .

وهذا القرآن العظيم بيَّن لنا ربنا فيه أن رسول الله ﷺ سيبينه للأمة كما بينه الله - تبارك وتعالى - له .

إننا نلاحظ فى الآية السابقة أن الله هو الذى أنزل القرآن : ﴿ **كتاب أنزلناه** ﴾ وأنزله إلى رسوله محمد ﷺ ﴿ **أنزلناه إليك** ﴾ وهو صلى الله عليه وسلم بما أنزل الله إليه يخرج الناس من الظلمات إلى النور ﴿ **لتخرج الناس من الظلمات إلى النور** ﴾ فمعرفة الله سبحانه وتوحيده ، والاستقامة على دينه - تبارك وتعالى - كل ذلك لا يكون إلا بالتعليم من رسول الله ﷺ ، فهو صلى الله عليه وسلم بكل ما جاء به يخرج الناس من الظلمات إلى النور ، وفى آية أخرى : ﴿ **وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم** ﴾[3] فأسند الهداية إليه صلى الله عليه وسلم ، مما يدل على أنه صلى الله عليه وسلم بكل ما جاء به عن الله سبحانه يهدى إلى صراط مستقيم ، وتأمل قوله تعالى : ﴿ **لتخرج** ﴾ وأيضاً ﴿ **تهدى** ﴾ إن الله سبحانه أسند الفعلين إليه صلى الله عليه وسلم ، فهو بما علمه الله وشرح له صدره يأخذ بيد البشرية إلى الطريق القويم .

وكثير من الآيات تبين هذا بجلاء ، من ذلك :

---

(١) أول سورة إبراهيم .
(٢) راجع تفسير فتح القدير ٣/٩٣ .
(٣) سورة الشورى الآية : ٥٢ .

* قول الله تعالى : ﴿ **وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذى اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون** ﴾ [1] يخاطب الله سبحانه نبيه ﷺ بأنه ما أنزل عليه القرآن لحال من الأحوال ولا لعلة من العلل إلا لعلة التبيين للناس ما اختلفوا فيه من التوحيد وأحوال البعث وسائر الأحكام الشرعية ، أنزله سبحانه هداية ورحمة لمن يؤمن بالله سبحانه ، ويصدق ما جاء به الرسول ﷺ ونزل به القرآن الكريم [2] .

* وقوله سبحانه : ﴿ **وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون** ﴾ [3] أى وأنزلنا إليك القرآن ، ثم بيّن سبحانه وتعالى الغاية المطلوبة من إنزال القرآن عليه صلى الله عليه وسلم فقال: ﴿ **لتبين للناس ما نزل إليهم** ﴾ أى لتبين لكل الناس ما نزل إليهم فى هذا الكتاب من العقائد والأحكام ، والآداب ، تبينه لهم بقولك وفعلك ، فالرسول ﷺ مبين عن الله عز وجل مراده مما أجمله فى كتابه من أحكام الصلاة والزكاة وغير ذلك [4] .

* ويقول الله تعالى : ﴿ **إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله** ﴾ [5] ، فبين ربنا سبحانه أنه أنزل الكتاب إلى رسوله ﷺ ليحكم بين الناس بما ألهمه الله وأرشده ، ليحكم بين الناس بعلوم النبوة التى آتاها الله سبحانه وتعالى له ، وهذا يفيد أنه صلى الله عليه وسلم هو الجدير ببيان القرآن الكريم ، فقد آتاه الله ما يؤهله لذلك .

ومن هنا لما قال رجل لمطرف بن عبد الله : لا تحدثونا إلا بما فى القرآن . قال مطرف : إنا والله ما نريد بالقرآن بدلاً ، ولكنا نريد من هو أعلم بالقرآن منا [6] .

وقال عمر بن الخطاب وهو على المنبر : يا أيها الناس إن الرأى إنما كان من رسول الله ﷺ مصيباً لأن الله - عز وجل - كان يريه ، وإنما هو منا الظن والتكلف [7] .

لقد كان الصحابة كلهم يعلمون أن الله يُرى رسوله ، ومن ثَمّ لما قال عمر

---

(1) سورة النحل الآية : ٦٤ .
(2) راجع فتح القدير ١٧٣/٣ .
(3) سورة النحل الآية : ٤٤ .
(4) فتح القدير ١٦٥/٣ ، والقرطبى ١٠٩/١٠ .
(5) سورة النساء الآية ١٠٥ ، وراجع تفسير الألوسى ٢٠٥/٤ ، وفتح القدير ٥١١/١ .
(6) أخرجه أبو خيثمة فى العلم ص ٢٥ رقم ٩٧ .
(7) جامع بيان العلم ١٦٤/٢ ، والسنن الكبرى للبيهقى ١١٧/١٠ والمدخل له ص ١٨٩ رقم ٢١٠ .

ذلك على المنبر لم يعترض عليه أحد من الحاضرين ، لا من الصحابة ولا من التابعين .

وهكذا تبين هذه الآيات أن رسول الله ﷺ هو الذى يبين للناس القرآن الكريم ، يقرر ربنا ذلك فى كتابه ، والمسلمون جميعاً يعلمون ذلك ويسلمون به .

يقول جابر بن عبدالله يصف حج النبى ﷺ : « فصلى رسول الله ﷺ فى المسجد ثم ركب القَصْواء[1] ، حتى إذا استوت به ناقته على البيداء نظرت إلى مَدِّ بصرى بين يديه من راكب وماش ، وعن يمينه مثل ذلك ، وعن يساره مثل ذلك ومن خلفه مثل ذلك ، ورسول الله ﷺ بين أظهرنا ، وعليه ينزل القرآن ، وهو يعرف تأويله ، وما عمل به من شيء عملنا به ... » الحديث[2] .

تأمل قول الصحابى ( ورسول الله بين أظهرنا ، وعليه ينزل القرآن وهو يعرف تأويله ) إنه صلى الله عليه وسلم هو الذى علمه الله القرآن ، وكل ما من شأنه أن ييسر العمل به ، فعلّمه تأويله ، وأراه ما به يتم الدين .

إن مقتضى إيمانهم برسالته صلى الله عليه وسلم أن يسألوه عن كل ما بدا لهم . إنهم يعلمون أنه رسول الله ﷺ ، يأتيه الوحى فى أى وقت بالقرآن وتأويله ، وبكل ما يتصل ببيان الدين ، ومن هنا سألوا واستفسروا وأجابهم صلى الله عليه وسلم بما به بيّن ووضح ، وأفاد وأجاد ، حتى قال : « قد تركتكم على البيضاء ، ليلها كنهارها ، لا يزيغ عنها بعدى إلا هالك »[3] .

يقول الحافظ ابن كثير : فإن قال قائل : فما أحسن طرق التفسير ؟

**فالجواب** : إن أصح الطرق فى ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن ، فما أُجمِل فى مكان فإنه قد بسط فى موضع آخر ، فإن أعياك ذلك فعليك بالسُّنة ، فإنها شارحة للقرآن وموضحة له ، بل قد قال الإمام أبو عبدالله محمد بن إدريس الشافعى - رحمه الله تعالى - : كل ما حكم به رسول الله ﷺ فهو مما فهمه من القرآن . قال

(١) ناقته صلى الله عليه وسلم .

(٢) أخرجه مسلم فى الحج باب حجة النبى ﷺ ٨٨٦/٢ رقم ١٢١٨/١٤٧ ضمن حديث طويل .

(٣) أخرجه ابن ماجه فى المقدمة باب اتباع سُنة الخلفاء الراشدين ١٦/١ حديث ٤٣ من حديث العرباض بن سارية ، وأخرجه عن أبى الدرداء فى الباب الأول من المقدمة ، وأخرجه أحمد ١٢٦/٤ عن العرباض واللالكائى فى شرح أصول الاعتقاد ٧٤/٢ ، وابن عبدالبر فى جامع بيان العلم ٢٢١/٢ .

الله تعالى : ﴿ **إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيما** ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ **وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذى أختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون** ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ **وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون** ﴾ ولهذا قال رسول الله ﷺ : « ألا إنى أوتيت القرآن ومثله معه » يعنى السُّنة .

والسُّنة أيضاً تنزل عليه بالوحى كما ينزل القرآن ، إلا أنها لا تتلى كما يتلى القرآن ، وقد استدل الإمام الشافعى - رحمه الله تعالى - وغيره من الأئمة على ذلك بأدلة كثيرة ليس هنا موضع ذلك .

والغرض أنك تطلب تفسير القرآن منه ، فإن لم تجده فمن السُّنة ، كما قال رسول الله ﷺ لمعاذ حين بعثه إلى اليمن : « فبم تحكم ؟ قال : بكتاب الله ، قال : فإن لم تجد ؟ قال : بسنة رسول الله ، قال : فإن لم تجد ؟ قال : أجتهد رأيى . فضرب رسول الله ﷺ فى صدره ، وقال : الحمد لله الذى وفق رسول رسول الله لما يرضى رسول الله » وهذا الحديث فى المسند والسنن بإسناد جيد كما هو مقرر فى موضعه [1] .

ويسوق ابن جرير الطبرى آيات في البيان : « **وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون** ﴾ [2] و﴿ **وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذى اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون** ﴾ [3] و﴿ **هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولو الألباب** ﴾ [4] .

ثم يقول : فقد تبين ببيان الله جل ذكره أن مما أنزل الله من القرآن على نبيه ﷺ ما لا يوصل إلى علم تأويله إلا ببيان الرسول ﷺ ، وذلك تأويل جميع ما فيه من وجوه أمره ، واجبه ، وندبه ، وإرشاده وصنوف نهيه ، ووظائف حقوقه وحدوده ، ومبالغ فرائضه ، ومقادير اللازم من بعض خلقه لبعض ، وما أشبه ذلك من أحكام آية، التى لم يُدرك علمُها إلا ببيان رسول الله ﷺ لأمته .

---

(١) أول تفسير ابن كثير ٣/١ .
(٢) سورة النحل الآية ٤٤ ، وقد تقدمت .
(٣) سورة النحل الآية ٦٤ وقد تقدمت .
(٤) سورة آل عمران الآية :٧ .

ثم يقول : وهذا وجه لا يجوز لأحد القول فيه إلا ببيان رسول الله ﷺ بتأويله ، بنص منه عليه ، أو بدلالة قد نصبها دالة أمته على تأويله [1] .

ثم بيّن أن من القرآن ما اختص الله به نفسه ، كوقت قيام الساعة ، والنفخ فى الصور ، فهذا لا بيان له ولا يعلمه إلا الله ، ومن البيان ما يعلمه أهل اللسان ، أى أهل الدراية باللغة العربية .

وهكذا يظهر أن الله سبحانه قد وضح أن بيان القرآن الذى تحتاجه الأمة إنما هو موكول إلى رسول الله ﷺ ، وأبان صلى الله عليه وسلم أن البيان من مهامه ، وأقر معاذاً حينما قال إنه يقضى بالقرآن ثم بالسنة ، على هذا جاء كلام ربنا ، ووضحه نبينا ، وعليه أئمتنا وعلماؤنا جميعاً يؤمنون بأن بيان القرآن إنما هو من السنة النبوية .

ويقول سبحانه : **﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا﴾** [2] .

فأمر سبحانه وتعالى بطاعته ، وأمر بطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم وأولى الأمر منا .

ونلاحظ أن الله سبحانه أعاد الفعل « أطيعوا » مع الرسول ﷺ ، ولم يعده مع أولى الأمر ، وهذا يفيد أن رسول الله ﷺ يُطاع فيما جاءنا به استقلالاً ، فإذا أمر أو نهى بما ليس فى القرآن فعلينا أن نتبعه ، أما أولو الأمر وهم العلماء فإنهم يطاعون ، لكن طاعتهم ليست مستقلة عن طاعة الله وطاعة رسوله ، ولذا لم يُعد ربنا سبحانه الأمر بالطاعة مع أولى الأمر ، فإنهم إنما يطاعون فى حدود طاعة الله ورسوله .

لقد أمر ربنا سبحانه وتعالى بطاعته ، وأمر بطاعة رسوله ، وأعاد الفعل « أطيعوا » مع الرسول ﷺ، وما ذلك إلا لأنه رسوله ومصطفاه أوحى إليه وعلمه ، وألهمه الدين وأحكمه ، ووكل إليه البيان للأمة .

ثم أمرنا سبحانه وتعالى برد ما نتنازع فيه إلى الله ورسوله ، وعلماء الأمة مجمعون على أن الرد إلى الله هو الرد إلى كتابه ، والرد إلى الرسول ﷺ هو الرد إليه نفسه فى حياته وإلى سنته بعد وفاته .

---

(1) مقدمة تفسير الطبرى ١/٣٢ ، ٣٣ . (2) سورة النساء الآية ٥٩ .

وحثنا ربنا على ذلك - رد المتنازع فيه إلى الكتاب والسنة - فقال : ﴿ **ذلك خير وأحسن تأويلا** ﴾ أى ذلك خير لنا فى العاجل ، وأحسن تأويلا فى العاقبة .

وتأمل قوله سبحانه : ﴿ **فإن تنازعتم فى شىء** ﴾ أى شىء من أمور الدين ، ذلك أن « شىء » نكرة فى سياق الشرط فتعم ، فهذا يدل على أن القرآن والسُّنة فيهما الدين كله .

وفى قول الله سبحانه : ﴿ **فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى اللّه والرسول إن كنتم تؤمنون باللّه واليوم الآخر** ﴾ فى ذلك دليل على أن المؤمنين عليهم أن يحتكموا فى كل أمور دينهم إلى القرآن والسُّنة ، فإن فعلوا ذلك فهم مؤمنون ﴿ **فردوه إلى اللّه والرسول إن كنتم تؤمنون باللّه واليوم الآخر** ﴾ أما إذا لم يردوا ما تنازعوا فيه إلى القرآن والسُّنة فليسوا بمؤمنين .

وهكذا يجب علينا أن نأخذ ديننا من القرآن والسنة ليس إلا ، أما من رام الاحتكام إلى غيرهما فإن الله نفى عنه صفة الإيمان فى هذه الآية ، ونص على نفاقه وكفره فى الآيات التالية لهذه الآية ، وبين أنه لا إيمان إلا لمن رضى بحكم رسول الله ﷺ رضاء تاماً وسلم به تسليماً .

يقول سبحانه بعد الآية السابقة : ﴿ **ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً . وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل اللّه وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا . فكيف إذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم ثم جاءوك يحلفون باللّه إن أردنا إلا إحساناً وتوفيقاً . أولئك الذين يعلم اللّه ما فى قلوبهم فأعرض عنهم وعظهم وقل لهم فى أنفسهم قولاً بليغا . وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن اللّه ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا اللّه واستغفر لهم الرسول لوجدوا اللّه تواباً رحيما . فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليما** ﴾[1] .

---

(١) سورة النساء الآيات ٦٠ - ٦٥ .

إن هذه الآيات تظهر بجلاء وجوب رد المتنازع فيه إلى الكتاب والسُّنة ، وأن بيان الدين إنما هو من رسول الله ﷺ ، لا يصد عن ذلك إلا المنافقون ، ومن لم يسلم به فهو من الكافرين [1] .

* * *

والمتدبر لآيات القرآن الكريم يجد أنها تأمر باتباع السنة كما فى قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ﴾ [2] وفى نفس الوقت تترك مجالاً لها :

فى قول الله تعالى : ﴿ واللاتى يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم فإن شهدوا فأمسكوهن فى البيوت حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلا ﴾ [3] .

بدهى أن القارئ منتظر : ما هى السبيل التى سيجعلها الله لهن . فيجد ذلك فى السُّنة متآخياً مع الآية : يقول صلى الله عليه وسلم : « خذوا عنى ، خذوا عنى ، قد جعل الله لهن سبيلاً . البكر بالبكر جلد مائة ونفى سنة ، والثيب بالثيب جلد مائة والرجم » [4] إننا نشعر باتساق بين الآية والحديث ، وبين النصين ترابط وثيق ، مما يفصح عن علاقة السنة الوطيدة بالقرآن الكريم ، ويُبين أن القرآن ترك للسُّنة موضعاً .

فالآية تفيد أن من وقعت فى جريمة الزنا تحبس حتى تموت ، أو يأتى فى شأنها تشريع من عند الله سبحانه وتعالى ، وتتشوف النفوس إلى هذا التشريع وتنتظره ، فيأتى الحديث مبيناً أن الزانى المحصن - الذى تزوج - حده - جزاؤه - الجلد والرجم ، وغير المحصن - الذى لم يتزوج - حده الجلد وتغريب عام .

فحققت السنة ما شوقت إليه الآية .

* * *

(١) راجع أعلام الموقعين ٤٨/١ - ٥١ .

(٢) ذكرت الكثير من هذه الآيات فى موضوع « وجوب العمل بالسنة » .

(٣) سورة النساء الآية : ١٥ .

(٤) أخرجه مسلم فى الحدود باب حد الزنا ١٣١٦/٣ .

وعلى حين تدل الآيات على أن السُّنة هى بيان القرآن الكريم ، ويدل على ذلك أحاديث رسول الله ﷺ ، فإنه صلى الله عليه وسلم يحذر من التقول عليه ، ومن بيان القرآن بالرأى .

فيقول صلى الله عليه وسلم : « من قال فى القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار »[1] والمعنى : من فسر القرآن بغير دليل ثابت من النقل عن رسول الله ﷺ ، أو بيان مجمل ، أو تخصيص عام ، أو فسره من جهة اللغة العربية وهو ليس حجة فيها ، أو استنبط أحكاماً منه وهو غير أهل لذلك إذا كان شىء من ذلك فإنه صلى الله عليه وسلم يحذره بأنه بذلك يكون من أهل النار .

إن لتفسير القرآن مؤهلات ، من توافرت فيه جاز له أن يفسر القرآن ، أما من لم تتوافر فيه فليبتعد . ومن أهم شروط المفسر : العلم بسنة رسول الله ﷺ ، كما سبق أن نقلت عن ابن كثير .

ويقول صلى الله عليه وسلم : « اتقوا الحديث عنى إلا ما علمتم فمن كذب علىّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار ، ومن قال فىالقرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار »[2] .

إنه صلى الله عليه وسلم يحث المسلم على أن لا يتحدث بحديث عنه صلى الله عليه وسلم إلا إذا اطمأن لثبوته عنه صلى الله عليه وسلم ، ويحثه أن لا يتكلم فى القرآن برأيه ، وإنما بعلوم القرآن ، وبعلم السنة التى هى بيان للقرآن الكريم ، وبعلوم العربية ، التى نزل بها القرآن الكريم ، إلى آخر ما قعده أئمة الأمة وارتضوه فى المفسر .

أما من يتحدث عنه صلى الله عليه وسلم بغير ما يعلم صحة نسبته إليه صلى الله عليه وسلم ، ومن يفسر القرآن دون أن يكون أهلاً لذلك ، فهذان أخبر صلى الله عليه وسلم أنهما من أهل النار ، نعوذ بوجه الله منها .

---

(١) أخرجه الترمذى فى تفسير القرآن باب ما جاء فى الذى يفسر القرآن برأيه ٢٧٧/٨ ، وقال : حسن صحيح ، وقال شارحه : وأخرجه أحمد والنسائى وابن جرير .

(٢) أخرجه الترمذى فى الموطن السابق ، وحسنه .

## العلاقة بين السنة والقرآن :

القرآن كلام الله - عز وجل - المنزل على رسوله محمد ﷺ المعجز بلفظه المتعبد بتلاوته ، والسنة وحى الله - عز وجل - إلى رسوله محمد ﷺ .

وحينما أتحدث عن العلاقة بينهما فإنما أتحدث عن العلاقة بين نوعين من أنواع الوحى ، كلاهما من عند الله . فالقرآن نزل بالوحى الجلى إلى رسول الله ﷺ ، والسُّنة وحى من الله إلى رسوله ، منها ما جاءه ابتداء ، ومنها ما أقره الله عليه ، وهو فى كل تصرفاته فى دائرة العصمة الإلهية [1] .

ومن المهم للمسلم أن يفهم علاقة السُّنة بالقرآن ، ليعرف مصدر الحكم الشرعى ، فإنه لا ينبغى أن يؤخذ الحكم من القرآن وحده ، ولا ينبغى أن يؤخذ من السُّنة وحدها ، وإنما يؤخذ الحكم من الكتاب والسنة معاً .

فمهما جمعت من الآيات القرآنية لا تستطيع أن تصلى الصلاة الشرعية ، وإنما لابد من السُّنة ، ومهما جمعت من نصوص السُّنة فإنك بحاجة إلى القرآن الكريم ، مثال ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : « لا تحل الصدقة لغنى ولا لذى مرة سوى » [2] هذا الحديث خصصته الآية : ﴿ **إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل** ﴾ [3] فاستثنت الآية صنف العاملين على الزكاة يأخذ من الزكاة ولو كان غنياً ، فأصبح معنى الحديث : لا تحل الصدقة لغنى إلا إذا استحقها بسبب مشروع .

إن السنة وحى الله إلى رسوله بلغه صلى الله عليه وسلم الأمة ، كما أن القرآن وحى الله إلى رسوله بلغه صلى الله عليه وسلم الأمة ، والكتاب والسُّنة مترابطان ترابطاً قوياً ، وبينهما علاقة وطيدة لابد من مراعاتها عند التدارس والاستنباط .

ويمكن تقسيم العلاقة بين السُّنة والقرآن إلى ثلاثة أنواع :

---

(١) راجع مصدر السنة ص ٤٩ من هذا الكتاب .

(٢) أخرجه أحمد وأبو داود والترمذى والحاكم عن ابن عمر ، وأخرجه أحمد والنسائى وابن ماجه عن أبى هريرة ، الفتح الكبير ٣/٣١٧ .

(٣) سورة التوبة الآية : ٦٠ .

**الأول** : الموافقة ، وذلك أن تتوافق نصوص السُّنة مع نصوص القرآن الكريم ، مثال ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : « بنى الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وحج البيت وصوم رمضان »[1] فهو متفق مع قول الله : ﴿ **فاعلم أنه لا إله إلا الله** ﴾[2] و ﴿ **محمد رسول الله** ﴾[3] و ﴿ **وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة** ﴾[4] .

وقوله صلى الله عليه وسلم : « إذا رأيتم الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا له بالإيمان »[5] فإنه متفق مع قوله تعالى : ﴿ **إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر** ﴾[6] حتى إن بعض روايات الحديث ختمت بالآية .

**الثانى** : بيان المجمل ، وذلك بأن يرد الحكم مجملاً فى القرآن الكريم ، وتأتى التفاصيل فى السُّنة .

فمن أين نعرف تفصيلات الأمر بالصلاة ﴿ **وأقيموا الصلاة** ﴾[7] ؟

من أين نعرف تفصيلات الأمر بالزكاة ﴿ **آتوا الزكاة** ﴾[8] ؟

ومثل هذا كثير فى العبادات ، والمعاملات ، والحدود ، والنكاح ، والطلاق ، والرضاع والميراث ... إلخ .

إن الله أجمل وفصلها رسول الله ﷺ ، فأمرنا ربنا بالصلاة فى كتابه ﴿ **وأقيموا الصلاة** ﴾[9] و ﴿ **حافظوا على الصلوات** ﴾[10] و ﴿ **أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل وقرآن الفجر** ﴾[11] و ﴿ **قد أفلح المؤمنون ٭ الذين هم فى صلاتهم خاشعون ... والذين هم على صلواتهم يحافظون** ﴾[12] .

---

(١) أخرجه مسلم فى الإيمان باب أركان الإسلام ٤٥/١ رقم ٢١ .
(٢) سورة محمد الآية : ١٩ .
(٣) سورة الفتح الآية الأخيرة ورقمها ٢٩ .
(٤) سورة البقرة الآية ٤٣ .
(٥) أخرجه أحمد والترمذى وابن ماجه وابن خزيمة وابن حبان والحاكم والنسائى والبيهقى عن أبى سعيد .
(٦) سورة التوبة الآية ١٨ .
(٧ - ٩ ) سورة البقرة الآية ٤٣ .
(١٠) سورة البقرة الآية ٢٣٨ .
(١١) سورة الإسراء الآية : ٧٨ .
(١٢) أول سورة المؤمنون .

إلا أن كل هذا وأمثاله أمر مجمل نحتاج تفصيله ، فنبحث عن تفصيله فى القرآن الكريم فنجد تفصيلاً وسطاً ، فلا هو بالمتروك تماماً بحيث نفسر الصلاة بالدعاء أو الطاعة ، ولا هو بالتام بحيث يعطينا تفصيلاً كافياً .

إن القرآن يتحدث عن توقيت الصلاة ﴿ **إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتا** ﴾ [1] ويتحدث عن القبلة : ﴿ **فولّ وجهك شطر المسجد الحرام** ﴾ [2] .

ويتحدث عن المساجد : ﴿ **إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين** ﴾ [3] .

ويتحدث عن صلاة الجماعة ﴿ **واركعوا مع الراكعين** ﴾ [4] و ﴿ **وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم فإذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم** ﴾ [5] .

إن هذه الآيات تحتم أن هناك عبادة لها هيئة تتفق مع هذه التوصيفات فمن أين نأتى بهذه العبادة ؟

إن السُّنة النبوية قد بينت ذلك بكل دقة ، فأبان صلى الله عليه وسلم أن الصلاة التى فرضها الله خمس صلوات فى اليوم والليلة ، وبيَّن أوقاتها ، وعدد ركعاتها ، وصفة كل ركعة ، وبيّن شروط صحتها ، وشروط وجوبها ، وصفة صلاة السفر وصلاة الحضر ، وهكذا بيّنها بكل دقة ، وقال : « صلوا كما رأيتمونى أصلى » .

ومثل هذا يقال فى الزكاة فقد جاء الأمر بها مجملاً فى عدد من المواضع فى القرآن الكريم ، ففسر صلى الله عليه وسلم الزكاة بسنته ، فأخبر أن الزكاة إنما تجب فى بعض الأموال دون بعض على الأوقات والحدود التى حدها وبينها ، فأوجب الزكاة فى الذهب والفضة والإبل والبقر والغنم ، وحدد الزروع التى تجب فيها الزكاة .

---

(١) سورة النساء الآية : ١٠٣ .
(٢) سورة البقرة الآية : ١٤٤ .
(٣) سورة التوبة الآية : ١٨ .
(٤) سورة البقرة الآية : ٤٣ .
(٥) سورة النساء الآية : ١٠٢ .

ثم حدد الأنصبة ، فليس فى كل ذهب زكاة ، وإنما إذا بلغ النصاب ، وليس فى كل فضة زكاة وإنما إذا بلغت النصاب ، وليس فى كل الإبل زكاة ، وإنما إذا بلغت النصاب ، وإذا بلغت النصاب وجب فيها كذا فى كل حول مرة ، وفى الزروع كلما حصد زرعاً ، أوَجذَّ نخلاً كل هذه التفصيلات وغيرها إنما هى من سنة رسول الله ﷺ [1] .

ومثل هذا يقال فى البيوع فقد قال الله تعالى : ﴿ **وأحل الله البيع وحرم الربا** ﴾ [2] ولم يفسر ربنا لنا الربا فى القرآن الكريم ، وإنما فسرها لنا سبحانه على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم .

إن هذا الإجمال ﴿ **وحرم الربا** ﴾ من أين بيِّن ؟ وبخاصة أن السُّنة قد بينته ؟ بدهى أنه يبين من السنة النبوية ، سُنة من قد أوصانا ربنا باتباعه فقال : ﴿ **واتبعوه لعلكم تهتدون** ﴾ [3] وقال سبحانه : ﴿ **وإن تطيعوه تهتدوا** ﴾ [4] وأمره سبحانه أن يبلغنا ﴿ **واتبعون هذا صراط مستقيم** ﴾ [5] .

إن هذه الإجمالات وتفصيلاتها من السنة تدل دلالة واقعة على أن السنة تبين لنا القرآن الكريم ، وأن الدين إنما يؤخذ من القرآن والسنة كليهما .

وعلى هذا كان سلف الأمة الصالح . قال رجل لعمران بن الحصين [6] : ما هذه الأحاديث التى تحدثوناها وتركتم القرآن ؟ وفى رواية : إنكم تحدثونا بأحاديث لم نجد لها أصلاً فى القرآن ! فغضب عمران وقال للرجل : قرأت القرآن ؟ قال نعم . قال : فهل وجدت فيه صلاة العشاء أربعاً ؟ ووجدت المغرب ثلاثاً ، والغداة ركعتين ، والظهر أربعاً ، والعصر أربعاً ؟ قال : لا . قال : فَعَمَّنْ أخذتم ذلك ؟ ألستم عنا - أى الصحابة - أخذتموه ، وأخذناه عن رسول الله ﷺ ؟

---

(١) راجع السنة للمروزى ص ٣٦ باب ذكر السنن التى هى تفسير لما افترضه الله مجملاً .

(٢) سورة البقرة الآية ٢٧٥ . (٣) سورة الأعراف الآية ١٥٨ .

(٤) سورة النور الآية : ٥٤ . (٥) سورة الزخرف الآية ٦١ .

(٦) صحابى جليل أسلم عام خيبر ، وكان حامل راية قبيلته خزاعة يوم فتح مكة ، وأرسله عمر إلى أهل البصرة ليفقههم ، وكان مجاب الدعوة . مات سنة اثنتين وخمسين ، ترجمته فى الإصابة ٧٠٥/٤ ، وفى تهذيب الكمال ٣١٩/٢٢ .

أوجدتم فيه - أى القرآن - من كل أربعين شاة شاة[1] وفى كل كذا بعير كذا، وفى كل كذا درهماً كذا[2] ؟ قال : لا قال : فَعَمَّنْ أخذتم ذلك ؟ ألستم عنا أخذتموه ، وأخذناه عن النبى ﷺ ؟

وقال : وجدتم فى القرآن ﴿وليطوّفوا بالبيت العتيق﴾ أوجدتم فيه فطوفوا سبعاً ، واركعوا ركعتين خلف المقام ؟

أوجدتم فى القرآن لا جلب ، ولا جنب[3] ولا شغار[4] فى الإسلام ؟

أما سمعتم الله قال فى كتابه : ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾ ؟

قال عمران : فقد أخذنا عن رسول الله ﷺ أشياء ليس لكم بها علم .

قال الرجل لعمران : أحييتنى أحياك الله .

قال الحسن : فما مات هذا الرجل حتى صار من فقهاء المسلمين[5] .

وفى رواية أن عمران قال له : إن كتاب الله أحكم ذلك ، وإن السنة تفسر ذلك[6] .

وفى رواية قال عمران : أى قوم ، خذوا عنا ، فإنكم والله إن لا تفعلوا لتضلن[7] .

وفى رواية : اتبعوا حديثنا وما حدثناكم وإلا والله ضللتم[8] .

---

(١) أى أن نصاب الغنم أربعون وفيها شاة ؟ .

(٢) هل بين القرآن أنصبة الزكاة والواجب فيها ؟

(٣) الجلب : أن يحضر صاحب المال بهائمه لجامع الزكاة فى مكانه ليأخذ زكاتها ، والجنب : أن تكون البهائم فى مكان بعيد ويطلب صاحبها من جامع الزكاة أن يذهب إليها ، فالنهى عن الجلب رأفة بصاحب المال ، والنهى عن الجنب رأفة بجامع الزكاة .

(٤) الشغار : أن يزوج الرجل ابنته لآخر على أن يزوجه الآخر ابنته .

(٥) ذكره فى مفتاح الجنة ص ٦ ، وعزاه للبيهقى فى المدخل الصغير ، وهو فى مدخل دلائل النبوة ٢٥/١ وأخرجه الحاكم فى المستدرك ١٠٩/١ وأخرجه الخطيب فى الكفاية باب تخصيص السنة بعموم محكم الكتاب ص ٤٨ ، وأخرجه أبو داود مختصراً فى الزكاة باب ما تجب فيه الزكاة ٤٢٣/٤ ، وأخرجه الآجرى فى الشريعة ١٧٩٨ .

(٦) عند الآجرى. (٧) الكفاية ص ٤٨ .

(٨) الكفاية ص ٤٨ ، ٤٩ .

إن هذا السؤال ورد على ذهن التابعى فسأل الصحابى : لماذا الأحاديث ، أما يمكن أن نكتفى بالقرآن ؟

فأجابه الصحابى : بأن السنة هى التى تبين القرآن ، وضرب له أمثلة من هذا البيان جعلت الرجل يعدل عما كان يفهم .

وعن عبد الرحمن بن مهدى : الرجل إلى الحديث أحوج منه إلى الأكل والشرب ، وقال : الحديث يفسر القرآن [(١)] .

ويقول عمر بن عبد العزيز : لا عذر لأحد بعد السنة فى ضلالة ركبها يحسب أنها هدى [(٢)] .

إن السُّنة قد وضّحت الطريق ، وبينت مجمل القرآن ، فعلى المسلم أن يتبعها مع القرآن ، ففى ذلك الخير والهدى .

ويقول الشافعى : جميع ما تقوله الأمة شرح للسُّنة [(٣)] ، وجميع السُّنة شرح للقرآن [(٤)] ، ويقول أيضاً : إن الله - جل ثناؤه - وضع رسوله موضع الإبانة لما افترض على خلقه فى كتابه ، ثم على لسان نبيه ﷺ ، وإن لم يكن ما افترض على لسانه نصاً فى كتاب الله ، فأبان فى كتابه أن رسول الله ﷺ يهدى إلى صراط مستقيم ، صراط الله ، ففرض على العباد طاعته ، وأمرهم بأخذ ما آتاهم والانتهاء عما نهاهم عنه [(٥)] .

ويقول ابن تيمية : يجب أن يُعْلم أن النبى ﷺ بيّن لأصحابه معانى القرآن ، كما بيّن لهم ألفاظه ، فقوله تعالى : ﴿ **لتبين للناس ما نزل إليهم** ﴾ [(٦)] يتناول هذا وهذا [(٧)] .

---

(١) الكفاية ص ٤٩ .

(٢) السنة للمروزى ص ٣١ رقم ٩٥ .

(٣) أى أن كثيراً من العلوم إنما هى من استفادة العلماء من السُّنة النبوية .

(٤) الإتقان ٢٨/٤ .

(٥) أول كتاب اختلاف الحديث للشافعى ، وهو مطبوع مع الأم ٤٧٥/٥ .

(٦) سورة النحل الآية ٤٤ .

(٧) أى أنه صلى الله عليه وسلم بيّن لهم القرآن الكريم بمعنى قرأه عليهم ، وبيّن لهم بمعنى وضح معانيه . فقوله : ﴿ **لتبين لناس ما نزل إليهم** ﴾ يشمل كل بيان ، فالبيان أقسام ، كلها قام به صلى الله عليه وسلم . راجع أقسام البيان فى أعلام الموقعين ٣١٤/٢ .

وقد قال أبو عبدالرحمن السلمى [1] : حدثنا الذين كانوا يقرئوننا القرآن كعثمان بن عفان ، وعبد الله بن مسعود ، وغيرهما أنهم كانوا إذا تعلموا من النبى ﷺ عشر آيات لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل جميعاً .

ولهذا كانوا يبقون مدة فى حفظ السورة .

وقال أنس : كان الرجل إذا قرأ البقرة وآل عمران جل فى أعيننا [2] .

وأقام ابن عمر على حفظ البقرة عدة سنين ، قيل ثمان سنين ذكره مالك [3] وذلك أن الله تعالى قال : ﴿ **كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدَّبَّروا آياته** ﴾ [4] وقال : ﴿ **أفلا يتدبرون القرآن** ﴾ [5] ، وقال : ﴿ **أفلم يدَّبَّروا القول** ﴾ [6] وتدبر الكلام بدون فهم معانيه لا يمكن .

وكذلك قال الله تعالى : ﴿ **إنا أنزلناه قرآنا عربياً لعلكم تعقلون** ﴾ [7] .

وعقل الكلام متضمن لفهمه .

ومن المعلوم أن كل كلام فالمقصود منه فهم معانيه دون مجرد ألفاظه ، فالقرآن أولى بذلك .

وأيضاً فالعادة تمنع أن يقرأ قوم كتاباً فى فن من العلم ، كالطب ، والحساب ، ولا يستشرحوه ، فكيف بكلام الله تعالى الذى هو عصمتهم ، وبه نجاتهم وسعادتهم وقيام دينهم ودنياهم [8] ا هـ .

---

(١) هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن حبيب بن ربيعة الكوفى من أولاد الصحابة ، وُلِدَ فى حياة النبى ﷺ ، قرأ القرآن ، وجوّده ومهر فيه ، وقرأه على عدد من الصحابة ، وتعلم عليه كثيرون من صغار الصحابة ومن التابعين ، ومن أشهر من أخذ عنه القرآن الإمامان الجليلان سبطا رسول الله ﷺ الحسن والحسين ، وأخذ عنه الإمام عاصم بن أبى النجود والإمام الشعبى ، جلس لتعليم القرآن أربعين عاماً . راجع ترجمته فى سيرة أعلام النبلاء ٢٦٧/٤ .

(٢) أى عظم قدره .

(٣) فى الموطأ كتاب القرآن باب ما جاء فى القرآن ٢٠٥/١ .

(٤) سورة ص ، الآية : ٢٩ .

(٥) سورة النساء الآية ٢٨ ، وسورة محمد الآية ٢٤ .

(٦) سورة المؤمنون الآية ٦٨ .

(٧) سورة يوسف الآية : ٢ .

(٨) مقدمة فى أصول التفسير لابن تيمية ص ٣٥ – ٣٧ .

وهكذا دلت الآيات على أن السُنة تبين القرآن الكريم ، وهكذا فهم أئمة الأمة ، الصحابة فمن بعدهم .

**الثالث : التخصيص والتقييد** : وذلك بأن يرد الحكم عاماً فى القرآن الكريم فتخصصه السنة ، أو يأتى مطلقاً فتقيده ، أو يأتى عاماً فى السنة فيخصصه القرآن ، فمما خصصته السنة وقيدته :

أن يأتى حكم فى القرآن الكريم بإيجاب شىء ، أو تحريمه ، أو إباحته ، ويكون لذلك الحكم شروط وموانع ، وقيود ، وأوقات مخصوصة ، وأحوال ، وأوصاف ، فيبين رسول الله ﷺ كل ذلك .

* قال الله تعالى : ﴿ **يوصيكم اللّه فى أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين** ﴾ (1) ومعنى ذلك أن كل ولد يرث من أبيه ، فالولادة كافية لإثبات الميراث .

* وقال سبحانه : ﴿ **ولكم نصف ما ترك أزواجكم إن لم يكن لهن ولد فإن كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن من بعد وصية يوصين بها أو دين ولهن الربع مما تركتم إن لم يكن لكم ولد فإن كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها أو دين** ﴾ (2) .

فأثبت سبحانه وتعالى فى هذه الآية ميراثاً بين الزوجين ، فالزوج يرث من زوجته مطلقاً ، والزوجة لها ميراثها فى زوجها مطلقاً .

فبينت السنة أن الابن يرث بشرط أن يكون مسلماً ، والزوج والزوجة يرث كل منهما الآخر بشرط الإسلام فقال صلى الله عليه وسلم : « لا يرث المسلم الكافر ، ولا يرث الكافرُ المسلم » (3) .

* وقال الله تعالى : ﴿ **حُرمت عليكم الميتة والدم ...** ﴾ (4) فأفاد ذلك تحريم كل ما هو ميتة وكل ما هو دم ، فقال رسول الله ﷺ - لما سئل أنتوضأ بماء البحر -

---

(1) سورة النساء الآية 11 . (2) سورة النساء الآية : 12 .

(3) أخرجه مسلم فى أول كتاب الفرائض 1233/3 عن أسامة بن زيد ، وأخرجه البخارى فى الفرائض ، باب لا يرث المسلم الكافر 50/12 .

(4) سورة المائدة الآية : 3 .

قال : « هو الطَّهور ماؤه ، الحِلُّ ميتته »[1] وقال صلى الله عليه وسلم : « أحلت لنا ميتتان ودمان ، فأما الميتتان فالحوت والجراد ، وأما الدمان : فالكبد والطحال »[2] ، فأبان صلى الله عليه وسلم أن الميتة كلها حرام إلا السمك والجراد ، وأبان أن الدم كله حرام إلا الكبد والطحال .

• وقال الله تعالى : ﴿ **ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلا ما قد سلف إنه كان فاحشة ومقتاً وساء سبيلا • حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الأخت وأمهاتكم التى أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة وأمهات نسائكم وربائبكم اللاتى فى حجوركم من نسائكم اللاتى دخلتم بهن فإن لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم وأن تجمعوا بين الأختين إلا ما قد سلف إن الله كان غفوراً رحيماً • والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيمانكم كتاب الله عليكم وأحل لكم ما وراء ذلكم** ﴾[3] فبين ربنا - تبارك وتعالى - فى كتابه الكريم أصناف النساء اللاتى يحرم على المسلم أن يتزوجهن ، ثم قال سبحانه : ﴿ **وأحل لكم ما وراء ذلكم** ﴾ وعليه فكل ما لم يذكر فى الآية يحل للمسلم أن يتزوجه إلا أن السُّنة أبانت أن الصنفين المحرمين من الرضاعة وهما ﴿ **وأمهاتكم اللاتى أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة** ﴾ ليس الأمر حكراً عليهما ، وإنما أشار بهما إلى كل القريبات من الرضاعة ، فكل قرابة فى النسب تحرم ، تحرم أيضاً فى الرضاع فقال صلى الله عليه وسلم - حينما عرضوا عليه أن يتزوج بنت عمه حمزة - إنها ابنة أخى من الرضاعة ، وإنه « يحرم من الرضاعة ما يحرم من النسب »[4] فأبان صلى الله عليه وسلم أنه كما تحرم بنت الأخ من

---

(١) أخرجه أبو داود فى الطهارة باب الوضوء بماء البحر ١٥٢/١ عن أبى هريرة ، وأخرجه الترمذى فى الطهارة باب ما جاء فى ماء البحر أنه طهور ٢٢٤/١ ، وقال : حسن صحيح .

(٢) أخرجه ابن ماجه فى الأطعمة باب الكبد والطحال ١١٠٢/٢ عن عبد الله بن عمر ، وأحمد ٩٧/٢ والبيهقى فى الطهارة باب الحوت يموت فى الماء والجراد ٢٥٤/١ أخرجه والذى قبله ، أخرجه مرفوعاً وموقوفاً ، وقال : إنه فى معنى المسند ، وأخرجه فى الصيد باب ما جاء فى أكل الجراد ٢٥٧/٩ مرفوعاً وموقوفاً ، وصحح وقفه .

(٣) سورة النساء الآيات : ٢٢ - ٢٤ .

(٤) أخرجه المروزى فى السنة رقم ٢٩٨ عن ابن عباس ، وأخرجه البخارى فى الشهادات باب الشهادة على الأنساب ٢٥٣/٥ ، ومسلم فى الرضاع باب تحريم ابنة الأخ من الرضاع ١٠٧١/٢ .

النسب تحرم بنت الأخ من الرضاعة ، ثم عمم فبين أن كل قرابة من النسب تحرم ، فمثلها من الرضاعة يحرم أيضاً .

وبين ربنا فى الآيات السابقة أنه يحرم الجمع بين الأختين .. ﴿ **وأن تجمعوا بين الأختين** ﴾ فلا يتزوج المسلم المرأة على أختها لما فيه من إيقاع الضغينة بين الأقارب ، وظاهر الآية أنه يحرم الجمع بين الأختين فقط ، فبين صلى الله عليه وسلم أنه يحرم الجمع أيضاً بين المرأة وعمتها وبين المرأة وخالتها فقال : « لا يجمع بين المرأة وعمتها ، ولا بين المرأة وخالتها [1] ، فلا يتزوج المسلم العمة على بنت أخيها ، ولا البنت على عمتها ولا يتزوج البنت على خالتها ، ولا الخالة على بنت أختها .

وهكذا تبين السُّنة أحكام القرآن ، فتوضح وتبين وتزيد الأمر وضوحاً حتى لا يبقى مجال للتردد أو التساؤل .

والناس فى هذه النماذج من إضافة السُّنة شيئاً مع القرآن الكريم ، كإضافتها حل السمك والجراد ، والكبد والطحال ، وإضافتها تحريم الجمع بين البنت وعمتها ، الناس فى هذا فريقان :

فريق يقول : هذا بيان بينه صلى الله عليه وسلم بوحى الله إليه أشياء فى القرآن الكريم ، فالتحريم بالرضاع ثابت إلا أنه وضحه ، والتحريم بعلة القرابة ثابت بتحريم الجمع بين الأختين ، فبين صلى الله عليه وسلم أنه علة القرابة تتعدى الأختين إلى العمة والخالة ، إنها أمور تحكم بها الفطرة السليمة ، ولو لم يقلها صلى الله عليه وسلم لتساءلنا عنها كثيراً .

وفريق آخر يقول : هذا نسخ ، نسخت السُّنةُ عموم الحكم وخصصته ، وهنا كلام كثير : هل التخصيص بيان أو نسخ ؟ والذى يترجح أنه بيان فإن السُّنة لم تنسخ ﴿ **وأحل لكم ما وراء ذلكم** ﴾ وإنما خصصته .

إلا أن البعض يثير المسألة بحساسية فيقول : كيف تنسخ السنة القرآن الكريم ؟ إن القرآن كلام الله فلا تنسخه أحاديث رسول الله ﷺ .

---

(١) أخرجه المروزى فى السنة ٢٧١ عن أبى هريرة ، وهو عند البخارى فى النكاح باب لا تنكح المرأة على عمتها ٩/١٦٠ ، وعند مسلم فى النكاح باب تحريم الجمع بين المرأة وعمتها ٢/١٠٢٨ .

ويثيرون المسألة وكأنها تعد أو تعال وليس الأمر كذلك ، وإنما القرآن الكريم كلام الله وعلى العين والرأس ، والسُنة أيضاً وحى الله إلى رسوله ، فالله سبحانه هو الذى يجمل فى القرآن ويبين فى السنة ، والمجمل أمره سبحانه ، والمفصل أمره سبحانه ، فقوله : ﴿ **حرمت عليكم الميتة والدم** ﴾ [1] هذا أمره سبحانه وتعالى ، واستثناء السمك والجراد والكبد والطحال هذا أمره أيضاً ، فالكل أمر الله إلا أن البعض جاء فى القرآن ، والبعض الآخر جاء فى السنة ، وطاعتنا لرسول الله ﷺ وقبولنا سنته أمر قد أكده علينا ربنا سبحانه وتعالى فى القرآن الكريم ، فالعمل بالسنة عمل بالقرآن الكريم ، والعمل بالسنة طاعة لله تعالى .

ويتساءل البعض : كيف تأتى السنة بجديد ؟

إن السنة تتدخل فى الأحكام ، فتجعل بعض أفراد الحرام حلالاً ، كتحليل السمك من أصناف الميتة .

**والجواب** : لا غرابة فى هذا ، بعد أن نص القرآن على وجوب طاعة رسول الله ﷺ ، ووجوب قبول ما أخبر به أو قضى به . قال تعالى : ﴿ **من يُطع الرسول فقد أطاع الله** ﴾ [2] .

وقال سبحانه : ﴿ **وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا** ﴾ [3] .

وقال سبحانه : ﴿ **فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً** ﴾ [4] .

إن بيان هذه النصوص هو طاعته صلى الله عليه وسلم فيما زادته السنة عن القرآن الكريم ، إن الصواب أن يكون السؤال : أين الجديد فى السُنة الذى نمتثله لنكون قد عملنا بهذه الآيات الآمرة بطاعته صلى الله عليه وسلم ؟

هكذا ينبغى أن يكون السؤال ، والجواب : نعم هناك جديد فى السُنة مثلما قدمت فى بيانها للمجمل ، وتخصيصها للعام .

---

(١) سورة المائدة الآية : ٣ .
(٢) سورة النساء الآية : ٨٠ .
(٣) سورة الحشر الآية : ٧ .
(٤) سورة النساء الآية : ٦٥ .

إنه لا غرابة أن تزيد السُنة شيئاً ما دام الله قد أمرنا بطاعة نبيه ﷺ .

إن الآيات التى أمرت بطاعة رسول الله ﷺ ، والآيات التى أمرت باتباعه صلى الله عليه وسلم ، والآيات التى حذرت من مخالفته ، هذه الآيات جميعها (١) تستلزم أن يكون هناك أمور من الدين تأتى بها السُنة ، وإلا ما معنى الأمر بطاعته صلى الله عليه وسلم .

إن كل ما جاءت به السُنة داخل تحت هذه الآيات بين ذلك رسول الله ﷺ والسلف والخلف على ذلك .

• فعن ابن عمر وابن عباس رضى الله عنهما أنهما شهدا على رسول الله ﷺ أنه نهى عن الدباء والحنتم والمزفت والنقير ثم تلا رسول الله ﷺ : ﴿ **وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا** ﴾ (٢) إن النهى ورد فى القرآن الكريم عن الخمر ، وهنا ينهى صلى الله عليه وسلم عما يؤول حاله إلى الخمر ، فنهى عن وضع النبيذ فى الماء فى الدباء ، وهو حبات القرع يستخرج ما فى داخلها فتصير كالإناء ، ولا ينبذ أيضاً فى الجرار الخضر المصنوعة من الطين والدم والشعر ، ولا فى الإناء المطلى بالزفت من داخله ، ولا فى جزء النخلة إذا قطع ونقر .

إن وضع الماء فى هذه الأوانى ووضع الزبيب فيه يجعل التخمر يحصل سريعاً ، فنهى عنه صلى الله عليه وسلم .

ويتبين أن ما أمر به أو نهى عنه فإنما يجب اتباعه بأمر الله مستدلاً على ذلك بقول الله تعالى : ﴿ **وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا** ﴾ ومعنى « آتاكم » أمركم بقرينة ﴿ **وما نهاكم عنه فانتهوا** ﴾ .

• وعن عبدالله بن مسعود رضى الله عنه قال : « لعن الله الواشمات (٣)

---

(١) سبق أن جمعت قدراً كبيراً من الآيات القرآنية فى وجوب اتباعه صلى الله عليه وسلم ، ووجوب طاعته والتحذير من مخالفته ، وأيضاً من الأحاديث النبوية .

(٢) أخرجه أحمد ١/٣٥٢ .

(٣) الوشم : غرز إبرة فى جسم المرأة فإذا خرج الدم حشى الموضع بأشياء تجعل المكان بعد ذلك أخضر اللون . والواشمة التى تصنع ذلك ، والمتوشمة أو المستوشمة من تطلب من يفعل بها ذلك ، وفيه تغيير لخلق الله فمن هنا نهى عنه .

والموتشمات ، والمتنمصات [١] ، والمتفلجات [٢] للحسن المغيرات خلق الله » فبلغ ذلك امرأة من بنى أسد يقال لها أم يعقوب ، فجاءت فقالت : إنه بلغنى أنك لعنت كيت وكيت [٣] ، فقال : وما لى لا ألعن من لعن رسولُ الله ﷺ [٤] ومن هو فى كتاب الله . فقالت: لقد قرأت ما بين اللوحين [٥] فما وجدت فيه ما تقول . قال : لئن كنت قرأتيه لقد وجدتيه ، أما قرأت : ﴿**وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا**﴾ ؟ قالت : بلى [٦] ، قال : فإنه قد نهى عنه [٧] . قالت : فإنى أرى أهلك يفعلونه [٨] قال : فاذهبى فانظرى ، فذهبت فنظرت فلم تر من حاجتها شيئاً [٩] فقال : لو كانت كذلك ما جامعتها [١٠] .

لقد كان ابن مسعود يَعلم أن قول الله تعالى : ﴿ **وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا**﴾ يشمل كل ما روى عن رسول الله ﷺ ، وأن الله سبحانه وتعالى يأمرنا أن نتبع أمره ونهيه صلى الله عليه وسلم .

• وعن عبد الله بن عباس - رضى الله عنهما - قال : ألم يقل الله عز وجل :

---

(١) **النماص** : إزالة بعض شعر الحاجبين لترفيعهما أو جعلهما على هيئة ما ، وربما إزالة كل شعرهما ، وهو منهى عنه لما فيه من تغيير خلق الله ، وتشبه بالفاجرات ، ولا فائدة فيه عند الزوج لأنه يعلم أنه جمال صناعى .

(٢) **الفلج** : سعة بين السنتين الأماميتين « الثنيتين » من النساء من يوجد فيها من أصل الخلقة ، ومنهن من ليس فيها ذلك ، ومن لها فلج فى شبابها ربما اتصلت ثنيتاها فى الكبر ، فإذا حاولت من ليس لها أو من ضاع منها لكبرها إذا حاولت صناعته فبردت ثنيتها لتجعل بينهما مسافة فهذا منهى عنه .

(٣) أى الواشمات والمتوشمات ... إلخ .

(٤) أى أن رسول الله ﷺ لعن من تشم نفسها أو تطلب من يشمها ولعن النامصة ... إلخ .

(٥) تريد أنها قرأت المصحف فلم تجد فيه لعناً للواشمة ... إلخ .

(٦) أى قد قرأته .

(٧) أى أنه صلى الله عليه وسلم قد نهى عن الوشم ، والنماص ، والله أمرنا أن ننتهى عما نهانا عنه صلى الله عليه وسلم .

(٨) تقول : إنها تظن أن زوجته تفعل الوشم والنماص والفلج .

(٩) لم تجد زوجة عبدالله بن مسعود تفعل شيئاً من ذلك .

(١٠) فى رواية : « ما جامعتنى » وعليه فهو من الاجتماع أى ما أقررتها لى زوجة لئلا أكون مشاركاً فى الإثم ، والحديث أخرجه البخارى فى التفسير باب وما آتاكم الرسول فخذوه ٦٣٠/٨ .

﴿**وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا**﴾ ؟ قلت : بلى [1] . قال : ألم يقل الله : ﴿**وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم**﴾ ؟ قلت : بلى . قال : فإنى أشهد أن نبى الله ﷺ نهى عن النقير ، والمقير ، والدباء ، والحنتم [2] سبق تفسير هذه الكلمات ، وأنها أنواع من الأوانى نهى عن الانتباذ فيها لأنه يسرع إليه التخمر .

وواضح من هذا الحديث أن ابن عباس - رضى الله عنهما - شأنه شأن الصحابة جميعاً ، يفهم من الآيتين وما فى موضوعهما أن الله - تبارك وتعالى - أوجب طاعة رسوله ﷺ ، ومن هنا فطاعة أمره صلى الله عليه وسلم إنما هى عمل بالقرآن الكريم .

لقد فهم الصحابة هذه الآيات الكريمة فى الأمر بطاعة رسول الله ﷺفاحتجوا بها ، وأبانوا أن طاعته صلى الله عليه وسلم إنما هى عمل بالقرآن الكريم .

• وعن عبد الرحمن بن يزيد [3] أنه رأى محرماً عليه ثيابه ، فنهى المحرم فقال : ائتنى بآية من كتاب الله تنزع ثيابى . قال : فقرأ عليه : ﴿ **وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا** ﴾ [4] وهذا الفهم فى التابعين ، فعبد الرحمن هذا تابعى وعلى منوال الصحابة تعلم أن ما حكم به النبى فإنه يُطاع بالقرآن ، فالقرآن يأمرنا بطاعة رسول الله ﷺ .

* * *

---

(١) بلى : جواب استفهام فيه نفى . تثبت ما دخل عليه النفى ، فإذا كان عندك استفهام دخل على نفى مثل : ألم تصلّ ؟ فإن أردت الإثبات قلت : بلى . أى صليت . والمعنى هنا : قال ربنا ذلك ﴿**وما آتاكم الرسول فخذوه ...**﴾ والقائل :هو أنس القيسى البصرى ابن عم أسماء بنت يزيد القيسية ترجمته فى التهذيب ٣٧٩/١ .

(٢) أخرجه النسائى فى الأشربة باب ذكر الدلالة على النهى للموصوف من الأوعية التى تقدم ذكرها كان حتماً لازماً لا على تأديب ٢٧٦/٨ .

(٣) هو عبد الرحمن بن يزيد بن قيس النخعى كوفى تابعى ثقة ، تهذيب التهذيب ٢٩٩/٦ ، وتهذيب الكمال ١٢/١٨ .

(٤) جامع بيان العلم لابن عبد البر ٢٣١/٢ ، والشريعة للآجرى ١٨٠/١ .

## عرض السُّنة على القرآن الكريم :

وقد يقول قائل : كيف تأتى السُّنة بجديد وقد قال رسول الله ﷺ : « ما جاءكم عنى فاعرضوه على كتاب الله ، فما وافقه فأنا قلته ، وما خالفه فلم أقله »[1] ؟

**والجواب** : أولاً إن هذا كلام غير سليم !!

فكيف يقال : إن السنة لا تأتى بجديد ، لأن الرسول ﷺ قال : ما خالف القرآن فلم أقله ؟ إن هذا الجديد لا يخالف القرآن ، والحديث يعترض به لو كان بلفظ : فما كان فيه فأنا قلته ، وما ليس فيه فلم أقله ، وهو فى هذه الحالة يتناقض مع صدر الحديث : « ما جاءكم عنى » إذ كيف تأتينا أشياء عنه وهى فى القرآن ؟ إننا حينئذ نأخذها من القرآن .

إن الجديد الذى فى السنة يبين القرآن ويفسره ، ولا يخالفه ، وعلماء الحديث يشترطون لصحة الحديث : أن لا يكون شاذاً ، ويعنون بـ « الشاذ » الذى يعارض ما هو أقوى منه ، لو أن حديثاً عارض القرآن لحكموا عليه بالشذوذ ، ولا يعمل به ، وإنما يعمل بالقرآن الكريم .

إن هذا الحديث لا يعترض به أبداً ، فإن السُّنة مع القرآن يبين كل منهما الآخر ، ولا تعارض بينهما ألبتة .

قال محمد بن عبدالله بن مسرة : الحديث ثلاثة أقسام :

١ - فحديث موافق لما فى القرآن ، فالأخذ به فرض .

٢ - وحديث زائد على ما فى القرآن ، فهو مضاف إلى ما فى القرآن ، والأخذ به فرض .

٣ - وحديث مخالف لما فى القرآن ، فهو مطرح[2] .

---

(١) سيأتى تخريجه ص ١٥١ ، ١٥٢ فى ثالثاً فى الأصل .

(٢) مطرح يعنى طرحه العلماء ولم يعتبروه ، ولم يقبلوه . وهذا القول ذكره ابن حزم فى الإحكام فصل : وقد ذكر قوم أحاديث فى بعضها إبطال شرائع الإسلام ٨١/٢ .

وقال على بن أحمد : لا سبيل إلى وجود خبر صحيح مخالف لما فى القرآن أصلاً ، وكل خبر شريعة فهو إما مضاف إلى ما فى القرآن ، ومعطوف عليه ، ومفسر لجملته ، وإما مستثنى منه مبين لجملته ، ولا سبيل إلى وجه ثالث [(١)] .

هكذا لا أحاديث تخالف القرآن ، وإنما توافقه ، أو تبينه .

قال الشافعى : وليس يخالف القرآن الحديث ، ولكن حديث رسول الله ﷺ مبين معنى ما أراد الله ، خاصاً وعاماً ، وناسخًا ومنسوخاً ، ثم يلزم الناس ما سُن بفرض الله ، فمن قَبِل عن رسول الله ﷺ فعن الله - عز وجل - قَبِل [(٢)] ا هـ .

ولذا يقول صلى الله عليه وسلم : « ما تركت شيئاً مما أمركم الله به إلا وقد أمرتكم به ، ولا تركت شيئاً مما نهاكم الله عنه إلا وقد نهيتكم عنه » [(٣)] .

ويقول صلى الله عليه وسلم : « إنى والله ما آمركم إلا بما أمركم الله به ، ولا أنهاكم إلا عما نهاكم الله عنه » [(٤)] .

والحديث الأول من هذين الحديثين يدل على أنه صلى الله عليه وسلم بلغنا كل أوامر الله وكل نواهيه ، ولم ينقص شيئاً ، والحديث الثانى يدل على أنه ما أمر إلا بما أمر الله به ، ولا نهى إلا عما نهى الله عنه ، ولم يزد شيئاً .

وهذا يدل على أن القرآن والسُّنة هما الإسلام ، وهما وحى الله إلى نبيه ﷺ ، وأنه صلى الله عليه وسلم إنما هو مبلغ عن الله سبحانه وتعالى .

فإذا أضفنا إلى ذلك - أن القرآن والسُّنة وحى الله إلى نبيه - قول الله تعالى : « **ولو كان من عند غير الله** لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً » [(٥)] لثبت أنه لا يمكن أن

---

(١) ذكره ابن حزم فى الموضع السابق .

(٢) كتاب سير الأوزاعى من الأم ٣٤٠/٧ ، ٣٤١ .

(٣) أخرجه الشافعى فى الرسالة ص ٨٧ . ٩٣ والخطيب فى الفقيه ٢٧٠/١ رقم ٢٧٢ من طريق الشافعى والبيهقى فى السنن ٧٦/٧ ، أخرجوه عن المطلب بن عبد الله بن المطلب بن حنطب ، وهو تابعى . فالحديث مرسل ، وله شواهد كثيرة ساق عدداً منها محقق الفقيه .

(٤) أخرجه الطبرانى فى الكبير ٨٤/٣ رقم ٢٧٣٧ عن الحسن بن على مرفوعاً وذكره فى مجمع الزوائد ٧١/٤، ٧٢ وعزاه للطبرانى فى الكبير وقال : فيه عبد الرحمن بن عثمان الحاطبى ضعفه أبو حاتم .

(٥) سورة النساء الآية ٨٢ .

تختلف السُّنة مع القرآن الكريم ، ولا يختلف حديث مع حديث ، ولا آية مع آية .

**ثانياً** : عرضنا هذا الحديث على القرآن الكريم فوجدناه مخالفاً ، مما يدل على أنه صلى الله عليه وسلم لم يقله ، فإنه ليس فى القرآن آية تدل على عرض السُّنة على الكتاب ، مما يدل على أن هذا الحديث أول ما يبطل يُبطل نفسه ، بل إننا نجد فى القرآن الكريم أن الرسول ﷺ يطاع استقلالاً ، فكل ما أمر به أو نهى عنه فيجب العمل به ابتداء ، دل على ذلك آيات كثيرة[1] ، منها :

**﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾**[2] .

**﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله﴾**[3] .

**﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم﴾**[4] .

**ثالثاً** : هذا الحديث لم نجد له فى شىء من كتب السُّنة طريقاً يصح منه !! ، وإنما وجدنا الأئمة يحكمون بأنه شديد الضعف ، ومنهم من يحكم بوضعه !!

فقد سُئل الشافعى : أفنجد حجة على من روى أن النبى ﷺ قال : ما جاءكم عنى فاعرضوه على كتاب الله ، فما وافقه فأنا قلته ، وما خالفه فلم أقله ؟ فقال الشافعى : ما روى هذا أحد يثبت حديثه فى شىء صغر ولا كبر ، فيقال لنا قد ثبّتم حديث من روى هذا فى شىء ، وهذه أيضاً رواية منقطعة عن رجل مجهول ، ونحن لا نقبل مثل هذه الرواية فى شىء[5] .

وقال الحافظ ابن حجر : إنه جاء من طرق لا تخلو من مقال[6] .

وقال الخطابى : هذا الحديث وضعته الزنادقة ، وهو باطل لا أصل له ، وساقه البيهقى فى المدخل لمعرفة السنن من طريق أبى جعفر عبد الله بن المسور ، وروايته لا تساوى شيئاً ، ووصفه بعض الأئمة بأنه يضع الأحاديث ، ووصفه آخرون بأنه كذاب[7] .

---

(١) سبق أن ذكرتها فى وجوب اتباعه صلى الله عليه وسلم ص ١٢٧ وما بعدها ، ووجوب طاعته ص ١٤٣ .
(٢) سورة الحشر الآية ٧ .
(٣) سورة النساء الآية : ٨٠ .
(٤) سورة النساء الآية : ٥٩ .
(٥) الرسالة ص ١٠٤ فما بعدها .
(٦) المقاصد الحسنة ص ٣٦ ، ٣٧ .
(٧) راجع ترجمته فى لسان الميزان ٣/٣٦٠ ، وميزان الاعتدال ٢/٥٠٤ .

ثم قال البيهقى : وقد روى من أوجه أخر كلها ضعيف ، قد بينت ضعف كل واحد منها فى كتاب المدخل[1] .

وذكر ابن حزم عدداً من طرق هذا الحديث ، وأبان فيها أوجه الضعف والرد[2] .

وهكذا يتضح أن هذا الحديث لا يثبت عن رسول الله ﷺ ، فضلاً عما قدمت من أنه لا توجد سُنة تخالف القرآن ، وإنما السُّنة تبين القرآن ، وكذلك فقد عرضنا هذا الحديث على القرآن الكريم ، فوجدنا القرآن يرده ، فليس فى القرآن أمر بعرض السُّنة عليه ، وإنما فيه الأمر بطاعة رسول الله ﷺ .

ومن بيان السُّنة للقرآن أن ترد قراءتان تفيد كل منهما حكماً يختلف عن الآخر ، فإن السُّنة تبين ذلك ، ومن أمثلة ذلك قال الله تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين** ﴾[3] قرئت « أرجلكم » بالنصب ، وقرئت « أرجلِكم » بالجر ، وعلى قراءة النصب تكون الأرجل معطوفة على الوجوه ، وهى مغسولة ، فنغسل الأرجل ، وأما على قراءة الجر فتكون الأرجل معطوفة على رؤوسكم وهى ممسوحة ، فتمسح الأرجل ، والقراءتان متواترتان ، فأيهما تبين الأخرى ؟ أتُبَيِّنُ قراءة النصب بقراءة الجر ، فتمسح الأرجل ، أو تُبين قراءة الجر بقراءة النصب فتغسل الأرجل ؟ جاءت السنة فبينت أن العمل على قراءة النصب ، وأن الأرجل تغسل .

فعن عبد الله بن عمرو - رضى الله عنهما - قال : « تخلف النبى ﷺ عنا فى سفرة سافرناها ، فأدركنا وقد أرهقنا العصر ، فجعلنا نتوضأ ونمسح على أرجلنا ، فنادى بأعلى صوته ، ويل للأعقاب من النار » مرتين أو ثلاثاً[4] .

---

(١) معرفة السنن والآثار ١/١١٧ - ١١٩ ، ويقصد بالمدخل « المدخل للسُّنة » ولم أجد هذا الحديث فى القدر المطبوع منه .

(٢) الإحكام ٢/٧٦ فصل « وقد ذكر قوم أحاديث فى بعضها إبطال شرائع الإسلام » .

(٣) سورة المائدة الآية : ٦ .

(٤) أخرجه البخارى فى الوضوء باب غسل الرجلين ولا يمسح على القدمين ١/٢٦٥ ، وأخرجه مسلم وغيرهما .

قال الحافظ ابن حجر : وقد تواترت الأخبار عن النبى ﷺ فى صفة وضوئه أنه غسل رجليه وهو المبين لأمر الله [1] .

فأبان صلى الله عليه وسلم بفعله أن المقام لقراءة نصب «أرجلَكم» بفتح اللام ، أما قراءة الجر فإنها إما بيانها فى قراءة النصب ، وأما أن الكلمة جرت بالمجاورة ، ولهذا نظائر فى القرآن الكريم .

وهكذا بينت السُّنة معنى الآية ، وأزالت الإشكال .

* * *

---

(1) فتح البارى ٢٦٦/١ شرح الحديث المتقدم .

## القرآن يخصص السُّنة :

ومن طريف ما فى هذا الموضوع ، أعنى موضوع بيان السُّنة للقرآن ، أنه جاءت نصوص كانت الآيات القرآنية هى المخصصة للسنة النبوية ، ولقد عقد السيوطى فصلاً لذلك فقال : من خاصّ القرآن ما كان مخصصاً لعموم السُّنة ، وهو عزيز ، ومن أمثلته :

• قوله تعالى : ﴿حتى يعطوا الجزية﴾[1] خص عموم قوله صلى الله عليه وسلم : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله »[2] .

• وقوله سبحانه : ﴿حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى﴾ خص عموم نهيه صلى الله عليه وسلم عن الصلاة فى الأوقات المكروهة بإخراج الفرائض .

يقصد أحاديث النهى عن الصلاة فى بعض الأوقات ، ومنها حديث عمرو بن عَبَسة إذ قال لرسول الله ﷺ : أخبرنى عن الصلاة ؟ فقال له صلى الله عليه وسلم : « صل صلاة الصبح ، ثم أقصر عن الصلاة حتى تطلع الشمس حتى ترتفع ، فإنها تطلع حين تطلع بين قرنى شيطان ، وحينئذ يسجد لها الكفار . ثم صل فإن الصلاة مشهودة محضورة[3] حتى يستقلّ الظل بالرمح[4] ، ثم أقصر عن الصلاة ، فإنه حينئذ تسجر جهنم[5] فإذا أقبل الفيء[6] فصّل ، فإن الصلاة مشهودة محضورة حتى تصلى العصر ، ثم أقصر عن الصلاة حتى تغرب الشمس ، فإنها تغرب بين قرنى شيطان ، وحينئذ يسجد لها الكفار ... »[7] .

فهذا الحديث وما فى موضوعه يفيد النهى عن الصلاة فى هذه الأوقات ، بينما

---

(١) سورة التوبة الآية : ٢٢ .

(٢) أخرجه البخارى ومسلم ، وقال السيوطى : إنه متواتر .

(٣) أى تشهدها الملائكة ، ويحضرها أهل الطاعات .

(٤) أى أن ظل الرمح أو أى شيء لا يكون لجهة الشرق ولا لجهة الغرب ، وإنما لجهة الشمال .

(٥) يشتد اتقادها .

(٦) زالت الشمس عن وسط السماء ، فأصبح لكل شيء ظل جهة المشرق .

(٧) أخرجه مسلم فى صلاة المسافرين باب إسلام عمرو بن عبسة ٥٦٩/١ - ٥٧١ .

الآية تفيد المحافظة على الفرائض فخصصت الحديث ، وجعلت النهى عن الصلاة فى هذه الأوقات خاصاً بالنوافل .

• وقوله سبحانه : ﴿ **ومن أصوافها وأوبارها** ﴾ [1] خص عموم قوله صلى الله عليه وسلم : « **ما أبين**[2] **من حى فهو ميت** » [3] فالحديث يفيد أن ما قطع من البهيمة وهى حية يكون ميتة نجساً ، فخصصته الآية وأبانت طهارة الصوف والوبر .

• وقوله سبحانه : ﴿ **والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم** ﴾ [4] خص عموم قوله صلى الله عليه وسلم : « لا تحل الصدقة لغنى ولا لذى مرة سوى » [5] .

وقوله سبحانه : ﴿ **فقاتلوا التى تبغى** ﴾ [6] خص عموم قوله صلى الله عليه وسلم : « إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول فى النار » [7] .

هذا كل ما عند السيوطى [8] فى هذا الموضوع ، وهناك أحاديث تخصص هذه الأحاديث ، لكن تخصيص الآية أوقع ، ويمكن جمع أكثر من هذا .

فمن ذلك - تخصيص القرآن لعموم السنة - ما وقع فى صلح الحديبية ، وكان من أصول الصلح : - من جاء من مشركى مكة إلى رسول الله ﷺ فى المدينة ، فعليه أن يرده إليهم ، وإن كان مسلماً ، أما من ذهب من المسلمين إليهم فلا يردونه إليه صلى الله عليه وسلم ، وجاءت الآية القرآنية تخصص عموم هذا الأصل من أصول الصلح ، فأنزل الله تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله أعلم بإيمانهن فإن علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن**

---

(١) سورة النحل الآية : ٨٠ .

(٢) ما قطع .

(٣) هذا الحديث أخرجه أحمد وأبو داود والترمذى والحاكم عن أبى واقد ، وابن ماجه والحاكم عن ابن عمر ، وراجع الفتح الكبير ٩٩/٣ .

(٤) سورة التوبة الآية : ٦٠ .

(٥) أخرجه أحمد وأبو داود والترمذى والحاكم عن ابن عمر ، وأخرجه أحمد والنسائى وابن ماجه عن أبى هريرة ، الفتح الكبير ٣١٧/٣ .

(٦) سورة الحجرات الآية : ٩ .

(٧) أخرجه أحمد والبخارى ومسلم وأبو داود والنسائى ، الفتح الكبير ٨٧/١ .

(٨) الإتقان فى علوم القرآن ٥٥/٣ فى النوع الخامس والأربعين فى عامه وخاصه .

إلى الكفار **لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن ﴾**[1] ، فاستثنت الآية المؤمنات المهاجرات فنهى ربنا - سبحانه وتعالى - عن ردهن إلى الكفار[2] .

ومنه أيضاً حديث عبادة بن الصامت : أن رسول الله ﷺ قال وحوله عصابة من أصحابه : « بايعونى على أن لا تشركوا بالله شيئاً ، ولا تسرقوا ، ولا تزنوا . ولا تقتلوا أولادكم ، ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ، ولا تعصوا فى معروف ، فمن وفى منكم فأجره على الله ، ومن أصاب من ذلك شيئاً فعوقب فى الدنيا فهو كفارة له ، ومن أصاب من ذلك شيئاً ثم ستره الله فهو إلى الله ، إن شاء عفا عنه ، وإن شاء عاقبه » ، فبايعناه على ذلك

فقوله صلى الله عليه وسلم : « ومن أصاب من ذلك شيئاً » اسم الإشارة « ذلك » راجع إلى الشرك أو السرقة ، والزنا ، وقتل الأولاد ، والكذب على الناس ، ومعصية أولى الأمر فى طاعة الله ، فمن فعل شيئاً من ذلك « فعوقب به فى الدنيا فهو كفارة له »[3] لهذا الذنب .

إلا أن هذا العموم مخصص بقوله تعالى : **﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ﴾**[4] فالمرتد إذا قتل على ارتداده لا يكون القتل له كفارة[5] .

* * *

---

(١) سورة الممتحنة الآية : ١٠ .
(٢) راجع الفصول لابن كثير ص ١٦٤ ، ١٦٥ .
(٣) أخرجه البخارى فى الإيمان باب بعد باب علامة الإيمان حب الأنصار ٦٤/١ رقم ١٨ .
(٤) سورة النساء الآية : ٤٨ ، ١١٦.
(٥) نقله فى الفتح البارى عن النووى ٦٥/١ .

## العقل والسنة النبوية :

وبعد أن أبنت من الآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية ، وأقوال السلف ما به يتضح أن السُّنة تبين القرآن ، فإنى أرى أنه من باب تكملة الموضوع أن أبين موقف العقل من السنة النبوية ، ذلك أنه يوجد من يعلى من شأن العقل ، مع أن العقل فى دائرة الوحى تابع لا متبوع ، وقوة لو أنصفت اعترفت بضآلتها ، إنه أمام وحى الله جوهرة صغيرة تعرف قدرها إذا سمت ، ولا تتعالى إلا إذا انحرفت .

إن الذين يؤلِّهون العقل وصلوا لدرجة أن جعلوا أنفسهم أفضل من الأنبياء ، ويدّعون أنهم يعرفون ما يعجز الأنبياء عن معرفته ، ويدّعون أن الفيلسوف الكامل أفضل من الأنبياء[1] !! إن لهم دعاوى يرفضها العقل بالفطرة ، إلا أنهم يزخرفون القول على الناس بدعاوى مزوقة ، مثل قولهم : إننا سَنُحَكِّم العقل . و: إننا سنحتكم إلى المنهج العقلى ، و: سأكتب وفق ما تقتضيه ظروف البحث العلمى .

إن هذه العبارات وأمثالها تنطلى على بعض القراء ، فأردت أن أبيِّن موقف العقل من السنة النبوية .

إن العقل الذى سلّم بأن الله أرسل محمداً ﷺ ، وأيده بالمعجزات الدالة على صدقه ، ومنها معجزة القرآن الكريم ، الوحى الذى يسمعه المنصف فيؤمن بأنه من عند الله ، هذا العقل يجد مجالاً للسنة فى القرآن الكريم ، فيجد فيه عدة مواطن للسنة هى :

١ - بيان اللغة .  ٢ - بيان المجمل .  ٣ - بيان العام أو المطلق .

فإن الذى يقرأ قول الله تعالى : ﴿ **الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون** ﴾[2] يستبعد نجاة أحد من الأمة ، ويقول كما قال الصحابة : أينا لم يظلم نفسه ؟!! إنه لا أمن ولا هداية لأحد ، فإنه لا عصمة لأحد

---

(١) ﴿ **كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا** ﴾ وتهافت أدعياء العقل كثير ، ليس هنا موطن نقده ، ولكن فيه كتب كثيرة .

(٢) سورة الأنعام الآية : ٨٢ .

إلا للرسل ، فكم من هفوة ظلم بها الإنسان نفسه .

فجاء بيانه صلى الله عليه وسلم موضحاً الآية بياناً يفتح باب الأمل ، فبيّن معنى الظلم وأنه الشرك .

أخرج البخارى عن عبد الله بن مسعود - رضى الله عنه - قال : لما نزلت : ﴿ **الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم** ﴾ شق ذلك على المسلمين فقالوا : يا رسول الله أينا لا يظلم نفسه ؟ قال : ليس ذلك ، إنما هو الشرك ، ألم تسمعوا ما قال لقمان لابنه وهو يعظه : ﴿ **يا بنى لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم** ﴾ [1] .

إن العقل هنا يحكم بأن السُّنة تبين القرآن الكريم .

* * *

وحينما يقرأ الإنسان آية مجملة مثل قوله تعالى : ﴿ **وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين** ﴾ [2] .

إن العقل يتساءل : كيف نقيم الصلاة ؟ كيف نؤدى الزكاة ؟ كيف نركع مع الراكعين ؟ إنه يحتم أن هناك بياناً لهذا الكتاب، لهذا القرآن الكريم ، الذى أنزله الله هداية للإنسانية .

إن بقاء القرآن دون بيان يحكم العقل باستحالته ، فإنه كتاب هداية ، تقوم به حجة الله على خلقه ، فلابد أن يكون بيناً واضحاً ، فإذا وجد العقل السُّنة وقد بين صلى الله عليه وسلم القرآن بياناً كاملاً ، استراح العقل وسعد ، وعلم أن كلام الله قد بينه رسول الله ﷺ فتمت النعمة واستراح العقل .

* * *

وحينما يقرأ الإنسان آية عامة ﴿ **والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما**

---

(١) أخرجه البخارى فى أحاديث الأنبياء باب قول الله تعالى : ﴿ **ولقد آتينا لقمان الحكمة** ﴾ ٤٦٥/٦ ، وهو عنده فى الإيمان باب ظلم دون ظلم ٨٧/١ وآية : ﴿ **يا بنى لا تشرك بالله** ﴾ من سورة لقمان الآية ١٣ .

(٢) سورة البقرة الآية : ٤٣ .

كسبا نكالاً من الله والله عزيز حكيم ﴾[1] ، يتساءل العقل : هل كل سارق تقطع يده ، صغيراً كان أم كبيراً ؟ عاقلاً كان أو مجنوناً ؟

بدهى لا . ولا بد من توضيح وتحقيق للأمر .

ثم يتساءل : فى أى شىء تقطع يد السارق ، أتقطع فى الشىء التافه ، وفى الشىء الثمين؟ بدهى لا ، ولابد من توضيح وبيان .

ثم يتساءل العقل أيضاً : من أين تقطع اليد؟ من الكوع - مفصل الكف - أو من المرفق ، أو من الكتف ؟ لابد من بيان .

فتأتى السنة النبوية المطهرة ، وفيها بيّن صلى الله عليه وسلم كل شىء ، وبين أن الصغير لا تقطع يده ، والمجنون لا تقطع يده ، وبيّن صلى الله عليه وسلم أن اليد لا تقطع إلا فى سرقة ربع دينار[2] فأكثر .

وبيّن صلى الله عليه وسلم أن اليد تقطع من الكوع .

فأبان كل شىء مما يجعل العقل يسلم بأن السنة إنما هى البيان الصادق الكامل الجلى للقرآن الكريم .

وإنى وقد ذكرت أدلة وجوب العمل بالسُنة ، فذكرت أدلة ذلك من القرآن الكريم ، ومن السُنة النبوية ، وأن الأمة مجمعة على وجوب العمل بالسنة ، وبينت أن السُنة هى البيان للقرآن الكريم ، وأن العلاقة بين القرآن والسُنة إما الموافقة والتعاضد ، وإما بيان المجمل أو تخصيص العام وتقييد المطلق .

بعد كل ذلك أستعرض الجانب العلمى من شخصية رسول الله ﷺ ، أوضح بذلك أنه صلى الله عليه وسلم هو الذى يبين القرآن ، وهو الذى يبين الإسلام وأن الله قد أهّله علمياً لذلك ، فلا يلتمس البيان إلا منه صلى الله عليه وسلم ، وسنته التى يرتجى منها البيان الصادق الصافى الوافى ، للقرآن الكريم ، وللإسلام دين رب العالمين .

* * *

---

(١) سورة المائدة الآية : ٣٨ .

(٢) الدينار عملة ذهبية ، قيمته حالياً فى حدود ٢٦٠ جنيهاً مصرياً ، فالربع قيمته ٦٥ جنيهاً مصرياً .

الجانب العلمى من حياة رسول الله ﷺ

يؤكد أنه الذى يبين القرآن والإسلام :

* كمال عقله صلى الله عليه وسلم .
* سعة علمه صلى الله عليه وسلم .
* عصمته صلى الله عليه وسلم .
* صدق خبره فى الغيوب الماضية والمستقبلة .
* قوة مداركه صلى الله عليه وسلم :
  - رؤياه حق .
  - من رآه فرؤياه حق .
  - يرى من خلفه .
  - يرى ما لا نرى .
* عناية الله به صلى الله عليه وسلم :
  - تأييده بالمعجزات .
  - نصر الله له .
  - إهانة أعدائه .
  - استجابة دعائه .



# الجانب العلمى من حياة رسول الله ﷺ

## يؤكد أنه الذى بين القرآن والإسلام

إن الدارس لحياة رسول الله ﷺ العلمية من القرآن الكريم ، والسنة النبوية يتضح له : أن الله تبارك وتعالى مَنّ على رسوله ﷺ بكثير من العلوم ، فعلمه ، وأراه ، فعِلمُه بالله تعالى وصفاته تام ، وإيمانه به سبحانه وتعالى كامل ، والعلم بما أوحى إليه على خير ما يكون .

إن الله تبارك وتعالى أطلعه صلى الله عليه وسلم على كثير من أخبار السابقين ، وأطلعه على الكثير من الأمور المعاصرة له .

أعلمه الكثير عن أحوال أمته .. أعلمه الكثير عما سيحدث بعده .. أعلمه الكثير عن نهاية الكون .. أعلمه الكثير عن الجنة ونعيمها .. أعلمه الكثير عن النار وعذابها .. أعلمه الكثير عن خصائص الكائنات وطبائع المخلوقات .. أعلمه الكثير من أسرار الكون ، وسنن الله فيه .

إنه الرسول الذى أنزل الله عليه القرآن الجامع لجوامع العلوم ، وبينه له ، وفصله كل التفصيل ، وما من شىء احتاج إلى علمه صلى الله عليه وسلم إلا جاءه الوحى فأعلمه ، وما من شىء يتعلق بدعوته إلا أراه الله وألهمه ؛ بما معه يتضح أن مكانته العلمية تجعله وحده الجدير ببيان القرآن ، ورسم خط الإسلام ، وأنه الذى أوحى الله إليه دينه ، وهو وحده الذى يأخذ بيد الأمة إلى صراط الله المستقيم .

ويتضح شىء[1] من الجانب العلمى من حياته صلى الله عليه وسلم فى ضوء النقاط الآتية :

---

(١) إنما عبرت بـ « شىء » ؛ لإيمانى بأننى لا أستطيع أن أبرز هذا الجانب كاملاً ، وغاية بحثى : أن أبرز للقارئ شيئاً يستدل به على ما منّ الله به عليه ﷺ من علم جم .

## أولاً : كمال عقله صلى الله عليه وسلم :

فإنه الذى اصطفاه الله لرسالته ، فعلمه وكمّله ، ذلك أن الكمال العقلى من مؤهلات الرسالة ، فيحاج الناس ، ويقنعهم ، وبأبسط الأساليب يدلهم على الخير ، ويصل بهم إلى صراط الله المستقيم .

جاءت قريش إلى حصين بن عبيد[1] ، وهو من عظماء قريش ، فقالوا له : كلِّم لنا هذا الرجل[2] ، فإنه يذكر آلهتنا ويسبهم ، فجاءوا معه حتى جلسوا قريباً من باب النبى ﷺ ، فقال : أوسعوا للشيخ ، وعمران[3] وأصحابه متوافرون .

فقال حصين : ما هذا الذى بلغنا عنك ، إنك تشتم آلهتنا ، وتذكرهم ، وقد كان أبوك حصينة وخيراً ؟

فقال صلى الله عليه وسلم : يا حصين ، إن أبى وأباك فى النار . يا حصين ، كم تعبد من إله ؟

قال : سبعاً فى الأرض وواحداً فى السماء .

قال : فإذا أصابك الضر من تدعو ؟

قال : الذى فى السماء .

قال : فإذا هلك المال من تدعو ؟

قال : الذى فى السماء .

قال : فيستجيب لك وحده ، وتشركهم معه ؟! أرضيته فى الشكر أم تخاف أن يغلب عليك ؟

قال : ولا واحدة من هاتين . قال : « وعلمت أنى لم أكلم مثله » .

قال : يا حصين ، أسلم تسلم .

---

(١) هو والد عمران بن حصين ، وترجمته فى الإصابة ٨٦/٢ .

(٢) يقصدون : رسول الله ﷺ .

(٣) عمران هو : ابن حصين الذى يتحدث مع الرسول هنا ، إلا أن عمران كان قد أسلم ، أما أبوه فقد أسلم فى هذه الجلسة .

قال : إن لى قوماً وعشيرة فماذا أقول ؟

قال : قل : اللهم إنى أستهديك لأرشد أمرى ، وزدنى علماً ينفعنى . فقالها حصين ، فلم يقم حتى أسلم .

فقام إليه عمران[1] فقبّل رأسه ويديه ورجليه ، فلما رأى ذلك النبى ﷺ بكى ، وقال : بكيت من صنيع عمران ، دخل حصين وهو كافر فلم يقم إليه عمران ، ولم يلتفت ناحيته ، فلما أسلم قضى حقه[2] ، فدخلنى من ذلك الرقة ، فلما أراد حصين أن يخرج قال لأصحابه : قوموا فشيعوه إلى منزله ، فلما خرج من سدة الباب رأته قريش فقالوا : صبأ[3] ، وتفرقوا عنه[4] .

وإنما سقت هذا ؛ أستدل به على كمال عقله صلى الله عليه وسلم ؛ إذ بكلمات يسيرة قال حصين الذى تعظمه قريش : وعلمت أنى لم أُكَلِّم مثله . إن هذه الكلمة من هذا الرجل تبين مدى كمال عقله صلى الله عليه وسلم ، وأنه يفوق عقل المعظَّمين من البشر ، إنه عقل نبى مصطفى .

* * *

**وموقف آخر :**

فعن أبى أمامة قال : إن فتىً شاباً أتى النبى ﷺ فقال : يا رسول الله ، ائذن لى بالزنا !! فأقبل القوم عليه ، فزجروه ، وقالوا : مهِ مهِ[5] .

فقال صلى الله عليه وسلم : ادنه ، فدنا منه قريباً . قال : فجلس .

فقال صلى الله عليه وسلم : أتحبه لأمك ؟

قال : لا ، والله ، جعلنى الله فداك .

فقال صلى الله عليه وسلم : ولا الناس يحبونه لأمهاتهم .

ثم قال صلى الله عليه وسلم : أفتحبه لابنتك ؟

---

(١) ابنه (٢) أى أدّى له حق الأبوة .

(٣) أى ترك دينهم وأسلم لله رب العالمين .

(٤) ذكره ابن حجر فى الإصابة ٨٧/٢ ، وعزاه لابن خزيمة ، وشىء منه عند الترمذى فى الدعوات باب بعد باب جامع الدعوات بأربعة أبواب ٤٠٤/٩ ، وفيه حديث عند أحمد ٤٤٤/٤ .

(٥) كلمة زجر .

قال : لا ، والله يا رسول الله ، جعلنى الله فداءك .

قال صلى الله عليه وسلم : ولا الناس يحبونه لبناتهم .

ثم قال صلى الله عليه وسلم : أفتحبه لأختك ؟

قال : لا والله ، جعلنى الله فداءك .

قال صلى الله عليه وسلم : ولا الناس يحبونه لأخواتهم ، ثم قال صلى الله عليه وسلم : أفتحبه لعمتك ؟

قال : لا والله ، جعلنى الله فداءك .

قال صلى الله عليه وسلم : ولا الناس يحبونه لعماتهم .

ثم قال صلى الله عليه وسلم : أفتحبه لخالتك ؟

قال : لا والله ، جعلنى الله فداءك .

قال صلى الله عليه وسلم : ولا الناس يحبونه لخالاتهم .

قال : فوضع يده عليه ، وقال : اللهم اغفر ذنبه ، وطهر قلبه ، وحصن فرجه ، فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء[1] .

انتهى الفتى عن هذه الفاحشة ، وأصبح لا يلتفت إليها ، فقد أقنعه صلى الله عليه وسلم إقناعاً تامًا ، وردد وكرر حتى قبح هذا الفعل فى نظر الرجل ، فأبغضه وابتعد عنه ، وهو صلى الله عليه وسلم بدعائه له زاد الأمرَ حسناً فلم يقف عند حد الإقناع ، وإنما دعا له - وهو مستجاب الدعوة - ، فاقتنع الرجل ، وهداه الله ، وهكذا النبوة .

ويهمنى هنا أنه صلى الله عليه وسلم لم يغضب ولم يثر ، وإنما كلمه كلاماً سهلاً غاية السهولة ، ولكنه أقنعه كل الإقناع ، فصلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه .

* * *

**وموقف ثالث :**

عن أبى هريرة - رضى الله عنه - أن أعرابيًا أتى رسول الله ﷺ فقال :

---

(1) أخرجه أحمد فى مسنده ٢٥٦/٥ ، ٢٥٧ .

يا رسول الله ، إن امرأتى ولدت غلاماً أسود ، وإنى أنكرته [١] .

فقال له النبى ﷺ: هل لك من إبل ؟

قال : نعم .

قال صلى الله عليه وسلم : ما ألوانها ؟

قال : حُمْر.

قال صلى الله عليه وسلم : فهل فيها من أورق [٢] ؟

قال : نعم .

قال رسول الله ﷺ : فأنّى هو [٣] ؟

قال : لعله يا رسول الله يكون نزعه عرق له [٤] .

فقال له النبى ﷺ : وهذا لعله يكون نزعه عرق له [٥] .

صلى الله عليه وسلم لقد جعل السائل ينطق بالجواب ، وضرب له مثلاً من بيئته ، وأقنعه أيما إقناع ، ولقد كان الرجل منصفاً ، فما أن ضرب له صلى الله عليه وسلم المثل إلا اقتنع . لقد سلم الرجل واعترف أن العرق نزاع ، وعليه ، فلعل عرقاً نزع ابنه هذا ، كما أن إبله التى فيها جمل يختلف لونه عن بقية الإبل لعله نزعه عرق .

* * *

وإذا كانت هذه المواقف فى :

- الإقناع بالتوحيد .
- والإقناع بالبعد عن المعاصى .
- والإقناع بالتثبت وعدم اتباع الظن .

---

(١) أى أنكر أن يكون هذا الغلام ابنه ؛ إذ هو أبيض والابن أسود ، كما جاء فى رواية أخرى : « وهو حينئذ يعرّض بأن ينفيه » أى يدعى أنه ليس ابنه ، وإنما جاءت به أمه من زنا !! .

(٢) الجمل الأورق : هو الذى سواد لونه ليس صافياً .

(٣) أى : من أين جاء هذا الأورق الذى يختلف لونه عن لون جمالك .

(٤) أى : يحتمل أن يكون فى آبائه من الإبل ما هو أسود ، فأشبهه هذا .

(٥) أخرجه مسلم فى آخر كتاب اللعان ١١٣٧/٢ .

فإنى أسوق موقفاً آخر يبين كمال عقله صلى الله عليه وسلم فى الأمور العامة ، التى تتعلق بحياة الأمة ، بل والأمم :

وهذه القصة إنما حدثت فى فترة شبابه ، وقبل بعثته ، مما يصور شخصيته ذاتياً :

فى فترة شبابه صلى الله عليه وسلم وبالتحديد فى سن الخامسة والثلاثين من عمره صلى الله عليه وسلم عزمت قريش على إعادة بناء الكعبة ، وفعلاً قاموا بذلك وفق شروط طيبة اشترطوها ، فالكعبة شرفهم ومجدهم .. إلا أنهم لما وصلوا إلى موضع الحجر الأسود اختلفوا فيمن يضع الحجر مكانه ويحظى بهذا الشرف ، اختلفوا اختلافاً شديداً ، حتى أصبحوا قاب قوسين أو أدنى من حرب ضروس ، مكثوا على ذلك أربع ليال أو خمساً ، أعدوا عدة القتال ، وتحزبوا أحزاباً متناحرة ، وكانت هذه الحرب ثقيلة على نفوس الكثيرين ، فإنها ستقع فى أرض الحرم !!

ومن هنا اقترح أبو أمية بن المغيرة المخزومى [1] أن يلجؤا إلى التحكيم ، فيحكِّموا بينهم أول من يدخل عليهم من باب المسجد [2] ، فارتضى الجميع ذلك ، وانتظروا ، فإذا الداخل محمد ﷺ فارتضوه جميعاً ، لم يتوان أحد فى إعلان الموافقة على حكمه صلى الله عليه وسلم ، فطلب منهم ثوباً فوضع فيه الحجر ، وطلب رجلاً من كل بطن [3] ، فرفعوا جميعاً الثوب حتى موضع الحجر ، فأخذه صلى الله عليه وسلم ووضعه فى مكانه ، ووقى الله به قريشاً والحرم حرباً ما كان يعلم نهايتها لو وقعت إلا الله تبارك وتعالى .

لقد كانوا يلقبونه بالأمين قبل بعثته صلى الله عليه وسلم ، ويعرفونه بأخلاقه الفاضلة ، ورأيه الرشيد ، ومن هنا لما دخل عليهم قالوا : هذا الأمين قد رضينا بما قضى بيننا ، فلما وضع الحجر فى مكانه ، ناوله رجل من غير قريش حجراً ليشد به الركن ، فنحّاه العباس وناول رسول الله ﷺ حجراً ، فغضب هذا الرجل ، فقال

---

(١) أبو أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، وكان يومئذ أسن قريش كلها ، سيرة ابن هشام ١٩٧/١ ، وعيون الأثر ٥٢/١ ، والبداية والنهاية ٣٢٧/١ .

(٢) هو باب بنى شيبة - كما جاء فى رواية الحاكم عن على ، وكان يقال له فى الجاهلية : باب بنى عبد شمس ، ويقال له الآن : باب السلام ، وهو ثلاثة منافذ . راجع كتاب الدين وتاريخ الحرمين الشريفين لعباس كرارة ص ١١١ .

(٣) البطن : أقل من القبيلة .

رسول الله ﷺ : إنه ليس يبنى معنا فى البيت إلا منا ، فقال هذا الرجل : يا عجباً لقوم أهل شرف وعقول ، وسن وأموال عمدوا إلى أصغرهم سنًا ، وأقلهم مالاً فرأسوه عليهم فى مكرمتهم وحرزهم كأنهم خدم له[1] !!

على الرغم من وجود الكبار والكبار جداً ، وعلى الرغم من وجود العقلاء والنبلاء جداً إلا أنه صلى الله عليه وسلم هو الذى حل المشكلة ، إنه صلى الله عليه وسلم الذى ارتضاه الجميع لمكانته ، فلما حكم ارتضوا حكمه لعدالته .

لم يعترض أحد على شخصه ، ولم يعترض أحد على فكره ، حتى قال من لا يعرفه : يا عجباً لقوم أهل شرف وعقول ، وسن وأموال عمدوا إلى أصغرهم سناً ، وأقلهم مالاً ، فرأسوه عليهم فى مكرمتهم وحرزهم كأنهم خدم له !!

إنه الذى ساد قومه بفكره السديد ، ورأيه الرشيد ، أعده الله لرسالته ، واصطفاه لدينه وشريعته صلى الله عليه وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين .

ومثل هذا الموقف - إصلاح أمة - كثير ، فأصلح بين المسلمين واليهود فى المدينة ، وعقد المعاهدات ، وأرضى الأنصار حينما أعطى الأموال للمؤلفة قلوبهم ، وبيّن للأنصار أنه تركهم لإيمانهم ، وقال لهم : أما ترضون أن يرجع الناس بالشاة والبعير وترجعون أنتم برسول الله ﷺ ، فرضوا رضاء تاماً .

وصلح الحديبية كان آية من الآيات العظيمة ، به فتح الله عليه مكة دون حرب أو قتل .. ومن كان يتصور فتح مكة بهذا السلام العظيم ؟!!

إن أعداءه لم يدخروا وسعاً فى محاربته فكرياً ، فجاءه الأذكياء من جهات عدة ، يعترضون ويجادلون ، فأقام عليهم الحجة بأسلوب هادئ رصين ، فلجأ أعداؤه إلى استيراد الشُّبه ، فذهبوا إلى اليهود يستوردون الشبه ضده صلى الله عليه وسلم[2] ، فما أشكل عليه أمر ، وإنما أجاب إجابات فى غاية الإلزام حتى أسلم بعضهم مع ما عُرف عنهم من عصبية وعناد .

---

(١) طبقات ابن سعد ١٤٦/١ ، وراجع مستدرك الحاكم ٤٥٨/١ ، ومسند أحمد ٤٢٥/٣ ، ومجمع الزوائد ٢٩١/٣ ، ٢٩٢ ، و٢٢٩/٨ ، ودلائل النبوة للبيهقى ٥٦/٢ - ٦٢ .

(٢) راجع البداية والنهاية لابن كثير باب المسائل التى سئل عنها رسول الله ﷺ فأجاب عنها بما يطابق الحق ١٩٤/٦ .

وجاءته الوفود من كل نواحى الجزيرة ، وسألوه ، وبارزوه فى عديد من النواحى ، فأيده الله ، وأقام الحجة عليهم من كل ناحية .

أذكر من ذلك مثالاً ، **وفد بنى تميم :**

فلقد قدم عليه أشرافهم ، منهم الأقرع بن حابس – وهو من سادات العرب وحكامها[1] – والزبرقان بن بدر التميمى – أحد بنى سعد – وعمرو بن الأهتم .

وقالوا لرسول الله ﷺ : جئنا نفاخرك ، فأذن لشاعرنا وخطيبنا ، وتمت المفاخرة ، وفى نهايتها قال الأقرع بن حابس : إن هذا الرجل لمُؤتى له[2] ، لَخطيبه أخطب من خطيبنا ، ولشاعره أشعر من شاعرنا ، ولأصواتُهم أعلى من أصواتنا[3] .

لقد اعترف الرجل بكمال عقله صلى الله عليه وسلم ، وأنه اختار من أتباعه خطيباً يناسب هذه القبيلة من العرب ، ففاق خطيبهم ، واختار شاعراً فاق شاعرهم ، وما ذلك إلا لكمال عقله ، وفهمه الدقيق للوافدين عليه ، وفهمه الدقيق لأتباعه .

لقد أسلم الوفد[4] ، وهكذا كل من ورد عليه ، والجميع يعترف بنبوته ، وتأييد الله تبارك وتعالى له فى كل أموره .

ولما ذهب سلمة بن قيس الجرَمى إلى رسول الله ﷺ رجع إلى قومه وقال لهم : جئتكم والله من عند النبى ﷺ حقاً[5] .

* * *

إننى أتكلم عن الكمال العقلى من حياته صلى الله عليه وسلم ، فأوردت هذه المواقف أبيّن بها شيئاً من كماله العقلى ، لكنى لا أدّعى أننى أستطيع أن أوفى الأمر حقه ، ومن هنا ألجأ إلى النصوص :

---

(١) ترجمته فى الإصابة ١٠١/١ ، والأعلام ٥/٢ .

(٢) أى أنه صلى الله عليه وسلم مؤيد وموفق .

(٣) السيرة النبوية لابن هشام ، المجلد الثانى ، ج ٣ ، ٤ ص ٥٦٧ .

(٤) قصة وفد بنى تميم ذكرها ابن كثير فى البداية ٥ /٤٦ .

(٥) راجع حديثه كاملاً فى البخارى كتاب المغازى ، باب بعد باب مقام النبى ﷺ بمكة زمن الفتح ٢٢/٨ ، وترجمة سلمة بن قيس فى تهذيب التهذيب ١٦٣/٤ رقم ٢٨١ وهو « سليمة – بكسر اللام وهو من جَرْم بطن من قضاعة من قبائل اليمن ، راجع الأنساب ٢٥١/٣ ، ٢٥٢ .

يقول الله تعالى : ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾ والاستفهام للتقرير ، أى قد شرحنا لك صدرك . قال الحسن البصرى : ملئ حلماً وعلماً .

وكثير من الأئمة على أن شرح الصدر يجوز أن يكون هو شق الصدر الذى حدث له عدة مرات ، كلن أولها من باب التخلية فنزع حظ الشيطان منه ، وكان آخرها للتحلية ، ملئ صدره حكمة وإيماناً .

فعن أنس بن مالك قال : كان أبو ذر يحدث : أن رسول الله ﷺ قال : « فُرِج سقف بيتى وأنا بمكة ، فنزل جبريل صلى الله عليه وسلم ففرج صدرى ، ثم غسله من ماء زمزم ، ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وإيماناً فأفرغها فى صدرى ، ثم أطبقه ، ثم أخذ بيدى فعرج بى إلى السماء ... » الحديث[1] .

تأمل هذا الحديث ، إنه قد أفرغ فى صدره طست ممتلئ حكمة وإيماناً ، وتجسيد المعنويات فى قدرة الله هين .. وهذا يوضح ما كان عليه ، إنه الذى نزعت علقة من صدره ، هى حظ الشيطان منه ، وأفرغ فى صدره طست الإيمان والحكمة ، فكيف يكون عقل من هذا شأنه ؟ بدهى عقله أسمى من كل عقل ، وأزكى من كل فهم ، نزع منه حظ الشيطان ، ومُلئ بالحكمة والإيمان .

والحكمة جامعة لعموم العلوم والمعارف ، والإيمان كلمة جامعة لكل ما يرضى الله تبارك وتعالى .

يقول وهب بن منبه[2] : قرأت فى أحد وسبعين كتاباً[3] فوجدت فى جميعها : أن النبى ﷺ أرجح الناس عقلاً ، وأفضلهم رأياً .

وقال : وجدت فى جميعها أن الله تعالى لم يُعطِ جميع الناس من بدء الدنيا إلى انقضائها من العقل فى جنب عقله صلى الله عليه وسلم إلا كحبة رمل من رمال الدنيا[4] .

---

(١) أخرجه مسلم فى الإيمان باب : الإسراء برسول الله ﷺ إلى السموات ١٤٨/١ .

(٢) تابعى ثقة اشتهر عنه أنه قرأ كثيراً من الكتب السابقة ، صاحب عبادة وورع ، توفى سنة عشر ومائة ، طبقات ابن سعد ٥٤٣/٥ ، وتهذيب التهذيب ١٦٦/١١ .

(٣) من الكتب السابقة .

(٤) الشفا بتعريف حقوق المصطفى ٩٢/١ .

إن القارئ لسيرته صلى الله عليه وسلم لابد له أن يسلم بكمال عقله صلى الله عليه وسلم .

كيف لا وقد استطاع أن يحول أمة من عبدة الأوثان إلى أمة من عبدة الرحمن .

استطاع أن يحولها من أمة يأكل القوى الضعيف إلى أمة متآخية .

كان فى المسجد مربياً حكيماً حليماً .

كان فى حرب أعدائه قائداً حكيماً حازماً ، شجاعاً كريماً .

حاول أهل الكفر إثناءه عن غرضه فما استطاعوا .

وألقى اليهود والنصارى كل شبهة ، فرد عليهم رداً ألقمهم الحجر .. حاولت الشياطين إيذاءه فما استطاعوا .. وحاولت أمم الكفر القضاء عليه فعجزوا .

وأقام دولة الإسلام على خير أساس ، وأقوى بنيان ، تموت الأمم ولا تموت ، وتنقضى الحضارات ، وتزدهر حضارتها .. تنساح فى مشارق الأرض ومغاربها .. إن كل ذلك وأمثاله يبين لنا شيئاً من كمال عقله ، ويستدل بالجزء على الكل .

إن كمال العقل صفة أساسية فى رسل الله ، فإنها جزء من الكمال البشرى الذى كمَّلهم الله به ، وهى عامل مهم وسبب قوى من أسباب الدعوة إلى الله تعالى .

قال الله تعالى : ﴿ **ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن** ... ﴾[1] واضح من هذه الآية التى تبين سبل الدعوة أنها تعتمد على رجاحة العقل ، فلابد أن يكون الرسول أكمل الناس عقلاً ، حتى يقيم الحجة على قومه على خير وجه بحيث تكون ملزمة للخصم كل الإلزام ، فإن آمن ، وإلا جادله فاستعمل معه أسلوب المعارضة والمناقضة ، وهو فى كل ذلك يسلك مسالك الكرام ، لا يسىء ولا يغضب ، ومن هنا قال صلى الله عليه وسلم : « السمت الحسن ، والتؤدة ، والاقتصاد جزء من أربعة وعشرين جزءاً من النبوة » فهذه الصفات الطيبة من الطريقة الحسنة ، والتأنى فى جميع الأمور ، والاقتصاد فى كل الأحوال فلا إفراط ولا تفريط ، هذه الخصال على سموها ! إنما هى أجزاء من النبوة .

---

(١) سورة النحل الآية : ١٢٥ .

إن نبياً اصطفاه الله لرسالته هو خير خلق الله ، وهو أكملهم عقلاً ، وأرشدهم رأياً .

إن نبيا اختاره الله فأنزل عليه القرآن هو أكمل الأمة وأصفاها ، وأطهرها وأنقاها .

إن النبي الذي قال الله فيه : ﴿ **قل إنني هداني ربي إلى صراط مستقيم ديناً قيماً ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين • قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين** ﴾ (١) .

إنه أول المسلمين فهل يجيز العقل أن يكون هناك من هو أصوب رأياً منه ، أو أرجح عقلاً منه ؟ لا ، وألف لا .

إنه النبي الذي قال الله فيه : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم** ﴾ (١) .

إنه هو صلى الله عليه وسلم الذي يدعونا لما فيه حياتنا وسعادتنا ، أما عقولنا فإنها تعجز عن ذلك ، فكم من إنسان فعل بعقله ما أهلكه .

إنه الرسول الذي قال الله لقومه : ﴿ **أم لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون** ﴾ (٢) أي : إنكم تعرفونه بإيجابياته وما مَنّ الله به عليه من كمالات ، فما بالكم تتنكرون له ؟

إنه الرسول الذي قال الله فيه : ﴿ **فتوكل على الله إنك على الحق المبين** ﴾ (٣) على الحق الواضح بقلبك وعقلك ، وبقولك وعملك .

إنه الرسول الذي قال الله فيه : ﴿ **يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً** ﴾ (٤) إنه سراج ينير الطريق إلى الله لطلاب الحق ، فماذا بعد أن يقول الله فيه : ﴿ **وسراجاً منيراً** ﴾ عقله أكمل وقلبه أسلم ، وهديه أقوم .

---

(١) سورة الأنعام الآيتان : ١٦١ - ١٦٢ .

(٢) سورة الأنفال الآية : ٢٤ .

(٣) سورة المؤمنون الآية : ٦٩ .

(٤) سورة النمل الآية : ٧٩ .

(٥) سورة الأحزاب الآيتان ٤٥، ٤٦ .

إنه الرسول الذى قال الله فيه : ﴿ **والنَّجم إذَا هَوَى ٭ مَا ضلَّ صَاحِبُكُم ومَا غَوى ٭ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الهَوَىَ ٭ إنْ هُوَ إلا وَحْى يُوحَى** ﴾ [1] ، وقال سبحانه : ﴿ **ما كذب الفؤاد ما رأى** ﴾ [1] ، وقال سبحانه : ﴿ **ما زاغ البصرُ ومَا طَغَى** ﴾ [1] ، وفى هذه الآيات الكريمة يبين الله عصمة رسوله ﷺ، فيصفه ربنا تبارك وتعالى بأنه صلى الله عليه وسلم « ما ضل » والضلال ضد الرشاد ، فالضال هو الذى يسير على غير علم ، أما الراشد : فهو الذى يسير على علم وهدى وبينة من أمره ، قال سبحانه : ﴿ **ولقد آتينا إبراهيم رشده** ﴾ [2] وقد مدح الله من اتبع دينه بحب وحرص بهذه الصفة فقال سبحانه : ﴿ **واعلموا أن فيكم رسول الله لو يطيعكم فى كثير من الأمر لعنتم ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه فى قلوبكم وكرّه إليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون ٭ فضلاً من الله ونعمة والله عليم حكيم** ﴾ [3] فالراشدون هم المحبون للإيمان والحق ، والمبغضون للكفر والفسق والعصيان .

ووصفه ربنا بأنه « وما غوى » والغاوى : الذى يعرف الحق ولا يتبعه ، فيبين ربنا جل جلاله أن رسوله صلى الله عليه وسلم ﴿ **ما ضل وما غوى** ﴾ أى ما جهل الحق ، ولا حاد عنه ، وإنما هو صلى الله عليه وسلم يعلم الحق ويتبعه بكل دقة وتحر .

ثم مدحه ربنا سبحانه بصفة ثالثة : ﴿ **وما ينطق عن الهوى** ﴾ أى : لا ينطق أى نطق من كلمة أو إشارة أو غير ذلك عن هوىً مما تعرفون من الأهواء المضلة ، فإنه صلى الله عليه وسلم ليس له هوى ، وإنما هواه طاعة مولاه سبحانه جل فى علاه .

ووصفه ربنا بسلامة القلب : ﴿ **ما كذب الفؤاد ما رأى** ﴾ أى : ما كذب قلبه صلى الله عليه وسلم ما رآه من عجائب الملكوت والأحوال والأمور فى ليلة المعراج ، وفى غيرها .

* * *

---

(١) سورة النجم الآيات : ١ - ٤ ، والآية ١١ ، ١٧ .
(٢) سورة الأنبياء الآية : ٥١ .
(٣) سورة الحجرات الآيتان ٧ ، ٨ .

ووصفه سبحانه بحكمة الحواس : ﴿ مَا زَاغَ البَصَرُ وما طَغَى ﴾ أى ما مال بصره عن رؤية ما قدر له ، ولا تجاوز ذلك ، وهذا وصف عظيم لاعتدال إدراك المشاهدات ، فلا هو بالمضطرب فى إدراك المهم ، ولا هو بالمصروف إلى غير المهم ، وإنما اعتدل كل الاعتدال ، فرأى المفيد رؤية واضحة متقنة .

* * *

ووعده ربنا بذاكرة ليست لغيره فقال سبحانه : ﴿ سَنُقْرِئكَ فَلا تَنْسَى إلا مَا شَاءَ اللَّهُ ﴾[1] هكذا ذاكرة لا تنسى إلا أن يشاء الله أن ينسيه أمراً لحكمته سبحانه وتعالى .. إن هذا الوصف ﴿ سنقرئك فلا تنسى ﴾ يفيد عصمة ذاكرته صلى الله عليه وسلم ، إنه لا يمكن أن ينسى أى أمر من أمور الدين ، فهو مبلغ عن الله كل ما أمره به دون خوف نسيان أو ضياع شىء .

إن ذاكرته بيد الله ، الله يحفظه ويؤيده فلا نسيان ، ولا أى ضعف مما يعترى ذاكرة البشر العاديين .

عن ابن عباس – رضى الله عنهما – قال : كان النبى ﷺ يستذكر القرآن مخافة أن ينسى ، فقيل له قد كفيناك ذلك ونزلت : ﴿ سنقرئك فلا تنسى ﴾[2] .

* * *

إن هذه الآيات تبين : أنه صلى الله عليه وسلم معصوم فى قلبه وعقيدته ، وفى تفكيره ، وفى نطقه ، وفى ذاكرته وفى بصره ، وفى كل ما كان منه ، وأنه كما قال الله : ﴿ وإنَّكَ لَتَهدِى إلىَ صِراطٍ مستقِيم ﴾[3] .

• إن الله سبحانه تعالى يقول : ﴿ اللَّهُ يصطفى مِنَ الملائكة رُسلاً ومنَ النَّاس إنَّ اللَّهَ سميعٌ بَصير ﴾[4] تأمّل « يصطفى » فهو سبحانه يختار رسله من الملائكة ، ومن الناس ، واصطفاء الله سبحانه أزلى ، فهو يؤهله لذلك منذ بدء الخليقة ، فجبريل

---

(١) سورة الأعلى الآيتان : ٦ ، ٧ .

(٢) أخرجه ابن مردويه كذا فى فتح القدير ٤٢٦/٥ .

(٣) سورة الشورى الآية : ٥٢ آخر السورة .

(٤) سورة الحج الآية : ٧٥ .

عليه السلام مؤهَّل لتبليغ دين الله إلى رسول الله ، ورسول الله مؤهل لتبليغ دين الله إلى خلق الله .

• ويقول سبحانه : ﴿ **الله أعلم حيث يجعل رسالته** ﴾ فهناك أُناس مخصوصون الله أعلم بهم ، وبأهليتهم للقيام بتبليغ دينه إلى خلقه ، يقيم بهم سبحانه وتعالى الحجة على خلقه ﴿ **رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزاً حكيماً** ﴾ (1) .

ورسول الله محمد ﷺ أقام الله به الحجة علينا ، فبلَّغنا القرآن ، وبيَّنه لنا خير بيان ، وتركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها ، وقال له ﴿ **فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً** ﴾ (2) .

* * *

وفى القرآن الكريم آيات كثيرة تحث المؤمنين على استعمال العقل منها :

• قول الله سبحانه وتعالى : ﴿ **واتقون يا أولى الألباب** ﴾ (3) « والألباب » جمع لب وهو العقل . دعا أصحاب العقول ليتقوه سبحانه .. قال الحسن البصرى : إنما عاتبهم لأنه يحبهم (4) .

• وقوله سبحانه : ﴿ **إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب** ﴾ (5) أى : لعبر وعظات لأصحاب العقول المستقيمة ، التى تدرك الأشياء بحقائقها على جلياتها ، لا تزيغ بهم الأهواء ، ولا تجرفهم الشهوات ، وإنما عقولهم هى المسيطرة ، وتصرفاتهم وفق عقولهم .

وكثير من الآيات فى مدح العقل والعقلاء ، وأنهم هم أهل طاعة الله ، وأهل الاهتداء بكتاب الله ، وأهل الاتعاظ بما فى الكون من آيات الله .

---

(1) سورة النساء الآية : ١٦٥ .
(2) سورة النساء الآية : ٤١ .
(3) سورة البقرة الآية : ١٩٧ .
(4) العقل لابن أبى الدنيا ٥٣ ، ٥٤ رقم ٦٤ .
(5) سورة آل عمران الآية : ١٩٠ .

ورسول الله ﷺ إمام المتقين ، وأول المسلمين ، وأول العابدين ، وأخشى الخلق لله ، فعقله أقوى العقول ، ولبه أصفى الألباب ، سديد الفكر ، رشيد الرأى ، وصفه أصحابه ، فذكروا فيه كل الكمالات البشرية فى أكمل صورها :

قال على بن أبى طالب : لم أر قبله ولا بعده مثله[1] .

جمَّله الله بكل الكمالات البشرية ، وأجرى على يديه الكثير من البركات ، وأيَّده بالمعجزات ، وكل ذلك يأخذ بيد المسلمين للاقتداء به صلى الله عليه وسلم ، ويبين لهم أن بيانه للقرآن وحى معصوم ، وعلم صِدْقه معلوم .

فصلى الله عليه وسلم دائماً أبداً .

* * *

---

(١) الشمائل المحمدية ص ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ .

## ثانياً : سعة علمه صلى الله عليه وسلم :

وعلم الله رسوله الكثير تفضلاً ، وأطلعه على العظيم من آياته تكرماً ، وكشف له الكثير من الحجب ، وقرب له البعيد ، وأراه ما ليس من الدنيا .

قال سبحانه : ﴿ **وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيماً** ﴾[(1)] .

نِعَمٌ متوالية : ﴿ **وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة** ﴾ أما الكتاب : فجمع أصول العلوم والمعارف ، فيه خبر من مضى ، ونبأ ما بقى من الزمان .. فيه المنهج السليم فى العقيدة والشريعة والآداب .

وأما الحكمة : فالنبوة بعلومها ، المبينة لكتاب الله ، والكاشفة عن حقائق كثيرة لرسول الله .

﴿ **وعلمك ما لم تكن تعلم** ﴾ قال قتادة : علمه الله بيان الدنيا والآخرة ، بيّن حلاله وحرامه ليحتج بذلك على خلقه[(2)] .

وقال الضحاك : علمه الخير والشر[(3)] .

هذه نعمة عظيمة من الله على رسوله ، فالله الذى أحاط بكل شيء علماً علم هذا الرسول الخاتم ، علمه كل ما ينفعه وينفع دعوته ، علمه ما كان ، وما هو كائن ، وما سيكون مما ينفع دينه .

﴿ **وكان فضل الله عليك عظيماً** ﴾ ودائماً فضل الله عليك عظيم ، يعلمك ويلهمك ، ويحفظك ويكلؤك ، يرشدك ويرعاك ، ينعم ويعطى . إن فضل الله على العبد نعمة عظمى ، فما بالك إذا كان عظيماً ، فما بالك إذا كان على رسوله ومصطفاه .

---

(١) سورة النساء الآية : ١١٣ .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم ١٠٦٤/٤ رقم ٥٩٥٧ .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى الموطن السابق رقم ٥٩٥٨ .

لقد أبانت الآية : أن الله أعطى رسوله الكثير من العلم والفضل ، من التوفيق والسؤدد ، فاللائق بنا أن نتبعه صلى الله عليه وسلم فى كل ما جاءنا به عن الله ، ويقول سبحانه : ﴿ **فَأَوْحَى إلى عبده ما أوحى** ﴾ (١) إن هذه الآية تفيد فخامة الوحى الذى أوحاه الله إلي رسوله ﷺ ، أى أوحى إليه الكثير النافع الجامع لخيرى الدنيا والآخرة .

إن كلمة « ما أوحى » تذهب النفس فيها كل مذهب ، أوحى إليه ما أوحاه !!

أوحى إليه الكثير والكثير ، أوحى إليه العظيم والعظيم ، أعلمه ما لم يعلمه غيره ، وأطلعه على ما لم يطلع عليه غيره .

ويقول سبحانه : ﴿ **لقد رأى من آيات ربه الكبرى** ﴾ (٢) .

ويقول سبحانه : ﴿ **سبحان الذى أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا** ﴾ (٣) أى أنه صلى الله عليه وسلم رأى من الآيات العظام ما لا يحيط به الوصف ، وإذا شئت أن تقرأ شيئاً من ذلك فاقرأ تفسير الآيات الأولى من سورة الإسراء من تفسير ابن كثير ، فإنك تشعر من الأحاديث التى جمعها فيها أنه صلى الله عليه وسلم رأى الكثير والكثير :

رأى الأنبياء أحياء ، وصلى بهم إماماً .

رأى الكثير من ملكوت السموات والأرض .

رأى آيات الله فى انتقاله وجبريل بهذه السرعة .

رأى مصائر العصاة كل يعذب بنوع حسب ذنبه ، ورأى الدجال على حقيقته .

رأى مصائر الصالحين ، وما أعد لهم من النعيم ، حتى رأى الجنة وقصورها ، والحور العين .

رأى عظمة ملك الله ، واتساع الكون ، ووصف سدرة المنتهى ، والكثير من ملك الله تعالى .

---

(١) سورة النجم الآية : ١٠ .
(٢) سورة النجم الآية : ١٨ .
(٣) أول سورة الإسراء .

رأى ملائكة الله على صورتهم الحقيقية ، وهيئتهم العظيمة .
رأى كل ذلك رؤية بالعين ﴿ **ما زاغ البصر وما طغى** ﴾ .

إن القلم يعجز عن عد الآيات التى أراها الله له ، فلقد جمعها الله « آيات » ووصفها بـ « الكبرى » ، وفى الموطن الثانى افتتحت السورة بـ « سبحان » المفيدة لتعظيم الله وتمجيده سبحانه ، وما ذلك إلا لعظم الأمر المتحدث عنه وفخامته ، وهذا يفيد عظم الآيات التى أراها ربنا سبحانه لرسوله ﷺ .

إن من يتأمل هذه الآيات لا يسعه إلا أن يسلم أن بيان رسول الله ﷺ للقرآن الكريم هو البيان ، وأن الله أعطاه من العلم ما يجعل كل عاقل يحرص على دراسة كل ما كان منه ﷺ.

إنه الذى أنزل الله عليه الكتاب والحكمة .
إنه الذى علمه الله ما لم يعلم .
إنه الذى تفضل عليه الله .
إنه الذى أوحى إليه اللّه ما أوحى .
إنه الذى أراه الله من آياته الكبرى .
إنه الذى أسرى به الله ليلاً .
إنه الذى عرج به إلى الملأ الأعلى ، إلى سدرة المنتهى ، إلى جنة المأوى .
فهل فى الكون من يساويه ؟!! هل فى الكون من فى العلم يجاريه ؟
بدهى : لا .

وآيات أخرى كثيرة تبين ما منّ الله به عليه صلى الله عليه وسلم .

يقول ربنا سبحانه : ﴿ **عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول** ﴾[1] .

إن الغيب لله وحده ، هو الذى يعلمه ﴿ **وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو** ﴾[2] ، إلا أنه سبحانه وتعالى أعلم رسوله بما تقتضيه مصلحة دعوته ، وأخبر صلى الله عليه وسلم بما تقتضيه مصلحة الأمة .

---

(١) سورة الجن الآيتان : ٢٦ ، ٢٧ .
(٢) سورة الأنعام الآية : ٥٩ .

فهاهو فى حفر الخندق ، والمسلمون قلة ، والمشركون فى طريقهم إلى المدينة ، وقد جمعوا جموعهم ، وإن شئت أن تتصور الموقف فاقرأ صدر سورة الأحزاب وفيها : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها وكان الله بما تعملون بصيرا ۞ إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا ۞ هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالاً شديداً** ﴾ [1] .

تأمل هذا الوصف لحال المؤمنين ﴿ **وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر** ﴾ فى هذه الحال يخبر صلى الله عليه وسلم بأن الله سيفتح على أمته البلاد ، فستفتح بلاد الروم ، وبلاد فارس ، وبلاد اليمن .

ويتحقق كل هذا وفق ما أخبر صلى الله عليه وسلم .

أمر عجيب !! ففى وقت وصل المسلمون فيه إلى أعلى درجات الخوف يبشر صلى الله عليه وسلم بكل خير ، بل بخير عظيم ، إنه لا يبشرهم بالنصر فى هذه الغزوة فقط ، وإنما يبشرهم بالنصر العام ، وأن الله سينصر دينه ، ويمكن لأوليائه .

فعن البراء بن عازب قال : لما أمرنا رسول الله ﷺ أن نحفر الخندق عرض لنا فيه حجر لا يأخذ فيه المعول ، فاشتكينا ذلك إلى رسول الله ﷺ ، فجاء رسول الله ﷺ فألقى ثوبه ، وأخذ المعول وقال : « باسم الله ، فضرب ضربة فكسر ثلث الصخرة . قال : الله أكبر أعطيت مفاتيح الشام ، والله إنى لأبصر قصورها الحُمْر الآن من مكانى هذا . قال : ثم ضرب أخرى وقال : بسم الله ، وكسر ثلثاً آخر ، وقال : الله أكبر أُعطيت مفاتيح فارس ، والله إنى لأبصر قصر المدائن [2] الأبيض الآن ، ثم ضرب ثالثة ، وقال : بسم الله ، فقطع الحجر . قال : الله أكبر أعطيت مفاتيح اليمن ، والله إنى لأبصر باب صنعاء » [3] .

وحقق الله ما أخبر به الرسول ﷺ ، وانتصر المسلمون فى غزوة الخندق

---

(١) سورة الأحزاب الآيات : ٩ - ١١ .

(٢) المدائن اسم المدينة التى كانت عاصمة الفرس فى هذا الوقت ، سميت بالجمع تعظيماً .

(٣) أخرجه النسائى فى السير من الكبرى باب حفر الخندق ٥/٢٦٩ ح ٨٨٥٨ وأخرجه أحمد ٤/٣٠٣ وأفاد الحافظ فى الفتح ٧/٣٩٧ أن إسناده حسن .

(الأحزاب) وفتحت البلاد التى أخبر بفتحها ، فُتحت بلاد الشام ، وفُتحت بلاد فارس ، وفتحت بلاد اليمن ، وأصبحت هذه البلاد من قلب الأمة الإسلامية ، فصلى الله وسلم عليه من رسول أعلمه الله ما لا يمكن للعقل العادى أن يعلمه .

لقد كان الصحابة يعلمون هذه الصفة فيه صلى الله عليه وسلم ، ولذلك لما أخبرهم بفتح هذه البلدان يقول عمرو بن عوف فى روايته لهذا الحديث : « فاستبشر المسلمون ، وقالوا : الحمد لله ، **موعود صادق** بأن الله وعدنا النصر بعد الحصر [1] فطلعت الأحزاب [2] ، فقال المسلمون : ﴿ **هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيماناً وتسليماً** ﴾ [3] .

لقد كانوا يعلمون أنه الذى يوحى الله إليه بالقرآن ، وبما تقتضيه مصلحة الدعوة ، ومن هنا استبشروا ، وتحقق ما أخبر به صلى الله عليه وسلم .

• وعن أبى ذر - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : « إنى أرى ما لا ترون ، وأسمع ما لا تسمعون ، أطَّت [4] السماء وحق لها أن تئط ، ما منها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته لله ساجداً ، والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ، ولبكيتم كثيراً ، وما تلذذتم بالنساء على الفرش ، ولخرجتم إلى الصعدات [5] تجأرون [6] إلى الله » [7] .

نعم يرى ما لا نرى ، ويسمع ما لا نسمع ، فإنه رسول الله ﷺ الذى أعلمه الله ، فأراه وأسمعه ، وألهمه وعلمه ، وأوحى إليه وكلّمه .

ومن هنا ، فالدين كله يؤخذ عنه صلى الله عليه وسلم .

• وعن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ قال : « يا أمة

---

(١) أى بعد حصار الأحزاب لهم .

(٢) أى رجعت الأحزاب - جموع المشركين المعادين لرسول الله - إلى بلادهم إذ أرسل الله عليهم الريح والملائكة فطردتهم ﴿ **فأرسلنا عليهم ريحاً وجنوداً** ﴾ .

(٣) رواية عمرو بن عوف عند البيهقى فى دلائل النبوة ٤١٨/٣ -٤٢٠ .

(٤) أى أحدثت صوتاً من ثقل الملائكة عليها ، مثل صوت قتب البعير إذا كان عليه حمل ثقيل .

(٥) الصحارى والجبال . (٦) تتضرعون بالدعاء إلى الله تعالى .

(٧) أخرجه الترمذى فى الزهد باب ما جاء فى قول النبى ﷺ « لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً » ٦٠١/٦ وأخرجه ابن ماجه وأحمد .

محمد ، لو تعلمون ما أعلم ، لضحكتم قليلاً ، ولبكيتم كثيراً »[1] .

يخاطبنا صلى الله عليه وسلم خطاب الوالد الشفوق على ابنه يقول له : « يا بنى » وكذلك هنا يقول : يا أمة محمد ، وكم فى ذلك من إشفاق ، وقال « يا أمة محمد » ولم يقل « يا أمتى » وكم فى ذلك من التواضع .

يخاطبنا صلى الله عليه وسلم : لو تعلمون ما أعلم من عظيم قدرة الله وانتقامه من أهل المعاصى ، ولو تعلمون ما أعلم من كرم الله ورحمته لأهل طاعته ، لقل ضحككم ، أو امتنع ، وكثر بكاؤكم خوفاً من غضب الله ، وندماً على ما فاتكم من أى طاعة كان يمكنكم القيام بها .

والشاهد هنا « لو تعلمون ما أعلم » إنه الرسول الذى اصطفاه الله وعلمه ، فلا أحد فى الأمة يعلم علمه ، ولا أحد يفهم فهمه ، وإنما الجميع عنه صلى الله عليه وسلم يأخذ .

يقول الحافظ ابن حجر : وفى قوله صلى الله عليه وسلم : « لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً » دلالة على اختصاصه بمعارف بصرية وقلبية ، وقد يطلع الله عليها غيره من المخلصين من أمته ، لكن بطريق الإجمال ، وأما تفاصيلها فاختص بها النبى صلى الله عليه وسلم ، فقد جمع الله له بين علم اليقين وعين اليقين ، مع الخشية القلبية ، واستحضار العظمة الإلهية على وجه لم يجتمع لغيره ، ويشير إلى ذلك قوله فى الحديث الماضى فى كتاب الإيمان[2] من حديث عائشة : « إن أتقاكم وأعلمكم بالله أنا » .

• وعن جابر بن سمرة قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله تعالى تجلى لى فى أحسن صورة فسألنى : فيم يختصم الملأ الأعلى ؟ قلت : ربى ، لا أعلم به . قال : فوضع يده بين كتفىّ حتى وجدت بردها بين ثديى ، أو وضعها بين ثديى حتى وجدت بردها بين كتفىّ ، فما سألنى عن شىء إلا علمته »[3] .

---

(١) أخرجه البخارى فى الكسوف باب الصدقة فى الكسوف ٢/٥٢٩ .

(٢) باب قول النبى ﷺ : « أنا أعلمكم بالله » ١/٧٠ .

(٣) أخرجه ابن أبى عاصم فى السنة باب بعد باب ما ذكر من رؤية نبينا ربه تبارك وتعالى فى منامه ١/٢٠٣ رقم ٤٦٥ وأشار مخرجه إلى مواضعه من كتاب السنة قبل ذلك أو بعد ذلك ، كما أشار إلى مواضعه فى الكتب الأخرى .

تأمل « فسألني فيم يختصم الملأ الأعلى » ؟! إن السؤال عن الملأ الأعلى ، شيء بعيد عن الأرض وأهلها ، بل فوق بعض السموات وأجرامها ، فلما لم يُجب صلى الله عليه وسلم ، وضع ربنا تبارك وتعالى يده على صدره صلى الله عليه وسلم فعلم الكثير والكثير ، حتى إنه ما سأله ربنا عن شيء إلا كان قد علمه صلى الله عليه وسلم .

وعن فاطمة بنت المنذر عن أسماء ابنة أبي بكر - رضى الله عنهما - أنها قالت : أتيت عائشة حين خسفت الشمس والناس قيام وهي قائمة تصلى ، فقلت : ما للناس ؟ فأشارت بيدها نحو السماء فقالت : سبحان الله . فقلت : آية ؟ قالت برأسها أن نعم . فلما انصرف رسول الله ﷺ حمد الله وأثنى عليه ثم قال : « ما من شيء لم أره إلا وقد رأيته في مقامي هذا حتى الجنة والنار » ، وأوحى إليّ أنكم تفتنون في القبور قريباً من فتنة الدجال ، فأما المؤمن - أو المسلم ، لا أدرى أي ذلك قالت أسماء - فيقول : محمد جاءنا بالبينات فأجبناه وآمنا ، فيقال : نم صالحاً ، علمنا أنك موقن ، وأما المنافق - أو المرتاب ، لا أدرى أي ذلك قالت أسماء - فيقول : لا أدرى ، سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته »[1] .

تأمل قوله : « ما من شيء لم أره إلا وقد رأيته في مقامي هذا حتى الجنة والنار » لقد أطلعه الله على الكثير والكثير ، وأعلمه من فضله الكثير والكثير حتى أطلعه على الجنة والنار ، وإنما جعلها صلى الله عليه وسلم غاية « حتى الجنة والنار » للإشارة إلى أن الله أطلعه على كل ما يحدث لأمته في الدنيا ، بل وفي القيامة ، حتى الجنة والنار ، أعلمه ربنا سبحانه وتعالى كل ما يتعلق بأمته وبدينه ودعوته .

فعن أبي ذر - رضى الله عنه - أنه صلى الله عليه وسلم قال : « ثم عُرج بي حتى ظهرت لمستوى أسمع صريف الأقلام »[2] أي أقلام الملائكة التي تكتب بها ما قضاه الله سبحانه وتعالى تنسخ ذلك من اللوح المحفوظ .

---

(١) أخرجه البخاري في الاعتصام بالكتاب والسنة باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ ٢٥١/١٣ وقبل ذلك في العلم باب من أجاب الفتيا بإشارة اليد والرأس ١٨٥/١ رقم ٨٦ وفيه مواطنه الأخرى .
(٢) أخرجه البخاري في أول باب من كتاب الصلاة ٤٥٨/١ ح ٣٤٩ .

وعن أنس أنه صلى الله عليه وسلم قال : « ثم أدخلت الجنة ، فإذا فيها جنابذ اللؤلؤ ، وإذا ترابها المسك »[1] ، إنه صلى الله عليه وسلم قد أطلعه الله على الجنة ، إنه يصفها وصف من عاين وشاهد ، فيها قباب من لؤلؤ ، أما ترابها فهو المسك .

• وعن أسماء بنت أبي بكر - رضى الله عنهما - أن النبي ﷺ قال : « قد دنت منى الجنة حتى لو اجترأت عليها لجئتكم بقطاف من قطافها ، ودنت منى النار حتى قلت : أى رب وأنا معهم؟ »[2] .

لقد اقتربت منه الجنة حتى كان يمكنه أن يأخذ قطفاً من عنبها ، واقتربت منه النار حتى ظن أنها ستنطلق على أمته ، فنادى ربه أتعذبهم وأنا فيهم ؟ وقد وعده بأن لا يعذب أمته وهو صلى الله عليه وسلم فيهم ، فى قوله سبحانه : ﴿ **وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون** ﴾[3] .

فأمّن ربنا أمته صلى الله عليه وسلم من العذاب مادام صلى الله عليه وسلم فيهم ، وما داموا يكثرون من استغفار الله سبحانه وتعالى .

ولقد تحدث صلى الله عليه وسلم عن الجنة وما رأى فيها من قصر لعمر بن الخطاب ، وسمع فيها صوت خطا بلال بن رباح ، وأنه أراد أن يأخذ قطفاً من عنبها ، ولو أخذه لأكلت الأمة منها طول حياتها[4] .

وتحدث صلى الله عليه وسلم عن النار ، وأنه رآها يحطم بعضها بعضاً ، وجعل الله لها نفسين فى العام ، ورأى فيها صاحب المحجن الذى كان يسرق الحجاج ، ورأى فيها التى عذبت الهرة[5] حبستها فلا هى أطعمتها ، ولا تركتها ، رآها تخدشها الهرة .

وحديث أسماء « دنت منى الجنة حتى لو اجترأت عليها لجئتكم بقطاف من

---

(١) أخرجه البخارى فى الأنبياء باب ذكر إدريس عليه السلام ٣٧٤/٦ ، ٣٧٥ .

(٢) أخرجه البخارى فى الأذان باب قبل باب رفع البصر إلى الإمام فى الصلاة ٢٣١/٢ .

(٣) سورة الأنفال الآية : ٣٣ .

(٤) راجع كتاب الكسوف من صحيح مسلم ٦٢١/٢، وصحيح البخارى ح ٧٤٨ ٢٣٢/٢ باب الكسوف باب صلاة الكسوف ٥٤٠/٢ جماعة حديث رقم ١٠٥٢ .

(٥) البخارى أذان باب رفع البصر إلى الإمام فى الصلاة ٢٣١/٢ ، ومسلم فى الكسوف ٦٢٣/٢ .

قطافها » ، وفى رواية أخرى له : « إنى رأيت الجنة فتناولت عنقوداً ، ولو أصبته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا »[1] هذا الحديث يفيد أنه صلى الله عليه وسلم قد كشفت له الحجب ، وطويت له المسافات ، حتى أصبحت الجنة والنار على مقربة منه جداً ، فالدنو الذى هو بمعنى القرب على حقيقته ، وكذا « رأيت الجنة » فالرؤية هنا بصرية ، خلق الله سبحانه وتعالى لرسوله إدراكاً خاصاً أدرك به الجنة والنار على حقيقتهما ، ويؤيد هذا أنه صلى الله عليه وسلم يؤكد أنه كان فى حوزته أن يأخذ قطفاً من قطاف الجنة ، إلا أنه لم يفعل ذلك لأن طعام الجنة لأهلها ، نسأل الله الكريم بوجهه العظيم أن يجعلنا منهم .

إنه صلى الله عليه وسلم يتكلم عن أمور غيبية كلام من شاهد وعاين ، فإن الله جلت قدرته أطلعه وبيّن له ، تأمل قوله صلى الله عليه وسلم : « الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من يُفيق ، فإذا أنا بموسى آخذٌ بقائمة من قوائم العرش ، فلا أدرى أفاق قبلى أم جوزى بصعقة الطور »[2] إنه صلى الله عليه وسلم يتكلم كلام من أطلعه الله ، فيصف الأمور بكل دقة ، مع التواضع الجم ، والأدب العالى .

ويصف آدم عليه السلام وكيف كان خَلْقُه ، ويصف أهل الجنة حينما يدخلون الجنة وأحوالهم . يصف بداية خلق البشرية ودخولهم الجنة ، أزمنة مديدة ، وأحوال عديدة يستعرضها صلى الله عليه وسلم أمام الأمة يحثها على طاعة الله ، لكنها فى نفس الوقت تدل على عِظم ما منّ الله به عليه من علوم :

فعن أبى هريرة – رضى الله عنه – عن النبى ﷺ قال : « خلق الله آدم وطوله ستون ذراعاً ، ثم قال : اذهب فسلِّم على أولئك من الملائكة ، فاستمع ما يُحيُّونك ، تحيتك وتحية ذريتك ، فقال : السلام عليكم . فقالوا : السلام عليك ورحمة الله . فزادوه : ورحمة الله . فكل من يدخل الجنة على صورة آدم ، فلم يزل الخلق ينقص حتى الآن »[3] .

---

(١) هى التى عند البخارى فى التخريج قبل السابق حديث رقم ١٠٥٢ .

(٢) أخرجه البخارى فى أحاديث الأنبياء باب قول الله تعالى : ﴿ ووعدنا موسى ثلاثين ليلة ... ﴾ ٦/٤٣٠ رقم ٣٣٩٨ .

(٣) أخرجه البخارى فى الأنبياء الباب الأول ٦/٣٦٢ .

وعن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : « أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر ، ثم الذين يلونهم على أشد كوكب دُرِّىٍّ فى السماء إضاءة ، لا يبولون ، ولا يتغوطون ، ولا يتفلون ، ولا يمتخطون ، أمشاطهم الذهب ، ورشحهم[1] المسك ، ومجامرهم[2] الألُوَّة[3] ، الألنجوج ، عود الطيب ، وأزواجهمْ الحور العين ، على خَلق رجل واحد ، على صورة أبيهم آدم ، ستون ذراعاً فى السماء »[4] .

لقد علمه الله الكثير والكثير ، يقول حذيفة بن اليمان : « قام فينا رسول الله ﷺ مقاماً ما ترك شيئاً يكون فى مقامه ذلك إلى قيام الساعة إلا حدث به ، حفظه من حفظه ونسيه من نسيه . قد علمه أصحابى هؤلاء وأنه ليكون منه الشىء قد نسيته فأراه فأذكره ، كما يذكر الرجل وجه الرجل إذا غاب عنه ، ثم إذا رآه عرفه »[5] .

لقد تحدث كثير من الصحابة عن العلوم التى أفاضها الله جل جلاله على رسوله المعصوم صلى الله عليه وسلم ، منها ما تحقق أمامهم ، ومنها ما تحقق فى زماننا ، ومنها ما سيحدث بعد ذلك . أما ما تحقق أمامهم فهو كثير جداً[6] ، وإنما سأقتصر على القليل منه :

* أخرج البخارى عن عبد الله بن مسعود - رضى الله عنه - قال : انطلق سعد ابن معاذ معتمراً ، قال : فنزل على أمية بن خلف أبى صفوان ، وكان أمية إذا انطلق إلى الشام فمر بالمدينة نزل على سعد ، فقال أمية لسعد : ألا انتظر حتى إذا انتصف النهار وغفل الناس انطلقت فطفت فبينا سعد يطوف إذا أبو جهل ، فقال : من هذا الذى يطوف بالكعبة ؟ فقال سعد : أنا سعد . فقال أبو جهل : تطوف بالكعبة آمناً ، وقد آويتم محمداً وأصحابه ؟ فقال : نعم . فتلاحيا بينهما . فقال أمية لسعد : لا ترفع صوتك على أبى الحكم ؛ فإنه سيد أهل الوادى ، ثم قال سعد : والله لئن

---

(١) عرقهم . (٢) بخورهم .
(٣) الألوة ، والألنجوج ، عود الطيب بمعنى واحد .
(٤) أخرجه البخارى فى الموطن السابق .
(٥) أخرجه مسلم فى الفتن باب إخبار النبى ﷺ فيما يكون إلى قيام الساعة ٢٢١٧/٤ .
(٦) إذا أردت المزيد فراجع كتب دلائل النبوة ، ومن أجمعها : دلائل النبوة للبيهقى .

منعتنى أن أطوف بالبيت لأقطعن متجرك بالشام . قال فجعل أمية يقول لسعد : لا ترفع صوتك ، وجعل يمسكه ، فغضب سعد فقال : دعنا عنك ، فإنى سمعت محمداً ﷺ يزعم أنه قاتلك .

قال ( أمية ) : إياى ؟

قال ( سعد ) : نعم .

قال ( أمية ) : والله ما يكذب محمد إذا حدّث ، فرجع إلى امرأته فقال : أما تعلمين ما قال لى أخى اليثربى [1] ؟

قالت : وما قال ؟

قال : زعم أنه سمع محمداً يزعم أنه قاتلى [2] !!

قالت : فوالله ما يكذب محمد .

قال ( عبدالله بن مسعود راوى الحديث ) : فلما خرجوا إلى بدر وجاء الصريخ [3] قالت له امرأته : أما تذكر ما قال لك أخوك اليثربى ؟

قال : فأراد ألّا يخرج ، فقال له أبو جهل : إنك من أشراف الوادى ، فسر يوماً أو يومين ، فسار معهم يومين فقتله الله [4] .

لقد كان سعد بن معاذ مصدقاً لما قاله رسول الله ﷺ أن أمية بن خلف سيقتله المسلمون ، وكان ذلك قبل بدر بزمان ، فلما أخبر سعدٌ أميّة بذلك ، فعلى الرغم من كفره صدّق ، واعترف أن رسول الله إذا قال شيئاً وقع كما أخبر ، ولما أخبر أميّة زوجته اعترفت بأن ما يقوله رسول الله ﷺ حق ، وتحقق ما قاله رسول الله ﷺ ، وقتل المسلمون أمية فى غزوة بدر .

إنما آثرت هذه القصة لما فيها من معرفة سعد بن معاذ المسلم ، وأمية بن خلف المشرك ، وزوجته المشركة ، فعلى الرغم من عدائهما لرسول الله ﷺ إلا أنهما

---

(١) يريد سعد بن معاذ ، وهو يثربى نسبة إلى يثرب اسم المدينة قبل هجرة الرسول ﷺ إليها .

(٢) أى سيقتله ، بنفسه أو بجيشه كما جاء فى موطن آخر عند البخارى رقم ٣٩٥٠ « لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول إنهم قاتلوك » .

(٣) النداء لخروج للحرب .

(٤) أخرجه البخارى فى المناقب باب علامات النبوة فى الإسلام ٦٢٩/٦ رقم ٣٦٣٢ ، وفى المغازى باب ذكر النبى ﷺ من يقتل ببدر ٢٨٢/٧ رقم ٣٩٥٠ .

يعترفان أن ما يقوله رسول الله فهو الحق ، ولابد أن يتحقق ، وكأنى بالجميع - المسلم والمشرك - يردد قول الله : ﴿ وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى ﴾ .

* * *

• وحينما توجه المسلمون لملاقاة عير قريش ، ففرت العير ولم يدركوها ، إلا أن مشركى مكة جاءوا بجيوشهم ، وفرض على المسلمين القتال ، وكان عدد المسلمين ثلث عدد المشركين ، وبينما الحرب قاب قوسين أو أدنى سار رسول الله ﷺ فى الأرض التى ستكون عليها المعركة ، وأخذ يضع يده ، ويقول : هذا مصرع فلان ، وحدد أماكن سيقتل فيها أشخاص بأعيانهم من صناديد الشرك ، وفى اليوم الثانى حدثت المعركة ، فكل شخص أخبر صلى الله عليه وسلم بقتله قتل فى المكان الذى أخبر به صلى الله عليه وسلم .

فعن عمر بن الخطاب قال : إن رسول الله ﷺ كان يُرينا مصارع أهل بدر بالأمس يقول : « هذا مصرع فلان غداً إن شاء الله . قال : فوالذى بعثه بالحق ما أخطئوا الحدود التى حدّ رسول الله ﷺ [1] .

* * *

• وهاهو عدى بن حاتم الطائى يحدثنا عن أشياء حدّث رسول الله ﷺ أنها ستحدث ، فحدث منها أشياء فى حياة عدى :

فعن عدى بن حاتم قال : « بينا أنا عند النبى ﷺ إذ أتاه رجل فشكا إليه الفاقة ، ثم أتاه آخر فشكا إليه قطع السبيل ، فقال : يا عدى ، هل رأيت الحيرة [2] ؟ قلت : لم أرها ، وقد أنبئت عنها . قال : فإن طالت بك حياة لترين الظعينة [3] ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف أحداً إلا الله . قال عدى : قلت فيما بينى وبين نفسى فأين دعار طىء [4] ، الذين قد سعّروا البلاد [5] ؟

(١) أخرجه مسلم فى الجنة باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه ٤/ ٢٢٠٢، ٢٢٠٣ ح ٧٦ ، وفى الجهاد باب غزوة بدر ٣/١٤٠٤ ح ٨٣ .

(٢) بلدة من بلاد العراق .

(٣) المرأة فى الهودج على ظهر الجمل .

(٤) طيئ قبيلة مشهورة منها عدى بن حاتم هذا ، ودعار طيئ : أى قطاع الطريق من قبيلة طيئ .

(٥) أى ملئوها فساداً .

قال صلى الله عليه وسلم : ولئن طالت بك حياة لتفتحن كنوز كسرى . قلت : كسرى بن هرمز ؟ قال : كسرى بن هرمز ، ولئن طالت بك حياة لترين الرجل يخرج ملء كف من ذهب أو فضة يطلب من يقبله منه فلا يجد أحداً يقبله منه . قال عدى : فرأيت الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف إلا الله ، وكنت فيمن افتتح كنوز كسرى بن هرمز ، ولئن طالت بكم حياة لترون ما قال النبى أبو القاسم ﷺ : يخرج ملء كفه[1] .

لقد سمع عدى من رسول الله ثلاثة أشياء ستحدث ، فتحقق أمران على مرأى ومسمع من عدى ، وهو متأكد من حدوث الثالث ، وما ذلك إلا لأن الله يطلعه على ما شاء سبحانه وتعالى ، وهم يؤمنون بذلك .

لقد حدثت مواقف تبين بجلاء مدى سعة علمه صلى الله عليه وسلم :

فعن أنس أن رسول الله ﷺ خرج حين زاغت الشمس فصلى الظهر ، فقام على المنبر فذكر الساعة ، فذكر أن فيها أموراً عظاماً ، ثم قال : من أحب أن يسأل عن شىء فليسأل ، فلا تسألونى عن شىء إلا أخبرتكم ما دمت فى مقامى هذا ، فأكثر الناس فى البكاء[2] ، وأكثر أن يقول : سلونى . فقام عبد الله بن حذافة السهمى فقال : من أبى ؟ قال : أبوك حذافة . ثم أكثر أن يقول سلونى ، فبرك عمر على ركبتيه فقال : رضينا بالله رباً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد نبياً ، فسكت ، ثم قال : عرضت على الجنة والنار آنفاً[3] فى عرض هذا الحائط فلم أر كالخير والشر »[4] .

وعن عمر - رضى الله عنه - قال : « قام فينا النبى ﷺ مقاماً ، فأخبرنا عن بدء الخلق حتى دخل أهل الجنة منازلهم ، وأهل النار منازلهم ، حفظ ذلك من حفظه ، ونسيه من نسيه »[5] .

---

(١) أخرجه البخارى فى المناقب باب علامات النبوة فى الإسلام ٦١٠/٦ ح ٣٥٩٥ .

(٢) جاء فى رواية أخرى سبب بكائهم « وظنوا أن ذلك بين يدى أمر قد حضر » .

(٣) الآن .

(٤) أى فلم أر كالخير والشر المرئى فى ذلك المقام ، والحديث أخرجه البخارى فى مواقيت الصلاة باب وقت الظهر ٢١/٢ ، وفى الاعتصام باب ما يكره من كثرة السؤال ٢٦٥/١٣ .

(٥) أخرجه البخارى فى أول بدء الخلق ٢٨٦/٦ رقم ٣١٩٢ .

وعن حذيفة قال : قام فينا رسول الله ﷺ مقاماً ما ترك شيئاً يكون فى مقامه ذلك إلى قيام الساعة إلا حدث به ، حفظه من حفظه ، ونسيه من نسيه ، قد علمه أصحابى هؤلاء ، وإنه ليكون منه الشىء قد نسيته فأراه فأذكره ، كما يذكر الرجلُ وجه الرجل إذا غاب عنه ، ثم إذا رآه عرفه[1] .

وعن عمرو بن أخطب قال : صلى بنا رسول الله ﷺ الفجر ، وصعد المنبر فخطبنا حتى حضرت الظهر ، فنزل فصلى ، ثم صعد المنبر فخطبنا حتى حضرت العصر ، ثم نزل فصلى ، ثم صعد المنبر فخطبنا حتى غربت الشمس ، فأخبرنا بما كان وبما هو كائن ، فأعلمنا أحفظنا[2] .

لقد بلغ من سعة علمه الذى مَنّ الله به عليه صلى الله عليه وسلم أن حدّث الأمة بما سيحدث لها من بعده ، يحذرها من المتالف ، ومن الزيغ والضلال ، وهذا كثير ، لكنى أيضاً أقتصر على بعض منه ، مشيراً بالجزء إلى الكل ، ومبيناً أن الله أطلعه على الكثير من العلوم التى تُصلح شأن الأمة بعده صلى الله عليه وسلم ، فمن ذلك :

• عن أبى هريرة – رضى الله عنه – قال : قال رسول الله ﷺ : « صنفان من أهل النار لم أرهما ؛ قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ونساء كاسيات عاريات ، مميلات مائلات رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة ، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها ، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا »[3] .

لقد أخبر صلى الله عليه وسلم عن ظهور هذين الصنفين بعده ، وقد ظهر الصنفان : الذين يتفننون فى إيذاء الناس وضربهم بأبشع الوسائل ، والنساء اللائى يظهرن مفاتنهن ، فهن كاسيات عاريات .

* * *

---

(١) أخرجه مسلم فى الفتن باب إخبار النبى ﷺ فيما يكون إلى قيام الساعة ٢٢١٧/٤ رقم ٢٣ .
(٢) أخرجه مسلم فى الموضع السابق رقم ٢٥ .
(٣) أخرجه مسلم فى اللباس باب النساء كاسيات العاريات ١٦٨٠/٣ ، وفى الجنة باب النار يدخلها الجبارون ٢١٩٢/٤ .

• وعن عبد الله بن عمر – رضى الله عنهما – قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إذا تبايعتم بالعينة [1] ، وأخذتم أذناب البقر ، ورضيتم بالزرع ، وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم » [2] .

إذا أقبلت الأمة على الدنيا ، فاجتهدت فى جمع المال ، حتى احتالوا على الربا ، واجتهدوا فى رعى الماشية ، وفى استزراع الأراضى ، وتركوا الجهاد الذى هو وسيلة حماية الأمة ونصرة دين الله ، إذا فعلوا ذلك سلط الله عليهم الذل .

هكذا أخبر صلى الله عليه وسلم ، وإنك تجده الآن واقعاً فى حياة الأمة ، تتقوى الأمم وتصنع الأسلحة ، وتنظم الجيوش ، أما أمتنا فأقبلت على الدنيا ، ونسيت الجهاد فأصبحت فى ذل عريض ، تستجدى بعض حقوقها ، ولكن الأمم ترفض عليها ذلك ، فتحقق قوله صلى الله عليه وسلم ، فإنه الذى لا ينطق عن الهوى .. وليت الأمة تسمع لما يحذرها منه ، وتعمل بذلك .

• وعن أبى هريرة – رضى الله عنه – قال : قال رسول الله ﷺ : « يأتى على الناس زمان يأكلون الربا ، فمن لم يأكله أصابه من غباره » [3] .

كل عاقل يعترف أن هذا الحديث لا يقوله إلا رسول أطلعه الله على ما سيحدث لأمته ، فمن من الناس الآن لم يصبه غبار الربا ؟

معاملات يتعاملها الناس دون أن يضبطوها على الإسلام ، وأجهزة مالية تدير الأموال بعيدة عن الإسلام ، والكثير مرتبط بها ، أو قل : كل الناس له علاقة بهذه الهيئات المالية ، فتحقق ما أخبر به صلى الله عليه وسلم .

إلا أن وجه الإعجاز فى الحديث يظهر من جهة أن الأمة فى عصر النبوة كانت متحرية فى كسبها ، تحترز من الربا كل الاحتراز ، إلا أنه صلى الله عليه وسلم أخبر أن الأمر سيختلف عن زمانه ، وأن الربا سيشيع ، وما ذلك إلا بما أطلعه الله عليه .

---

(١) العينة : بيع فيه حيلة للتوصل إلى الربا ، كأن يبيع شخص لآخر قطعة قماش بمائة جنيه آجلاً ، ثم يشتريها منه بستين جنيهاً نقداً . فكأنه أعطاه ستين ليأخذها مائة بعد فترة .

(٢) أخرجه أبو داود فى البيوع باب فى النهى عن العينة ٣/٢٧٤ .

(٣) أخرجه النسائى فى البيوع باب اجتناب الشبهات فى الكسب ٧/٢١٥ ، وأخرجه الحاكم ٢/١١ ، وأخرجه أحمد ٢/٤٩٤ .

وغير هذا كثير ، فلقد أخبر صلى الله عليه وسلم عن أمور كثيرة حدثت كما أخبر ، وأخبر عن الفتن وأشراط الساعة ، وتحدث عن القيامة ، والصراط والحوض ، والميزان ، وتحدث عن الجنة والنار .

تحدث عن المهدى ، والمسيح الدجال ، ونزول عيسى وخروج الدابة ، وطلوع الشمس من مغربها . كلُّ هذا تضمنته كتب السنة ، وتكشف الأيام عن صدقه كما أخبر صلى الله عليه وسلم .

لقد قال : « تقوم الساعة والروم أكثر الناس » (١) فتحقق هذا تماماً ، فهم الآن أكثر الأجناس ، ملئوا قارة أوربا ، وأمريكا ، واستراليا وجنوب أفريقيا ، ولا تجد دولة إلا وكثير من الروم فيها (٢) ، لقد تحقق ما أخبر به صلى الله عليه وسلم ، وما ذلك إلا لأن الله العليم الخبير قد علمه ، علمه الكثير والكثير من أقداره سبحانه وتعالى فى ملكه ، ومن أسرار ملكوتاته ، وكل هذا يجعل العقل موقناً أن بيان القرآن إنما هو فى سنته صلى الله عليه وسلم ، فمن اصطفاه الله وعلمه ، وأراه من آياته ، وأسرى به فى ملكوتاته وزكاه ومدحه هو الذى يبين القرآن الكريم .

* * *

(١) أخرجه مسلم فى الفتن باب : تقوم الساعة والروم أكثر الناس ٢٢٢٢/٤ .

(٢) الروم هم الذين نقول عليهم الآن : الأوربيون أو يلقبون أنفسهم بـ « البيض » وكان يقال لهم : بنو الأصفر ؛ لأن أحد أجدادهم اسمه « الأصفر » وبلادهم تجاور بلاد الترك والروس ، وفى الفتح الإسلامى كان الروم يحتلون بلاد الشام ومصر . راجع معجم البلدان ٩٧/٣ مادة « روم » .

## ثالثاً : عصمته صلى الله عليه وسلم :

ومما يزيد العقل إقبالاً على السنة ، ومعرفة بقدرها : أن صاحبها صلى الله عليه وسلم قد عصمه الله فهو :

* لا يفعل إلا ما يرضى الله تبارك وتعالى ، ولا يقول إلا الحق ، ولا يوافق إلا على الصواب .

ومن هنا قال الله تعالى : ﴿ **لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً** ﴾ [1] إنه الذى أوصانا الله باتباعه، لأنه لا يصدر عنه إلا الحق ، صرفه الله عن كل مخالفة ، ووفقه وقواه فى كل طاعة ، فلا يفعل معصية صغرت أو كبرت ، ولا يقصر فى طاعة استحبّت أو وجبت ، إنما هو دائماً فى طاعة الله تعالى ، على خير ما تكون العبودية [2] .

* وهو ، وكل الرسل : إنما أرسله الله ليقيم به الحجة على خلقه ﴿ **رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزاً حكيماً** ﴾ [3] ، ومادامت الحجة تقوم به فإنه لا يصدر عنه إلا كل عقيدة صحيحة ، وكل عبادة مستقيمة ، يُبلِّغ دين الله كاملاً ، ويؤديه بكل حكمة ، ويوضحه بكل اجتهاد .

* إنه الذى قال الله فيه : ﴿ **لقد منّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين** ﴾ [4] ، إنه الذى يزكى المؤمنين ، فيطهرهم من أدناس الجاهلية ، وأنجاس الكفر والضلال ، ويعلمهم القرآن والسنة ، يعلمهم بالقول والعمل ، وعليه فكل ما صدر عنه فهو حق .

---

(١) سورة الأحزاب الآية : ٢١ .

(٢) هذا تفسير العصمة .

(٣) سورة النساء الآية ١٦٥ .

(٤) سورة آل عمران الآية : ١٦٤ .

عن عبد الله بن عمرو – رضى الله عنهما – قال : « كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله ﷺ أريد حفظه ، فنهتني قريش ، وقالوا : تكتب كل شيء تسمعه من رسول الله ﷺ ، ورسول الله ﷺ بشر يتكلم فى الرضى والغضب ؟ قال : فأمسكت فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فقال : اكتب ؛ فوالذى نفسى بيده ما خرج منه إلا حق ، وأشار بيده إلى فيه »[1] .

وعن أبى هريرة – رضى الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال : « إنى لا أقول إلا حقاً . قال بعض أصحابه : فإنك تداعبنا[2] يا رسول الله ؟ فقال : إنى لا أقول إلا حقاً »[3] .

إنه صلى الله عليه وسلم لا يخرجه الغضب ، ولا يخرجه المزاح عن الحق ، وإنما هو محق فى كل أموره وأحواله ، ولذلك لما أرسل عمر إلى أهل خيبر يطالبهم بالجلاء عن الجزيرة قال أحد بنى أبى الحقيق – وهو رأس يهود خيبر – يا أمير المؤمنين أتخرجنا وقد أقرنا محمد ﷺ ، وعاملنا على الأموال ، وشرط ذلك لنا ؟ فقال عمر : أظننت أنى نسيت قول رسول الله ﷺ : كيف بك إذا أخرجت من خيبر تعدو بك قلوصك[4] ليلة بعد ليلة .

فقال : ابن أبى الحقيق – كان ذلك هزيلة[5] من أبى القاسم ﷺ .

فقال عمر : كذبت يا عدو الله[6] إنه صلى الله عليه وسلم أخبر اليهود بأنه

---

(١) أخرجه الحاكم فى المستدرك كتاب العلم باب الأمر بكتابة العلم ١٠٤/١ ، ١٠٥ ، من عدة طرق ، وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، وأقره الذهبى ، وأخرجه أبو داود فى العلم باب كتابة العلم ٧٩/١٠ ، وأخرجه الدارمى فى المقدمة باب : من رخص فى كتابة العلم ١٠٣/١ .

(٢) تمازحنا .

(٣) أخرجه الترمذى فى البر ، باب : ما جاء فى المزاح ١٢٦/٦ ، وحسنه وهو عنده فى الشمائل باب : مزاحه صلى الله عليه وسلم ص ١٩٨ ، وأخرجه أحمد ٣٤٠/٢ ، ٣٦٠ واللفظ له .

(٤) **القلوص** : الناقة التى عندها قدرة على السير طويلاً .

(٥) الهزل ضد الجد ، وهنا أنث الهزل وصغره فقال « هُزَيْلَة » أى كان هذا الإخبار من رسول الله ﷺ بإجلاء اليهود عن المدينة ، كان هزلاً لا جداً ، ولذا أنكر عليه عمر .

(٦) أخرجه البخارى فى الشروط باب إذا اشترط فى المزارعة « إذا شئت أخرجتك » ٣٢٧/٥ ،

سيأتى يوم يُخْرَجون من المدينة ، بل جاء فى رواية أخرى : نحو الشام ، فلما أراد عمر إجلاءهم لأسباب عدة ، اعترضوا بأن رسول الله ﷺ لم يخرجهم ، فأخبرهم عمر بأنهم سمعوا من رسول الله ﷺ أنهم سيُخْرَجون من المدينة ، ومن الجزيرة ، فأجابوا بأن رسول الله ﷺ إنما قال ذلك هازلاً ، فوبخهم عمر على ذلك ؛ لأنه يعلم أن رسول الله ﷺ لا يقول إلا الحق ، لقد كان الأمر من أعلام نبوته صلى الله عليه وسلم ، وأنهم لن يريحوا المسلمين ، ولابد أن المسلمين سيخرجونهم ، وقد تحقق ما أخبر به صلى الله عليه وسلم .

• إنه الرسول الذى خصه الله بالعصمة من الشيطان فى جسمه وخاطره ولسانه ، فكل إنسان يوسوس له شيطانه إلا رسول الله ﷺ فإن الله عصمه من هذا ، فلا يوسوس له شيطانه ، ولا يزين له الشر ، وإنما أسلم هذا الشيطان !!

فعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « ما منكم من أحد إلا وقد وُكِّل به قرينه من الجن . قالوا : وإياك يا رسول الله ؟ قال : وإياى إلا أن الله أعاننى عليه فأسلم ، فلا يأمرنى إلا بخير »[1] .

روى « فأسلمُ » بالرفع ومعناه : فأسلمُ أنا من شره وفتنته .

وروى « فأسلمَ » بفتح الميم ومعناه : أن القرين أسلم أى استسلم وانقاد وأصبح تابعاً لهديه صلى الله عليه وسلم ، أو صار مسلماً مؤمناً ، وهذا هو الأرجح .

سبحان الله ! شيطانه أسلم فلا يدعوه إلى شر ، ولا يزين له السوء ، إنما كما قال صلى الله عليه وسلم : « فلا يأمرنى إلا بخير » ، هذه خصوصية له صلى الله عليه وسلم لم يؤتها أحد من الأمة ، وهى خصوصية لها قدرها فى ساحة العلم ، فكم من زلات حدثت بوسوسة الشيطان ، وكم من أخطاء حدثت سببها الخواطر الشيطانية :

قال الله تعالى : ﴿ **واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر** ﴾[2] .

---

(١) أخرجه مسلم فى المنافقين باب تحريش الشيطان ٤/٢١٦٧ .

(٢) سورة البقرة الآية : ١٠٢ .

وقال سبحانه : ﴿ **وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم وإن أطَعتُموهم إنكم لمشركون** ﴾ [1] .

وفى موضوع « رؤيته صلى الله عليه وسلم ما لا نرى » ذكرت حادثة تجرؤ الشيطان عليه ، وأن الله تعالى أمكنه منه ، وأنه كان يمكن أن يربطه بأحد أعمدة المسجد ، لولا التأدب مع ما اختص الله به سليمان عليه السلام ، وهذا ليس قرينهُ ، وإنما الذى تجرأ عليه إبليس أبوهم ، وهو صلى الله عليه وسلم عصمه الله من الجميع .

وأما الآيات والأحاديث المفيدة لتجرؤ الشيطان عليه أو على غيره من الأنبياء كقوله تعالى : ﴿ **خذ العفو وأمُرْ بالعرف وأعرض عن الجاهلين * وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه سميع عليم** ﴾ [2] فدور الشيطان لا أن يؤثر عليه صلى الله عليه وسلم ، وإنما يحرض الجاهل على أمل أن لا يتمكن صلى الله عليه وسلم من الإعراض عن جهل الجاهلين ، فالشياطين تعجز عن التأثير على رسل الله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، وإنما تستعمل بعض الناس فى بلوغ غاياتهم من الإضلال ، ومع ذلك لا يمكنهم الله من كل ذلك .

ففى هجرته صلى الله عليه وسلم تمثل إبليس فى صورة إنسان ، وأخذ يتداول الرأى مع مشركى مكة حتى توصلوا إلى رأى اعتبره ، واعتبره المشركون حلاً حاسماً وجميلاً ، فرد الله كيد إبليس وكيد المشركين فى نحورهم ، ونجى الله رسوله ﷺ .

إنه لا يجرؤ هو على المرسلين ، وإنما يستعمل قساة القلوب من البشر أو المغفلين .

وربما تمثل فى صورة شخص معروف بوجاهة الرأى ، فأشار برأى بغرض الإضلال كما فى غزوة بدر ، حينما ظهر إبليس فى صورة سراقة .

على أنه قد يرد لفظ الشيطان فى الآية أو الحديث على طريقة العرب فى لغتهم ، يصفون كل قبيح من شخص أو فعل بالشيطان ، أو فعله ، كما قال الله : ﴿ **طلعها كأنه رؤوس الشياطين** ﴾ [3] وكقوله صلى الله عليه وسلم للمصلى الذى

---

(١) سورة الأنعام الآية : ١٢١ .
(٢) سورة الأعراف الآيتان : ١٩٩ ، ٢٠٠ .
(٣) سورة الصافات الآية : ٦٥ .

يمر أمامه إنسان : « فليقاتله فإنما هو شيطان »[1] إنه إنسان ، وفى المسجد ، لكن لما مر أمام المصلى أطلق عليه رسول الله ﷺ لفظ « شيطان » .

يقول القاضى عياض : واعلم أن الأمة مجمعة على عصمة النبى ﷺ من الشيطان ، وكفايته منه[2] ، لا فى جسمه بأنواع الأذى ، ولا على خاطره[3] بالوساوس[4] .

* إنه الرسول الذى قال الله فيه : ﴿ **يا أيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم فآمنوا خيراً لكم ...** ﴾[5] .

وقال سبحانه فيه صلى الله عليه وسلم : ﴿ **والنجم إذا هوى * ما ضل صاحبكم وما غوى * وما ينطق عن الهوى * إن هو إلا وحى يوحى** ﴾[6] .

وقال : ﴿ **ما كذب الفؤاد ما رأى** ﴾[7] .

وقال : ﴿ **ما زاغ البصر وما طغى** ﴾[8] .

فزكى سبحانه وتعالى حواسه صلى الله عليه وسلم ومداركه ، وبيّن أنه جاءنا بالحق من الله تبارك وتعالى .

* إنه الرسول الذى قال الله له : ﴿ **ن * والقلم وما يسطرون * ما أنت بنعمة ربك بمجنون * وإن لك لأجراً غير ممنون * وإنك لعلى خلق عظيم** ﴾[9] .. يقسم سبحانه : إنك يا رسول الله ﷺ لست ولله الحمد بمجنون ، كما يقوله الجهلة المكذبون لما جئت به من الحق ، وإنما أنت الرشيد الأمين ، ولك من الله الأجر

---

(١) أخرجه البخارى فى الصلاة باب يرد المصلى من مرين يديه ٥٨١/١ .

(٢) أى حمايته منه . (٣) فكره وقلبه .

(٤) ما يلقيه الشيطان فى نفسه صلى الله عليه وسلم ، وراجع الشفا فصل فى إجماع الأمة على عصمة النبى ﷺ من الشيطان ٧٣٥/٢ ففيه تفصيل حسن فى هذا الموضوع .

(٥) سورة النساء الآية : ١٧٠ .

(٦) أول سورة النجم .

(٧) سورة النجم الآية : ١١ .

(٨) سورة النجم الآية : ١٧ .

(٩) أول سورة القلم .

العظيم ، والثواب الجزيل الذى لا ينقطع ولا يبيد على إبلاغك رسالة ربك إلى الخلق ، وصبرك على أذاهم .

وإنك أيضاً على دين عظيم ألا وهو الإسلام ، وعلى أدب جم ، سئلت أم المؤمنين عائشة - رضى الله عنها عن خلقه صلى الله عليه وسلم فقالت : « ألست [1] تقرأ القرآن ؟ قلت - أى سعد بن هشام - بلى . قالت : فإن خُلق نبى الله ﷺ كان القرآن » [2] ، كان خلقه القرآن ، يأتمر بأمره ، ولا يهوى إلا ما فى القرآن الكريم ، وينتهى بنهيه ، ولا قدرة له على فعل ما نهى الله عنه ، يقف عند حدوده ، ويتأدب بأدبه ، ويعتبر بأمثاله وقصصه ، قد فهمه بكل بعد ، وفقهه بكل دقة ، وامتثله بكل صدق .

وهكذا لم تقف الآيات الكريمة من كلام ربنا العظيم عند حد تبرئته صلى الله عليه وسلم مما يتطاول به عليه جهلاء قومه ، وإنما تعدت إلى إثبات الأجر الوفير له ، وأنه على الدين العظيم والخلق الكريم .

• وقال ربنا سبحانه : ﴿ **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام ديناً** ﴾ [3] .. أكمل سبحانه لنا الإسلام ، وأتم نعمته علينا ، وذلك يفيد عصمته صلى الله عليه وسلم فهو مُعَلِّمُنَا الإسلام ، وهو قدوتنا فى طاعة الله ، فلابد أن يكون تلقَّى الدين وحَفِظَه كاملاً ، وبلَّغه تاماً ، وامتثله تماماً ، ونقلته الأمة عنه بكل تمام ووضوح .

• وقال ربنا تبارك وتعالى : ﴿ **إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون** ﴾ [4] لقد أنزل الله سبحانه دينه وحياً إلى رسوله ، وتكفل سبحانه بحفظ هذا الوحى ، ومن حِفْظِه عِصْمَتُه صلى الله عليه وسلم ، فلا يضيع من الدين شىء ، ولا تصدر منه

(١) تكلم سعيد بن هشام بن عامر ،وكان قد زارها مع حكيم بن أفلح من أجل هذا السؤال وسؤالين آخرين .

(٢) أخرجه مسلم فى صلاة المسافرين باب جامع صلاة الليل ٥١٢/١ حديث رقم ١٣٩ ، وهو حديث طويل .

(٣) سورة المائدة الآية : ٣ .

(٤) سورة الحجر الآية : ٩ .

صلى الله عليه وسلم مخالفة من شأنها أن تبدل شيئاً من معالم الدين ، وإنما أنزل الله سبحانه الدين عليه صلى الله عليه وسلم كاملاً ، فامتثله صلى الله عليه وسلم ، وامتثلته الأمة عنه .

• وفى كثير من المواقف يخبر صلى الله عليه وسلم أنه أتقى الأمة لله سبحانه وتعالى ، وأنه أكثرها التزاماً وتمسكاً بدين الله عز وجل .

أراد البعض أن يتشدد عنه فى العبادة ، فأرشدهم إلى أن مسلكه صلى الله عليه وسلم هو الأسلم .

وأراد آخرون أن يتشددوا عنه بالإعراض عن الدنيا ، فأرشدهم إلى أن مسلكه هو الأقوم .

فعن عائشة – رضى الله عنها – قالت : « كان رسول الله ﷺ إذا أمرهم ، أمرهم من الأعمال بما يُطيقون . قالوا : إنا لسنا كهيئتك يا رسول الله ، إن الله قد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، فيغضب حتى يُعرف الغضبُ فى وجهه ثم يقول : « إن أتقاكم وأعلمكم بالله أنا »(1) .

إنه هنا ليس كبقية المواقف يحذر من المعاصى ، ويحث على الطاعات ، لا ، وإنما هنا يأخذ بتلابيب البعض أن يبالغ ويتشدد ، وهكذا كان هديه صلى الله عليه وسلم .

وعن أنس بن مالك ، رضى الله عنه – قال : « جاء ثلاثة رهط(2) إلى بيوت أزواج النبى ﷺ يسألون عن عبادة النبى ﷺ(3) ، فلما أُخبِروا كأنهم تقالُّوها(4) ، فقالوا : وأين نحن من النبى ﷺ ؟ قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر .

قال أحدهم : أما أنا فأنا أصلى الليل أبداً .. وقال آخر : أنا أصوم الدهر

---

(1) أخرجه البخارى فى الإيمان باب قول النبى ﷺ : « أنا أعلمكم بالله » ١/٧٠ .

(2) الرهط : مجموعة من الرجال من ثلاثة إلى عشرة ، كأنه قال : جاء ثلاثة هم رهط ، أو ثلاثة أى رهط .

(3) أى التى تكون فى داخل بيته ، ولا يراه الصحابة فيها كما جاء فى رواية مسلم : سألوا عن عمله فى السر ، مسلم أول النكاح ١٠٢٠/٢ حديث رقم ٥ .

(4) أى رأوا أنها قليلة .

ولا أفطر .. وقال آخر : أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً .. فجاء رسول الله ﷺ فقال : أنتم الذين قلتم كذا وكذا ؟ أما والله إنى لأخشاكم لله وأتقاكم له ، لكنى أصوم وأفطر ، وأصلى وأرقد ، وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتى فليس منى »(١) .

إنه رسول الله ومصطفاه فهو الذى يبين الهَدْى الذى يرضى الله تبارك وتعالى ، دون إفراط أو تفريط ، إنه الذى أمر بالاستقامة فاستقام :

قال ربنا سبحانه وتعالى : ﴿ **فاستقم كما أمرت ومن تاب معك** ﴾(٢) ، وقال عز وجل : ﴿ **فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم** ﴾(٣) إن حد الاستقامة دقيق ، علمه صلى الله عليه وسلم ، ومن هنا رفض التشدد والمغالاة ، وبيّن الهدْى الوسط : « أحب العمل إلى الله أدومه وإن قل »(٤) « سددوا وقاربوا وأبشروا »(٥) .

ولا غرابة أن يقول : « إنى أخشاكم لله » فإن الله قد قال له : ﴿ **عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً** ﴾ ، و« **عسى** » **إذا كانت من الله** فإنها للتحقيق . أى أنك سيبعثك ربك مقاماً محموداً ، وهو مقام الشفاعة للأولين والآخرين .

فعن ابن عمر - رضى الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال : « إن الشمس تدنو يوم القيامة حتى يبلغ العرق نصف الأذن ، فبينا هم كذلك استغاثوا بآدم ، ثم بموسى ، ثم بمحمد ﷺ، فيشفع ليقضى بين الخلق ، فيمشى حتى يأخذ بحلقة الباب ، فيومئذ يبعثه الله مقاماً محموداً ، يحمده أهل الجمع(٦) كلهم »(٧) .

---

(١) أخرجه البخارى فى النكاح باب الترغيب فى النكاح ١٠٤/٩ .
(٢) سورة هود الآية : ١١٢ . (٣) سورة الشورى الآية : ١٥ .
(٤) أخرجه البخارى فى الرقاق باب القصد والمداومة على العمل ٢٩٤/١١ ، وأخرجه مسلم فى المسافرين حديث ٢١٦ .
(٥) أخرجه البخارى فى الموطن السابق .
(٦) أن أهل الحشر كلهم ، لأنه يوم يجمع الله فيه الناس جميعاً من لدن آدم إلى قيام الساعة .
(٧) أخرجه البخارى فى الزكاة باب من سأل الناس تكثراً ٣٣٨/٣ رقم ١٤٧٥ ، وابن جرير ١٤٦/١٥ فى تفسير الآية من سورة الإسراء ورقمها ٧٩ ،وهذه الرواية مختصرة ، فراجع حديث الشفاعة أطول من هذا عند البخارى فى الرقاق باب صفة الجنة والنار ٤١٧/١١ رقم ٦٥٦٥ ففيه زيادة ، وفيه أن البشرية ستطلب الشفاعة من آدم ثم من نوح ، ثم من إبراهيم ، ثم من موسى ، ثم من عيسى ، ثم من محمد ﷺ عليهم أجمعين .

وقال سبحانه له : ﴿ **ورفعنا لك ذكرك** ﴾ [1] .

عن أبى سعيد الخدرى عن رسول الله ﷺ أنه قال : « **أتانى جبريل فقال : إن ربى وربك يقول : كيف رفعتُ لك ذكرك ؟ قال - صلى الله عليه وسلم - : الله أعلم . قال : إذا ذكرتُ ذكرتَ معى** » [2] .

إن الرسول الذى أعلى الله قدره ، وبشره بالمقام المحمود ، وذكره فى كتابه كثيراً ، بالخير والرفعة ، هو المعصوم الذى يبين لنا كتاب الله ، ويعلمنا دين الله ، هو الذى نقتدى به وعلى هديه نسير ، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين .

* * *

---

(١) سورة الشرح الآية : ٤ .

(٢) أخرجه ابن جرير الطبرى فى تفسير سورة ﴿ **ألم نشرح لك صدرك** ﴾ ٢٣٥/٣٠ .

## رابعاً : صدق خبره فى الغيوب الماضية والمستقبلة :

ومما يزيد القلب طمأنينة للعمل بسنته صلى الله عليه وسلم صدق كل خبر أخبر به صلى الله عليه وسلم سواء عن أمر حدث قبل زمنه صلى الله عليه وسلم ، أو عن أمر حدث فى زمانه ولم يطلع عليه فأخبر فتبين أنه وفق ما أخبر به ، أو عن أمر سيحدث فى المستقبل فحدث وفق ما أخبر صلى الله عليه وسلم ، إذ ذلك يدل على أنه رسول الله ، وأنه الذى يُعْلمه الله العليم الخبير .

فلقد أخبر صلى الله عليه وسلم عن أشياء سابقة ما كان اطلع عليها ، أخبر عنها فثبت أنها طبق ما أخبر ، وأخبر عن أمور ستحدث فوقعت وفق ما أخبر .

وأمثلة ذلك كثيرة[1] ، فلقد أخبر عن الأمم السابقة ، وأخبر عن أحداث ماضية ، وأخبر عن أشياء لم تحدث فوقعت كما أخبر ، وبعض صور ذلك توافق فيها القرآن الكريم والسنة النبوية .

ففى موضوع حرب الروم والفرس تحدث صلى الله عليه وسلم ، وفق الآيات القرآنية وأثبت الواقع صدق القرآن والسُّنة .

فعن ابن عباس - رضى الله عنهما - فى قوله تعالى : ﴿ **ألم • غُلبت الروم • فى أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون فى بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون • بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم** ﴾[2] قال - أى ابن عباس - غُلبت وغَلبت . قال : كان المشركون يحبون أن يظهر أهل فارس على الروم لأنهم وإياهم أهل الأوثان ، وكان المسلمون يحبون أن يظهر الروم على فارس لأنهم أهل الكتاب ، فذكروه لأبى بكر، فذكره أبو بكر لرسول الله ﷺ فقال : « أما إنهم سَيَغْلِبُون »[3] فذكره أبو بكر لهم فقالوا : اجعل

---

(١) سبق ذكر بعض منها فى موضوع « سعة علمه ﷺ » .

(٢) أول سورة الروم الآيات : ١ - ٥ .

(٣) هذا حديث مرفوع ، أى من كلام رسول الله ﷺ ، وعليه فقد التقى الحديث مع الآيات ، وتحقق ما جاء فى الآيات والحديث .

بيننا وبينك أجلاً فإن ظهرنا كان لنا كذا وكذا ، وإن ظهرتم كان لكم كذا وكذا ، فجعل أجلاً خمس سنين ، فلم يظهروا ، فذكروا ذلك للنبي ﷺ فقال : « ألا جعلته إلى دون - قال أُراه العَشْر »[1] قال سعيد[2] : والبضع ما دون العشر . قال : ثم ظهرت الروم بعد ، قال : فذلك قوله تعالى : ﴿ **ألم • غلبت الروم** ﴾ إلى قوله : ﴿ **ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله** ﴾ قال سفيان[3] : سمعت أنهم ظهروا عليهم[4] يوم بدر[5] . وفي رواية أخرى : وأسلم عند ذلك ناس كثير[6] .

إن الدارس لتاريخ الروم وظروفهم عند نزول هذه الآيات ، وورود هذا الحديث لا يخطر بباله أن ينتصروا في أى زمن يتوقعه النظر ، فلقد كانت الفرس قوية جداً ، وكان قائد الروم لا عباً لاهياً ، وسبحان مالك الملك ، ففي فترة وجيزة دب الضعف في مجموعة الحكم أو عائلة الحكم في فارس ، بينما قيصر الروم ترك اللعب ، وجد كل الجد ، وجيّش جيوشه ، ونظم دولته ، مما ترتب عليه تغير الحال في فترة قصيرة ، وتحقق ما نطق به الوحي في القرآن الكريم ، وفي السنة النبوية ، وانتصر الروم على الفرس .

إن الذين أسلموا على إثر هذا النصر أُناس يحترمون عقولهم ، وكان القياس أن يظل هذا الأمر مبعث إسلام كل عاقل ، لِمَ يحدد القرآن زمناً محدداً « بضع سنين » لنصرة الروم ، ولم يحدد رسول الله المدة أيضاً ؟ إن ذلك لا يكون إلا من عند الله

---

(١) أى إن رسول الله ﷺ قال لأبي بكر ما مفاده أن الصواب ألا تحدد الزمن بخمس ، وإنما كنت تجعله أقل من عشر سنين لأن هذا معنى « البضع » الوارد في الآية إلا ان أحد الرواة شك في كلمة « العشر » فقال : أُراه أى أظنه وقد جاء في رواية أخرى بدون كلمة « أُراه » ففي رواية ابن جرير « أفلا جعلته إلى دون العشر » وفي رواية أخرى قال صلى الله عليه وسلم لأبي بكر : « ألا احتطت يا أبا بكر ، فإن البضع ما بين ثلاث إلى تسع » وهذا الرواية عند الترمذي عقب الرواية المذكورة في الأصل .

(٢) أى سعيد بن جبير الراوى عن ابن عباس .

(٣) سفيان الثورى أحد رجال إسناد الحديث عند الترمذي وأحمد وغيرهما .

(٤) أى غلبوهم ، يعنى غلب الروم أهل فارس .

(٥) أخرجه الترمذي في التفسير في سورة الروم ٥١٠/٩ ح ٣٢٤٥ ، وقال : هذا حديث حسن صحيح غريب ، وذكر غير هذا الحديث ، وأخرجه أيضاً النسائي وأحمد وابن جرير جميعاً عن ابن عباس ، وقد جمع ابن كثير في تفسيره في صدر تفسير سورة الروم روايات كثيرة عن ابن عباس وغيره .

(٦) هذه الرواية عند الترمذي في الموطن السابق من حديث دينار بن مكرم الأسلمي .

سبحانه ، ويخبر بذلك رسول الله عن الله الذى أحاط بكل شىء علماً ، والذى بيده ملكوت كل شىء .

* * *

**وموقف آخر :** .

عن أبى ذر – رضى الله عنه – قال : « قال رسول الله ﷺ إنكم ستفتحون مصر ، وهى أرض يُسمَّى فيها القيراط[1] ، فإذا فتحتموها فأحسنوا إلى أهلها ، فإن لهم ذمة ورحماً » أو قال « ذمة وصهراً »[2] .

وتحقق ما أخبر به صلى الله عليه وسلم ، وفتحت مصر ، ودخل أهلها فى دين الله الإسلام ، لقد أخبر بذلك صلى الله عليه وسلم : « إنكم ستفتحون مصر » ففتحت بعده صلى الله عليه وسلم فى خلافة عمر .

وهذا الواقع لحديث آخر عام ، قال فيه صلى الله عليه وسلم : « إن الله زوى لى الأرض ، فرأيت مشارقها ومغاربها ، وإن أمتى سيبلغ ملكها ما زوى لى منها وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض ... الحديث »[3] .

والمعنى : إن الله تبارك وتعالى جمع له صلى الله عليه وسلم الأرض وأطلعه عليها ، فكانت أمامه صلى الله عليه وسلم فأعلمه ربنا سبحانه وتعالى إلى أين يبلغ ملك أمته ، ومما يبلغه ملك أمته بلاد العراق والشام حيث كنز كسرى وقيصر .

وحديث آخر عام هو قوله صلى الله عليه وسلم : « بعثت بجوامع الكلم ، ونصرت بالرعب ، فبينا أنا نائم أوتيت مفاتيح خزائن الأرض فوضعت فى يدى .

---

(١) القيراط عند المصريين جزء الشىء ، وكل شىء عندهم ينقسم إلى أربعة وعشرين قيراطاً ، وإذا أردنا التعبير عن كمال الشىء قلنا : أربعة وعشرين قيراطاً ، أى تماماً .

(٢) أخرجه مسلم فى فضائل الصحابة باب وصية النبى ﷺ بأهل مصر ١٩٧٠/٤ و « ذمة » أى حرمة وحق ، فكل إنسان له حرمته فى رأى الإسلام و « رحما » أى قرابة ، وقرابة المصريين للعرب من جهة هاجر أم إسماعيل فهى مصرية ، والعرب أبوهم إسماعيل ، و « صهرا » أى علاقة زواج ،وذلك لأن أم ولده صلى الله عليه وسلم إبراهيم هى مارية المصرية ، ويقال لها « مارية القبطية » ومعنى « القبطية » المصرية .

(٣) أخرجه مسلم فى الفتن باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض ٢٢١٥/٤ .

قال أبو هريرة : وقد ذهب رسول الله ﷺ ، وأنتم تنتثلونها »[1] أى تستخرجونها ، أى خزائن الأرض ، فتفتحون البلاد ، وتغنمون الغنائم والأجر العظيم من الله تعالى .

فمن هذه الأحاديث يتضح أن الله تبارك وتعالى أطلعه على ملك أمته ، وأعطاه مفاتيح خزائن الأرض ، ومن هنا يخبر عن بعض ذلك ، فيخبر أن مصر ستفتح ، وستصبح جزءاً من دولة الإسلام ، وتحقق ما قاله صلى الله عليه وسلم .

والقارئ لهذه الأحاديث وغيرها[2] مما أخبر به صلى الله عليه وسلم فوقع وفق ما أخبر يجد نفسه أمام تراث نبى مصطفى علّمه الله العليمُ الخبير ، فليس أمامه إلا أن يقتدى بهذا الرسول ، ويبحث عن ضبط تصرفه وفق هدى هذا الذى اصطفاه الله وأرسله ، فيقتدى بسنته حرفاً حرفاً .

* * *

---

(١) أخرجه البخارى فى الجهاد باباً قول النبى ﷺ « نصرت بالرعب » ١٢٨/٦ .

(٢) لقد جمع ابن كثير فى هذا الموضوع كثيراً من الآيات والأحاديث ، ففى كتاب دلائل النبوة والذى هو جزء من البداية والنهاية جَعَلَ بابا فيما أخبر به صلى الله عليه وسلم من الكائنات المستقبلة فى حياته وبعده فوقعت طبق ما أخبر به سواء بسواء » ٢٠٧/٦ .

## خامساً : قوة مداركه صلى الله عليه وسلم :

إن سلامة مدارك الإنسان سبيل دقة معلوماته ، وحزم رأيه وهى من أهم مؤهلات إمامته .

ولقد منّ الله على رسوله محمد ﷺ، وعلى جميع المرسلين بقوة وسلامة مداركهم وملكاتهم :

* **فقلوبهم لا تنام** : وإنما هى يقظى دائماً ، يذكرون الله ، ويتفكرون فى ملكوته ، ويفكرون فى أمور أمتهم .. تنام عيونهم ، **أما قلوبهم فلا تنام** .

سئلت عائشة – رضى الله عنها – كيف كانت صلاة رسول الله ﷺ فى رمضان ؟ قالت : ما كان يزيد فى رمضان ولا غيره على إحدى عشرة ركعة : يصلى أربع ركعات فلا تسأل عن حسنهن وطولهن ، ثم أربعاً فلا تسأل عن حسنهن وطولهن ، ثم يصلى ثلاثاً ، فقلت : يا رسول الله تنام قبل أن توتر ؟ فقال : « تنام عينى ولا ينام قلبى »[1] .

وهذه خصوصية للأنبياء ، تنام عيونهم ، فلا ينتبهون لمن حولهم ، ولا لما يحيط بهم ، أما قلوبهم فيقظى تستطيع أن تعى ما يتعلق بأمور الرسالة :

فعن عبد الله بن أبى نمر قال : سمعت أنس بن مالك يحدثنا عن ليلة أسرى بالنبى ﷺ من مسجد الكعبة : جاءه ثلاثة نفر قبل أن يوحى إليه وهو نائم فى المسجد الحرام فقال أولهم : أيهم هو ؟ فقال أوسطهم : هو خيرهم . وقال آخرهم : خذوا خيرهم فكانت تلك . فلم يرهم حتى جاءوا ليلة أخرى فيما يرى قلبه ، والنبى ﷺ نائمة عيناه ولا ينام قلبه ، وكذلك الأنبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم ، فتولاه جبريل ثم عرج به إلى السماء[2] .

---

(١) أخرجه البخارى فى المناقب باب كان النبى ﷺ تنام عينه ولا ينام قلبه ٥٧٩/٦ ، وهو عنده فى التهجد باب قيام النبى ﷺ بالليل فى رمضان وغيره ٣٣/٣ ، وأخرجه مسلم ٥٠٩/١ وابن حبان ١٨٦/٦ .

(٢) أخرجه البخارى فى الموطن الأول من التخريج السابق .

وجملة « والنبى ﷺ نائمة عيناه ولا ينام قلبه وكذلك الأنبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم » هذه الجملة وإن كانت من كلام أنس إلا أن لها حكم الوقعة ، فإن هذا لا يقال بالرأى ، فلابد أن يكون سمعه من رسول الله ﷺ كما فى حديث عائشة المتقدم .

وعن جابر بن عبد الله – رضى الله عنهما – قال : « جاءت ملائكة إلى النبى ﷺ وهو نائم فقال بعضهم : إنه نائم . وقال بعضهم : إن العين نائمة والقلب يقظان . فقالوا : إن لصاحبكم هذا مثلاً ، قال : فاضربوا له مثلاً . فقال بعضهم : إنه نائم ، وقال بعضهم : إن العين نائمة والقلب يقظان . فقالوا : مثله كمثل رجل بنى داراً ، وجعل فيها مأدُبة [1] وبعث داعياً ، فمن أجاب الداعى دخل الدار ، وأكل من المأدبة ، ومن لم يجب الداعى لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدبة . فقالوا : أوّلوها له يفقهها ، فقال بعضهم : إنه نائم ، وقال بعضهم : إن العين نائمة والقلب يقظان ، فقالوا : فالدار الجنة ، والداعى محمد ﷺ ، فمن أطاع محمداً ﷺ فقد أطاع الله ، ومن عصى محمداً ﷺ فقد عصى الله ، ومحمد فرّق [2] بين الناس » [3] .

وذكر البخارى إسناداً آخر للحديث ليبين أنه مرفوع ، وأن جابراً قال : خرج علينا النبى ﷺ وهذا الطريق عند الترمذى [4] .

وعن عبد الله بن مسعود – رضى الله عنه – قال : صلى رسول الله ﷺ العشاء ثم انصرف فأخذ بيد عبد الله بن مسعود [5] حتى خرج به إلى بطحاء مكة فأجلسه ثم خط عليه خطا ، ثم قال : لا تَبْرَحَنَّ [6] خطك فإنه سينتهى إليك رجال فلا تكلمهم فإنهم لن يكلموك ، ثم مضى رسول الله ﷺ حيث أراد ، فبينا أنا جالس فى خطى إذ أتانى رجال كأنهم الزُّط [7] أشعارهم وأجسامهم [8] ، لا أرى

---

(١) **المأدبة** : الطعام والشراب .

(٢) بسكون الراء وتشديدها مع الفتح ، أى ومحمد يفرق بين المؤمنين والكافرين بتصديقه وتكذيبه .

(٣) أخرجه البخارى فى الاعتصام باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ ٢٤٩/١٣ رقم ٧٢٨١ .

(٤) الباب الأول من أبواب الأمثال ١٥٤/٨ .

(٥) صرح ابن مسعود باسمه ، وكان يمكن أن يقول : فأخذ بيدى .

(٦) أى لا تفارق الخط الذى خطه رسول الله ﷺ .

(٧) **الزط** : جنس من السودان والهنود .

(٨) أى كالهنود فى أشعارهم وأجسامهم .

عورة ولا أرى قشراً [١] ، وينتهون إلىّ ولا يجاوزون الخط ، ثم يصدرون إلى رسول الله ﷺ حتى إذا كان من آخر الليل [٢] لكن رسول الله ﷺ قد جاءنى وأنا جالس فقال لقد أرانى منذ الليلة [٣] ، ثم دخل علىّ فى خطّى فتوسد فخذى ورقد ، وكان رسول الله ﷺ إذا رقد نفخ ، فبينا أنا قاعد ورسول الله ﷺ متوسد فخذى ، إذا أنا برجال عليهم ثياب بيض ، والله أعلم ما بهم من الجمال ، فانتهوا إلىّ ، فجلس طائفة منهم عند رأس رسول الله ﷺ ، وطائفة منهم عند رجليه ، ثم قالوا بينهم : مارأينا عبداً قط أوتى مثل ما أوتى هذا النبى ﷺ ، إن عينيه تنامان وقلبه يقظان ، اضربوا له مثلاً : مثل سيد بنى قصرا ، ثم جعل مائدة فدعا الناس إلى طعامه وشرابه ، فمن أجابه أكل من طعامه وشرب من شرابه ، ومن لم يجبه عاقبه ، أو قال عذبه. ثم ارتفعوا ، واستيقظ رسول الله ﷺ عند ذلك ، فقال : سمعت ما قال هؤلاء ؟ وهل تدرى مَنْ هم ؟

قلت : الله ورسوله أعلم .

قال : هم الملائكة . فتدرى ما المثل الذى ضربوه ؟

قلت : الله ورسوله أعلم .

قال : المثل الذى ضربوه ، الرحمن بنى الجنة ودعى إليها عباده ، فمن أجابه دخل الجنة ، ومن لم يجبه عاقبه أو عذبه [٤] .

هكذا تنام عينه صلى الله عليه وسلم ، أما قلبه فمتيقظ ، يسمع ويستوعب كما جاء فى حديث جابر عند الترمذى [٥]: اسمع سمعت أذنك ، واعقل عقل قلبك ، والملائكة أنفسهم يشهدون بذلك .

ومن أول الليل كان مع الصحابة يصلى بهم إماماً ويعلمهم ، وفى وسط الليل مع الجن يعلمهم ، وفى آخر الليل نائم لكنه يعى ما تقوله الملائكة ، ويحدث به أمته ويعلمهم ، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين .

---

(١) أى ثياباً ، والمعنى : لا أرى منهم عورة منكشفة ، ولا أرى عليهم ثياباً .

(٢) هنا كلام مقدر ، تقديره : ما جاءوا .

(٣) أى لم أنم .

(٤) أخرجه الترمذى فى الأمثال الباب الأول « ما جاء فى مثل الله عز وجل لعباده » ١٥٦/٨ وقال : هذا حديث حسن غريب صحيح من هذا الوجه . قال شارحه : وأخرجه أحمد وابن خزيمة وصححه .

(٥) فى التخريج السابق .

## رؤياهم حق :

ومما يُعلى قدره صلى الله عليه وسلم فى مسألة العلم أنه :

- إذا رأى رؤيا منامية فهى حق .
- وإذا رآه أحد أفراد أمته فى رؤيا منامية فهى حق .

وذلك أن رؤيا الأنبياء صورة من صور الوحى أو نوع من أنواع وحى الله إليهم :

* فمن ذلك رؤيا إبراهيم عليه السلام أنه يذبح ولده ، فامتثل حتى جاء الفداء من الله تبارك وتعالى [1] .

* وأيضاً رؤيا يوسف عليه السلام ، وأنه رأى أحد عشر كوكباً والشمس والقمر له ساجدين وتحققت بعد سنوات [2] .

* وأيضاً رؤيا رسول الله محمد ﷺ أنَّ الله سبحانه فتح عليه مكة ، وأنه دخل الكعبة المشرفة ، فأخبر أصحابه ، وعارض مشركو مكة ، وحدث صلح الحديبية ، ثم فتحت مكة ، وتحققت رؤياه صلى الله عليه وسلم [3] .

فإذا رأى صلى الله عليه وسلم رؤيا منامية ، فإنها من وحى الله إليه ، فتكون واضحة كل الوضوح ، وتتحقق كما رآها تماماً .

وكذلك جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام .

تقول أم المؤمنين عائشة - رضى الله عنها - « أول ما بُدئ به رسول الله ﷺ من الوحى الرؤيا الصالحة فى النوم ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ... الحديث » [4] .

---

(١) راجع سورة الصافات من قوله تعالى : ﴿ **رب هب لى من الصالحين** ﴾ الآيات : ١٠٠ - ١٠٩ .

(٢) راجع سورة يوسف الآيتان : ٤ ، ٥ ، والآيتان : ٩٩ ، ١٠٠ .

(٣) راجع سورة الفتح الآية : ٢٧ .

(٤) أخرجه البخارى فى أول صحيحه فى بدء الوحى ٢٢/١ حديث رقم ٣ .

وعن عبد الله بن عباس – رضى الله عنهما – قال : « قال رسول الله ﷺ رؤيا الأنبياء وحى »[1] .

وعن عبيد بن عمير[2] قال : إن رؤيا الأنبياء وحى ثم قرأ ﴿ **إنى أرى فى المنام أنى أذبحك** ﴾[3] .

وعن معاذ بن جبل قال : « ما رأى رسول الله ﷺ فى نومه ، أو يقظته فهو حق »[4] .

وعن ابن عباس – رضى الله عنهما – قال : « رؤيا الأنبياء وحى »[5] .

وعن قتادة : « رؤيا الأنبياء حق إذا رأوا فى المنام شيئاً فعلوه »[6] .

فرؤياه المنامية صلى الله عليه وسلم حق ، لا يعتريها تلبيس أو تخييل ، وكذلك جميع الأنبياء كما فى قصة ذبح إبراهيم ولده ، بناء على رؤيا منامية ﴿ **إنى أرى فى المنام أنى أذبحك** ﴾ وكذلك رؤيا يوسف عليه السلام ، وأنه رأى أحد عشر كوكباً والشمس والقمر له ساجدين ، وتحققت بعد سنوات .

* ومن فضل الله على رسوله أن من رآه فى المنام فقد رأى الرؤيا الحق ، فإن الله تبارك وتعالى أعجز الشياطين عن التصور بصورته صلى الله عليه وسلم ، فمن رآه فى

---

(١) ذكره فى الدر المنثور ٢٨٠/٥ وعزاه لابن أبى حاتم ، وهو فى المطبوع من جمع المحقق ٣٢٢١/١٠ .

(٢) من كبار التابعين ، وأبوه : عمير بن قتادة صحابى .

(٣) أخرجه البخارى فى الوضوء باب التخفيف فى الوضوء ٢٣٨/١ رقم ١٣٨ ، وفى الأذان باب وضوء الصبيان ٣٤٤/٢ رقم ٨٥٩ ، والآية رقم ١٠٢ من سورة الصافات ، وفى فتح البارى ٢٣٩/١ فى شرح هذا الحديث فى الموضع الأول ذكر أن مسلماً أخرج هذا الحديث مرفوعاً ولم أقف عليه عند مسلم .

(٤) أخرجه أحمد فى المسند ٢٤٥/٥ ، وابن أبى عاصم فى السنة باب ما ذكر من رؤية نبينا ربه تبارك وتعالى فى منامه ٢٠٢/١ رقم ٤٦٤ .

(٥) أخرجه الحكام فى المستدرك كتاب التفسير فى تفسير سورة الصافات ٤٣١/٢ ، وقال : صحيح على شرط الشيخين ، ووافقه الذهبى ، وأخرجه الطبرانى – كذا فى مجمع الزوائد ١٧٦/٧ – ورجاله رجال الصحيح سوى شيخ الطبرانى عبد الله بن أبى مريم فهو ضعيف ، وأخرجه ابن أبى عاصم فى السنة باب ما ذكر من رؤية نبينا ربه تبارك وتعالى فى منامه ٢٠٢/١ رقم ٤٦٣ ، وأخرجه ابن جرير فى أول سورة يوسف ١٥١/١٢ .

(٦) أخرجه ابن جرير فى تفسير ﴿ **يا بنى إنى أرى فى المنام أنى أذبحك** ﴾ ٧٨/٢٣ .

المنام بصورته الواردة فى كتب السنة[1] ، والتى منها أنه صلى الله عليه وسلم أبيض أزهر ، ليس بالطويل جداً ولا بالقصير ، وسيم ، قسيم ، كث اللحية ، طويل شعر العينين والحاجبين ، ليس بعظيم البطن ولا صغير الرأس ، عريض الصدر ، بعيد ما بين المنكبين ، ممتلئ الكفين والقدمين ، أخمص القدمين ، أى قدمه فى وسطه ارتفاع عن الأرض ، من رآه فى المنام بهذه الصفات فقد رآه فعلاً ، فليستبشر وليعلم أنه قد رأى الرؤيا الحق التى هى من الله تعالى ، وليست الحلم الذى يكون من الشيطان .

فعن أبى هريرة - رضى الله عنه قال : « سمعت النبى ﷺ يقول : من رآنى فى المنام فسيرانى فى اليقظة ، ولا يتمثل الشيطان بى »[2] .

وعن أنس - رضى الله عنه - قال : « قال النبى ﷺ : من رآنى فى المنام فقد رآنى ، فإن الشيطان لا يتمثل بى »[3] .

وهكذا فرؤياه صلى الله عليه وسلم كلها حق ، وإذا رآه إنسان فقد رأى حقًّا وصدقاً .

ومن هنا يشعر المسلم أن دائرته صلى الله عليه وسلم كلها حق ، لا يدخلها الأوهام ولا الخيالات ، ليست من أضغاث الأحلام ، ولا من تهويلات الشيطان ، وإنما كلامه حق ، ورؤياه حق ، وإذا رُئى فالرؤيا حق ، ومن هنا فليحرص العاقل على كل ما كان منه صلى الله عليه وسلم .

* * *

---

(١) من أجمعها كتب الشمائل مثل : الشمائل المحمدية للترمذى ، وشمائل الرسول صلى الله عليه وسلم لابن كثير ، وهو جزء من البداية والنهاية ، وطبع مستقلاً ، والشمائل تعنى صفاته صلى الله عليه وسلم ، وفى دلائل النبوة للبيهقى عقد عنوان « جماع أبواب صفة رسول الله ﷺ ١/١٩٤ - ٣٣٣ ، وفيه خير كثير .

(٢) ، (٣) أخرجهما البخارى فى التعبير باب من رأىالنبى ﷺ فى المنام ١٢/٣٨٣ ، وأخرج غيرهما أيضاً .

## * ويرى صلى الله عليه وسلم من خلفه :

ومن خصائصه صلى الله عليه وسلم أنه يرى مِنْ خلفه كما يرى مِنْ أمامه ، وبصره فى جميع الجهات فوق كل بصر ، وهذا كله فوق أنه من الكمالات الشخصية ، فهو فى مصلحة الدعوة ، فلقد كان إماماً يصلى بالأمة ، ومن شأن الإمام أن لا يرى المأمومين أثناء الصلاة ، لكنه صلى الله عليه وسلم بهذه الخاصية كان إماماً ، وكان يرى آخر صف فى المصلين ، ويعلمهم أى خلل يحدث فى صلاتهم .

فعن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال : « صلى بنا رسول الله ﷺ يوماً ثم انصرف فقال : يا فلان ألا تحسن صلاتك ؟ ألا ينظر المصلى إذا صلى كيف يصلى ؟ فإنما يصلى لنفسه . إنى والله لأبصر مِنْ ورائى كما أبصر مِنْ بين يدىَّ »[1] .

وعن أبى هريرة أيضاً أن رسول الله ﷺ قال : « هل ترون قبلتى هاهنا ؟ فوالله ما يخفى علىّ خشوعكم ولا ركوعكم ، إنى لأراكم من وراء ظهرى »[2] .

إنه يبصر مَنْ وراءه ، ومِنْ ورائه تضبط على كلا الوجهين فى رواية مسلم ، ورواية « مِنْ » أشمل لأنها تفيد أنه صلى الله عليه وسلم يرى كل ما وراءه وقوله : « هل ترون قبلتى هاهنا ؟» استفهام إنكار ، ينكر عليهم ما يلزم منه ، والمعنى : أتظنون أنى لا أراكم أثناء الصلاة ، لكون قبلتى فى هذه الجهة فيكون ظهرى لكم ، لا ، إنه صلى الله عليه وسلم لا تختص رؤيته بجهة واحدة ، وإنما يرى كل الجهات خصوصية له صلى الله عليه وسلم.إنه لا يُعَلِّمُ الأمة نظريا ، وإنما يعلمها نظرياً وعمليا وفوق ذلك يراقب التنفيذ صلى الله عليه وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين .

---

(١) أخرجه مسلم فى الصلاة باب الأمر بتحسين الصلاة ٣١٩/١ .

(٢) أخرجه البخارى فى الصلاة باب عظة الإمام الناس فى إتمام الصلاة ٥١٤/١ ، وفى غير هذا الموضع كثير .

يعلمهم الصلاة قولاً ، ويصلى أمامهم فيعلمهم عملياً ، ثم يراقبهم حتى فى أثناء صلاته وصلاتهم .

فعن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال : « صلى بنا رسول الله ﷺ الظهر وفى مؤخر الصفوف رجل فأساء الصلاة ، فلما سلم ناداه رسول الله ﷺ يا فلان ألا تتقى الله ، ألا ترى كيف تصلى ؟ إنكم ترون أنه يخفى علىّ شىء مما تصنعون ، والله إنى لأرى من خلفى كما أرى من بين يدىّ »[1] .

على الرغم من أن هذا الصحابى كان فى آخر الصفوف إلا أنه صلى الله عليه وسلم رآه ، مما يدل على أنه يرى من خلفه رؤية دقيقة تصل لدرجة أن يرى آخر الصفوف .

نعم إنها معجزة له صلى الله عليه وسلم ، وخصوصية نافعة كل النفع للدعوة صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين .

* * *

---

(١) أخرجه أحمد ٤٤٩/٢ ، وأخرجه الحاكم فى الصلاة ، باب أن أحدكم إذا قام يصلى إنما يقوم يناجى ربه ٢٣٦/١ ، وصححه على شرط مسلم وأقره الذهبى ، وأخرجه ابن خزيمة فى الصلاة باب الأمر بالخشوع فى الصلاة ٢٤١/١ ، وأصله عند مسلم فى الصلاة باب الأمر بتحسين الصلاة ٣١٩/١ رقم ١٠٨ .

* **رؤيته ما لا نرى :**

ومن خصائصه صلى الله عليه وسلم التى تعلى من قدره فى باب العلم أنه يرى من الخلائق ما لا نرى :

فرأى جبريل عليه السلام على هيئته التى خلقه الله عليها ، وعالم الملائكة مهيب فى خلقه ، لا يقدر الإنسان العادى على رؤيته .

فعن عبد الله بن مسعود قال : « قال رسول الله ﷺ : رأيت جبريل عند سدرة المنتهى وعليه ستمائة جناح ، ينثر من ريشه تهاويل الدر والياقوت »[1] و « تهاويل الدر والياقوت » أى ألواناً مختلفة من الدر والياقوت يبلغ جمال ألوانها أنها تحير الرائى . جاء فى رواية أخرى : « إنه صلى الله عليه وسلم رأى جبريل له ستمائة جناح قد سد الأفق » وفى أخرى : « أبصر نبى الله ﷺ جبريل عليه السلام على رفرف قد ملأ ما بين السماء والأرض »[2] .

وفى إسرائه صلى الله عليه وسلم ومعراجه رأى كثيرًا من الآيات مما لم نره ، ولا رآه غيره من الخلق أجمعين ، حتى قال : « ثم عرج بى حتى ظهرت لمستوى أسمع فيه صريف الأقلام »[3] أى أسمع أصوات أقلام الملائكة ، وهم ينسخون ما يحتاجونه من اللوح المحفوظ . ورأى فى إسرائه بعض المرسلين يصلون فى قبورهم ، والتقى بالعديد منهم فى السموات ، وتكلم معهم ، وتكلموا معه[4] .

وفى إسرائه أيضاً عندما عاد إلى مكة وأصبح الصباح وأخبر المشركين بإسرائه

---

(١) أخرجه ابن حبان فى التاريخ باب صفته صلى الله عليه وسلم وأخباره ، ذكر البيان بأن عبد الله ابن مسعود سمع هذا الخبر من المصطفى ﷺ ٣٣٧/١٤ ، وفيه تخريجه .

(٢) الروايتان أخرجهما النسائى عن ابن مسعود كذا فى الفتح ٦١١/٨ فى كتاب التفسير شرح باب ﴿ لقد رأى من آيات ربه الكبرى ﴾ .

(٣) مسلم فى كتاب الإيمان باب الإسراء برسول الله ﷺ ١٤٩/١ .

(٤) راجع فى روايات حديث الإسراء صحيح مسلم الموضع السابق . وأول سورة الإسراء من تفسير ابن كثير .

سألوه أن يصف لهم بيت المقدس ، فجلاه الله له ، فكان يراه من مكانه فى مكة ، ويصف لهم ، واعترف الخبراء ببيت المقدس أنه قد وصفه تماماً : وفى هذا وسابقه أسوق هذه الرواية (١) :

فعن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : « لقد رأيتنى فى الحجْر ، وقريش تسألنى عن مَسْراى ، فسألتنى عن أشياء من بيت المقدس لم أُثبتها (٢) ، فكُرِبت كربة ما كربت مثله (٣) قط . قال : فرفعه الله لى أنظر إليه ، ما يسألونى عن شىء إلا أنبأتهم به ، وقد رأيتنى فى جماعة من الأنبياء ، فإذا موسى قائم يصلى ، فإذا رجل ضرب (٤) جعد (٥) ، كأنه من رجال شنوءة (٦) ، وإذا عيسى ابن مريم عليه السلام قائم يصلى ، أقرب الناس به شبهاً عروة بن مسعود الثقفى ، وإذا إبراهيم عليه السلام قائم يصلى ، أشبه الناس به صاحبكم ( يعنى نفسه ) فحانت الصلاة فأممتهم ، فلما فرغت من الصلاة قال قائل : يا محمد؛ هذا مالك صاحب النار فسلم عليه ، فالتفت إليه فبدأنى بالسلام » (٧) .

وهكذا جلّى الله تبارك وتعالى لرسوله ﷺ بيت المقدس ينظر إليه ، ويراه بكل وضوح ، يراه وهو فى مكة بينه وبينه مسافات طويلة ، لكنها المعجزات يؤيد الله بها رسله ، ولسان الحال يقول : صدق رسل الله فيما يبلغون عن الله .

وفى هذا الحديث أيضاً أنه صلى الله عليه وسلم التقى بموسى عليه السلام ، وبعيسى عليه السلام ، وبإبراهيم عليه السلام ، التقى برسل الله ، والتقى بمالك أحد ملائكة الله ، فسلم عليه .

---

(١) إنما سقتها لاختصارها ، أما الروايات المطولة فهى فى الموضع السابق من صحيح مسلم .

(٢) أى لم أحفظها ، ولم أضبطها لاشتغالى بما هو أهم منها .

(٣) الضمير فى « مثله » يعود على معنى « الكربة » وهو الكرب ، والكرب : الغم الذى يأخذ بالنفس عند الأمر الشديد .

(٤) أى خفيف اللحم ، النهاية ٣/٧٨ .

(٥) **جعودة الجسم** : اجتماعه واكتنازه .

(٦) قبيلة من قبائل اليمن معروفون بالطول ، راجع الفتح ٦/٤٢٩ .

(٧) أخرجه مسلم فى الإيمان باب ذكر المسيح ابن مريم ١/١٥٦ ، ١٥٧ رقم ٢٧٨ .

(٧) سبق فى موضوع « قلوب الأنبياء لا تنام » .

وهذه الملكات والقدرات من رؤية بيت المقدس ، ورؤية الأنبياء ، والملائكة هى وغيرها تبين ما خصه الله به مما يجعل له صلى الله عليه وسلم القدح المعلى فى المدارك والأحاسيس ، ويبين عظيم ما من الله به عليه ، مما يدل على أنه المؤيد والمرعى برعاية الله تعالى ، وهو الجدير ببيان القرآن العظيم .

وقد سبق حديث ابنْ مسعود [1] ، وفيه أنه صلى الله عليه وسلم ذهب إلى مجتمع الجن فعلَّمهم ، وفى القرآن الكريم آيات فى ذلك كثيرة ، وأحاديث أيضاً كثيرة .

وعن أبى هريرة – رضى الله عنه – قال : قال رسول الله ﷺ : « إن عفريتاً من الجن جعل يفتك [2] علىّ البارحة ليقطع علىّ الصلاة ، وإن الله أمكننى منه فذعتُّه [3] فلقد هممت أن أربطه إلى جنب سارية من سوارى المسجد حتى تصبحوا تنظرون إليه أجمعون – أوكلكم ، ثم ذكرت قول أخى سليمان ﴿**رب اغفر لى وهب لى ملكاً لا ينبغى لأحد من بعدى**﴾ فرده الله خاسئاً » [4] .

وعن أبى الدرداء قال : « قال رسول الله ﷺ فسمعناه يقول : أعوذ بالله منك . ثم قال : ألعنك بلعنة الله ، ثلاثاً . وبسط يده كأنه يتناول شيئاً ، فلما فرغ من الصلاة قلنا : يا رسول الله ، قد سمعناك تقول فى الصلاة شيئاً لم نسمعك تقوله قبل ذلك ، ورأيناك بسطت يدك ؟ قال : إن عدو الله إبليس جاء بشهاب من نار ليجعله فى وجهى ، فقلت أعوذ بالله منك ثلاث مرات ، ثم قلت : ألعنك بلعنة الله التامة فلم يستأخر ثلاث مرات ، ثم أردت أخذه ، والله لولا دعوة أخينا سليمان لأصبح موثقاً يلعب به ولدان أهل المدينة » [5] .

هكذا يرى صلى الله عليه وسلم ما لا يرون ، ولا يقدر الأبالسة عليه ، وإنما أمكنه الله منه فخنقه ، ولو أراد أن يربطه فى عمود من أعمدة المسجد لاستطاع ذلك لكنه

---

(١) سبق فى موضوع « قلوب الأنبياء لا تنام » .

(٢) الفتك : الإضرار بمكر وخديعة .

(٣) أى خنقته ، وفى رواية « فدعتُّه » أى دفعته .

(٤) أخرجه مسلم فى المساجد باب جواز لعن الشيطان فى أثناء الصلاة ٣٨٤/١ والآية من سورة ص رقم ٣٥ .

(٥) أخرجه مسلم فى الموطن السابق ، وراجع دلائل النبوة للبيهقى ٩٧/٧ – ٩٩ .

الأدب الذى جمّله الله تعالى به ، فهذا مطلب سليمان عليه السلام إذ قال ﴿ **رب اغفر لى وهب لى ملكاً لا ينبغى لأحد من بعدى إنك أنت الوهاب ، فسخرنا له الريح تجرى بأمره رخاء حيث أصاب والشياطين كل بناء وغواص** ﴾ [1] .

وكل ذى لب يقدر هذه القدرات ، وأنها سبيل العلم السليم ، والفكر القويم.

إن إبليس وكل الأبالسة ، ومردة الجن لا يستطيعون مجرد شغله عن الصلاة ، وصدق الله العظيم إذ يقول فى حقه صلى الله عليه وسلم : ﴿ **فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير** ﴾ [2] أى فإن الله هو وليه وناصره ، وخيار عباد الله أيضاً أولياؤه ، ومناصروه ، فجبريل وصالح المؤمنين وكل الملائكة أعوان له على من آذاه بشدة ، كفى بالله ولياً وكفى بالله نصيراً ، وإنما عَدَّدَ سبحانه أنصار رسوله ليبين أنه الرسول المصطفى فكل الأخيار معه ، وولاية الله كافية كل الكفاية لكنه الإعلاء من قدره صلى الله عليه وسلم ، وبيان أن على أهل الحق أن يكونوا مع الحق يدورون معه حيثما دار .

* * *

---

(١) سورة ص ، الآيات ٣٥ - ٣٧ .

(٢) سورة التحريم الآية : ٤ .

## * عناية الله به صلى الله عليه وسلم :

ومما يطمئن القلب لاتباع هديه صلى الله عليه وسلم ، ويقنع العقل بأنه صلى الله عليه وسلم هو الذى يبين القرآن الكريم ، ويرسم الصراط المستقيم الذى يُرضى الله تبارك وتعالى عناية الله تبارك وتعالى به صلى الله عليه وسلم ، عناية على أكمل وجه ، وأتم تأييد ، وأوجز ذلك فى نقاط :

- تأييد الله صلى الله عليه وسلم بالمعجزات ، فلقد أظهر الله على يديه الكثير من الخوارق الدالة على نبوته صلى الله عليه وسلم ، وأنه رسول الله ، من ذلك :

***القرآن الكريم** : المعجزة المتجددة على طول الزمان ، يعجز الجن والإنس عن الإتيان بمثله ، وفيه من أوجه الإعجاز ما يناسب كل الأزمنة ، فلئن أعظمه أهل زمان نزوله ببلاغته وفصاحته ، فلأهل زماننا الذى ضعفوا فى اللغة وجه آخر من إعجازه ، ألا وهو الإعجاز العلمى .

إنه كلام الله الذى يهتدى به كل عاقل ، ويُسَلِّم بعظمته كلُّ منصف ، ويعترف العلماء بسبقه كل الباحثين ، فهم يستفيدون منه ويعظمونه .

إن القرآن الكريم يخاطب العقول خطاباً عالياً ، وهديه يُصلح كل زمان ومكان ، ومن هنا قال صلى الله عليه وسلم : « **ما من الأنبياء نبى إلا أعطى من الآيات ما مثله آمن عليه البشر ، وإنما كان الذى أوتيته وحيا أوحاه الله إلىّ ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة** »[1] .

* **انشقاق القمر** : فلقد طلب مشركو مكة من رسول الله ﷺ أن يريهم آية تدل على أنه رسول رب العالمين ، فسأل الله تبارك وتعالى فانشق القمر شقتين ، شقة أمام جبل حراء ، وشقة خلف حراء ، وأيَّد الله رسوله ، وأجرى على يديه المعجزة ، القائلة صدق عبدى فيما يبلغ عنى . قال الله تعالى : ﴿ **اقتربت الساعة وانشق**

---

(١) أخرجه البخارى فى أول فضائل القرآن ٣/٩ ، وفى أول الاعتصام ٢٤٧/١٣ .

**القمر • وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر﴾** [1] .

وعن أنس بن مالك – رضى الله عنه – أنه حدثهم أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية ، فأراهم انشقاق القمر [2] .

وعن عبد الله بن مسعود – رضى الله عنه قال : « انشق القمر على عهد النبى ﷺ شقتين ، فقال النبى ﷺ : اشهدوا » [3] .

وهناك معجزات أخرى أذكرها بإيجاز هى :

– الإسراء والمعراج به صلى الله عليه وسلم .

– نبع الماء من بين أصابعه الشريفة صلى الله عليه وسلم .

– تكثير الأطعمة ببركته صلى الله عليه وسلم حتى أطعم العديد الكثير من الطعام القليل .

– حنين الجذع شوقاً إليه صلى الله عليه وسلم .

– تسبيح الحصى فى كفه صلى الله عليه وسلم .

– انقياد الحيوانات لأمره صلى الله عليه وسلم .

– انقياد الشجر له صلى الله عليه وسلم .

– شفاء الله المريض بدعائه صلى الله عليه وسلم [4] .

– عصمته صلى الله عليه وسلم من الناس .

**إن هذه المعجزات وأعظمها القرآن الكريم توضح بجلاء فضل الله على رسوله ، وأن الله تبارك وتعالى أيده ، وأعلى شأنه ، وأقام حجته ، مما يبين أنه هو الكفيل ببيان دين الله ، وببيان معانى القرآن العظيم كتاب الله تعالى .**

---

(١) أول سورة القمر .

(٢) ، (٣) أخرجهما البخارى فى المناقب باب سؤال المشركين أن يريهم النبى ﷺ آية فأراهم انشقاق القمر ٦٣١/٦ ، وقد جمع روايات الحديث الحافظ ابن كثير فى تفسيره عند تفسير مطلع سورة القمر ، وفى البداية والنهاية ٨٧/٦ .

(٤) راجع البداية والنهاية : كتاب دلائل النبوة ٧٦/٦ ، وراجع دلائل النبوة للبيهقى ، ودلائل النبوة لأبى نعيم .

## * نصر الله له صلى الله عليه وسلم :

القارئ للقرآن الكريم وللسنة النبوية ، يجد أن الله تبارك وتعالى نصر رسوله صلى الله عليه وسلم وأعزه :

يقول الله تعالى : ﴿ **إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين إذ هما فى الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هى العليا والله عزيز حكيم** ﴾[1] .

أيده ربنا بالكثير من خلقه ، فالملائكة مدد من الله له صلى الله عليه وسلم ، والريح يرسلها ربنا جنداً على أعدائه صلى الله عليه وسلم .

ويتولى ربنا جل جلاله الدفع عنه صلى الله عليه وسلم ، فيلقى فى قلوب أعدائه الرعب ، ويمكن له صلى الله عليه وسلم فى الأرض .

والآيات فى غزواته صلى الله عليه وسلم ، ونصر الله له كثيرة فى كتاب ربنا تبارك وتعالى[2] أما النصرة الخاصة به فأسوق هذا الحديث يصورها :

فعن عائشة – رضى الله عنها – « أنها قالت : قلت للنبى صلى الله عليه وسلم : هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد ؟ قال صلى الله عليه وسلم : لقد لَقيتُ من قومك ما لقيت وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة ، إذ عرضت نفسى على ابن عبد ياليل بن عبد كُلال فلم يجبنى إلى ما أردت ، فانطلقت وأنا مهموم على وجهى ، فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب ، فرفعت رأسى ، فإذا أنا بسحابة قد أظلتنى ، فنظرت

---

(١) سورة التوبة الآية : ٤٠ .

(٢) راجع سورة آل عمران الآيات : ١٢٣ – ١٢٦ ، وسورة الأنفال الآيات : ٥ –١٨ والآيات ٤٢ – ٤٤ ، وسورة الأحزاب الآيات : ٩ – ٢٧ .

فإذا فيها جبريل ، فناداني فقال : إن الله قد سمع قول قومك لك ، وما ردّوا عليك ، وقد بعث الله إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم ، فناداني ملك الجبال ، فسلم عليّ ، ثم قال : ذلك فيما شئت ، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين . فقال النبي ﷺ : بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً »[1] .

لما اشتد إيذاء المشركين له صلى الله عليه وسلم وللمسلمين ، ذهب صلى الله عليه وسلم إلى الطائف رجاء أن يقبلوا الدعوة إلى الله ، إلا أنهم ردوا عليه صلى الله عليه وسلم أقبح رد ، فرجع متأثراً ، سائراً على قدميه مهموماً حتى وصل إلى مكان يقال له قرن الثعالب أو قرن المنازل ، وهو مكان مشهور فى طريق السائر من الطائف إلى مكة ، وهو ميقات أهل نجد يحرمون منه ، وبينه وبين الطائف مسافة .

لقد تأثر صلى الله عليه وسلم من رد أهل الطائف ، لكنه لم يتركه الله ، وإنما نصره وأعزه ، لقد أرسل ربنا إليه جبريل وملك الجبال ، وعرض عليه ملك الجبال أن يطبق على العتاة الذين يعارضون دعوته أن يطبق عليهم الجبلين المحيطين ببلدهم ، أى إنَّه يقوم بإهلاكهم ! ورفض رسول الله ذلك ، راجياً أن يخرج الله من ظهورهم ذرية يعبدون الله لا يشركون به شيئاً .

وهذا موقف منه صلى الله عليه وسلم فى غاية الرأفة والرحمة ، ففى الوقت الذى تشتد فيه الأزمة ، ويضيق الخناق عليه يعفو صلى الله عليه وسلم إلا أن الدارس لهذا الموقف وما شابهه يتضح له أنه فى أقسى الظروف وفى أصعب المواقف كان الله يشد من أزر رسوله ﷺ ، مما جعل نفسيته دائماً نفسية المنتصر ، وشخصيته شخصية الغالب ، شخصية الواثق بتأييد الله ، وبنصر الله قال ربنا سبحانه : ﴿ **وإن يريدوا أن يخدعوك فإن حسبك الله هو الذى أيدك بنصره وبالمؤمنين** ﴾[2] ، وقال عز وجل : ﴿ **وكان حقاً علينا نصر المؤمنين** ﴾[3] .

**وبالمقابل يهين ربنا أعداء رسوله :**

ففى الوقت الذى يؤيد الله تبارك وتعالى رسوله كل التأييد ، وينصره كل

---

(١) أخرجه البخارى فى بدء الخلق باب إذا قال أحدكم آمين ٣١٢/٦ ، ٣١٣ .

(٢) سورة الأنفال الآية : ٦٢ . (٣) سورة الروم الآية : ٤٧ .

النصر ، كان سبحانه يهين أعداء رسوله كل الإهانة ، فهزمهم ، وأذلهم ، وقتل صناديد الشرك ، وعتاة الطغيان ، وغزواته صلى الله عليه وسلم تنطق بذلك ، فلقد قتل فيها عتاة الشرك ، وهزم فيها الكثرة المتجبرة للشرك ، والمنافقين ، واليهود .

وهذه نماذج من إهانة الله سبحانه وتعالى أعداء رسوله ﷺ :

فعن أبي هريرة قال : قال أبو جهل [1] : هل يعفِّر [2] محمد وجهه بين أظهركم ؟ قال : فقيل نعم . فقال : واللات والعزى لئن رأيته يفعل ذلك لأطأنَّ على رقبته ، أو لأعفرن من وجهه في التراب . قال فأتى رسول الله [3] ﷺ وهو يصلي ، زعم ليطأ على رقبته ، قال فما فجأهم منه [4] إلا وهو ينكص على عقبيه [5] ، ويتقي بيديه [6] . قال فقيل له : مالك ؟ فقال : إن بيني وبينه لخندقاً من نار وهولاً وأجنحة ، فقال رسول الله ﷺ : « لو دنا لاختطفته الملائكة عضواً عضواً » .

قال : فأنزل الله عز وجل - لا ندري في حديث أبي هريرة أو شيء بلغه - **﴿ كلا إن الإنسان ليطغى • أن رآه استغنى [7] • إن إلى ربك الرجعى [8] أرأيت الذي ينهى • عبداً إذا صلى • أرأيت إن كان على الهدى • أو أمر بالتقوى • أرأيت إن كذب وتولى [9] • ألم يعلم بأن الله يرى • كلا لئن لم ينته لنسفعا بالناصية [10] • ناصية**

---

(١) أحد زعماء مشركي مكة .

(٢) العفر هو التراب ، والمعنى : أيسجد محمد أمامكم ؟ .

(٣) أي جاء أبو جهل - لعنه الله - إلى رسول الله ﷺ يريد أن يؤذيه .

(٤) أي كان مفاجأة لهم أن أبا جهل لم يقدر على شيء .

(٥) أي رجع يمشي بظهره .

(٦) كأن شيئاً سيهجم عليه فهو يدفعه عن نفسه بيديه .

(٧) عنى بالإنسان هنا أبا جهل وكل طاغية .

(٨) المرجع والمصير .

(٩) إذا ظن نفسه مستغنياً بنفسه فإنه يتجبر ، وهذا شأن الطغاة ، أما الصالحون فيرون دائماً حاجتهم وفقرهم إلى الله تعالى .

(١٠) الناصية مقدمة الرأس ، والسفع بالناصية معناه : لنذلنه ، ولنعذبنه .

(١١) قومه .

(١٢) جند الله .

(١٣) أخرجه مسلم في المنافقين باب قوله تعالى **﴿ إن الإنسان ليطغى ﴾** ٤١٥٤/٤ ، والآيات من سورة العلق ، وراجع سيرة ابن هشام ص ٢٩٨ ؛ ما حدث لأبي جهل حين هم بإلقاء الحجر على الرسول ﷺ ففيه زيادة .

لقد ظن أبو جهل فرعون هذه الأمة أنه يستطيع أن ينال من رسول الله ﷺ ، بل ظن أنه يستطيع أن يقتله ، لكنه ما إن اقترب منه إلا سلط الله عليه ما أخافه كل الخوف ، وأفزعه كل الفزع ، مما جعله يعود خاسئاً ، يجرى إلى الخلف صاغراً ، وهكذا ينصر الله رسوله ﷺ ويهين أعداءه .

* وعن أنس - رضى الله عنه - قال : « كان رجل نصرانياً فأسلم وقرأ البقرة وآل عمران ، فكان يكتب للنبى ﷺ ، فعاد نصرانياً ، فكان يقول : ما يدرى محمد إلا ما كتبت له ، فأماته الله ، فدفنوه ، فأصبح وقد لفظته الأرض [(١)] ، فقالوا : هذا فعل محمد وأصحابه ، لما هرب منهم نبشوا عن صاحبنا فألقوه ، فحفروا له فأعمقوا ، فأصبح وقد لفظته الأرض ، فقالوا : هذا فعل محمد وأصحابه ، نبشوا عن صاحبنا لما هرب منهم فألقوه خارج القبر ، فحفروا له وأعمقوا له فى الأرض ما استطاعوا ، فأصبح قد لفظته الأرض ، فعلموا أنه ليس من الناس [(٢)] فألقوه » [(٣)] .

لقد ظن هذا الذى كفر وظن رفاقه فى الكفر أنه يستطيع أن ينال من قدر رسول الله ﷺ ، لكنه ما أن راح يفترى ويكذب إلا قصمه الله ، إن الكذب هنا جريمة تختلف عن جريمة الكذب فى الأموال أو الأعراض ، إنه كذب على الله ، وعلى رسول الله ، ومن هنا لم يتركه الله يثرثر بهذا الكذب ، فقتله شر قتلة ، وجعله لكل عاقل عبرة ، إذ لم يجعل له فى الأرض قبراً ، ولا من التراب ستراً ، وإنما ظل كلما دفنوه طرحته الأرض ، ومهما أعمقوا تلفظه الأرض .

سبحان الله ! عبرة لمن يعتبر . فياويل من يكذب فى الساحات الطاهرة ، ساحة القرآن الكريم ، أو ساحة الحديث النبوى الشريف أو ساحة الإسلام قال ربنا جل جلاله : ﴿ **إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله فى الدنيا والآخرة وأعد لهم عذاباً مهيناً** ﴾ [(٤)] .

---

(١) أى طرحته الأرض خارجها .

(٢) ثبت عند هؤلاء أن إخراج هذا من قبره ليس من فعل رسول الله ﷺ وأصحابه .

(٣) أى تركوه على وجه الأرض غير مدفون ، والحديث أخرجه البخارى فى المناقب باب علامات النبوة فى الإسلام ٦/٦٢٤ ، وهذا الباب طويل ، وهذا الحديث فيه رقم ٣٩ ، ورقمه فى صحيح البخارى ٣٦١٧ .

(٤) سورة الأحزاب الآية : ٥٧ .

## * استجابة دعائه صلى الله عليه وسلم :

الدارس لسنته وسيرته صلى الله عليه وسلم يتضح له جيداً أنه صلى الله عليه وسلم كان مستجاب الدعوة ، فكم دعا واستجاب ربنا الكريم .

لقد دعا لعبد الرحمن بن عوف فقال : « بارك الله لك » فكثر ماله جداً ، حتى قال : لقد رأيتنى ولو رفعت حجراً لرجوت أن أصيب تحته ذهباً أو فضة .. لقد كثر مال ابن عوف ببركة دعوته صلى الله عليه وسلم كثرة عجيبة ، فعلى الرغم من كثرة تصدقه ، وعتقه الكثير من العبيد فإن ميراث الزوجة من زوجاته الأربع بلغ ثمانين ألف دينار . أى أن تركته كانت (٢,٥٦٠,٠٠٠) مليونين ونصف المليون دينار [١] .

ودعا لأنس بن مالك فقال : « اللهم أكثر ماله ، وولده ، وبارك له فيما رزقته » فكثُر ماله جداً ، وكان له بستان يحمل - يثمر - فى العام مرتين ، وكان فيه ريحان يجيء منها ريح المسك ، ورأى من ولده وولد ولده أكثر من مائة ، وعمّر طويلاً ، فعاش قرابة مائة سنة [٢] .

ودعا للسائب بن يزيد - وكان مريضاً - فأمتعه الله بالصحة والعافية ، وعمّر طويلاً فعن الجعيد بن عبد الرحمن قال : رأيت السائب بن يزيد ابن أربع وتسعين جلداً [٣] معتدلاً ، فقال : قد علمتُ ما مُتِّعْتُ به سمعى وبصرى إلا بدعاء رسول الله ﷺ ؛ إن خالتى ذهبت بى إليه فقالت : يا رسول الله إن ابن أختى شاكٍ [٤] فادع له . قال فدعا لى صلى الله عليه وسلم [٥] .

ودعا صلى الله عليه وسلم لأهل اليمن بالهداية ، ولأهل الشام ، ولأهل العراق ، ودعا

---

(١) الدينار عملة ذهبية يعادل مائتين وستين جنيهاً مصرياً تقريباً . وراجع دلائل النبوة للبيهقى ٢١٨/٦ .
(٢) راجع دلائل النبوة للبيهقى ١٩٤/٦ .
(٣) أى قوياً صلباً .
(٤) يشكو المرض .
(٥) أخرجه البخارى فى المناقب باب بعد باب كنية النبى ﷺ ٥٦٠/٦ .
(٦) راجع دلائل النبوة للبيهقى ٣٢٦/٦ ، والحديث عن الترمذى فى المناقب باب فى فضل اليمن =

لكلٍّ قائلاً : « اللهم أقبل بقلوبهم » فاستجاب الله دعاءه ، ودخلوا فى دين الله أفواجاً [٦] .

واشتكى الناس قلة المطر ، فدعا : « اللهم اسقنا » فنزل المطر فى الحال ، وظل أسبوعاً ، فشق ذلك عليهم فدعا صلى الله عليه وسلم : « اللهم حوالينا ولا علينا » فجعل الله المطر خارج المدينة .

* فعن أنس بن مالك أن رجلاً دخل يوم الجمعة من باب كان وجاه المنبر [١] ورسول الله ﷺ قائم يخطب ، فاستقبل رسول الله ﷺ قائماً فقال : يا رسول الله ، هلكت المواشى ، وانقطعت السبل ، فادع الله يغيثنا .

قال - أى أنس - فرفع رسول الله ﷺ يديه فقال : اللهم اسقنا ، اللهم اسقنا ، اللهم اسقنا . قال أنس : ولا والله ما نرى فى السماء من سحاب ، ولا قَزَعة [٢] ، ولا شيئاً وما بيننا وبين سَلْع [٣] من بيت ولا دار .

قال : فطلعت من ورائه سحابة مثل الترس ، فلما توسطت السماء انتشرت ثم أمطرت قال : والله ما رأينا الشمس ستاً [٤] ، ثم دخل رجل من ذلك الباب فى الجمعة المقبلة ، ورسول الله ﷺ قائم يخطب فاستقبله قائماً فقال : يا رسول الله ، هلكت الأموالُ ، وانقطعت السبل [٥] ، فادع الله يمسكها . قال : فرفع رسول الله ﷺ يديه ثم قال : « اللهم حوالينا ولا علينا ، اللهم على الآكام والجبال والآجام والظراب والأودية ومنابت الشجر » [٦] . قال فانقطعت [٧] ، وخرجنا نمشى فى الشمس [٨] .

= ٤٣٤/١٠ مقتصراً على اليمن ، وهو عند الطبرانى فى الصغير والأوسط فى البلاد الثلاثة مجمع الزوائد ٥٧/١٠ .

(١) أى فى مواجهة المنبر .

(٢) قطعة السحاب الرقيقة .

(٣) جبل بالمدينة .

(٤) أى أنه كان مطراً بغيم ، استمر ستة أيام دون مراعاة الكسر ، أو سبعة أيام إذا حسبنا الكسر ، وقد جاء فى رواية أخرى : « فمطرنا من جمعة إلى جمعة » وسيذكر هذا بعد ذلك فى نص الحديث الذى معنا .

(٥) أى أنه من كثرة الأمطار هلكت بعض المحاصيل ، وانقطعت بعض الطرق .

(٦) الدعوة الثانية تأكيد للأولى ، فقوله : « اللهم على الآكام ... » تأكيد وبيان لقوله : « اللهم حوالينا ... » و « الآكام » جمع أكمة ، وهى الهضبة ، و « الآجام » جمع أُجم وهو الحصن و « الظراب » جمع « ظَرِب » أو « ظَرْب » الجبل المنبسط ليس بالعالى .

(٧) اى توقف المطر وانقشع الغيم .

(٨) أخرجه البخارى فى الاستسقاء باب الاستسقاء فى المسجد الجامع ٥٠١/٢ .

ومن هذا كثير وكثير [١] ، لكنى فى دراسة الجانب العلمى من حياته صلى الله عليه وسلم أركز على دعوات فى باب العلم والتعلم ، فإنه صلى الله عليه وسلم دعا لبعض الصحابة دعوات فى باب العلم ، واستجابها الله الكريم ، فتقدم هذا الصحابى الذى دعا له صلى الله عليه وسلم ، تقدم فى العلم وتفوق ، وأنا أسوقها للدلالة على كماله صلى الله عليه وسلم علمياً ، فإذا كان دعا لأحد الصحابة فقويت ذاكرته جداً ، ودعا لآخر فتفوق فى الاستنباط وزاد ، إذا كان صلى الله عليه وسلم دعا بذلك لغيره ، فتفوق هذا الغير وزكا علمه ونما ، فما بالك بالمصطفى الذى قال الله له : ﴿ **وقل رب زدنى علماً** ﴾ ؟ فما بالك بالمصطفى ﷺ الذى قال : « اللهم إنى أسألك علماً نافعاً » ؟ فما بالك بالمصطفى ﷺ الذى سأل الله الكثير والكثير ، من سداد الرأى ، والثبات على الحق ، والنور فى قلبه وسمعه وبصره ، والهدى والتقى ؟ ، سأل الله أن يلهمه رشده .

وكان يسأل الله بالكلمات الجامعة ، وهو صلى الله عليه وسلم الذى علمه الله الأوقات الأرجى للإجابة ، والأحوال الأقرب لنوال الداعى .

فدعا صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عباس - رضى الله عنهما - فقال : « اللهم فَقِّهْهُ فى الدين ، وعلمه التأويل » [٢] ، واستجاب الله هذه الدعوة لابن عباس فتقدم فى علوم الإسلام تقدماً لا يبارى ، ولا يدانى . لقد أدرك الدقائق والأسرار ، وفهم المشكلات والمعضلات ، سأله عمر بن الخطاب عن مسألة فأجاب ، فقال عمر : أشهد أنك تنطق عن بيت نبوة [٣] .

وعن سعد بن أبى وقاص قال : ما رأيت أحداً أحضر فهماً ، ولا ألب لبًا ، ولا أكثر علماً ، ولا أوسع حلماً من ابن عباس . ولقد رأيت عمر بن الخطاب يدعوه للمعضلات ، ثم يقول : عندك ، قد جاءتك معضلة ، ثم لا يجاوز قوله ، وإن حوله

(١) راجع جماع أبواب دعوات نبينا المستجابة فى الأطعمة والأشربة وبركاته فيما دعا فيه من كتاب دلائل النبوة للبيهقى ٨٣/٦ - ٢٥٩ .

(٢) أخرجه ابن حبان فى كتاب إخباره صلى الله عليه وسلم عن مناقب الصحابة باب ذكر الفقه والحكمة اللذين دعا المصطفى ﷺ لابن عباس بهما ٥٢١/١٥ ، وأخرجه أحمد ٣٢٨/١ ، ٣٣٥ ، وفى فضائل الصحابة رقم ١٨٥٨ ، وأخرجه الطبرانى رقم ١٠٦١٤ .

(٣) ، (٤) طبقات ابن سعد ٣٦٩/٢ .

لأهل بدر من المهاجرين والأنصار[٤] .

وعن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة قال : كان ابن عباس قد فات الناس بخصال : بعلم ما سبقه ، وفقه فيما احتيج إليه من رأيه ، وحلم ، ونسب ، ونائل [١] ، ولا رأيت أحداً كان أعلم بما سبقه من حديث رسول الله ﷺ منه ، ولا أعلم بقضاء أبى بكر وعمر وعثمان منه ، ولا أفقه فى رأى منه ، ولأ أعلم بشعر ولا عربية ، ولا بتفسير القرآن ولا بحساب ولا بفريضة منه ، ولا أعلم بما مضى ، ولا أثقب رأياً فيما احتيج إليه منه ، ولقد كان يجلس يوماً ما يذكر فيه إلا الفقه ، ويوماً التأويل[٢] ، ويوماً المغازى ، ويوماً الشعر ، ويوماً أيام العرب ، وما رأيت عالماً قط جلس إليه إلا خضع له ، وما رأيت سائلاً قط سأله إلا وجد عنده علماً[٣] .

وقال طاووس : أدركت نحو خمسمائة من الصحابة إذا ذاكروا ابن عباس فخالفوه فلم يزل يقررهم حتى ينتهوا إلى قوله [٤] .

هذه نبذة عن مكانة ابن عباس العلمية ، أردت بها أن أبين أن الله استجاب دعوة رسوله ﷺلابن عباس ، فسما وارتقى فى العلم وفاق .

يقول الحافظ ابن حجر : وهذه الدعوة مما تحقق إجابة النبى ﷺ فيها ، لما عُلِم من حال ابن عباس فى معرفة التفسير والفقه فى الدين رضى الله عنه[٥] .

* * *

وعن محمد بن قيس بن مخرمة أن رجلاً جاء زيد بن ثابت فسأله عن شىء فقال له زيد : عليك بأبى هريرة ، فإنه بينا أنا وأبو هريرة وفلان فى المسجد ذات يوم ندعو الله تعالى ، ونذكر ربنا ، خرج علينا رسول الله ﷺ حتى جلس إلينا قال : فجلس وسكتنا فقال : عودوا للذى كنتم فيه ، قال زيد : فدعوت أنا وصاحبى قبل أبى هريرة وجعل رسول الله ﷺ يؤمّن على دعائنا . قال : ثم دعا أبو هريرة فقال :

---

(١) من النيل بمعنى الأخذ ، أى أنه كريم ، يأخذ الناس من ماله الكثير .
(٢) التفسير .
(٣) الطبقات الكبرى ٣٦٨/٢ .
(٤) سير أعلام النبلاء ٣٥١/٣ .
(٥) فتح البارى شرح حديث : « اللهم علمه الكتاب » كتاب العلم باب قول النبى ﷺ « اللهم علمه الكتاب » ١٧٠/١ .

اللهم إنى أسألك مثل الذى سألك صاحباى هذان ، وأسألك علماً لا ينسى ، فقال رسول الله ﷺ «آمين» فقلنا يا رسول الله ونحن نسأل الله علماً لا يُنسى . فقال رسول الله ﷺ : «سبقكما بها الغلام الدَّوْسى»[1] .

وعن أبى هريرة قال : «قلت يا رسول الله إنى أسمع منك حديثاً كثيراً أنساه . قال : ابسط رداءك ، فبسطته . قال : فغرف بيديه[2] ثم قال : ضمَّه ، فضممته ، فما نسيت شيئاً بعده»[3] .

لقد أمَّن صلى الله عليه وسلم على دعاء أبى هريرة فأذهب الله عنه النسيان وغرف بيديه صلى الله عليه وسلم أمراً معنوياً فما نسى أبو هريرة بعد ذلك .

وإذا أردتُ أن أعرف بمدى استجابة دعوته صلى الله عليه وسلم لأبى هريرة ، وانتفاعه بها ، فإنى أسوق هذا الخبر :

فعن أبى الزعيزعة - كاتب مروان بن الحكم - أن مروان دعا أبا هريرة فأقعدنى خلف السرير ، وجعل يسأله ، وجعلت أكتب ، حتى إذا كان عند رأس الحول دعا به فأقعده وراء الحجاب ، فجعل يسأله عن ذلك ، فما زاد ولا نقص ، ولا قدم ولا أخر[4] .

وأعظم من هذا أن رسول الله ﷺ بيّن منزلة أبى هريرة العلمية ، فقال صلى الله عليه وسلم : «أبو هريرة وعاء العلم»[5] .

(١) الغلام الدوسى هو أبو هريرة ينسب لقبيلته دوس من قبائل اليمن ، وهو من أشرافها ، والحديث أخرجه الحاكم فى معرفة الصحابة باب دعاء أبى هريرة بعلم لا يُنسى وتأمين النبى ﷺ ٥٠٨/٣ ، وصححه وانتقده الذهبى بأن فى إسناده حماد بن شعيب وهو ضعيف . قلت : ضعف حماد ليس من الضعف الذى يمنع الاحتجاج بهذا الحديث ، وقد ذكره الحافظ فى الفتح فى شرح الحديث الذى سيلى هذا ولم يعلق عليه .

(٢) قال الحافظ : لم يُذكر المغروف منه ، وكأنهاكانت إشارة محضة ا هـ ، ففعل صلى الله عليه وسلم بيديه كأنه يضع فى رداء أبى هريرة شيئاً .

(٣) أخرجه البخارى فى العلم باب حفظ العلم ٢١٥/١ .

(٤) أخرجه الحاكم فى معرفة الصحابة باب كان أبو هريرة أحفظ أصحاب رسول الله ﷺ ٥١٠/٣ وصححه ووافقه الذهبى .

(٥) أخرجه الحاكم فى الموطن السابق ص ٥٠٩ .

وهكذا بركته صلى الله عليه وسلم فى باب العلم ، يدعو لأحد الصحابة بالفقه والفهم فيتقدم كثيراً ، ويدعو لآخر بعلم لا ينسى فلا ينسى ، فما بالك به صلى الله عليه وسلم ؟ بدهى أنه كان على أعلى درجات الذكاء والذاكرة ، والنصوص تبين هذا[1] ، لكنى أردت أن أبيّن شيئاً من الواقع ، وعدداً من خصائصه فى باب العلم صلى الله عليه وسلم .

وبعد : فواضح من كل هذا أنه صلى الله عليه وسلم قد جمع الله له من الكمالات البشرية فى باب العلم ما يجعل كل عاقل يُسَلِّم بأنه صلى الله عليه وسلم أعلم الأمة بدين الله ، وأقدر الأمة على بيان كتاب الله ، فهو صلى الله عليه وسلم أكمل الأمة عقلاً ، وأوسعهم علماً ، مع العصمة والسلامة ، فلا تخليط ولا اضطراب ، وإنما دقة وتحر فى كل مسألة .

وفوق ذلك فله من الله العظيم كل التأييد ، أيده بالمعجزات الناطقة بصدقه ، وأكرمه بالخوارق التى ينشرح بها صدر أتباعه ، ونصره وأعزه ، وأهان أعداءه ، واستجاب دعاءه .

إنه الرسول الذى أُهِّل شخصياً ، وأُيِّد إلهياً ، فمن ذا يدانيه فى علم ، ومن ذا يجاريه فى حلم ، ومن ذا يقاربه فى فَهم دين الله ؟!! .

ومن هنا يقول صلى الله عليه وسلم : « أيأمننى الله على أهل الأرض ولا تأمنونى ؟ »[2] .

إن من عقل اقتدى به ، وعلم أنه النبى المصطفى الذى أمرنا باتباعه ، فهو المبين لدين الله ، وأعلم الخلق بكتاب الله ، وأدرى الخلق بملكوت الله ، صلى الله عليه وعلى آله وكل من اتبع هداه .

ورحم الله حسان بن ثابت إذا يقول فى مدح رسول الله ﷺ :

وضمّ الإله اسم النبى إلى اسمه ... إذا قال فى الخمس المؤذنُ أشهدُ

---

(١) سبق أن ذكرت شيئاً من هذه النصوص فى موضوع « كمال عقله صلى الله عليه وسلم » و « سعة علمه صلى الله عليه وسلم » .

(٢) أخرجه البخارى فى الأنبياء باب قول الله تعالى : ﴿وإلى عاد أخاهم هودا﴾ ٣٧٦/٦ .

وشق له من اسمه ليجلَّهُ ... فذو العرش محمود وهذا محمدُ
نبيٌ أتانا بعد يأس وفترة ... من الرسل والأوثان فى الأرض تُعْبَدُ
فأمسى سراجاً مستنيراً وهادياً ... يلوح كما لاح الصقيل المهند
وأنذرنا ناراً وبشر جنة ... وعلمنا الإسلام فالله نحمدُ[1]

وعن محمد بن سيرين قال : قلت لعبيدة[2] : عندنا من شعر النبى ﷺ أصبناه من قِبَل أنس ، أو من قِبَل أهل أنس ، فقال : لأن تكون عندى شعرة منه أحب إلىّ من الدنيا وما فيها[3] .

إنى أكتفى بهذا الحديث من أحاديث حب الصحابة له صلى الله عليه وسلم ، فإن هذا باب واسع فلقد أحبوه أكثر من أنفسهم ، لمعرفتهم بقدره ، مع سلامة الفطرة ونقاء السريرة ، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين .

* * *

(١) ديوان حسان ص ٤٧ طبعة دار الباز ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م .
(٢) هو عبيدة بن عمرو السلمانى أحد كبار التابعين المخضرمين أسلم قبل وفاة النبى ﷺ بسنتين ولم يره . فتح البارى .
(٣) أخرجه البخارى فى الوضوء باب الماء الذى يغسل به شعر الإنسان ٢٧٣/١ حديث رقم ١٧٠ .



## هَدْى السلف فى اتباع السنة

# من أقوال السلف فى اتباع السنة

وبعد أن بينت أن الله تعالى أمرنا باتباع سنة رسوله ﷺ ، وأن رسول الله ﷺ أمرنا باتباع سنته ، وأن الأمة مجمعة على وجوب اتباع السنة ، بعد ذلك أذكر بعض أقوال السلف فى اتباع السنة النبوية أبين بذلك مدى حرصهم على اتباع سنته صلى الله عليه وسلم ، وأنهم تواصوا بالأخذ بها بكل حزم والتزام ، وأجمعوا على أن العمل بالسنة هو سبيل الاستقامة ، وأن البعد عنها هلاك ، لقد علا شأن الملتزمين بالسنة فى سلفنا ، وأنكروا على من خالفها كل الإنكار ، ووقعت عقوبات لمن خالفها ، فتناقلوها ، وشددوا فى الحث على التزامها ، وشددوا فى الإنكار على مخالفتها ، وتفصيل ذلك فى العناوين التالية .

## ١- الحث على اتباع السنة :

• أخرج المروزى فى أول كتابه « السنة » بإسناده عن أبى سعيد الخدرى فى هذه الآية : ﴿**واعلموا أن فيكم رسول الله لو يطيعكم فى كثير من الأمر لعنتم**﴾[1] قال أبو سعيد : هذا نبيكم وخيار أمتكم ، فكيف أنتم ؟

وإنما صدرت بهذا الأثر لعظم وقعه فى نفسى ، فالله جل جلاله يبين لنا أن رسوله ﷺ لو أطاعنا وأخذ برأينا لشق ذلك علينا فى كثير من الأمور وهو رسول الله ، وأصحابه خير ناس فى الأمة ، ومع ذلك فلو أخذ برأى أصحابه لوقعنا فى كثير من المشقة والحرج ، فالواجب علينا أن نتبع وحى الله تعالى ، وأن نقتدى بالمعصوم صلى الله عليه وسلم فنعمل بسنته صلى الله عليه وسلم بكل حرص ، وأن لا نعتمد على آراء الناس .

---

(1) سورة الحجرات الآية : ٧ .

* قال ابن شهاب الزهرى[1] : كان من مضى من علمائنا يقولون : الاعتصام بالسنة نجاة ، والعلم يقبض قبضاً سريعاً ، فنعش العلم[2] ثبات الدين والدنيا ، وفى ذهاب العلم ذهاب ذلك كله[3] .

إن هذا الكلام يرويه ابن شهاب الزهرى عن العلماء الذين أدركهم فى أول حياته ، وقد عاش الفترة ( من ٥١ إلى ١٢٤) فهم من الصحابة الأجلاء ، ومن كبار التابعين .

* وعن عبد الله بن عباس - رضى الله عنهما - لما أرسله علىّ بن أبى طالب إلى الخوارج قال : يا أمير المؤمنين أنا أعلم بكتاب الله منهم ، فى بيوتنا نزل . قال : صدقت ولكن القرآن حمّال ، ذو وجوه ، نقول ويقولون ، ولكن حاجهم بالسنن فإنهم لن يجدوا عنها محيصاً ، فخرج إليهم فحاجهم بالسنن ، فلم يبق بأيديهم حجة[4] .

الخوارج طائفة خرجوا على الإمام على بن أبى طالب عند التحكيم ، وتنقسم إلى سبع فرق ، وتقوم فكرتهم على تكفير من خالفهم ، يكفرون من خالفهم ولو كان صحابياً ، ويكفرون مرتكب الكبيرة[5] .

وحينما أراد الإمام على أن يردهم إلى الصواب ، وأن يقنعهم بالحق أرسل لهم حبر الأمة وفقيهها عبد الله بن عباس ، وأوصاه بمحاجتهم بالسنة النبوية ، فإنها البيان الذى لا يقبل الجدل . وامتثل ابن عباس لوصية الإمام على كرم الله وجهه فألزمهم الحجة بالسنة المشرفة .

ونصيحة الإمام على لابن عباس هى مبدأ عام عند الصحابة جميعاً ، وعند علماء الأمة فى كل زمان .. فهاهو على بن أبى طالب يقول : سيأتى قوم يجادلونكم ،

---

(١) من علماء القرن الثانى الهجرى توفى سنة ١٢٤ هجرية .

(٢) ارتفاعه ، وشيوعه ، وأخرجه الآجرى فى الشريعة باب الحث على التمسك بكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ ١/١٧٥ رقم ٩٩ ، وفى الباب الذى يليه ص ١٨٠ ، ١٨١ رقم ١٠٧ ، ١٠٨ ، وأخرجه ابن حزم فى الإحكام ٢ . ١٤٠ .

(٣) أخرجه الدارمى فى المقدمة باب اتباع السنة ١/٤٤ رقم ٩٧ .

(٤) أخرجه ابن سعد فى الطبقات كذا فى مفتاح الجنة ص ٣٤ .

(٥) راجع المواقف ص ٤٢٤ .

فخذوهم بالسنن ، فإن أصحاب السنن أعلم بكتاب الله (١) .

وهاهو عمر بن الخطاب يقول : إنه سيأتى ناس يجادلونكم بشبهات القرآن ، فخذوهم بالسنن ؛ فإن أصحاب السنن أعلم بكتاب الله (٢) .

هذان الصحابيان والإمامان الجليلان يقولان : إن أصحاب السنن أعلم بكتاب الله . نعم فإن السنة هى البيان الكافى للقرآن الكريم ، لا حاجة للرأى معها ، ولا يقوى أهل الأهواء على مواجهتها .

* وعن الأوزاعى قال : كان يقال خمس كان عليها أصحاب رسول الله ﷺ والتابعون بإحسان : لزوم الجماعة ، واتباع السنة ، وعمارة المسجد ، وتلاوة القرآن والجهاد فى سبيل الله (٣) .

* وعن ابن مسعود قال : اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم ، وكل بدعة ضلالة (٤) .

* وعن ابن مسعود قال : عليكم بالعلم قبل أن يقبض ، وقبضه أن يذهب بأصحابه - أو قال بأهله - عليكم بالعلم ، فإن أحدكم لا يدرى متى يَفْتَقِر أو يُفْتَقر إلى ما عنده ، وإنكم ستجدون أقواماً يزعمون أنهم يدعونكم إلى كتاب الله وقد نبذوه وراء ظهورهم ، فعليكم بالعلم ، وإياكم والتبدع ، وإياكم والتنطع ، وإياكم والتعمق ، وعليكم بالعتيق (٥) .

* وعن أبى بكر الصديق - رضى الله عنه - قال : لست تاركاً شيئاً كان رسول الله ﷺ يعمل به إلا عملت به ، فإنى أخشى إن تركت شيئاً من أمره أن أزيغ (٦) .

---

(١) أخرجه اللالكائى فى شرح أصول اعتقاد أهل السنة ١٢٣/١ .

(٢) أخرجه الدارمى فى المقدمة باب التورع عن الجواب فيما ليس فيه كتاب ولا سنة ٤٧/١ رقم ١٢١ ، وأخرجه الآجرى فى الشريعة باب الحث على التمسك بكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ ١٧٥/١ رقم ٩٩ ، وفى الباب الذى يليه ص ١٨٠ ، ١٨١ رقم ١٠٧، ١٠٨ ، وأخرجه ابن حزم فى الإحكام ١٤٠/٢ .

(٣) أخرجه اللالكائى فى السنة مفتاح ص ٣٨ .

(٤) أخرجه المروزى فى السنة ص ٢٨ رقم ٧٨ .

(٥) أخرجه المروزى فى السنة ص ٢٩ رقم ٨٥ ، والدارمى فى المقدمة باب من هاب الفتيا ٥٠/١ وابن وضاح فى البدع ص ٢٥ .

(٦) أخرجه البخارى فى فرض الخمس الباب الأول منه ١٩٧/٦ رقم ٣٠٩٣ ضمن حديث طويل .

وقال البخارى : لم يلتفت أبو بكر إلى مشورة إذا كان عنده حكم رسول الله ﷺ [1] .

* وقال رجل لإبراهيم بن أدهم : قال الله عز وجل : ﴿ **ادعونى أستجب لكم** ﴾ فما لنا ندعو فلا يستجاب لنا ؟ فقال إبراهيم : من أجل خمسة أشياء . قال : وما هى ؟ قال : عرفتم الله فلم تؤدوا حقه ، وقرأتم القرآن فلم تعملوا بما فيه ، وقلتم نحب الرسول وتركتم سنته ، وقلتم نلعن إبليس وأطعتموه ، والخامسة : تركتم عيوبكم وأخذتم فى عيوب الناس [2] .

إن إبراهيم بن أدهم يبين أن حب الرسول إنما يكون فى اتباع سنته صلى الله عليه وسلم ، وأن اتباع سنته صلى الله عليه وسلم أصل من أصول استجابة الدعاء ، وأن ترك السنة يجعل الدعاء غير متقبل .

وملحوظ فى كتابتى أن كبار المتصوفة أمثال إبراهيم بن أدهم ، والجنيد ، والفضيل بن عياض أنهم يحرصون على اتباع سنته صلى الله عليه وسلم ، ويوصون باتباعها ، ويحذرون من مخالفتها ، إنهم يعرفون عظيم قدرها ، ويُعَرّفون به ، مما يجعلنى أُكبرهم وأحترمهم ، وأرجو أن يكون متصوفة زماننا كهؤلاء الصوفية الأعلام [3] .

* وعن ميمون بن مهران قال : كان أبو بكر رضى الله عنه إذا ورد عليه الخصم نظر فى كتاب الله ، فإن وجد فيه ما يقضى به بينهم قضى به ، وإن لم يكن فى الكتاب وعلم من رسول الله ﷺ فى ذلك الأمر سنة قضى بها ، فإن أعياه خرج فسأل المسلمين وقال أتانى كذا وكذا فهل علمتم أن رسول الله ﷺ قضى فى ذلك بقضاء ؟ فربما اجتمع إليه النفر كلهم يذكر عن رسول الله ﷺ فيه قضاء ، فيقول أبو بكر : الحمد الذى جعل فينا من يحفظ علينا ديننا [4] .

---

(١) كتاب الاعتصام باب قول الله تعالى ﴿ **وشاورهم فى الأمر** ﴾ ٣٣٩/١٣ ، ترجمة الباب .

(٢) أخرجه ابن عبد البر فى جامع بيان العلم ٧/٢ .

(٣) عقد الشاطبى فصلا لامتثال الصوفية سنة رسول الله ﷺ وذلك فى كتابه المشهور «الاعتصام» ٨٩/١ - ٩٩ ، وأيضاً فعل السيوطى ذلك فى كتابه «مفتاح الجنة» ص ٤٢ .

(٤) ذكره فى مفتاح الجنة ص ٣٥ عن الدارمى ، وهو عنده فى المقدمة باب الفتيا وما فيه من الشدة ٥٣/١ رقم ١٦٣ .

* وعن هزيل بن شرحبيل قال : سئل أبو موسى عن ابنة ، وابنة ابن ، وأخت . فقال : للابنة النصف ، وللأخت النصف ، وائت ابن مسعود فسيتابعنى .

* فسئل ابن مسعود وأخبر بقول أبى موسى فقال : لقد ضللت إذا وما أنا من المهتدين ، أقضى بما قضى النبى ﷺ : للابنة النصف ، ولابنة الابن السدس تكملةالثلثين ، وما بقى فللأخت .

فأتينا أبا موسى ، فأخبرناه بقول ابن مسعود فقال : لا تسألونى ما دام هذا الحبر فيكم [١] .

فأبان ابن مسعود أن الواجب اتباع سنة النبى ﷺ ، وغيرها ضلال . ولقد كان أبو موسى على نفس المنهج فإنه طلب من السائل أن يذهب إلى ابن مسعود لعلمه بمكانته العلمية ، فلما أخبروه بما قال ابن مسعود رجع عن رأيه ، وأكبر ابن مسعود .

قال الحافظ ابن حجر : وفى هذا الحديث : أن الحجة عند التنازع سنة النبى ﷺ فيجب الرجوع إليها ، وفيه ما كانوا عليه من الإنصاف والاعتراف بالحق والرجوع إليه ، وشهادة بعضهم لبعض بالعلم والفضل ، وكثرة اطلاع ابن مسعود على السنة ، وتثبت أبى موسى فى الفتيا حيث دل على من ظن أنه أعلم منه [٢] .

* وعن ابن عباس قال : عليكم بالاستقامة ، واتباع الأمراء والأثر ، وإياكم والتبدع [٣] .

* وعن ابن مسعود قال : إنا نقتدى ولا نبتدى ، ونتبع ولا نبتدع ، ولن نضل ما تمسكنا بالأثر [٤] .

* وعن الحسن البصرى قال : لا يصلح قول إلا بعلم ، ولا يصلح قول وعمل إلا بنية ، ولا يصلح قول وعمل ونية إلا بالسنة [٥] .

---

(١) أخرجه البخارى فى الفرائض باب ميراث ابنة ابن مع ابنة ١٢/١٧ حديث ٦٧٣٦ .
(٢) فتح البارى فى شرح الحديث السابق ١٢/١٧ ، ١٨ .
(٣) السنة للمروزى ص ٢٩ رقم ٨٣ ، و«الأمراء» المراد بهم الخلفاء الراشدون .
(٤) أخرجه اللالكائى فى السنة كذا فى مفتاح الجنة ص ٣٨ .
(٥) أخرجه اللالكائى فى السنة كذا فى مفتاح الجنة ص ٣٧ .

* وعن سعيد بن جبير قال : لا يقبل قول إلا بعمل ، ولا يقبل قول وعمل إلا بنية ، ولا يقبل قول وعمل ونية إلا بموافقة السنة[1] .

* وعن أيوب السختيانى قال : إنى أُخبَرُ بموت الرجل من أهل السنة فكأنى أفقد بعض أعضائى[2] .

* وعن سفيان الثورى قال : إنما العمل كله العلم بالآثار[3] .

* وعن ابن خزيمة قال : ليس لأحد قول مع رسول الله ﷺ إذا صح الخبر[4] .

* وعن شريح قال : إنك لن تضل ما أخذت بالأثر[5] .

* وكان أبو حنيفة يقول : عليكم بالأثر وطريقة السلف[6] .

وقال أيضاً : ما جاء عن الرسول ﷺ فعلى الرأس والعين ، وما جاء عن الصحابة اخترنا ، وما كان من غير ذلك فهم رجال ونحن رجال[7] .

وقال : ليس لأحد أن يقول برأيه مع كتاب الله تعالى ، ولا مع سنة رسول الله ﷺ ، ولا مع ما أجمع عليه الصحابة ، وأما ما اختلفوا فيه فنتخير من أقاويلهم أقربه إلى كتاب الله تعالى أو إلى السنة ونجتهد ، وما جاوز ذلك فالاجتهاد بالرأى لمن عرف الاختلاف وقاس ، وعلى هذا كانوا[8] .

وقال : عجبنا للناس ، يقولون : أُفتى بالرأى ، وما أفتى إلا بالأثر[9] .

وسمعه رجل يقايس آخر فى مسألة فصاح : دعوا هذه المقايسة ، فإن أول من قاس إبليس ، فأقبل إليه أبو حنيفة فقال : يا هذا وضعت الكلام فى غير موضعه ،

---

(١) ، (٢) أخرجه اللالكائى فى السنة كذا فى مفتاح الجنة ص ٣٧ .
(٣) أخرجه البيهقى فى السنة كذا فى مفتاح الجنة ص ٢٨ ، وأخرجه ابن عبد البر فى جامع بيان العلم ١٦٧/٢ .
(٤) أخرجه البيهقى فى السنة كذا فى مفتاح الجنة ص ٢٦ .
(٥) أخرجه الدارمى فى السنة كذا فى مفتاح الجنة ص ٣٥ ، وابن عبد البر ١٦٨/٢ .
(٦) السنة لابن فودى ص ٦١ .
(٧) سير النبلاء ٤٠١/٦ .
(٨) الخيرات الحسان ص ١٠٣ ، ١٠٤ .
(٩) الخيرات ص ١٠٣ .

إبليس رد بقياسه على الله تعالى أمره ، كما أخبر تعالى عنه فى كتابه ، فكفر بذلك ، وقياسنا اتباع لأمر الله تعالى ، لأننا نرده إلى كتابه وسنة رسوله أو أقوال الأئمة من الصحابة والتابعين ، فنحن ندور حول الاتباع ، فكيف نساوى إبليس لعنه الله ؟ فقال له الرجل : غلطت وتبت ، فنور الله قلبك كما نورت قلبى [1] .

وقال ابن حزم : جميع أصحاب أبى حنيفة مجمعون على أن مذهبه : أن ضعيف الحديث أولى عنده من القياس [2] .

* * *

• ووقف الإمام مالك عند زمزم فنادى فقال : يا أيها الناس ، من عرفنى فقد عرفنى ، ومن لم يعرفنى فأنا مالك بن أنس ، أنا النذير لكل من حج هذا البيت وهو على بدعة فلا يُمَنِّى [3] نفسه باطلاً .

وكان الإمام مالك - رحمه الله تعالى - ينشد :

وخير أمور الدين ما كان سُنَّةً وشر الأمور المُحْدَثَات البدائعُ

وقال الإمام مالك : إن حقاً على من طلب العلم أن يكون له وقار وسكينة وخشية ، وأن يكون متبعاً لأثر من مضى قبله [4] .

وسأل رجل الإمام مالك عن مسألة فقال له : قال رسول الله ﷺ كذا . فقال الرجل : أرأيت .. فقال مالك : ﴿ **فليحذَرِ الذينَ يُخَالفونَ عنْ أمرِهِ أن تُصِيبَهمْ فتنة أو يُصِيبَهم عَذابٌ أليم** ﴾ [5] .

إن الرجل سأل عن مسألته ، فأجابه مالك بالحديث النبوى المشتمل على الجواب ، إلا أن الرجل سأل مالكاً عن رأيه فى المسألة ، فأجابه مالك بالآية ، ومعناها عقوبة من بَعُد عن سنَّة رسول الله ﷺ

---

(١) ، (٢) الخيرات ص ١٠٥ .

(٣) فى المصدر الذى نقلت منه وهو إحياء السنة لابن فودى ص ٦١ جاءت هذه اللفظة « يعنى » وصوبته « يمنى » أى : لا يطمع فى الخير بالباطل .

(٤) حلية الأولياء ٣٢٤/٦ .

(٥) الحلية ٣٢٦/٦ .

وقال الإمام مالك : إياكم وأصحاب الرأى فإنهم أعداء السنن [1] .

وقال مالك أيضاً : السنة سفينة نوح ، من ركبها نجا ، ومن تخلف عنها غرق [2] .

وقال الإمام الشافعي : ليس في سنة رسول الله إلا اتباعها [3] .

وقال : كل متكلم على الكتاب والسنة فهو الجدُّ ، وما سواه فهو هذيان [4] .

وذكر الشافعي حديثاً عن النبي ﷺ فقال له رجل : تأخذ به يا أبا عبد الله ؟ فقال : سبحان الله ! أروى عن رسول الله ﷺ شيئاً لا آخذ به ؟! متى عرفتُ لرسول الله ﷺ حديثاً ولم آخذ به فأنا أشهِدُكم أن عقلى قد ذهب [5] .

وقال الشافعي : كل ما قلتُ وكان عن رسول الله ﷺ خلاف قولى مما يصح فحديث النبي ﷺ أولى ولا تقلدونى [6] .

وقال : إذا صح الحديث فهو مذهبى [7] .

وقال الحميدى : روى الشافعي يوماً حديثاً فقلت : أتأخذ به ؟ فقال : رأيتنى خرجت من كنيسة ، أو علىّ زُنّار [8] ، حتى إذا سمعتُ عن رسول الله ﷺ حديثاً لا أقول به [9] ؟!

وقال أحمد بن حنبل : رَأْىُ الأوزاعى ، ورَأْىُ مالك ، ورأى أبى حنيفة ، كله رأى ، وهو عندى سواء ، وإنما الحجة فى الآثار [10] .

وقال أحمد بن حنبل : كنت يوماً مع جماعة تجردوا ودخلوا الماء [11] فاستعملت الحديث : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدخل الحمام إلا

---

(1) الحلية ٦/٣٢٧ .

(2) مفتاح الجنة ص ٤٥ .

(3) إحياء السنة لعثمان بن فودى ص ٦١ .

(4) سير النبلاء ١٠/٢٠ .

(5) ، (6) آداب الشافعي ص ٦٧ ، ٩٣ .

(7) سير النبلاء ١٠/٣٥ .

(8) الزُّنّار : للنصارى .

(9) حلية الأولياء ٩/١٠٦ ، وسير النبلاء ١٠/٣٤ .

(10) أخرجه ابن عبد البر فى جامع بيان العلم فى آخر باب ذم القول فى دين الله بالرأى ٢/ ١٨٢ .

(11) أى الحمام الذى هو بيت الماء الساخن ، يدخلونه تطببا .

بمئزر »[1] ولم أتجرد فرأيت تلك الليلة قائلاً يقول لى : يا أحمد أبشر ، فإن الله قد غفر لك باستعمالك السنة ، وجعلك إماماً يقتدى بك ، قلت : من أنت ؟ قال : جبريل[2] .

وقال الشوكانى : وقد قدّم الأئمة الأربعة الحديث الضعيف على الرجوع إلى الرأى ، كما روى عن الإمام أبى حنيفة أنه قدم حديث القهقهة فى الصلاة على محض القياس ، مع أنه وقع الإجماع من أئمة الحديث على ضعفه ، وقدم حديث الوضوء بنبيذ التمر على القياس ، وجمهور المحدثين يضعفونه ، وقدم حديث « أكثر الحيض عشرة أيام » وهو ضعيف بلا خلاف بين أهل الحديث ، وقدم حديث : « لا مهر دون عشرة دراهم » وهو ضعيف باتفاق المحدثين ، وقدم الإمام مالك بن أنس المرسل ، والمنقطع والبلاغات وقول الصحابى على القياس ، وقدم الشافعى حديث تحريم صيد ... على القياس مع ضعفه ا هـ[3] .

وإنما سقت كلامهم على الحديث الضعيف ؛ لأستدل بذلك على عملهم بالسنة وأنهم يحرصون عليها حرصاً تاماً حتى إنهم يقدمون الحديث الضعيف على الرأى .

وقال البخارى : وكانت الأئمة بعد النبى ﷺ يستشيرون الأمناء من أهل العلم فى الأمور المباحة ؛ ليأخذوا بأسهلها ، فإذا وضح الكتاب أو السنة لم يتعدوه إلى غيره ، اقتداءً بالنبى ﷺ[4] .

وهكذا يتضح أن السلف الصالح من الخلفاء الراشدين ، والصحابة والتابعين ، وأئمة الأمة جميعاً قائمون على اتباع سنته صلى الله عليه وسلم ، لا يقدمون على ذلك شيئاً ، ولقد ركزت على ذكر أقوالهم ، الممثلة لفكرهم وعقيدتهم ، وأسوق نماذج من أفعالهم :

---

(١) أخرجه الترمذى فى الأدب باب : ما جاء فى دخول الحمام ٨٥/٨ وحسنه ، والحاكم فى الأدب باب لا تجلسوا على مائدة يدار عليها الخمر ٢٨٨/٤ ،وقال : صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبى .

(٢) إحياء السنة لابن فودى ص ٦١ .

(٣) قطر الولى ص ٣١٣ ، ٣١٤ ، وراجع أعلام الموقعين أصول فتاوى الإمام أحمد الأصل الرابع ٣١/١ .

(٤) كتاب الاعتصام ، باب : قول الله تعالى ﴿ وأمرهم شورى بينهم ﴾ ٣٣٩/١٣ ترجمة الباب.

## أفعال السلف وفق السنة :

وأفعال السلف تماماً وفق سنته صلى الله عليه وسلم ، وسبق أن ذكرت شيئاً منها[1] ، وأزيد هنا بعض نماذج ، توضح مدى حرص الصحابة والسلف على سنته صلى الله عليه وسلم يمتثلونها امتثالاً تاماً ، فما إن يعلموا الأمر من سنته صلى الله عليه وسلم إلا عملوا به على خير وجه ، لا يؤولون ، ولا يحاولون صرف النص عن ظاهره ، وإنما يعملون به على أكمل وأحوط ما يفهم منه .

* فعن العباس بن عبد المطلب عم رسول الله ﷺ قال : شهدت مع رسول الله ﷺ يوم حنين[2] ، فلزمت أنا وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب رسول الله ﷺ فلم نفارقه ، ورسول الله ﷺ على بغلة له بيضاء ، أهداها له فروة بن نفاثة الجذامى ، فلما التقى المسلمون والكفار ولّى المسلمون مدبرين ، فطفق رسول الله ﷺ يركض بغلته قِبَل الكفار ، قال عباس : وأنا آخذ بلجام بغلة رسول الله ﷺ أكُفُّها إرادة ألا تسرع ، وأبو سفيان آخذ بركاب رسول الله ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ : أى عباس ، ناد أصحاب السَّمُرَة[3] . فقال عباس - وكان رجلاً صيتا[4] - فقلت بأعلى صوتى : أين أصحاب السمرة ؟ قال : فوالله لكأن عَطْفَتَهُمْ حين سمعوا صوتى عَطْفَةُ البقر على أولادها . فقالوا : يا لبيك ! يا لبيك! قال : فاقتتلوا والكفار[5] والدعوة فى الأنصار يقولون : يا معشر الأنصار! يا معشر الأنصار ! قال : ثم قصرت الدعوة على بنى الحارث بن الخزرج فقالوا : يا بنى الحارث بن الخزرج !

---

(١) عند الكلام على ماهية السنة ص ٩ .

(٢) أى يوم المعركة التى حدثت فى وادى حنين ، وهو واد من أرض تهامة بين مكة والطائف ، وفى هذا اليوم وهذا المكان حدثت غزوة حنين بين المسلمين وقبيلة هوازن ، وذلك فى أول شوال سنة ثمان من الهجرة . راجع الدرر فى اختصار المغازى والسير ٢٣٧ .

(٣) أى يا أصحاب البيعة التى حدثت تحت شجرة السمرة ، وهى بيعة الرضوان يوم الحديبية التى تلاها فتح مكة .

(٤) قوى الصوت .

(٥) أى مع الكفار .

يا بنى الحارث بن الخزرج ! فنظر رسول الله ﷺ وهو على بغلته كالمتطاول عليها إلى قتالهم ، فقال رسول الله ﷺ : هذا حين حمى الوطيس . قال : ثم أخذ رسول الله ﷺ حصيات فرمى بها وجوه الكفار ، ثم قال : انهزموا ورب محمد . قال : فذهبت أنظر فإذا القتال على هيئته فيما أرى . قال : فوالله ما هو إلا أن رماهم بحصياته فمازلت أرى حدَّهم كليلاً[1] وأمرهم مدبراً [2] .

إنهم ما إن سمعوا النداء إلا استجابوا ، يجودون بأرواحهم فى سبيل نصرة دين الله ، وحباً لرسول الله ﷺ .

وهذا يدل على عظيم اتباعهم أمره ؛ إنهم يجيبونه على الرغم من قوة سلاح الأعداء ، إنهم يمتثلون أمره ، وسيكلفهم حياتهم ! أى طاعة هذه إنهم يعرفون قدره ، فهو الذى اصطفاه الله وأرسله فطاعته طاعة لله ، وطاعة الله سبيل السعادة فى الدارين ، والقوم عقلاء فضلاء يقيسون الأمور بمقياس القلوب والبصيرة .

• وعن أبى عزيز بن عمير – أخى مصعب بن عمير – رضى الله عنهما قال : كنت فى الأسرى يوم بدر فقال رسول الله ﷺ : « استوصوا بالأسارى خيراً » ، وكنت فى نفر من الأنصار ، فكانوا إذا قدموا غداءهم وعشاءهم أكلوا التمر ، وأطعمونى البر[3] لوصية رسول الله ﷺ [4] .

لقد أطاعوا أمره صلى الله عليه وسلم حتى فى الأسير ، فكانوا يطعمون الأسرى أفضل مما يطعمون أنفسهم وأولادهم ، وما ذلك إلا لأن رسول الله ﷺ أوصى بهم ، إنهم لا يخالفون ، ولا يؤولون ، وإنما يطيعون طاعة تامة .

• وعن أم المؤمنين حفصة بنت عمر أنها قالت لوالدها عمر وهو خليفة : يا أمير المؤمنين ، لو لبست ثوباً هو ألين من ثوبك ، وأكلت طعاماً هو أطيب من طعامك ، فقد وسع الله عز وجل من الرزق ، وأكثر من الخير ! فقال : إنى سأخصمك إلى نفسك ، أما تذكرين ما كان يلقى رسول الله ﷺ من شدة العيش ، فمازال

---

(١) أى : قوتهم ضعيفة .

(٢) أخرجه مسلم فى كتاب الجهاد باب فى غزوة حنين ١٣٩٨/٣ رقم ١٧٧٥ .

(٣) أى : أطعمة تصنع من القمح ، وكانت عندهم أعز وأغلى من التمر ، لقلة القمح وكثرة التمر .

(٤) أخرجه الطبرانى فى الكبير والأوسط كذا فى مجمع الزوائد ٨٦/٦ وقال الهيثمى : إسناده حسن .

يذكِّرها حتى أبكاها فقال لها : والله إن قلت ذلك ، أما والله لئن استطعت لأشاركنهما [1] بمثل عيشهما الشديد ؛ لعلى أدرك معهما عيشهما الرخى [2] .

إن عمر يريد أن يتبع ، فمهما كثر الخير يريد أن يعيش كما عاش رسول الله ﷺ ، ولقد كان دائماً يذكر قول الله : ﴿ **أذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا** ﴾ [3] يذكر بها نفسه ويذكر بها غيره ، حتى لا يكون همهم بطونهم .

* وعن بكر بن عبد الله المزنى قال : كنت جالساً مع ابن عباس عند الكعبة ، فأتاه أعرابى فقال : ما لى أرى بنى عمكم يسقون العسل واللبن وأنتم تسقون النبيذ [4] ؟ أمن حاجة بكم أم من بخل ؟ فقال ابن عباس : الحمد لله ما بنا من حاجة ولا بخل ، قدم النبى ﷺ على راحلته وخلفه أسامة ، فاستسقى فأتيناه بإناء من نبيذ فشرب ، وسقى فضله أسامة ، وقال : أحسنتم وأجملتم كذا فاصنعوا ، فلا نريد تغيير ما أمر به رسول الله ﷺ [5] ، ما دام رسول الله ﷺ قال : « أحسنتم وأجملتم ، كذا فاصنعوا » .. فإنهم سيقدمون هذا الشراب مهما قدم الآخرون . إنهم يتبعونه صلى الله عليه وسلم ، إنهم يمتثلون أمره مهما قال الناس . إنه اتباع هديه صلى الله عليه وسلم حتى فى الشراب ، وهكذا كانوا رضى الله عنهم يتبعون سنته صلى الله عليه وسلم اتباعاً دقيقاً .

* * *

* وعن عبد الله بن عباس : « أن رسول الله ﷺ رأى خاتما من ذهب فى يد رجل فنزعه فطرحه ، وقال : يعمد أحدكم إلى جمرة من نار فيجعلها فى يده ، فقيل للرجل بعد ما ذهب رسول الله ﷺ خذ خاتمك انتفع به . قال : لا والله لا آخذه أبداً ، وقد طرحه رسول الله ﷺ [6] .

---

(١) يقصد : رسول الله ﷺ وأبا بكر رضى الله عنه .

(٢) أخرجه أبو نعيم فى الحلية ٤٨/١ .

(٣) سورة الأحقاف الآية : ٢٠ .

(٤) المراد : سقيا الحجيج فقد كان أهل مكة يحرصون على توفير الطعام والشراب للحجيج ،ومنهم من كان يسقى الماء والعسل ، ومنهم من كان يسقى اللبن ، أما العباس وآله وهم أهل السقاية العامة فكانوا يقدمون النبيذ .

(٥) أخرجه مسلم فى الحج باب : وجوب المبيت بمنى ليالى أيام التشريق ٩٥٣/٢ حديث ١٣١٦ .

(٦) أخرجه مسلم فى اللباس باب : تحريم خاتم الذهب على الرجال ١٦٥٥/٣ حديث ٢٠٩٠ .

ما دام رسول الله ﷺ قد طرحه ، أبى الصحابى أن يأخذه ، حتى ولو للانتفاع وما ذلك إلا لأنهم يريدون تمام الاتباع .

قال النووى : وأما قول صاحب هذا الخاتم - حين قالوا له : خذه - لا آخذه وقد طرحه رسول الله ﷺ ، ففيه المبالغة فى امتثال أمر رسول الله ﷺ واجتناب نهيه ، وعدم الترخص فيه بالتأويلات الضعيفة [1] .

* * *

* وعن سهل بن الربيع بن الحنظلية قال : **قال لنا رسول الله ﷺ نعم الرجل خُرَيم الأسَدى لولا طول جُمَّتِه [2] وإسبال إزاره [3] ، فبلغ ذلك خريما ، فعجل فأخذ شفرة فقطع بها جمته إلى أذنيه ، ورفع إزاره إلى أنصاف ساقيه [4] .**

أسرع خريم فامتثل قول رسول الله ﷺ . لم يقل : وماذا فى طول الشعر ، ولم يقل : ماذا فى طول الإزار ؟ ، لم يقل : سنة عادة أو سنة عبادة شأن الذين فى قلوبهم مرض ، إنما عجل سريعاً فقصر شعره ، ورفع إزاره ، وهكذا كانوا رضى الله عنهم يمتثلون كل أمر له صلى الله عليه وسلم .

* * *

* وهذا ثابت بن قيس بن شماس خطيب الأنصار ، كان عالى الصوت إذا تحدث فى مجلس رسول الله ﷺ ، فلما نزل قول الله تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون** ﴾ [5] ، لما نزلت هذه الآية جلس ثابت فى بيته

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى ٧٩٨/٤ .

(٢) **الجمة** : ما سقط على المنكبين من شعر الرأس .

(٣) **الإزار** : الملابس التى تستر النصف الأسفل من البدن ، **وإسباله** : نزوله عن الكعبين ، أى العظمتين البارزتين فوق القدم .

(٤) أخرجه أبو داود فى اللباس باب ؟ ما جاء فى إسبال الإزار ١٤٨/١١ ضمن حديث طويل .

(٥) سورة الحجرات الآية : ٢ .

بيته يبكى منكّساً رأسه ، حزيناً على ما كان منه ، وكان من هدى رسول الله ﷺ أنه يتفقد أصحابه ، فسأل عن ثابت ، فأسرع الصحابة لتلمس خبره ، وأخبروا رسول الله بأنه حزين على حاله من رفع صوته بين يديك يا رسول الله ، وجاء ثابت إلى رسول الله ﷺ وقال : يا رسول الله إنى أخشى أن أكون قد هلكت ، فقال : وماذاك ؟ قال : نهانا الله أن نرفع أصواتنا فوق صوتك وأنا جهير !! فطمأنه صلى الله عليه وسلم قائلاً : أما ترضى أن تعيش سعيداً ، وتقتل شهيداً ، وتدخل الجنة !! وتحقق ما قال صلى الله عليه وسلم ففى حرب مسيلمة الكذاب ، فى موقعة اليمامة ، رأى ثابت ضعفاً فى المسلمين لم يعجبه ، فقال : أف لهؤلاء ولما يعبدون - يقصد : أتباع مسيلمة - وأف لهؤلاء ولما يصنعون - يقصد : المسلمين فى عدم إقبالهم على القتال - وقاتل حتى قتل شهيداً [1] .

لقد خشى هذا الصحابى الجليل أن يكون رفع صوته محبطاً لعمله ، مع أنه ما رفع صوته إلا فى الخير ، لكنهم يحتاطون ويحتاطون ، ولقد كانوا يأخذون الأمر بجد عظيم ، فإنه لما نزلت الآية حزن كثيراً ، وجلس فى بيته باكياً متحسراً ، إنه يخشى أن يحبط عمله ، إنه يخشى أن يكون من أهل النار .. رضى الله عنهم كانوا يخافون ويتبعون .

* * *

وأكتفى بهذا القدر من امتثال السلف للكتاب والسنة ، وحرصهم على اتباع رسول الله ﷺ فى كل ما كان منه ، وإنه لدرس لأهل زماننا ولمن بعدنا أن نتبع هديه صلى الله عليه وسلم كما اتبعوا ، وأن نسير على نهجه كما أمرنا ربنا سبحانه وتعالى فقال : ﴿ **قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن تولوا فإنما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم وإن تطيعوه تهتدوا وما على الرسول إلا البلاغ المبين** ﴾ [2] وقال

---

(١) حديث ثابت بن قيس عند البخارى فى المناقب باب : علامات النبوة فى الإسلام ٦/٦٢٠ حديث رقم ٣٦١٣ وعند مسلم فى الإيمان باب : مخافة المسلم أن يحبط عمله ١/١١٠ ، حديث ١١٩٠ ، وإنما جمعت قصته من روايات البخارى ومسلم وما ساقه الحافظ فى فتح البارى فى شرح حديثه لتكون الصورة كاملة .

(٢) سورة النور الآية : ٥٤ .

سبحانه : ﴿ **قل يا أيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعاً الذى له ملك السموات والأرض لا إله إلا هو يحيى ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبى الأمى الذى يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون** ﴾ [1] .

وصور اتباع السلف هديه صلى الله عليه وسلم ، وحرصهم على الاقتداء به كثيرة وكثيرة ، ودلالاتها متعددة ، فهم يحبون هديه ، ويحرصون على الاقتداء به كل الحرص ، لا يفرقون بين الواجب والمندوب ، وإنما يفعلون ما فعل ، ويتركون ما ترك ، يمتثلون أمره ، وإن دلت القرائن على أقل من الواجب ، ويجتنبون ما نهى عنه ، وإن دلت القرائن على أنه دون الحرام .

إنهم يرونه صلى الله عليه وسلم رسم خطاً ، جاء به عن الله ، فالتزموه حباً وطاعة ، لم يؤولوا ولم يسوفوا ، ولم يهونوا ، وإنما امتثلوا على خير وجه ، فإنه الدين الذى أمرنا الله به ، ورتب السعادة عليه ، وأمرنا بالاستقامة – التى لا تتفق مع أدنى ميل – عليه فقال سبحانه : ﴿ **فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ولا تطغوا إنه بما تعملون بصير** ﴾ [2] .

* * *

---

(١) سورة الأعراف الآية : ١٥٨ .

(٢) سورة هود الآية : ١١٢ .

## ٢ - زجر من خالف السنة :

عن عائشة رضى الله عنها قالت : « تلا رسول الله ﷺ : **﴿هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات﴾** فقال رسول الله ﷺ : إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فاحذروهم »(١) .

وامتثالاً لقوله صلى الله عليه وسلم ، وحذراً ممن يثيرون الشبه حينما قيل لعمر ابن الخطاب إن رجلاً يقال له صبيغ العراقى يسأل عن متشابه القرآن فى وسط جنود المسلمين ، فما كان من عمر إلا أن ضرب الرجل ، وأمر بألا يجالسه أحد من المسلمين ، حتى قال الرجل : إنى والله قد برئت ، ذهب الذى كنت أجد فى رأسى(٢) .

إنه صلى الله عليه وسلم حذر من مثيرى الشبه فإن الله بيَّن أنهم أهل زيغ ، فقال سبحانه : **﴿هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولو الألباب﴾**(٣) .

يقول الآجرى - تعليقاً على هذه القصة - فإن قال قائل : فمن يسأل عن تفسير **﴿والذاريات ذروا ۝ فالحاملات وقراً﴾** يستحق الضرب والتنكيل به ، والهجرة ؟!

قيل له : لم يكن ضرب عمر - رضى الله عنه - له بسبب هذه المسألة ، ولكن لما تأدَّى إلى عمر ما كان يسأل عنه من متشابه القرآن ، من قبل أن يراه علم أنه مفتون ، قد شغل نفسه بما لا يعود عليه نفعه ، وعلم أن اشتغاله بطلب علم الواجبات

---

(١) أخرجه الدارمى فى المقدمة باب : من هاب الفتيا ٥١/١ رقم ١٤٧ ، وهو فى البخارى ومسلم أخرجه ابن حبان فى العلم باب الزجر عن تتبع المتشابه من القرآن ٢٧٤/١ ، أخرجه محققه من البخارى رقم ٤٥٤٧ ومسلم رقم ٢٦٦٥ .

(٢) قصة صبيغ أخرجها الآجرى فى الشريعة ٢١٠/١ ، وأخرجها أيضاً الدارمى فى المقدمة باب من هاب الفتيا ٥١/١ رقم ١٤٦ ، ١٥٠ .

(٣) سورة آل عمران الآية : ٧ .

من علم الحلال والحرام أولى به ، وتطلب علم سنن رسول الله ﷺ أولى به ، فلما علم أنه مقبل على ما لا ينفعه سأل عمرُ الله تعالى أن يمكنه منه حتى ينكل به ، وحتى يحذِّر غيره ، لأنه راع يجب عليه تفقد رعيته فى هذا وفى غيره ، فأمكنه الله تعالى منه ، وقد قال عمر - رضى الله عنه - سيكون أقوام يجادلونكم بمتشابه القرآن [(١)] فخذوهم بالسنن ، فإن أصحاب السنن أعلم بكتاب الله تعالى[(٢)] .

وقال عروة بن الزبير لعبد الله بن عباس : ألا تتقى الله ترخص فى المتعة [(٣)] ؟

فقال ابن عباس : سل أمك يا عرية [(٤)] ، فقال عروة : أما أبو بكر وعمر فلم يفعلا ، فقال ابن عباس : والله ما أراكم منتهين حتى يعذبكم الله ، نحدثكم عن النبى ﷺ وتحدثونا عن أبى بكر وعمر ، وذكر الحديث [(٥)] « تمتع النبى ﷺ » .

ويقول عبد الله بن عباس أيضاً : أما تخافون أن تعذبوا ، أو يخسف بكم أن تقولوا قال رسول الله ، وقال فلان [(٦)] .

إن ابن عباس يخشى أن ينزل عذاب الله إذا جعلنا لأحد قولاً مع قول رسول الله ﷺ ، إنهم يريدون أولاً سنته صلى الله عليه وسلم ، فهو الموحى إليه من ربه .

* وعن مطرف بن عبد الله قال : سمعت مالك بن أنس إذا ذكر عنده الزائغون فى الدين يقول : قال عمر بن عبد العزيز - رحمه الله - « سن رسول الله ﷺ

---

(١) متشابه القرآن : ما لم يتلق معناه من لفظه ، وهو على ضربين : أحدهما : إذا رُدّ إلى المحكم عُرِف معناه ، والآخر ما لا سبيل إلى معرفة حقيقته ، فالمتتبع له مبتغ للفتنة ، لأنه لا يكاد ينتهى إلى شىء تسكن نفسه إليه ، هامش الشريعة نقلاً عن النهاية ٤٤٢/٢ .

(٢) الشريعة ٢١١/١ .

(٣) يقصد متعة الحج ، فيحرم الرجل بعمرة وحج ، فإذا أدى العمرة تحلل من إحرامه ، حتى تأتى أيام الحج فيعود إلى إحرامه ، فيكون متمتعاً ما بين العمرة والحج .

(٤) تصغير « عروة » وصغر اسمه تهكماً ، وعروة تابعى ، وابن عباس صحابى .

(٥) أخرجه ابن عبد البر فى جامع بيان العلم باب : فضل السنة ومباينتها لسائر أقاويل علماء الأمة ٢٣٩/٢ .

(٦) أخرجه الآجرى فى الشريعة باب : تحذير النبى ﷺ أمته الذين يجادلون بمتشابه القرآن ٢١٠/١ رقم ١٦٠ ، ١٦١ ، وأخرجه الدارمى فى المقدمة باب ما يتقى من تفسير حديث النبى ﷺ وقول غيره عند قوله صلى الله عليه وسلم ٩٥/١ ، رقم ٤٣٧ .

وولاة الأمور من بعده سنناً ، الأخذ بها اتباع لكتاب الله ، واستكمال لطاعة الله ، وقوة على دين الله ، ليس لأحد من الخلق تغييرها ولا تبديلها ، ولا النظر فى شىء خالفها ، من اهتدى بها فهو مهتد ، ومن استنصر بها فهو منصور ، ومن تركها واتبع غير سبيل المؤمنين ولاه الله ما تولى ، وأصلاه جهنم وساءت مصيراً »(١) .

وروى عبدالله بن عمر حديثاً عن رسول الله ﷺ : « لا تمنعوا نساءكم المساجد إذا استأذنكم إليها » فقال بلال ابنه : والله لنمنعهن ، فأقبل عليه عبدالله فسبه سباً سيئاً ، قال له : لعنك الله - كررها ثلاثاً - ثم قال : أخبرك عن رسول الله وتقول : والله لنمنعهن(٢) !!

* عن عطاء بن يسار : أن معاوية بن أبى سفيان باع سقاية من ذهب أو ورق بأكثر من وزنها فقال أبو الدرداء : سمعت رسول الله ﷺ ينهى عن مثل هذا إلا مثلاً بمثل ، فقال له معاوية : ما أرى بمثل هذا بأساً ، فقال أبو الدرداء : من يعذرنى من معاوية ؟ أنا أخبره عن رسول الله ﷺ ويخبرنى عن رأيه ، لا أساكنك بأرض أنت بها ، ثم قدم أبو الدرداء على عمر بن الخطاب فذكر ذلك له ، فكتب عمر بن الخطاب إلى معاوية أن لا تبع ذلك إلا مثلاً بمثل ، وزناً بوزن(٣) .

* عن أبى المخارق قال : ذكر عبادة بن الصامت أن النبى ﷺ نهى عن درهمين بدرهم فقال فلان : ما أرى بهذا بأساً يداً بيد ، فقال عبادة : أقول : قال النبى ﷺ وتقول : لا أرى به بأساً ، والله لا يظلنى وإياك سقف أبداً(٤) .

* وعن سعيد بن جبير عن عبدالله بن مغفل قال : نهى رسول الله ﷺ عن

---

(١) الشريعة للآجرى ١/٢٠٠ رقم ١٤٦ ، وعنده أيضاً ص ١٧٤ وخرجه المحقق من عدة مصادر .

(٢) أخرجه مسلم فى الصلاة باب : خروج النساء إلى المساجد ٣٢٧/١ وابن عبدالبر فى جامعه باب فضل السنة ٢٣٩/٢ .

(٣) أخرجه مالك فى الموطأ كتاب البيوع باب : بيع الذهب بالفضة تبرا وعيناً ٦٣٤/٢ ، وابن عبدالبر فى جامع بيان العلم باب فضل السنة ومباينتها ٢٤٠/٢ والشافعى فى الرسالة ١٢٢٨ شاكر .

(٤) أخرجه الدارمى فى المقدمة باب : تعجيل عقوبة من بلغه عن النبى ﷺ حديث فلم يعظمه ٩٦/١ .

الحذف[1] ، وقال : إنها لا تصطاد صيداً ، ولا تنكى عدوا ، ولكنها تكسر السن ، وتفقأ العين ، فرفع رجل بينه وبين سعيد قرابة شيئاً من الأرض فقال : هذه وما يكون هذه[2] ؟! فقال سعيد : ألا أرانى أحدثك عن رسول الله ﷺ ثم تهاون به !! لا أكلمك أبداً[3] .

إن أدنى مخالفة يجدونها فى قول الرجل أو فعله تكفى سبباً للاعتراض واللوم والهجر !!

* * *

---

(١) **الحذف** : اللعب بالحصى ، تأخذ الحصوة بين سبابتيك فترمى بها ، أو تأخذها بين السبابة والإبهام فتضربها بخشبة ، وهو منهى عنه شرعاً .

(٢) أى : هذه الحصوة تلقى !! وما تكون هذه ؟ أى : أنه يستقل باللعب بالحصوة ، ويرى أنها لا تستحق أن ينهى عنها ، لكن لا رأى مع الشرع ، ومن هنا أنكر عليه سعيد بن جبير على الرغم من القرابة التى بينهما .

(٣) أخرجه الدارمى فى الموضوع السابق .

### ٣ - الاعتبار بعقوبة من خالفها :

قال الله تعالى : ﴿ **فليحذرِ الذينَ يُخَالفونَ عَنْ أمْرِهِ أن تُصِيبهُم فِتْنَةٌ أو يُصِيبَهم عَذابٌ أَلِيم** ﴾ [١] .

ومن هنا كان الصحابة والتابعون ومن بعدهم من أهل الالتزام بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ كانوا - ولا يزالون - يؤمنون أن من خالف سنته صلى الله عليه وسلم يبتليه الله فى الدنيا ويعذبه فى الآخرة ، يفهمون ذلك من هذه الآية الكريمة ، ومن غيرها من الآيات ، ومن العبر التى رأوها :

□ فعن ابن عباس - رضى الله عنهما - فى قوله تعالى : ﴿ **إنا كفيناك المستهزئين** ﴾ [٢] قال:المستهزئون ، الوليد بن المغيرة ، والأسود بن عبد يغوث ، والأسود بن المطلب ، والحارث بن عيطل السهمى ، والعاص بن وائل ، فأتاه جبريل ، فشكاهم إليه رسول الله ﷺ ، فقال : أرنى إياهم ، فأراه الوليد ، فأومأ جبريل إلى أكحله [٣] فقال [٤] : ما صنعت شيئاً . قال [٥] : كفيتكه . ثم أراه الأسود بن المطلب ، فأومأ إلى عينيه فقال : ما صنعت شيئاً . قال : كفيتكه . ثم أراه الأسود بن عبد يغوث ، فأومأ إلى رأسه فقال : ما صنعت شيئاً . قال : كفيتكه . ثم أراه الحارث ، فأومأ إلى بطنه فقال : ما صنعت شيئاً . فقال : كفيتكه . ثم أراه العاص بن وائل فأومأ إلى أخمصه [٦] ، فقال : ما صنعت شيئاً . فقال كفيتكه .

فأما الوليد فمر برجل من خزاعة ، وهو يريش نبلاً [٧] فأصاب أكحله فقطعها .

* وأما الأسود بن المطلب فنزل تحت سَمُرة [٨] ، فجعل يقول : يا بنى ألا

---

(١) الآية قبل الأخيرة من سورة النور الآية رقم ٦٣ .
(٢) أخر سورة الحجر .
(٣) أى أشار جبريل إلى أكحله ، وهو عرق فى وسط الذراع يكثر فصده ، والإصابة فيه قاتلة .
(٤) القائل هو رسول الله ﷺ .
(٥) القائل هو جبريل عليه السلام .
(٦) **الأخمص** : ما دخل من باطن القدم فلم يصب الأرض .
(٧) أى يلزق الريش على النبل .
(٨) **السمرة** : من شجر الطلح ، والطلح شجر عظام ، وهى فى القرآن الكريم يراد بها : الموز .

تدفعون عنى ! قد هلكت ، فطعن بالشوك فى عينيه ، فجعلوا يقولون : لا نرى شيئاً . فلم يزل كذلك حتى عميت عيناه .

• وأما الأسود بن عبد يغوث فخرج فى رأسه قروح فمات منها .

• وأما الحارث فأخذه الماء الأصفر فى بطنه ، حتى خرج خرؤه من فيه ، فمات منه .

• وأما العاص فركب إلى الطائف فربض على شبرقة (١) ، فدخل فى أخمص قدمه شوكة فقتلته (٢) .

إن الذين خالفوه عذبهم الله فى الدنيا ، وجعلهم عبرة لمن يعتبر ، وهذا المعنى ماثل فى ذهن الصالحين قديماً وحديثاً وإلى قيام الساعة ، فأتباعه المرحومون المنصورون ، ومخالفوه المعذبون المغضوب عليهم والضالون .

□ ونهى صلى الله عليه وسلم عن اختناث الأسقية ، بمعنى الشرب من فم السقاء ، إلا أن رجلاً خالف ذلك فشرب من فم السقاء ، فخرجت عليه حية من السقاء ، فقد أخرج ابن ماجه عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : نهى رسول الله ﷺ عن اختناث الأسقية ، وإن رجلاً بعد ما نهى رسول الله ﷺ عن ذلك قام من الليل إلى سقاء فاختنثه فخرجت عليه منه حية (٣) . لقد عوقب لمخالفته السنة .

• يقول إبراهيم بن سيار (٤) : بلغنى وأنا أحدث : أن نبى الله ﷺ نهى عن اختناث فم القربة والشرب منه . قال : فكنت أقول : إن لهذا الحديث لشأناً ، وما فى الشرب من فم القربة حتى يجىء فيها هذا النهى ؟ فلما قيل لى : إن رجلاً شرب

---

(١) نبت يؤكل ، وله شوك .

(٢) أخرجه الطبرانى فى الأوسط ، والبيهقى وأبو نعيم فى الدلائل لهما ، وابن مردويه بسند حسن ، والضياء فى المختارة ، كذا فى الدر المنثور ١٠٧/٤ ، وراجع مجمع الزوائد ٤٦/٧ ، ٤٧ .

(٣) **الحية** : الثعبان الكبير ، والحديث عند ابن ماجه فى الأشربة باب اختناث الأسقية ١١٣١/٢ رقم ٣٤١٩ ، وأصله عند البخارى فى الأشربة باب الشرب من فم السقاء ٩٠/١٠ .

(٤) هو أبو إسحاق إبراهيم بن سيار النظام المعتزلى المتهم بالزندقة ، وما كنت أحب أن أكتب عنه ، لكنى وجدت الخبر عند ابن عبد البر ٢٣٥/٢ فذكرته ، والحكمة ضالة المؤمن ، وترجمة النظام فى لسان الميزان ٦٧/١ .

من فم قربة فوكعته حية فمات ، وإن الحيات والأفاعى تدخل فى أفواه القرب علمت أن كل شىء لا أعلم تأويله من الحديث أن له مذهباً وإن جهلته [1] .

□ وعن عمران بن الحصين قال : نهى رسول الله ﷺ عن الكى ، فاكتويت فما أفلحت ولا أنجحت [2] .

لقد اعترف الصحابى بأنه ما أفلح ولا أنجح إذا خالف السنة ، على أن مخالفته ليست صريحة ، فإن رسول الله ﷺ لم يعزم النهى عن الكى ، وإنما أخره ، فاعتبر الصحابى ذلك نوعاً من النهى ، فإنهم كانوا يدققون فى كل ما يصدر منه صلى الله عليه وسلم ، فإن رأوا حثًا اجتهدوا فى الفعل ، وإن رأوا منه تقليلاً من شأن الشىء اجتهدوا فى الترك . لقد كانوا رضى الله عنهم شديدى الاتباع .

□ وعن ابن عمر - رضى الله عنهما - قال : « نهى رسول الله ﷺ أن تطرق النساء ليلاً [3] ، فطرق رجلان ، كلاهما وجد مع امرأته ما يكره » [4] .

هكذا عوقب من خالف !! وهكذا سيعاقب من يخالف ، وأسأل الله أن يجعلنا من المتبعين ، لا المخالفين .

إنه صلى الله عليه وسلم نصح الرجال الذين غابوا عن بيوتهم فترة ألا يدخلوا فجأة ، وإنما عليهم أن يرسلوا الخبر ، حتى تستعد الزوجة بتنظيف نفسها وبيتها والاستعداد لمقابلة زوجها . وهذا أدب جميل ، ومسلك راق .

إلا أن رجلين خالفا ذلك ، فعوقبا ، لقد خالفا سنته صلى الله عليه وسلم ، فدخلا ليلاً ، فوجد كل مع امرأته ما يكره .

وفى ذلك درس للأمة فى كل أعصارها أن عليها أن تتبع سنته صلى الله عليه

---

(١) أخرجه ابن عبد البر فى جامع العلوم باب : موضع السنة من الكتاب ٢/٢٣٥ .

(٢) أخرجه ابن ماجه فى الطب باب : الكى ٢/١١٥٥ حديث رقم ٣٤٩٠ .

(٣) النهى عن مجىء الرجل إلى بيته ليلاً وأهله لا يعلمون بقدومه فيه عدة أحاديث ، منها حديث جابر أن النبى ﷺ قال : « إذا دخلت ليلاً فلا تدخل على أهلك حتى تستحد المغيبة وتمتشط الشعثة » أخرجه البخارى فى النكاح باب طلب الولد ٩/٣٤١ .

(٤) قصة مخالفة رجلين أخرجها ابن خزيمة كما فى فتح البارى ٩/٣٤٠ .

وسلم ففى ذلك الخير كله ، كما قال الله ﴿ **وإن تطيعوه تهتدوا** ﴾ .

□ وعن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال : « بينما رجل يتبختر فى بردين خسف الله به الأرض ، فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة »[1] فقال له فتى قد سماه وهو فى حلة : يا أبا هريرة أهكذا كان يمشى ذلك الفتى الذى خُسِفَ به ؟ ثم ضرب بيده فعثر عثرة كاد ينكسر منها . فقال أبو هريرة : للمنخرين وللفم « إنا كفيناك المستهزئين »[2] .

**إنه لم يرُق أبا هريرة فعل الشاب لأنه لم يوقر حديث رسول الله ﷺ فلما عثر عثرة شديدة أعجب ذلك أبا هريرة ، فأصحاب الفطر السليمة لا يحبون سوء الخلق ، وبخاصة مع وحى الله تعالى .**

□ وجاء رجل إلى سعيد بن المسيب يودعه بحج أو عمرة ، فقال له سعيد : لا تبرح حتى تصلى ، فإن رسول الله ﷺ قال : « لا يخرج بعد النداء من المسجد إلا منافق ، إلا رجل أخرجته حاجة وهو يريد الرجعة إلى المسجد » فقال : إن أصحابى بالحرة . قال : فخرج . قال : فلم يزل سعيد يولع بذكره ، حتى أُخبر أنه وقع من راحلته فانكسرت فخذه[3] .

كان سعيد بن المسيب التابعى الجليل خير ناصح للرجل ، فدعاه لانتظار الإقامة وتأدية الصلاة ، ما دام قد أُذِّنَ لها ، وبين له أن هذا أمر رسول الله ﷺ، وأخبره بالحديث ، إلا أن الرجل استعجل ولم يمتثل لحديث رسول الله ﷺ ، فكان سعيد واثقاً أن هذا الرجل سيعاقبه الله ، وظل يتتبع أخباره اعتباراً واتعاظاً ، فلما أخبر بما حدث له وأنه انكسرت فخذه ، حدّث سعيد بهذا ليعتبر الآخرون ، وليظل ذلك درساً لكل من له قلب .

□ وبعد أن استعرضت هذه الطائفة من آثار علماء السلف فإنى أختم بهذه القصة :

---

(١) الحديث أخرجه مسلم فى اللباس باب تحريم التبختر ١٦٥٣/٣ .

(٢) الحديث بهذه القصة أخرجه الدارمى فى المقدمة باب تعجيل عقوبة من بلغه عن النبى ﷺ حديث فلم يعظمه ٩٦/١ رقم ٤٤٣ .

(٣) أخرجه الدارمى فى التخريج السابق ص ٩٨ رقم ٤٥٢ .

عن أحمد بن سنان قال : كان الوليد الكرابيسى خالى فلما حضرته الوفاة قال لبنيه : تعلمون أحداً أعلم بالكلام - أى بعلم الكلام - منى ؟ قالوا : لا . قال : فتتهمونى ؟ قالوا : لا . قال : فإنى أوصيكم أتقبلون ؟ قالو : نعم . قال : عليكم بما عليه أصحاب الحديث ؛ فإنى رأيت الحق معهم[1] .

هذا المتكلم يعترف فى حالة الاحتضار التى يصدق فيها الجميع ، يعترف أن الحق مع أهل حديث رسول الله ﷺ . وقبل ذلك سقت كلام عمر وعلى : سيأتيكم أناس يجادلونكم بمتشابه القرآن فخذوهم بالسنن ؛ فإن أصحاب السنن أعلم بكتاب الله .

وألف الخطيب كتاباً جمع فيه أقوال كثير من الأئمة فى شرف أصحاب الحديث .

والسلف كلهم مجمعون على أن الخير كل الخير فيما كان عليه صلى الله عليه وسلم وأصحابه .

وعلينا أن نحرص على سنته صلى الله عليه وسلم كل الحرص وأن نتبع ولا نبتدع .

* * *

(١) نقله فى مفتاح الجنة ص ٤١ عن كتاب الحجة على تارك المحجة للشيخ نصر المقدسى .

## التحذير من بدائلها :

### التحذير من اتباع الرأى[1] وترك السنة :

لم يقف دور السلف عند حد الحث على اتباع السنة ، والسير على هديه صلى الله عليه وسلم ؛ وإنما حذروا من مقابل السنة ؛ فحذروا من الرأى الذى لا يقوم على أساس من القرآن الكريم أو السنة النبوية ؛ إنهم يرون أن المسلم يتبع القرآن والسنة ، وليس من حقه أن يتعبد برأيه فى أى أمر .

إن الإسلام دين أوحاه الله إلى رسوله ﷺ ، وبلغه صلى الله عليه وسلم أمته دون زيادة أو نقصان ، وسار عليه الصحابة دون زيادة أو نقصان أيضاً ، فلم يتدخلوا برأيهم ، ولم يغيروا ولم يبدلوا ، وكان حسبهم أن يفهموا كتاب الله وسنة رسوله ، وأن يمتثلوا ذلك واقعاً عملياً .

كان حسبهم أن يعوا نصوص الوحى ، وأن يفهموها ، وأن يستنبطوا دينهم منها ، بحيث تكون نصوص الوحى من كتاب وسنة هى المصدر لكل أمر يتصل بالدين ، إنهم لم يخرجوا عن هذه الدائرة ، وإنما داروا فيها بكل فهم عميق ، واستنباط دقيق .

إنَّ رسول الله ﷺ حذَّرهم الرأىَ الذى لا يعتمد على الكتاب والسنة ، وبين أن من تعبد الناس برأيه فقد ضل وأضل ؛ فقال صلى الله عليه وسلم : « إن الله لا ينزع العلم بعد أن أعطاكموه انتزاعاً ، ولكن ينتزعه منهم مع قبض العلماء بعلمهم ، فيبقى ناسٌ جهَّال يُسْتَفْتَون فَيُفْتُونِ برأيهم فيَضِلُّون ويُضِلُّون »[2] .

إنهم جهال يعتمدون على رأيهم فى الفتوى ، ولا يُعبد الله برأى مخلوق ، وإنما

---

(١) الرأى إذا خالف السنة فهو بدعة وضلالة ، وعليه فهذا العنوان داخل فى « التحذير من البدع » وإنما أفردته لأن الكثيرين من أهل عصرنا يرون الرأى مفخرة ، وأن الفكر مندوحة ، فأردت أن أبين لهم أن الرأى المجرد لا دخل له فى الإسلام ، فالإسلام يؤخذ من الكتاب والسنة ، والعقل يستنبط منهما ، أما أن يُخترع فى دين الله فلا .

(٢) أخرجه البخارى فى الاعتصام بالكتاب والسنة باب ما يذكر من ذم الرأى ٢٨٢/١٣ رقم ٧٣٠٧ وهو عنده فى العلم باب كيف يقبض العلم ١٩٤/١ رقم ١٠٠ .

يُعبد بما أوحى إلى رسوله ﷺ ، يفهمه العلماء ، ويفتون وفق النص . لا برأيهم .

ومن هنا أُثِر عن كثير من السلف ذم الرأى والتحذير منه :

فعن سهل بن حنيف قال : يا أيها الناس اتهموا رأيكم على دينكم ، لقد رأيتنى يوم أبى جندل ، ولو أستطيع أن أرد أمر رسول الله ﷺ لرددته [1] .

إنه يعترف أنه يوم صلح الحديبية كان رأيه يختلف عما فعله رسول الله ﷺ ، ولو كان الأمر بالرأى لرد أمر رسول الله ، لكنه لا يصح ذلك ، فاتبع رسول الله ، فاتضح أن الخير كله كان فيما أمر به صلى الله عليه وسلم .

وقال عمر بن الخطاب : اتهموا الرأى على الدين ، فلقد رأيتنى أرد أمر رسول الله ﷺ ما آلو على الحق ، وذاك يوم أبى جندل ، والكتاب بين يدى رسول الله ﷺ وأهل مكة فقال : اكتبوا بسم الله الرحمن الرحيم ، فقالوا : أترانا إذاً صدقناك بما تقول ، ولكن اكتب باسمك اللهم قال : فرضى رسول الله ﷺ ، وأبيتُ عليهم حتى قال لى : يا عمر ترانى قد رضيت وتأبى ؟ قال : فرضيت [2] .

إن قضية عمر وسهل بن حنيف واحدة ، ولذا يريان أن لا يصدق فى الدين الرأى المجرد ، الذى لا يستند إلى أصل له من الكتاب أو السنة .

وعن على بن أبى طالب قال : لو كان الدين بالرأى لكان أسفل الخف أولى بالمسح من أعلاه ، وقد رأيت رسول الله ﷺ يمسح على ظاهر خفيه [3] .

وعن عمر بن الخطاب قال : إياكم وأصحابَ الرأى ، فإنهم أعداء السنن ، أعيتهم الأحاديث أن يحفظوها ، فقالوا بالرأى فضلوا وأضلوا [4] .

- وعن عبد الله بن الديلمى قال : بلغنى أن أول ذهاب الدين تركُ السنة ،

---

(١) أخرجه البخارى فى الاعتصام كما فى التخريج المتقدم .

(٢) أخرجه أبو يعلى ، كذا فى مجمع الزوائد ١٧٩/١ وقال : ورجاله موثقون ، وإن كان فيهم مبارك ابن فضالة ،وأخرجه اللالكائى فى شرح أصول اعتقاد أهل السنة ١٢٦/١ وفيه مبارك بن فضالة .

(٣) أخرجه أبو داود فى الطهارة باب كيف المسح ٢٧٨/١ .

(٤) أخرجه ابن عبد البر فى جامع بيان العلم باب ذم القول فى دين الله بالرأى ١٦٤/٢ من عدة طرق .

يذهب الدين سنةً سنة كما يذهب الحبل قوةً قوة [(١)] .

– وعن أبى نضرة قال : لما قدم أبو سلمة البصرة أتيته أنا والحسن ، فقال للحسن : أنت الحسن ؟ ما كان أحد بالبصرة أحب إلى لقاء منك ، وذلك أنه بلغنى أنك تفتى برأيك [(٢)] ، فلا تفت برأيك إلا أن تكون سنة عن رسول الله أو كتاب منزل [(٣)] .

– وعن جابر بن زيد أن ابن عمر لقيه فى الطواف فقال له : يا أبا الشعثاء إنك من فقهاء البصرة ، فلا تفت إلا بقرآن ناطق أو سنة ماضية ، فإنك إن فعلت غير ذلك هلكت وأهلكت [(٤)] .

– وعن الشعبى قال : إياكم والمقايسة ، والذى نفسى بيده لئن أخذتم بالمقايسة لتحلُّنَّ الحرام ، ولتحرمن الحلال ، ولكن ما بلغكم عمن حفظ من أصحاب محمد ﷺ فاعملوا به [(٥)] .

– وعن عمر بن عبد العزيز أنه كتب إلى الناس : « إنه لا رأى لأحد مع سنة سنها رسول الله ﷺ » [(٦)] .

– وعن ابن عباس قال : من أحدث رأياً ليس فى كتاب الله ، ولم تمض به سنة من رسول الله ﷺ لم يدر ما هو عليه إذا لقى الله عز وجل [(٧)] .

وبعد أن ذكر ابن عبد البر آثاراً كثيرة فى ذم الرأى قال : اختلف العلماء فى الرأى المقصود إليه بالذم والعيب فى هذه الآثار المذكورة فى هذا الباب عن النبى ﷺ ، وعن أصحابه رضى الله عنهم وعن التابعين لهم بإحسان :

---

(١) أخرجه الدارمى فى المقدمة باب اتباع السنة ٤٤/١ رقم ٩٨ ، وأخرجه ابن وضاح فى البدع والنهى عنها ص ٦٦ .

(٢) لما بلغه أن الحسن يفتى برأيه كان حريصاً على لقائه ليقدم له النصيحة التى هى من الدين ، ونصيحته : عدم الفتوى بالرأى .

(٣) ، (٤) أخرجهما الدارمى فى المقدمة باب الفتيا وما فيه من الشدة ٥٤/١ رقم ١٦٥ ، ١٦٦ .

(٥) أخرجه الدارمى فى المقدمة باب التورع عن الجواب فيما ليس فيه كتاب ولا سنة ٤٥/١ رقم ١١٠ وأخرجه ابن عبد البر فى جامع بيان العلم ١٦٧/٢ .

(٦) الشريعة للآجرى باب التحذير من طوائف يعارضون سنن النبى ﷺ بكتاب الله تعالى ١٨٢/١ رقم ١١٣ أثر ٣٣ .

(٧) أخرجه الدارمى فى المقدمة باب الفتيا وما فيه من الشدة ٥٣/١ رقم ١٦٠ .

فقالت طائفة : الرأى المذموم هو البدع المخالفة للسنن فى الاعتقاد ، كرأى جهم ، وسائر مذاهب أهل الكلام ، لأنهم قوم قياسهم وآراؤهم فى رد الأحاديث ، فقالوا : لا يجوز أن يُرى الله عز وجل فى القيامة ، لأنه عز وجل يقول : ﴿ **لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار** ﴾ (1) فردوا قول رسول الله ﷺ : « إنكم ترون ربكم يوم القيامة » (2) وتأولوا فى قول الله عز وجل : ﴿ **وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة** ﴾ (3) تأويلاً لا يعرفه أهل اللسان (4) ولا أهل الأثر (5) . وقالوا : لا يجوز أن يُسأل الميت فى قبره ، لقول الله عز وجل : ﴿ **أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين** ﴾ (6) فردوا الأحاديث المتواترة فى عذاب القبر وفتنته . وردوا الأحاديث فى الشفاعة على تواترها . وقالوا : لن يخرج من النار من دخل فيها . وقالوا : لا نعرف حوضاً (7) ولا ميزاناً (8) ولا نعقل ما هذا . وردوا السنن فى ذلك كله برأيهم وقياسهم إلى أشياء يطول ذكرها من كلامهم فى صفات البارى تبارك وتعالى (9) .

وقال **جماعة من أهل العلم** : إنما الرأى المذموم المعيب المهجور الذى لا يحل النظر فيه ، ولا الاشتغال به الرأى المبتدع وشبهه من ضروب البدع (10) .

وقال آخرون - وهم جمهور أهل العلم - : الرأى المذموم المذكور فى هذه الآثار عن النبى ﷺ ، عن أصحابه ، والتابعين ، هو القول فى أحكام شرائع الدين بالاستحسان والظنون ، والاشتغال بحفظ المعضلات (11) والأغلوطات (12) ، ورد

---

(1) سورة الأنعام الآية : ١٠٣ .
(2) أخرجه مسلم فى الأيمان باب معرفة طريق الرؤية ١/١٦٣ .
(3) سورة القيامة الآيتان : ٢٢ ، ٢٣ .
(4) أهل اللغة العربية .
(5) أهل الحديث النبوى الشريف .
(6) سورة غافر الآية : ١١ .
(7) حوض رسول الله ﷺ فى الآخرة .
(8) الميزان الذى توزن به أعمال العباد فى القيامة .
(9) خلاصة هذا : أن الرأى المذموم ما اعتمد على فكر الناس فى العقائد دون الرجوع إلى الكتاب والسنة .
(10) أى الرأى المذموم هو ما خالف السنة فى العقائد وغيرها .
(11) صعاب المسائل .
(12) المسائل التى يُغَالَط بها العلماء ليزلوا فيها ، فيهيج بذلك شر وفتنة ، ونُهى عنها لأنها غير نافعة فى الدين ، ولا تكاد تكون إلا فيما لم يقع . نهاية ٣/٣٧٨ .

الفروع والنوازل بعضها على بعض قياساً ، دون ردها على أصولها[1] والنظر فى عللها واعتبارها[2] ، فاستعمل فيها الرأى قبل أن تنزل، وفرعت وشققت قبل أن تقع ، وتكلم فيها قبل أن تكون بالرأى المضارع للظن[3] . قالوا : ففى الاشتغال بهذا والاستغراق فيه تعطيل للسنن والبعث على جهلها، وترك الوقوف على ما يلزم الوقوف عليه منها ، ومن كتاب الله عز وجل ومعانيه[4] .

وخلاصة كلام الجميع[5] : إن الدين يؤخذ من الكتاب والسنة نصاً أو استنباطاً ، ولا دخل للرأى فيه . فالعقيدة تؤخذ من الكتاب والسنة ، وكذلك الأحكام تؤخذ من الكتاب والسنة ، وعلى المسلم أن يمتثل نصوص الكتاب والسنة دون مغالاة أو تشدد ، ودون تقعر فى المسائل ، ودون افتراض ما لم يقع .

عليه أن يعرف عقيدته ، ويعرف دليل كل أمر من أمور عقيدته ، عليه أن يعرف أحكام الإسلام وأدلتها ، عليه أن يعرف أخلاق الإسلام ومصدرها . إنه يربط الأمر من أمور الإسلام بالنص الذى يدل عليه ، فتصبح نصوص القرآن والسنة تعمر حياته وتنظم تصرفه .

والمسلم موقن أن الخير كلّه فيما جاء به محمد ﷺ عن الله عز وجل إنه المنهج السوى ، والهدى القويم ، وليس هناك ما هو أحسن ، ولا ما هو مماثل لهذا الهدى هذه عقيدة المسلم . فلا يقدم الرأى على النص ، ولا يقدم ثقافة ولا سلوكاً ، ولا فكراً على ما جاء به رسول الله ﷺ عن رب العزة سبحانه وتعالى ، وإنما هو معظم لنصوص الكتاب والسنة ، ممتثل لكل ما فيهما وكفى .

* * *

(١) ظاهر الكتاب والسنة .

(٢) التعمق فى فهم نصوص الكتاب والسنة واستنباط الأحكام منها .

(٣) أى الرأى المشابه للظن ، أى الشك ، لأنه ليس مبنياً على أساس من الكتاب والسنة .

(٤) جامع بيان العلم باب ذم القول فى دين الله بالرأى ١٦٩/٢ ، ١٧٠ .

(٥) سواء ما ساقه ابن عبد البر سابقاً ، أو قاله ابن حجر فى الفتح فى شرح أحاديث باب ما يذكر من ذم الرأى من كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ٢٨٢/١٣ ، ٢٨٧ - ٢٩٠ .

## التحذير من البدع :

وكما نصح السلف باتباع السنة ، وحذروا من مخالفتها ، فإنهم حذروا من البدع ، فالبدعة نقيض السنة ، والعامل إما على السنة ، وإلا كان مبتدعاً ، وقد قال صلى الله عليه وسلم : « ... وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة فى النار »[١] .

إن خط الإسلام قد خطه صلى الله عليه وسلم ، واتبعه الصحابة والأئمة ، وليس لأحد أن يميل عن ذلك قيد أنملة .

* فعن حذيفة قال : يا معشر القُرّاء[٢] استقيموا - فإن استقمتم - فقد سبقتم سبقاً بعيداً ، فإن أخذتم يميناً وشمالاً لقد ضللتم ضلالاً بعيداً[٣] .

* وبقول حذيفة قال كثير من الصحابة ، فلقد قاله عمر بن الخطاب أيضاً ، وفيه : ارفعوا رءوسكم فقد وضح الطريق[٤] . إنهم يناشدون علماء كل عصر ومصر أن يلتزموا بالكتاب والسنة ، وحذار من الإفراط أو التفريط ، فإن استقامة العلماء عظيمة الأجر ، يؤجرون على علمهم وعلى من اتبعهم ، وأيضاً ميل العلماء كثير الوزر ، فإنهم يحملون أوزارهم وأوزار من أضلوهم .

* يقول الحسن : صاحب البدعة لا تقبل له صلاة ، ولا صيام ، ولا حج ، ولا عمرة ، ولا جهاد ، ولا صرف ولا عدل[٥] .

* وروى الأوزاعى عن يحيى بن أبى كثير قال : إذا لقيت صاحب بدعة فى طريق فخذ فى غيره[٦] .

---

(١) أخرجه مسلم وغيره ، وراجعه وتخريجه فى الشريعة للآجرى ١٧٠/١ .

(٢) القُرّاء : جمع قارئ ، والمراد بهم العلماء بالقرآن والسنة العُبّاد .

(٣) أخرجه البخارى فى الاعتصام بالكتاب والسنة باب : الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ ٢٥٠/١٣ حديث رقم ٧٢٨٢ ، وما بين الشرطتين زدته من رواية الذهلى وقد ذكرها الحافظ فى الشرح ص ٢٥٧ .

(٤) مسند ابن الجعد ٧٦٦/٢ رقم ١٩٩٧ .

(٥) أخرجه الآجرى فى الشريعة ٢٠٠/١ رقم ١٤٤ ، وابن وضاح فى البدع ص ٢٧ .

(٦) أخرجه الآجرى فى الشريعة ١٩٩/١ رقم ١٤٢ .

ويقول سفيان الثورى : البدعة أحب إلى إبليس من المعصية . المعصية يُتاب منها ، والبدعة لا يُتاب منها[1] .

• وكتب رجل إلى عمر بن عبد العزيز يسأله عن القدر ، فكتب إليه عمر : أما بعد ، أوصيك بتقوى الله والاقتصاد فى أمره[2] ، واتباع سنة نبيه ﷺ ، وترك ما أحدث المحْدِثون بعد ما جرت به سنته ، وكُفُوا مؤنته[3] ، فعليك بلزوم السنة ، فإنها لك بإذن الله عصمة ، ثم اعلم أنه لم يبتدع الناس بدعة إلا قد مضى قبلها ما هو دليلٌ عليها ، أو عبرة فيها[4] ، فإن السنة إنما سنها من قد علم ما فى خلافها من الخطأ والزلل والحمق والتعمق[5] . فارض لنفسك ما رضى به القوم[6] لأنفسهم ، فإنهم على علم وَقَفُوا ، وببصر نافذ كَفُّوا ، ولَهُم[7] على كشف الأمور كانوا أقوى ، وبفضل ما كانوا فيه أولى ، فإن كان الهُدى ما أنتم عليه لقد سبقتموهم إليه[8] ، ولئن قلتم إنما حدث بعدهم ما أحدثه إلا من اتبع غير سبيلهم ورغب بنفسه عنهم ، فإنهم هم السابقون فقد تكلموا فيه بما يكفى ، ووصفوا منه ما يشفى ، فما دونهم من مقصر ، وما فوقهم من مَحْسَر[9] ، وقد قصر قوم دونهم فَجَفُوا[10] ، وطمح عنهم

---

(١) مسند ابن الجعد ٧٤٨/٢ رقم ١٨٨٥ ، وأخرجه اللالكائى فى شرح أصول اعتقاد أهل السنة ١٣٢/١ .

(٢) أى التوسط فى التكاليف الشرعية فلا إفراط ولا تفريط ، فلا تضييع ولا غلو .

(٣) أى كفاهم الله مؤنة الاستحداث ، فأغناهم سبحانه بسنته صلى الله عليه وسلم عن أن يحملوا على ظهورهم ثقل الإحداث والابتداع .

(٤) أى لم يبتدع الناس بدعة إلا وفى كتاب الله تعالى أو فى سنة رسوله الدليل على أنها بدعة وضلالة ، وتنفير وتحذير منها .

(٥) **الحمق** : قلة العقل ، **والتعمق** : المبالغة والتشدد فى الأمر .

(٦) السلف الصالح وهم النبى ﷺ وأصحابه .

(٧) أى وهم ، وجاء بلام الابتداء قبل الضمير تأكيداً .

(٨) وهذا واضح البطلان ، فإن السلف الصالح هم الذين قد سبقوا إلى الهدى ، وعلى من بعدهم اتباعهم .

(٩) أى فما دون السلف الصالح من مقصر أى : حابس نفسه عن كشف ما لم يحتج إلى كشفه من أمر الدين ، ولا فوقهم محسر أى كاشف ما يحتاج إلى ما يحتاج إلى كشفه من أمر الدين ، فما لا يحتاج إلى كلام لم يتكلموا فيه ، وما يحتاج إلى توضيح وبيان وضحوه وبينوه .

(١٠) أى نزلوا وانحطوا عن المطلوب شرعاً .

أقوام فغَلَوْا[١] ، وإنهم بين ذلك[٢] لعلى هدى مستقيم .

كتبت تسأل عن الإقرار بالقدر فعلى الخبير بإذن الله وقعت . ما أعلم ما أحدث الناس من محدثة ، ولا ابتدعوا من بدعة هي أبين أثراً ، ولا أثبت أمراً من الإقرار بالقدر[٣] ، لقد كان ذكره في الجاهلية الجُهَلَاء ، يتكلمون به في كلامهم ، وفي شعرهم يعزون به أنفسهم على ما فاتهم ، ثم لم يزده الإسلام بعد إلا شدة ، ولقد ذكره رسول الله ﷺ في غير حديث ولا حديثين ، وقد سمعه منه المسلمون فتكلموا به في حياته ، وبعد وفاته يقيناً وتسليماً لربهم ، وتضعيفاً لأنفسهم[٤] أن يكون شيء لم يحط به علمه ، ولم يحصه كتابه ، ولم يمض فيه قدره ، وإنه مع ذلك لفي محكم كتابه ، منه اقتبسوه ، ومنه تعلموه .

ولئن قلتم : لم أنزل الله آية كذا ، ولم قال كذا ؟ لقد قرأوا منه ما قرأتم ، وعلموا من تأويله ما جهلتم ، وقالوا بعد ذلك كله : « كتاب وقدر » و « كتبت الشقاوة » و « ما يقدّر يكن » و « ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن » و « لا نملك لأنفسنا نفعاً ولا ضراً » ثم رغبوا بعد ذلك ورهبوا[٥] . انتهى .

وكلام عمر بن عبد العزيز هذا[٦] فيه من الإيجاز والنفع الكثير ، ولقد كان الإمام مالك يعجب بكلام عمر جداً ، لقد أوصى سائله بعدة وصايا تجعله على الهَدْى القويم ، وتتلخص فيما يلي :

- الاجتهاد في تقوى الله .
- اتباع سنة رسول الله ﷺ ، دون تضييع أو مغالاة .

---

(١) أي زادوا عن المطلوب شرعاً .

(٢) أي السلف الصالح بين المضيعين والمغالين .

(٣) أي أن الإقرار بالقدر من الأمور الواضحة الثابتة فإنكاره بدعة مستغربة .

(٤) أي أنهم يرون أنهم أضعف من أن يجترئوا على الله وينكروا القدر .

(٥) أي أن السلف مع إيمانهم بأن كل شيء بقضاء الله وقدره لم يتركوا الحرص على العمل الصالح ، والحذر من المعاصي والسيئات .

(٦) والذى أخرجه أبو داود في سننه في كتاب السنة باب من دعا إلى السنة ١٢/٣٦٥ - ٣٧٣ ، وأخرجه ابن وضاح في البدع والنهي عنها ص ٣٠ .

- الحذر من أى بدعة ، والبدعة كل ما استحدث فى الدين مخالفاً الدليل من الكتاب أو السنة .

- وطرق معرفة البدعة واضحة ، فما من بدعة إلا والدليل عليها واضح من الكتاب والسنة ، والتحذير منها أيضاً فيهما .

- إن السنة هدى الرسول الذى اصطفاه الله ، وأصحابه خير الأمة معه طبّقوا الإسلام كاملاً ، فليسع كل مسلم ما وسعهم ، ولا يليق بنا أن نحدث فى الدين أمراً لم يكن ، يناقض الكتاب أو السنة .

- إن الزائد فى دين الله عن السلف الصالح هو إنسان مغال ، والمقصر عما كانوا عليه هو إنسان مضيع ، والخير التوسط الذى كانوا عليه .

- إن الكلام فى القدر لا يصح إلا لإثباته ، أما إنكاره فهو بدعة ما كان يصح أن تظهر ، فلقد وضحه رسول الله ﷺ ، وآمن الصحابة به وأيقنوا .

- وإيمان السلف بالقدر لم يمنعهم من العمل ، إنهم لم يتكلوا وإنما جاهدوا .

وكلام عمر بن عبد العزيز هذا يعنينا فى موضوعنا جداً ، فهو يحث على التزام السنة النبوية ، ويحذر من غيرها ، يحذر مما أحدثه المبتدعون ، ويبين أن السنة عصمة من الزلل ، وأن رسول الله ﷺ الذى سنّها يعلم ما فيها من خير ، وما فى غيرها من ضر .

إن الإحداث فى الدين منشؤه الغرور بالرأى ، واتباع الهوى ، وكل ذلك ضلال وكفر ، والصراط المستقيم ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه ، فلنكن كما كانوا دون تضييع ولا مغالاة .

ولقد ذكر ابن وضاح قصةً تبين مدى ما كانوا يحرصون على تناقل أخبار البدعة وشؤمها ؛ فأخرج عن خالد الريفى[1] قال : كان فى بنى إسرائيل شاب قرأ الكتب ، وكان مغموراً[2] ، وأنه أراد المال والشرف ، وأنه ابتدع بدعة حتى أدرك

---

(١) هو خالد بن عبد الله بن محرز المازنى وثقه العجلى ، راجع تهذيب التهذيب ٣/١٠١ .
(٢) أى ليس مشهوراً .

بها المال والشرف ، فلم يزل كذلك حتى كثر تبعه ، فبينا هو كذلك على فراشه ، قال : ها الناس لا يعلمون ما ابتدعت أليس الله يعلم ما ابتدعت ؟ لو أنى تبت إلى الله !! قال : فعمد فخرق تَرْقُوَتَه [1] فجعل فيها سلسلة ثم أوثقها إلى آسية [2] من أواسى المسجد [3] ، ثم قال : لا أطلق نفسى حتى يطلقنى الله ، وكان لا يعدو بنى إسرائيل أن يكون فيهم من يوحى إليه ، فأوحى الله إلى نبى من أنبيائه : إنه لو كان ذنبك ما بينى وبينك لغفرتُ بالغاً ما بلغ ، ولكن كيف بمن أضللت من عبادى فماتوا فدخلوا النار ؟! فلا أتوبُ عليك [4] .

ويوجز الآجُرِّى [5] منهجَ السلف فى عبارات موجزة فيقول :

نأمر بحفظ السنن عن رسول الله ﷺ ، وسنن أصحابه - رضى الله عنهم - والتابعين لهم بإحسان ، وقول أئمة المسلمين مثل مالك بن أنس ، والأوزاعى ، وسفيان الثورى ، وابن المبارك ، وأمثالهم ، والشافعى - رضى الله عنه - وأحمد بن حنبل ، والقاسم بن سلام ، ومن كان على طريقة هؤلاء من العلماء، وننبذ من سواهم ، ولا نناظر ، ولا نجادل ، ولا نخاصم .

وإذا لقى صاحب بدعة فى طريق أخذ فى غيره ، وإن حضر مجلساً هو فيه قام عنه ، هكذا أدَّبنا من مضى من سلفنا [6] .

وبعد استعراض هذه النصوص من القرآن الكريم ، والسنة النبوية ، والتى تفيد وجوب العمل بالسنة النبوية ، وبعد استعراض أقوال الأئمة فى وجوب العمل بها ،

---

(١) العظم الذى بين ثغرة النحر والعاتق ، وهما ترقوتان من الجانبين .

(٢) أسطوانة أو عمود .

(٣) أراد مكان عبادتهم .

(٤) البدع لابن وضاح ص ٢٨ ، وأخرج هذه القصة أيضاً عن الحسن ، ولا يستبعد أن يكون خالد الربعى سمعها من الحسن فإنه أحد تلامذته .

(٥) هو الإمام الحافظ الفقيه أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجُرِّى - نسبة إلى «درب الآجر» ببغداد - البغدادى ، له الكثير من المؤلفات ، وهو من علماء القرن الرابع الهجرى ، توفى سنة ستين وثلاثمائة (٣٦٠) .

(٦) الشريعة ١/١٩٩ .

وأن الإجماع على حجيتها ووجوب العمل بها ، وبعد بيان أن القرآن الكريم نصَّ على كفر من أنكر السنة ولم يعمل بها ، بعد كل ذلك أصبح واضحاً أن العمل بالسنة النبوية واجب ، وأن على المسلم أن يستمد دينه من القرآن الكريم والسنة النبوية .

وقد يقول قائل : إنك بهذا أثبتَّ وجوب العمل بكل الأحاديث ، بينما الأحاديث فيها المتواتر والآحاد ، فهل يجب العمل بالآحاد ؟ أتقوم به الحجة ؟ أيصلح فى العقائد ؟

فأقول : نعم يجب العمل بخبر الآحاد ، وتقوم به الحجة فى العقائد والأحكام وكل أمور الإسلام ، ما دام قد قبله علماء الحديث المتخصصون فى دراسة حديث رسول الله ﷺ .

إن الله قد بيّن فى كتابه أن خبر الآحاد يجب العمل به ، ورسول الله ﷺ قد بيَّن ذلك أيضاً ، وأجمعت الأمة على ذلك منذ العهد النبوى إلى زماننا ، والسنة تُتَنَاقل ويُعمل بها ، إنها الدين الذى يلتزم به المسلمون ، فوفق هديه صلى الله عليه وسلم ، يصلون ، ويزكون ويحجون ، ووفق هديه يعتقدون ويتأدبون .

ولسوف أوفى هذا البحث : « المتواتر والآحاد » حقه فى البحث القادم بمشيئة الله تبارك وتعالى .

* * *



# المتواتر والآحـــاد

# وحجيتهما فى العقائد والأحكام

* تقديم
* حجية خبر الآحاد .
* خصائص الخبر الشرعى .
* الآحاد بين العلم والظن .
* شبهات على الآحاد وردها .
* توقف البعض فى أحاديث .
* اعتراضات على المتواتر .
* ختـــاماً .



# المتواتر والآحاد [1] .

أحياناً أسمع بعض المنتمين إلى العلم يقول : « خبر الآحاد يفيد الظن » .

يقصدون بذلك التقليل من شأنه !!

ولربما أتبعوا ذلك بقولهم : وقد قال الله : ﴿ **وإن الظن لا يغنى من الحق شيئاً** ﴾ ) !! وبعضهم يقول : خبر الآحاد لا يعمل به فى العقائد !!

وهؤلاء يعلون شأن المتواتر ، ويقولون : « **إنه يفيد العلم** » ، « **إنه يفيد اليقين** » !!

ويقللون عدد الأحاديث المتواترة حتى إن بعضهم يقول : أحد عشر حديثاً !!

وهذا الكلام لم يجد منى أذنا صاغية فى بداية تخصصى فى دراسة حديث رسول الله ﷺ .

ومبعث إعراضى عنه بادئ ذى بدء أنه كان أمامى آيات قرآنية ، وأحاديث نبوية تفيد أن خبر الآحاد تقوم به الحجة ، وأنه عليه يقوم الخبر فى الإسلام [2] .

## الاعتماد على خبر الآحاد :

لا تجد فى القرآن الكريم ولا فى السنة النبوية ما يدل على عظمة المتواتر ، وأنه الخبر الذى يفيد العلم الضرورى .

وإنما تجد فى القرآن الكريم وفى السنة النبوية ما يفيد أن المعتمد عليه فى الأخبار هو خبر العدل ، وسأذكر بمشيئة الله تعالى بعد قليل آيات من كتاب الله ، وأحاديث عن رسول الله ﷺ تفيد الاعتماد على خبر الواحد .

ولو كان المتواتر هو الأصل فى الأخبار لوجدنا ذلك واضحاً جلياً فى القرآن ، فكما أن القرآن وضح أن خبر الفاسق لا يقبل فى قوله سبحانه : ﴿ **يأيها الذين آمنوا إن جاءكم**

---

(١) **المتواتر** : ما رواه جمع يحيل العقل تواطؤهم على الكذب عن مثلهم ، وكان معتمدهم الحس .
**والآحاد** : قسيم المتواتر ، فما ليس متواتراً فهو آحاد ، فتح المغيث للسخاوى ٣٦/٣ .

(٢) سيأتى الاستدلال على هذا إن شاء الله تعالى .

فاسق بنبأ فتبينوا ﴾[1] ، وفى قراءة أخرى « فتثبتوا » وكما بين أن خبر الواحد يجب العمل به ، وأنه حجة فى عدد من الآيات [2] ، كما بيّن القرآن ذلك ، فلو كان التواتر هو الأصل لوضحه القرآن ولدعانا إلى أن تكون مجالس العلم مشتملة دائماً على عدد التواتر ، لكن لم يحدث ذلك ولا عرف التواتر فى مدرسة القرآن الكريم .

ولو كان التواتر هو الأصل فى الأخبار ، لجاء ذلك واضحاً جلياً فى حديث رسول الله ﷺ ، ولوجدنا فى نصوص السنة ما يفيد عدد التواتر ، وما يفيد أن رسول الله ﷺ أعلمهم أن الحجة لا تقوم إلا بخبر كذا رجل ، ولأرسل صلى الله عليه وسلم رسله فى كل جهة عدد التواتر أو أكثر ، ولتناقل الصحابة الأحاديث بعدد التواتر أو أكثر ، لكنا لم نجد ذلك ، وإنما وجدنا عكس ذلك :

* فأمر صلى الله عليه وسلم الرجل أن يسمع وأن يبلغ : « نضر الله امرءاً سمع منا حديثاً فبلغه غيره »[3] .

* وأرسل صلى الله عليه وسلم رسله إلى البلاد آحاداً ، فبعث معاذاً إلى « الجَنَد » أجود مدن اليمن ، وأرسل أبا موسى إلى « زبيد » ، وأرسل أبا عبيدة إلى « نجران » وبعث قيس بن عاصم ، والزبرقان بن بدر ، وابن نويرة إلى عشائرهم ، وكانوا مشهورين بالصدق عند ذويهم . وقدم عليه وفد البحرين فأرسل معهم ابن سعيد بن العاص [4]، وأرسل أبا بكر على الموسم مقيماً للناس حجهم ، وأرسل علياً فلحقه فى وفد الحج ليقرأ على الناس سورة التوبة ، فقرأها على الحجيج يوم النحر عند جمرة العقبة ، ونبذ إلى كل ذى عهدٍ عهده ، وقال : لا يحج بعد العام مشرك ، ولا يطوف بالبيت عريان .

وقامت بخبر كل واحد من هؤلاء الحجة ، وقبل الناس ذلك .

* وحدث جلساءه على أى عدد اتفق ، فحدث ، وأفتى ، وحكم بحضرة من اتفق من أصحابه ، ولم يؤثر أنه كان لا يحدث إلا إذا كان فى مجلسه كذا رجل ، ولو حدَثَ ذلك لشاع واشتهر .

---

(١) سورة الحجرات الآية : ٦ .
(٢) سأذكرها إن شاء الله تعالى بعد قليل .
(٣) سأذكره بعد قليل إن شاء الله .
(٤) راجع الإحكام ١/١٠٩ ، ١١٠ والرسالة ص ١٨٠ .

إنه لم يثبت أن قال : لا أحدث إلا مائة ، أو إلا سبعين ، لا ، وإنما حدث الواحد والاثنين ، وقامت بذلك الحجة على سائر الأمة : من حضر ومن غاب [٢] .

وعلى هذا المنهج سار الصحابة ، فكان الصحابي يحدث الواحد والاثنين ، ولم يقل أحد منهم : إن كل جديث لابد أن يحدث به عشرة من الصحابة مثلاً ، ولابد أن يسمعه منهم عشرة من التابعين ، لا ، وإنما الذى ثبت :

□ ما روى عن عمر بن الخطاب قال : كنت أنا وجار لى من الأنصار فى بنى أمية بن زيد – وهى من عوالى المدينة – وكنا نتناوب النزول على رسول الله ﷺ ، ينزل يوماً ، وأنزل يوماً ، فإذا نزلت جئته بخبر ذلك اليوم من الوحى وغيره ، وإذا نزل فعل مثل ذلك [٣] .

قال الحافظ ابن حجر : وفى هذا الحديث الاعتماد على خبر الواحد .

قلت : لقد كان عمر يعتمد على خبر جاره فيما نزل من الوحى ، وكان جاره يعتمد على خبره ، والجميع يعتمد على خبر الواحد منهم حجة عندهم ، فى العقائد والأحكام ، فى الفضائل والآداب ، فى كل أمور الإسلام .

□ وما رواه الأئمة عن عبد الرحمن بن أبى ليلى قال : كنا إذا أتينا زيد بن أرقم فنقول له : حدثنا عن رسول الله ﷺ فيقول : إنا كبرنا ونسينا ، والحديث عن رسول الله ﷺ شديد [٤] .

لقد كانوا يريدون منه أن يحدثهم ، وهو واحد .

□ وما روى عن سمرة بن جندب إذ يقول : لقد كنت على عهد رسول الله ﷺ غلاماً فكنت أحفظ عنه ، وما يمنعنى من القول إلا أن ها هنا رجالاً هم أسن منى [٥] .

---

(١) الإحكام لابن حزم ١/١١٤ .

(٢) أخرجه البخارى فى العلم باب التناوب فى العلم ١/١٨٥ .

(٣) أخرجه ابن ماجه فى المقدمة باب التوقى فى الحديث عن رسول الله ﷺ ١/١١ والرامهرمزى فى المحدث الفاصل ص ٥٥٠ رقم ٧٣٧ من طريق ابن الجعد وهو فى مسند ابن الجعد ١/٢٨٠ ح رقم ٧٠ .

(٤) أخرجه الخطيب فى الجامع باب من كره الرواية ببلد فيه من المحدثين من هو أسن منه ١/٣١٨ رقم ٦٩٧ .

إنهم لو كانوا يحرصون على الكثرة من أجل التواتر لتحدث الجميع ، لكنهم تركوا الحديث للأكبر لعدم اعتدادهم بالتواتر .

□ وما روى عن ليث بن أبى سليم قال : كان أبو العالية إذا جلس إليه أربعة قام[٢] ، إنه لا يريد الكثرة ، ففى الزحام مضيعة للعلم .

□ وما روى عن أبى سعيد قال : كنا نغزو وندع الرجل والرجلين لحديث رسول الله ﷺ فنجيء من غزاتنا ، فيحدثونا بما حدث به رسول الله ﷺ فنحدث به نقول : قال رسول الله ﷺ[٣] .

هكذا يتركون الرجل والرجلين .

□ وما روى عن عبد الرحمن بن أبى ليلى قال : أدركت مائة وعشرين من الأنصار من أصحاب محمد ﷺ ، ما منهم أحد يحدث بحديث إلا ودّ أن أخاه كفاه إياه ، ولا يستفتى عن شيء إلا ود أن أخاه كفاه إياه » .

وفى رواية : « يسأل أحدهم المسألة فيردها هذا إلى هذا ، حتى ترجع إلى الأول »[٤] .

□ وما روى عن الشعبى[٥] أنه سئل : كيف كنتم تصنعون إذا سئلتم ؟ قال : على الخبير وقعت ، كان إذا سئل الرجل قال لصاحبه : أَفْتِهِمْ ، فلا يزال حتى يُرجع إلى الأول[٦] .

إنهم لم يذكروا كلمة « متواتر » ولم يحرصوا على كثرة الرواة فى كل طبقة ،

---

(١) أخرجه أبو خيثمة فى كتاب العلم ص ١٣ رقم ٤٠ .

(٢) ذكره فى كنز العمال ٢٩٦/١٠ رقم ٣٩٤٩٣ وعزاه لابن أبى خيثمة ، وابن عساكر .

(٣) ذكره فى « السنة قبل التدوين » ص ٩٤ و عزاه لمختصر كتاب المؤمل للرد إلى الأمر الأول ص ١٣ ، وقد أخرجه أبو خيثمة زهير بن حرب فى كتاب العلم ص١٠ رقم ٢١ ، وعزاه فى أعلام الموقعين ٣٤/١ لأحمد ، وأخرجه الدارمى فى المقدمة باب من هاب الفتيا ٤٩/١ رقم ١٣٧ .

(٤) هو عامر بن شراحيل الشعبى تابعى كبير ، أدرك خمسمائة من الصحابة ، وسمع من ثمانية وأربعين منهم ، وكان فى زمانه كابن عباس فى زمانه ، كان كثير العلم ، واسع الفقه ، أوحد زمانه فى فنون العلم ، توفى سنة (١٠٩) راجع ترجمته فى تهذيب التهذيب ٦٥/٥ .

(٥) أخرجه الدارمى فى المقدمة باب من هاب الفتيا ٥٠/١ رقم ١٣٨ .

وفى ذلك دليل على أن المتواتر ليس أصلاً من أصول تناقل الأخبار ، ولا قاعدة تؤثر فى قبول الأحاديث .

**والمحدثون على الدرب** : وعلى درب الكتاب والسنة ، وأثر الصحابة والتابعين ، سار المحدثون فى كل جيل ، لا يركزون على المتواتر ، ولا يجعلونه نوعاً من أنواع علوم الحديث :

• يقول ابن الصلاح – أثناء كلامه عن الحديث المشهور – : ومن المشهور المتواتر الذى يذكره أهل الفقه وأصوله ، وأهل الحديث لا يذكرونه باسمه الخاص المشعر بمعناه الخاص [(٢)] .

وكلام ابن الصلاح واضح فى أن المتواتر لم يُعِره المحدثون اهتماماً ، ولا ذكروه ولا شهروه .

ولقد اعترض على ابن الصلاح بأن أبا عبد الله الحاكم ، وابن حزم ، وابن عبد البر ، وغيرهم من أهل الحديث قد ذكروا المتواتر ، وأجاب العراقى عن هذا الاعتراض : بأن ابن الصلاح نفى عن أهل الحديث ذكر المتواتر باسمه الخاص بمعناه الخاص ، وهؤلاء المذكورون لم يقع فى كلامهم التعبير عنه بما فسره به الأصوليون ، وإنما يقع فى كلامهم أنه تواتر عنه صلى الله عليه وسلم كذا وكذا ، أو أن الحديث الفلانى متواتر ، كقول ابن عبد البر فى حديث المسح على الخفين أنه استفاض وتواتر ، وقد يريدون بالتواتر الاشتهار ، لا المعنى الذى فسره به الأصوليون [(٣)] .

• ويقول العراقى : ثم إن المشهور أيضاً ينقسم باعتبار آخر إلى ما هو متواتر ، وإلى ما هو مشهور غير متواتر [(٤)] .

وهكذا جعل المتواتر نوعاً من المشهور ، الذى هو أحد أقسام الآحاد .

• ويقول النووى – عند الكلام على الحديث المشهور أيضاً – ومنه المتواتر المعروف فى الفقه وأصوله ، ولا يذكره المحدثون .

---

(١) التقييد والإيضاح ص ٢٦٥ .

(٢) التقييد والإيضاح ص ٢٦٦ .

(٣) فتح المغيث للعراقى ص ٣٢١ .

• وقال السيوطى : ( ومنه ) أى من المشهور ( المتواتر المعروف فى الفقه وأصوله ولا يذكره المحدثون ) باسمه الخاص المشعر بمعناه الخاص[2] .

وهكذا فإن التواتر الذى لم يرد له أصل فى القرآن الكريم ، ولا فى السنة النبوية ، ولا رامه الصحابة ، جاء المحدثون فساروا على الأثر ولم يقعوا فى مسألة التواتر ، ولم يقولوا به .

**وهنا يتساءل الإنسان :**

**إذا كان التواتر لا أصل له فى القرآن الكريم ، ولا أصل له فى السنة ، ولم يرد له ذكر فى حياة الصحابة العلمية ، ولم يعتبره المحدثون ، ولم تلتزم به أى طائفة من المسلمين أو غيرهم فمم نشأ ؟**

**والجواب :**

أجمعت الأمة على قبول خبر الواحد ، وظل الأمر هكذا حتى جاء متأخرو المعتزلة ، فخالفوا هذا الإجماع ، وراحوا يضعون شرط العدد أو التواتر لقبول الرواية ، وفى حقيقة الأمر : إنما قصدوا إخراج الأحكام من الدين ، وإبطال أدلتها من كلام سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم .

إنهم يعلمون أن السنة النبوية مصدر الأحكام الشرعية ، وفيها تفصيل ما أجمل فى القرآن العزيز ، فبدل أن يقولوا لن نعمل بهذه الأحكام ذهبوا إلى فكر ماكر ، فادعوا أن الخبر لا يقبل إلا إذا جاء من طرق متعددة ، تبلغ فى كل طبقة عدد التواتر ، ومن العجب أنهم لم يتفقوا على هذا العدد ، ولا وجدوا له مستنداً .

• يقول ابن حزم : إن جميع أهل الإسلام كانوا على قبول خبر الواحد الثقة عن النبى ﷺ ، يجرى على ذلك كل فرقة فى علمها كأهل السنة والخوارج والشيعة والقدرية ، حتى حدث متكلمو المعتزلة بعد المائة من التاريخ فخالفوا الإجماع فى ذلك[3] .

---

(١) كلام النووى والسيوطى فى تدريب الراوى ٢/١٧٦ .
(٢) الإحكام ١/١١٤ .

• وقال الحازمى : ولا أعلم أحداً من فرق الإسلام القائلين بقبول خبر الواحد اعتبر العدد سوى متأخرى المعتزلة ، فإنهم قاسوا الرواية على الشهادة ، واعتبروا فى الرواية ما اعتبروا فى الشهادة ، وما مغزى هؤلاء إلا تعطيل الأحكام[1] .

• وقال الطحاوى فى كتابه « العقيدة » : وجميع ما صح عن رسول الله ﷺ من الشرع والبيان كله حق .

تأمل قوله : « جميع ما صح » لم يذكر التواتر ، بل ذكر الصحة .

• وقال أبو العز فى شرح كلام الطحاوى هذا : يشير الشيخ – رحمه الله – بذلك إلى الرد على الجهمية والمعطلة والمعتزلة والرافضة القائلين بأن الأخبار قسمان : متواتر وآحاد، فالمتواتر وإن كان قطعىَّ السند – لكنه غير قطعى الدلالة ، فإن الأدلة اللفظية لا تفيد اليقين ! ولهذا قدحوا فى دلالة القرآن على الصفات ! قالوا : والآحاد لا تفيد العلم ، ولا يحتج بها من جهة طريقها ، ولا من جهة متنها ! فسدُّوا على القلوب معرفة الرب تعالى وأسمائه وصفاته وأفعاله من جهة الرسول ، وأحالو الناس على قضايا وهمية ومقدمات خيالية ، سموها قواطع عقلية ، وبراهين يقينية !! وهى فى التحقيق **﴿ كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب • أو كظلمات فى بحر لجى يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور ﴾**[3] . ومن العجيب : أنهم قدموها على نصوص الوحى ، وعزلوا لأجلها النصوص ، فأقفرت قلوبهم من الاهتداء بالنصوص ، ولم يظفروا بالعقول الصحيحة المؤيَّدة بالفطرة السليمة والنصوص النبوية ، ولو حكَّموا نصوص الوحى لفازوا بالمعقول الصحيح ، الموافق للفطرة السليمة .

بل كل فريق من أرباب البدع يعرض النصوص على بدعته ، وما ظنه معقولاً ، فما وافقه قال : إنه محكم ، وقبله واحتج به !! وما خالفه قال : إنه متشابه ، ثم رده ، وسمى رده تفويضاً ، أو حرفه وسمى تحريفه تأويلاً !! فلذلك اشتد إنكار أهل السنة عليهم .

---

(١) شروط الأئمة الخمسة مطبوع مع شروط الأئمة الستة طبع المقدسى ص ٤٧ .

(٢) سورة النور الآيتان : ٣٩ ، ٤٠ .

وطريق أهل السنة ألّا يعدلوا عن النص الصحيح ، ولا يعارضوه بمعقول ، ولا قول فلان كما أشار إليه الشيخ رحمه الله ، وكما قال البخارى رحمه الله سمعت الحميدى يقول : كنا عند الشافعى رحمه الله فأتاه الرجل فسأله عن مسألة ، فقال : قضى فيها رسول الله ﷺ كذا وكذا ، فقال الرجل للشافعى : ما تقول أنت ؟ فقال : سبحان الله ! ترانى فى كنيسة ! ترانى فى بيعةٍ ترى على وسطى زنّارا ! أقول لك : قضى رسول الله ﷺ وأنت تقول : ما تقول أنت ؟ ونظائر ذلك فى كلام السلف كثير ، وقال تعالى : ﴿**وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم**﴾ [1] .

واضح من كلام الطحاوى : أن الأساس فى قبول الأخبار ليس التواتر ، وإنما العمدة أن يكون الحديث مقبولاً .

أما أبو العز الحنفى شارح كتاب الطحاوى فإنه أبان أن الفرق التى اشترطت العدد فى الأخبار ، وقسمت الأحاديث إلى متواتر وآحاد ، وردت الآحاد ، هذه الفرق أبعدت الناس عن الوحى الذى علمه لنا رسول الله ﷺ إنهم قدموا العقل وأبعدوا النص ، وجعلوا العقل أصلاً ، والوحى تابعاً [2] !!

* ويقول أبو العز هذا فى موضع آخر عند كلامه على المعتزلة : وعندهم : أن التوحيد والعدل [3] من الأصول العقليةالتى لا يعلم صحة السمع إلا بعدها ، وإذا استدلوا على ذلك بأدلة سمعية فإنما يذكرونها للاعتقاد بها ، لا للاعتماد عليها ! فهم يقولون : لا تثبت هذه بالسمع ، بل العلم بها متقدم على العلم بصحة النقل ! فمنهم من لا يذكرها فى الأصول ، إذ لا فائدة فيها عندهم ، ومنهم من يذكرها ؛ ليبين موافقة السمع والعقل ، ولإيناس الناس بها ، لا للاعتماد عليها ! والقرآن والحديث فيه عندهم بمنزلة الشهود الزائدين على النصاب ! والمدد اللاحق بعسكر مستغن عنهم ! وبمنزلة من يتبع هواه واتفق أن الشرع ما يهواه !! كما قال عمر بن عبد العزيز : لا تكن ممن يتبع الحق إذا وافق هواه ، ويخالفه إذا خالف هواه فإذا أنت

---

(١) سورة الأحزاب الآية : ٣٦ .

(٢) شرح الطحاوى ص ٣٠٧ ، ٣٠٨ .

(٣) التوحيد والعدل أصلان من أصولهم الخمسة .

لا تثاب على ما وافقته من الحق ، وتعاقب على ما تركته منه ، لأنك إنما اتبعت هواك في الموضعين [1] .

أرأيت ؟!! إن العقل عندهم هو الأساس ، إنهم لا ينكرون السنة وحدها ، بل ينكرون القرآن الكريم !! ويجعلون النصوص تابعة لما تقضى به عقولهم !! أسأل الله أن يجعلنا من العاملين بالقرآن والسنة . هؤلاء الذين يجحدون السنة تحت ستار عدم حجية الآحاد ، هؤلاء الذين يعطون العقل أكثر من حقه عليهم أن يقرءوا هاتين الآيتين :

**﴿ فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله إن الله لا يهدى القوم الظالمين ﴾** [2] .

**﴿ أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضلَّهُ الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون ﴾** [3] .

يقول ابن كثير فى تفسير قول الله تعالى : **﴿ أفرأيت من اتخذ إلهه هواه ﴾** : أى إنما يأتمر بهواه ، مهما رآه حسناً فعله ، ومهما رآه قبيحاً تركه . وهذا قد يستدل به على المعتزلة فى قولهم بالتحسين والتقبيح العقليين [4] .

* ويقول عبد القاهر البغدادى عند حديثه عن النظام من المعتزلة - : ثم إنه استثقل أحكام شريعة الإسلام فى فروعها ، ولم يجسر على إظهار رفعها فأبطل الطرق الدالة عليها ، فأنكر لأجل ذلك حجة الإجماع ، وحجة القياس فى الفروع الشرعية ، وأنكر الحجة من الأخبار التى لا توجب العلم الضرورى [5] .

ويقول عبد القاهر أيضاً - عند كلامه على فرقة الخياطية من المعتزلة - وكان الخياط [6] مع ضلالته فى القدر والمعدومات منكراً الحجة فى أخبار الآحاد ، وما أراد

---

(١) شرح الطحاوى ص ٤٧٥ .
(٢) سورة القصص الآية : ٥٠ .
(٣) سورة الجاثية الآية : ٢٣ .
(٤) تفسير ابن كثير ١٥٠/٤ .
(٥) الفرق بين الفرق ص ١١٤ .
(٦) هو أبو الحسين الخياط رئيس فرقة الخياطية من المعتزلة .

بإنكاره إلا إنكار أكثر أحكام الشريعة !! فإن أكثر فروض الفقه مبنية على أخبار من أخبار الآحاد ، وللكعبى [2] عليه كتاب فى حجة أخبار الآحاد ، وقد ضلل فيه من أنكر الحجة فيها [3] .

وهكذا يوضح عبد القاهر بن طاهر البغدادى والذى هو أحد أئمة القرن الخامس الهجرى ( ت ٤٢٩) وصاحب المؤلفات النافعة ، وقال فيه شيخ الإسلام أبو عثمان الصابونى : كان من أئمة الأصول وصدور الإسلام بإجماع أهل الفضل والتحصيل ، بديع الترتيب ، غريب التأليف والتهذيب ، تراه الجلة صدراً مقدماً ، وتدعوه الأئمة إماماً مفخماً .

يوضح هذا الإمام أن إنكار المعتزلة وغيرهم لحجية خبر الآحاد وقولهم : إن المتواتر هو الحجة ، وهو الذى يفيد العلم الضرورى ، كل هذا إنما أرادوا به إبطال الأحكام الشرعية ، وتقديم عقولهم فى الأمور العقدية على كلام سيد البرية صلى الله عليه وسلم .

**وقد يقول قائل** : إذا كان المتواتر قد نشأ فى مدرسة الكلام فما لنا نجده فى كتب الأصول ؟

**والجواب** : لم يعترف الأصوليون جميعاً بالمتواتر ، وإنما اعتبره المتأخرون منهم ، وهؤلاء الأصوليون الذين قالوا بالمتواتر هم من المتكلمين ، أو ممن راج عليهم فكر المتكلمين ، مع أن المسألة أساساً من علم الحديث ، فرأى المحدثين هو المعتمد فيها .

* * *

---

(١) الكعبى هو : أبو القاسم عبدالله بن أحمد تلميذ الخياطى .

(٢) الفرق بين الفرق ص ١٦٥ .

## حجية خبر الآحاد :

خبر الآحاد ، أو خبر الواحد يراد به الخبر الذى تنوقل بواسطة الرواة إلا أنه لم يبلغ عدد التواتر فى طبقة أو أكثر ، وهذا النوع شائع كثير فى سنة رسول الله ﷺ .

وهذا النوع من الأخبار فى السنة النبوية له منزلته وقدره بشروط ، فإذا كانت منزلة المتواتر قد جاءت من جهة الكم بمعنى كثرة الرواة فى كل طبقة ، فإن عظمة الآحاد جاءت من جهة الكيف بمعنى عدالة الرواة وضبطهم ، فالسنة قائمة على خبر الآحاد لكن ليس كل من يتكلم يقبل كلامه ، وإنما يقبل خبر من جمع بين الدين المتين ، والحفظ السليم ، ثم يدرس هذا الخبر فى ضوء الثوابت من الآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية .

وخبر الآحاد مصدر للحياة فى كل دروبها ، فالرجل يحدثه ابنه فيصدقه ، والمريض يذهب إلى من يعالجه فيصدقه فى تشخيص المرض ووصف الدواء ، ونسمع الكثير من الأخبار من شخص واحد فنصدق ، فهو الأساس فى حياة الناس قديماً وحديثاً ، ولا أعلم أهل علم ألزموا أنفسهم بالمتواتر ، ولا أى طائفة انتهجته ، إلا أن الإسلام والذى هو الدين الخاتم احتاط فى الأخبار المتعلقة به ، سواء بنصوصه ، أو بأحكامه ، فنصح الأمة إلى قبول خبر العدل ، وأرسى الوحى الكثير من القواعد العلمية ، التى سار عليها المسلمون ، والتى أضافت شروطاً فى هذا الذى يقبل خبره .

إن مدرسة الإسلام لم تعتمد على عدد الذين يحملون الخبر ، وإنما اعتمدت على دينهم وضبطهم ، وفى ذلك من الدقة ما فيه ، ومن اليسر كل اليسر ، ودرست اتصال الإسناد ، واتفاق النص مع النصوص الأخرى ، وفى ذلك من الثقة كل الثقة فى سلامة النص ، وأنه من كلام رسول الله ﷺ ، ولقد نشأ من هذا المنهج علوم استلزمها ، فنشأ :

**علم الرجال** : وهو علم يشتمل على التعريف بكل راو ، ومعرفة حاله من حيث قبول أو رد روايته .

**وعلم الإسناد** : ويهتم بمعرفة اتصال الإسناد ، ففلان روى عن فلان ، وليست له رواية عن فلان ، وفلان مدلس ، وطبقته فى التدليس حكمها كذا .

**وعلم العلل** : ويهتم بالأمور الخفية التى قد توجد فى بعض الأحاديث فتقدح فى صحتها ، ولقد ألف فيه الجهابذة مؤلفات عديدة .

وفى كل علم من هذه العلوم مؤلفات عديدة .

وهكذا فإن خبر الواحد قد حظى بالعناية فى مدرسة الإسلام ، مما جعله محل احترام كل منصف .

ولقد اهتم علماء الإسلام ببيان أدلة حجيته ، وبين يدىّ كتب كثيرة تشتمل على الكثير من هذه الأدلة(٢) لكنى أكتفى بأشهر وأيسر ما ذكروه :

**الاستدلال من القرآن على حجية الآحاد :**

١ - قال الله تعالى : **﴿ وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون ﴾**(٣) .

---

(١) منها : ١ - الرسالة للإمام الشافعى ص ١٧٥ فقرة رقم ١١٠١ .
٢ - الكفاية للخطيب البغدادى ص ٦٦ .
٣ - الموافقات للشاطبى ٣٦/١ .
٤ - الإحكام لابن حزم ص ١١٣ .
٥ - الفصل ٨٢/٢ .
٦ - شرح العقيدة الطحاوية ص ٣٠٨ .
٧ - ومن المؤلفات المعاصرة : السنة ومكانتها فى التشريع الإسلامى للمرحوم الدكتور / مصطفى السباعى .
٨ - حجية السنة للمرحوم الدكتور / عبد الغنى عبد الخالق .
٩ - الحديث حجة بنفسه للشيخ الألبانى .
١٠ - وجوب الأخذ بحديث الآحاد فى العقيدة للشيخ الألبانى أيضاً .
١١ - حجية خبر الآحاد فى العقيدة للدكتور / شعبان محمد إسماعيل ومن أجمع ما كتب فى ذلك .
١٢ - الصواعق المرسلة لابن القيم ، ومختصرها .

(٢) سورة التوبة الآية : ١٢٢ .

والطائفة تطلق على الواحد فصاعداً ، فلتخرج طائفة من كل فرقة تتعلم العلم ، وهى مصدِّقة فيما تقول ، وفى هذا قبول خبر الواحد .

٢ - وقال الله تعالى : ﴿ **وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى قال يا موسى إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج إنى لك من الناصحين. فخرج منها خائفاً يترقب** ﴾(٢) وفى هذا أن موسى - صلى الله عليه وعلى نبينا وجميع الأنبياء والمرسلين - قبل خبر الرجل ، وخرج فارًا ، وفى ذلك قبول خبر الواحد والعمل به .

٣ - وأيضاً وفى السورة السابقة يقول الله تبارك وتعالى فى شأن موسى وسقيه غنم الرجل الصالح لابنتيه : ﴿ **فجاءته إحداهما تمشى على استحياء قالت إن أبى يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا فلما جاءه وقص عليه القصص قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين** ﴾(٣) .

وفى هذا تصديق موسى عليه السلام المرأة فى قولها : ﴿ **إن أبى يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا** ﴾ فمضى معها وصدقها ، وفى هذا قبول خبر الواحد والعمل به .

٤ - قال الله تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين** ﴾(٤) فأمر سبحانه بالتبين والتثبت عند خبر الفاسق ، فدل على أن خبر العدل يقبل مطلقاً .

٥ - جاءت آيات فى الشهادة على الأموال والأعراض ، اكتفى فيها بشهادة اثنين ، وهى شهادة آحاد ، منها :

- قال الله تعالى : ﴿ **وأشهدوا ذوَىْ عدل منكم** ﴾(٥) .

- وقال تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم** ﴾(٦) .

---

(١) سورة القصص الآيتان : ٢٠ ، ٢١ .
(٢) سورة القصص الآية : ٢٥ .
(٣) سورة الحجرات الآية : ٦ .
(٤) سورة الطلاق الآية : ٢ .
(٥) سورة المائدة الآية ١٠٦ .

– وقال تعالى : ﴿ **واستشهدوا شهيدين من رجالكم فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان** ﴾ [٢] .

لقد اكتفى الإسلام فى الأموال والأعراض بشهادة اثنين ، مما يدل على أن خبر الواحد تقوم به الحجة .

– وهناك آيات كثيرة مع هذه الآيات ، فالآيات الآمرة باتباعه صلى الله عليه وسلم ، والحاثة على طاعته ، والمحذرة من مخالفته – والتى سبق أن ذكرتها – كلها عامة فى كل ما ثبت عن رسول الله ﷺ ، دون تفريق بين متواتر وآحاد ، فمثلاً قوله تعالى : ﴿ **وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا** ﴾ [٣] قول عام فعلينا أن نقبل كل ما أمرنا به صلى الله عليه وسلم ، وأن ننتهى عما نهانا عنه صلى الله عليه وسلم ، وليس هناك ما يخصص ذلك بأن يجعله بما تواتر عنه صلى الله عليه وسلم ، وهكذا كل الآيات التى فى ذلك .

**الاستدلال من السنة على حجية الآحاد :**

٦ – وقال صلى الله عليه وسلم : « نضّر الله امرءًا سمع منا حديثاً فبلغه غيره » [٤] دعا صلى الله عليه وسلم بنضارة الوجه المنبئة عن رضوان الله تعالى ، دعا بذلك لمن بلغ عنه حديثاً ، وهذا يدل على قيام الحجة بخبر الواحد ، وإلا لما طلب صلى الله عليه وسلم من الواحد أن يبلغ ، وإنما كان يكلف الجماعة الموجبة للتواتر ، أما وأنه لم يأمر بالجماعة وأمر بالواحد فدل على قيام الحجة بخبر الآحاد .

قال الشافعى : أخبرنا مالك ، عن زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يسار أن رجلاً قبّل امرأته وهو صائم ، فوجَد من ذلك [٥] وجداً شديداً ، فأرسل امرأته تسأل عن

---

(١) سورة البقرة آية الدَّين رقم ٢٨٢ .

(٢) سورة الحشر الآية : ٧ .

(٣) أخرجه الرامهرمزى فى المحدث الفاصل ص ١٦٤ من عدة طرق ، وخرجه محققه ، وأخرجه ابن حبان فى العلم باب : ذكر دعاء المصطفى ﷺ لمن أدّى من أمته حديثاً سمعه ٢٦٨/١ حديث ٦٦ – ٦٩ وخرجه محققه .

(٤) حزن من تقبيله امرأته أثناء الصيام .

ذلك ، فدخلت على أم سلمة أم المؤمنين فأخبرتها ، فقالت أم سلمة : إن رسول الله ﷺ يُقبل وهو صائم ، فرجعت المرأة إلى زوجها وأخبرته ، فزاده ذلك شراً . وقال : لسنا مثل رسول الله ﷺ يحلّ الله لرسوله ما شاء ، فرجعت المرأة إلى أم سلمة ، فوجدت رسول الله ﷺ عندها ، فقال رسول الله : ما بال هذه المرأة ؟ فأخبرته أم سلمة ، فقال : ألا أخبرتها أنّى أفعل ذلك ؟ فقالت أم سلمة : قد أخبرتها ، فذهبت إلى زوجها فأخبرته فزاده ذلك شراً ، وقال : لسنا مثل رسول الله ﷺ ، يحل الله لرسوله ما شاء ، فغضب رسول الله ثم قال : « والله إنى لأتقاكم لله ، ولأعلمكم بحدوده » .

قال الشافعي : وقد سمعت من يصل هذا الحديث ، ولا يحضرنى ذكر من وصله[٢] .

قال الشافعي : فى ذكر قول النبى ﷺ : « ألا أخبرتها أنى أفعل ذلك ؟ دلالة على أن خبر أم سلمة عنه مما يجوز قبوله ، لأنه لا يأمرها بأن تخبر عن النبى ﷺ إلا وفى خبرها ما تكون الحجة لمن أخبرته . وهكذا خبر امرأته - أى : امرأة الصحابى - إن كانت من أهل الصدق عنده[٣] .

٨ - قال الشافعي : أخبرنا مالك عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر قال : بينما الناس بقباء فى صلاة الصبح ، إذ أتاهم آت فقال : إن رسول الله قد أنزل عليه قرآن وقد أمر أن يستقبل القبلة فاستقبلوها ، وكانت وجوههم إلى الشام ، فاستداروا إلى الكعبة .

وأهل قباء أهل سابقة من الأنصار وفقه ، وقد كانوا على قبلة فرض الله عليهم

---

(١) رحم الله إمامنا الشافعي فهناك فعلا من روى الحديث مرسلا ، ومن رواه متصلا : فأخرجه الإمام أحمد متصلاً ٤٣٤/٥ عن عطاء بن يسار عن رجل من الأنصار أن الأنصارى أخبر عطاء أنه قبّل امرأته على عهد رسول الله ﷺ ... الحديث وأخرجه عبد الرزاق أيضاً متصلاً ١٨٤/٤ ، وأخرجه الإمام مالك مرسلاً فى الصيام باب ما جاء فى الرخصة فى القُبلة للصائم ١/ ٢٩١، وذكره ابن عبد البر فى التمهيد ٥/ ١٠٨ وذكر أنه مرسل عند جميع رواة الموطأ ، وأخرجه الطحاوى أيضاً مرسلاً فى شرح معانى الآثار كتاب الصيام باب القبلة للصائم ٩٤/٢ .

(٢) الرسالة ص ١٧٦ ، ١٧٧ .

استقبالها ، ولم يكن لهم أن يدعوا فرض الله فى القبلة إلا بما تقوم عليهم الحجة ، ولم يلقوا رسول الله ﷺ ، ولم يسمعوا ما أنزل الله عليه فى تحويل القبلة فيكونون مستقبلين بكتاب الله وسنة نبيه سماعاً من رسول الله ولا بخبر عامة ، وانتقلوا بخبر واحد ، إذا كان عندهم من أهل الصدق ، عن فرض كان عليهم ، فتركوه إلى ما أخبرهم عن النبى أنه أحدث عليهم من تحويل القبلة .

ثم يقول الشافعى : ولم يكونوا ليفعلوه - إن شاء الله - بخبر إلا عن علم بأن الحجة تثبت بمثله ، إذا كان من أهل الصدق [٢] .

٩ - وقال الشافعى : أخبرنا عبد العزيز عن ابن الهاد عن عبد الله بن أبى سلمة عن عمرو بن سليم الزُّرَقِىّ عن أمه قالت : « بينما نحن بمنى إذا على بن أبى طالب على جمل يقول : إن رسول الله يقول : إن هذه أيام طعام وشراب فلا يصومن أحد ، فاتبع الناس وهو على جمله ، يصرخ فيهم بذلك » .

ورسول الله لا يبعث بنهيه واحداً صادقاً إلا لزم خبره عن النبى بصدقه عند المنهيين عن ما أخبرهم أن النبى نهى عنه ، ومع رسول الله الحاج ، وقد كان قادراً على أن يبعث إليهم فيشافههم ، أو يبعث إليهم عدداً ، فبعث واحداً يعرفونه بالصدق ، وهو لا يبعث بأمره إلا والحجة قائمة على المبعوث إليهم بقبول خبره عن رسول الله ﷺ .

وهكذا ثبت الخبر بالواحد مع إمكانية إرسال جماعة ، مما يدل على حجية خبر الواحد ، وأنه يجب به العمل [٣] .

وساق الشافعى كثيراً من الأدلة على حجية خبر الواحد ، لكنى أكتفى بهذا القدر منه مخافة الطول ، وأسوق أدلة أخرى من عند غيره .

١٠ - ونقل الزيلعى عن المرغينانى قوله : صح أنه عليه السلام قبل شهادة الواحد العدل فى رؤية هلال رمضان . ثم قال الزيلعى : فيه أحاديث ، ثم ذكر عدداً من الأحاديث والآثار ، وأكتفى بهذا الحديث :

---

(١) الرسالة ص ١٧٧ .

(٢) راجع الرسالة ص ١٧٩ بتصرف يسير .

عن ابن عمر قال : تراءى الناس الهلال فأخبرت رسول الله ﷺ أنى رأيته فصام وأمر الناس بصيامه[2] .

لقد صام المسلمون بأمر رسول الله ﷺ ، وكان الأمر النبوى مبنياً على خبر الواحد ، مما يدل على حجية خبر الواحد .

وذكر الشيخ عبد الغنى عبد الخالق أدلة حجية خبر الواحد ، وأنه وقع التعبد به ، نذكر من ذلك :

١١ - إجماع الصحابة (رضى الله عنهم) على وجوب العمل بخبر الواحد العدل ، وفيهم على كرم الله وجهه ، وذلك فى وقائع شتى لا تنحصر آحادها . إن لم تتواتر فالقدر المشترك منها متواتر ، ولو أردنا استيعابها لطالت الأنفاس ، وانتهى القرطاس .

وقد ذكرنا بعضها فيما سبق ، فلا وجه لتعدادها . إذ نحن على قطع بالقدر المشترك منها وهو رجوع الصحابة إلى خبر الواحد إذا نزلت بهم المعضلات ، واستكشافهم عن أخبار النبى ﷺ عند وقوع الحادثات ، وإذا روى لهم حديث أسرعوا إلى العمل به من غير نكير فى ذلك كله .

- وذكر دليلاً آخر وهو :

١٢ - قد تواتر أن رسول الله ﷺ كان يرسل الرسل لتبليغ الأحكام وتفصيل الحلال والحرام ، وربما كان يصحبهم الكتب ، وكان نقلهم أوامر رسول الله ﷺ على سبيل الآحاد[3] .

ونلاحظ فى كلام الشيخ عبد الغنى عبد الخالق وهو أستاذ أصولى أنه ركز على إجماع الصحابة على وجوب العمل بخبر الواحد ، وهذا يفيد القطع واليقين ، وركز أيضاً على تواتر الخبر أن رسول الله ﷺ أرسل رسله آحاداً مما يفيد القطع واليقين أيضاً بحجية خبر الآحاد وأنه يجب العمل به .

---

(١) أخرجه أبو داود فى الصيام باب فى شهادة الواحد على رؤية هلال رمضان ٤٦٨/٦ ، وأخرجه الحاكم ٤٢٣/١ وقال : صحيح على شرط مسلم ، وذكره الزيلعى فى نصب الراية ٤٤٤/٢ وعزاه لأكثر مما ذكرت هنا .

(٢) حجية السنة ص ٤١٨ ، ٤١٩ .

وإنما نقلت الإجماع والتواتر من كلام الشيخ « عبد الغنى عبد الخالق » لما رأيته عنده من جمع رتيب ، وهو الأستاذ فى الأصول ،وإلا فقد كان يمكننى نقل هذا عن أئمة سابقين كالفخر الرازى ، فإنه أثبت حجية الآحاد بالقرآن الكريم ، وبالتواتر ، وبالإجماع ، وهو الأصولى الذى على طريقة المتكلمين ، الفقيه الشافعى المتوفى سنة ست وستمائة ( ٦٠٦هـ ) .

لقد أطنب الرازى فى إيراد الأدلة على حجية خبر الآحاد ، وسلم بأنه قد تواتر الخبر بذلك ، وأن الصحابة عملوا به ، وأجمعوا على ذلك [٢] ، وأضاف الرازى أن حجية الآحاد ثابتة أيضاً بالقياس ، وبالعقل ، واستدل لكل ، وفصل [٣] .

وهنا أؤكد أنه ما دام الصحابة قد أجمعوا على وجوب العمل بخبر الواحد ، وأنه تقوم به الحجة فى العقائد والأحكام ، فإن هذا الإجماع لا تؤثر فيه مخالفة من خالف .

قال الشاطبى : لا تكون مخالفة المتأخرين لإجماع المتقدمين على سنة حجة على تلك السنة أبداً ، وحكى أن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب [٤] رضى الله عنهم كان يكثر الجلوس إلى ربيعة فتذاكروا يوماً ، فقال رجل كان فى المجلس : ليس العمل على هذا . فقال عبد الله : أرأيت إن كثر الجهال حتى يكونوا هم الحكام ، أَفَهُمْ الحجة على السنة ؟ فقال ربيعة : أشهد أن هذا كلام أبناء الأنبياء [٥] .

* وذكر الخطيب البغدادى فى كتابه « الكفاية » أنه أفرد لوجوب العمل بخبر الواحد كتاباً ، ثم ذكر عدة أدلة لذلك ، منها :

– ما أخرجه بإسناد عن نافع أن عبد الله بن عمر كان يكرى المزارع ، فَحُدِّث أن رافع بن خديج يأثر عن رسول الله ﷺ أنه نهى عن ذلك . قال نافع : فخرج إليه

---

(١) المحصول فى علم أصول الفقه ج ٢ ، ق ١ ص ٥٢٥ .
(٢) المصدر السابق من ص ٥٠٨ إلى ص ٥٦١ .
(٣) ترجمته فى تهذيب التهذيب ١٨٦/٥ ومقاتل الطالبيين ص ١٧٩ .
(٤) الاعتصام ٣٥٥/١ .

وأنا معه فسأله ، فقال رافع : نهى رسول الله ﷺ عن كراء المزارع ، فترك عبد الله كراءها (٢) .

فلخبر واحد ترك ابن عمر ما كان عليه من كراء الأرض ، ولو كان خبر الواحد ليس حجة لطلب العدد الكثير حتى تقوم الحجة ، لكنه لم يطلب العدد ، وامتثل بمجرد خبر الواحد .

وواضح مما سبق أن خبر الواحد حجة ويجب العمل به .

وقد يقول قائل : أُسَلِّم لك هذا فى الأحكام ، لكن هل هو حجة فى العقائد ؟

**والجواب** : نعم . حديث الآحاد حجة فى العقائد وفى الأحكام ، وفى الأدلة السابقة ما يفيد ذلك ، لكنى أزيد الأمر توضيحاً ، فأسوق أدلة أخرى على أنه حجة فى العقائد :

## حجية الآحاد فى العقائد :

١ - لو قلنا : إن العقائد لا تثبت بخبر الواحد لاختلف المسلمون فيما يجب عليهم اعتقاده ، فمن سمع حديثاً فى العقيدة من رسول الله ﷺ وجب عليه اعتقاده ، وكل من غاب عن هذا المجلس فلم يسمعه ، ومن أتى بعد الصحابة لا يجب عليهم اعتقاد هذا الأمر .

**مثال ذلك** : حديث أبى هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال : « إذا فرغ أحدكم من التشهد الأخير فليتعوذ بالله من أربع : من عذاب جهنم ، ومن عذاب القبر ، ومن فتنة المحيا والممات ، ومن شر المسيح الدجال » (٣) .

إن من سمع من رسول الله ﷺ يجب عليه أن يؤمن بعذاب القبر ، وأن يؤمن بظهور المسيح الدجال ، أما من لم يسمعه منه صلى الله عليه وسلم فإنه لا يجب عليه الإيمان بذلك على القول بأن خبر الآحاد لا يعمل به فى العقائد ، وعلى هذا

---

(١) الكفاية ص ٦٨ ، ٦٩ والفقيه والمتفقه ج ١ ص ١٤٠ ، ولقد أفرد فيه أبواباً لموضوعنا فراجعه وحديث رافع بن خديج هذا أخرجه البخارى ومسلم ، أخرجه مسلم فى البيوع باب كراء الأرض ١١٨٠/٣ رقم ١٠٩ ، وأخرجه البخارى فى الحرث والمزارعة باب ما كان أصحاب النبى ﷺ يواسى بعضهم بعضاً فى الزراعة والثمر ٢٣/٥ ، واجع نصب الراية ١٨٠/٤ .

(٢) أخرجه مسلم فى المسجاد باب ما يستعاد منه فى الصلاة ٤١٢/١ .

فيكون إيمان بعض الصحابة يختلف عن إيمان البعض الآخر منهم ، وإيمان الصحابة يختلف كثيراً عن إيماننا ، لكن على القول بحجية خبر الآحاد يتفق إيمان الجميع .

وهذا أيضاً يقال فى الأحكام ، فعلى القول بحجية خبر الآحاد تتفق الأمة فى دينها ، أما على القول بعدم حجيته : فمن سمع منه صلى الله عليه وسلم حكماً لزمه ، أما من لم يسمعه فإنه لا يلزمه ، مما يجعل الناس مختلفين فى أحكام دينهم .

٢ - القول بأن الآحاد لا تثبت به العقائد لا يتصور ، فالأحاديث التى فيها عقائد وأحكام هل يتصور أن نأخذ منها الأحكام ونترك العقائد ؟

بدهى : لا .

فهل يتصور فى الحديث السابق مثلاً ، أن آخذ منه جانب الدعاء فى التشهد ، لأنه من الأحكام ، ولا أومن بعذاب القبر ، كيف أستعيذ بالله من عذاب القبر وأنا لا أومن به ؟!

٣ - إن الرسل الذين أرسلهم رسول الله ﷺ إلى الأمصار ، أرسلهم يعلمون الناس الإسلام كله ، عقيدة وشريعة وآداباً ... إلخ ، وكانوا آحاداً ، وهذا يدل على أن خبر الآحاد يعمل به فى العقائد والأحكام ، وكل أبواب الإسلام .

خذ مثلاً : حديث معاذ قال : « بعثنى رسول الله ﷺ قال : إنك تأتى قوماً من أهل الكتاب ، فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله ، فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات فى كل يوم وليلة ، فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد فى فقرائهم ، فإن هم أطاعوا لذلك فإياك وكرائم أموالهم ، واتق دعوة المظلوم ؛ فإنه ليس بينها وبين الله حجاب »[2] .

إنه صلى الله عليه وسلم كلف معاذاً حينما أرسله إلى أهل اليمن أن يعلمهم العقيدة « فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله » .

---

(١) أخرجه مسلم فى الأيمان باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام ١/ ٥٠، ولقد أخرج ابن منده هذا الحديث من عدة طرق ، كما أخرج عدة أحاديث أخرى فى موضوعه وكلها تفيد بعث الآحاد بالعقائد فراجع ٢٥٢/١ فما بعدها من كتابه الإيمان .

ومعاذ رجل واحد ، ولو لم تقم الحجة بخبره فى العقيدة والشريعة لما أرسله رسول الله ﷺ ، فدل هذا على أن خبر الواحد يحتج به فى العقائد .

٤ – وأسوق هذين القولين عن إمامين جليلين :

ذُكرت أحاديث فى صفات الله تعالى أمام شريك بن عبد الله القاضى [١] ، فقال بعض الحاضرين له : إن قوماً ينكرون هذه الأحاديث ! قال : فما يقولون ؟ قالوا : يطعنون فيها . فقال : إن الذين جاءوا بهذه الأحاديث هم الذين جاءوا بالقرآن ، وبأن الصلاة خمس ، وبحج البيت ، وبصوم رمضان ( يعنى أحاديث الأحكام التى فصلت ذلك ) فما نعرف الله إلا بهذه الأحاديث [٢] .

– وعن إسحاق بن راهويه قال : دخلت على عبد الله بن طاهر فقال لى : يا أبا يعقوب تقول : إن الله ينزل كل ليلة ؟ فقلت : أيها الأمير ، إن الله بعث إلينا نبياً ، نُقِل إلينا عنه أخبار ، بها نحلل الدماء ، وبها نحرم ، وبها نحلل الفروج ، وبها نحرم ، وبها نبيح الأموال ، وبها نحرم ، فإن صح ذا صح ذاك ، وإن بطل ذا بطل ذاك ، قال فأمسك عبد الله [٣] .

وواضح من هذين القولين أن الإمامين يقولان :

إن من صدق بأحاديث الآحاد فى الأحكام عليه أن يصدق بها فى العقيدة ، فكيف تأمرنى أن أثق بالراوى وأقبل خبره فى صلاتى وعبادتى ربى ، ولا أثق به فى عقيدتى فى الله تعالى ؟

٥ – إن عِلمَ الأئمة الأعلام يشهد بحجية خبر الآحاد فى العقيدة ، فكتب العقيدة عند الأئمة أمثال البخارى ، ومسلم ، وابن حبان ، وابن خزيمة ، وعند أبى داود ، والترمذى ، والنسائى ، وابن ماجه ، كلها تدور على أخبار الآحاد .

---

(١) من فقهاء الإسلام الكبار ، أدرك عمر بن عبد العزيز ، وسمع سلمة بن كهيل ، ومنصور بن المعتمر وغيرهم ، فمدحوه بقوة الذاكرة ، والورع فى العلم توفى ١٧٧ سير أعلام النبلاء ١٧٨/٨ .

(٢) ذكره الألبانى فى وجوب الأخذ بحديث الآحاد فى العقيدة ص ١٨ ، وعزاه لعبد الله بن الإمام أحمد فى السنة ، وللآجرى فى الشريعة ص ٣٠٦ .

(٣) ذكره الألبانى فى الموطن السابق وعزاه للبيهقى فى الأسماء والصفات ص ٤٥٢ .

والكتب المتخصصة فى العقيدة أمثال :

- التوحيد لابن خزيمة .
- والإيمان لابن منده .
- والإيمان لابن أبى شيبة .
- ودلائل النبوة للبيهقى .
- والبعث للبيهقى .
- والأسماء والصفات للبيهقى .
- والاعتقاد للبيهقى .

كل هذه المؤلفات لم يشترط الأئمة فيها أن يكون الحديث متواتراً بالمعنى الذى يقول به بعض علماء الأصول ، وبعض علماء الكلام من اشتراط الكثرة فى كل طبقة وعليه فهذه المؤلفات تدل على أن خبر الآحاد حجة فى العقائد كما هو حجة فى الأحكام .

لقد اشتمل صحيح البخارى على « كتاب الإيمان » وعلى « كتاب الأنبياء » وعلى « كتاب القدر » وعلى « كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة » وعلى « كتاب التوحيد » وهذه الكتب كلها فى العقيدة ، وكلها قائمة على خبر الآحاد .

بل إن البخارى جعل فى صحيحه كتاباً بعنوان : « أخبار الآحاد » وفى بعض النسخ « كتاب خبر الواحد » ولم يرد بذلك « الآحاد » المقابل للمتواتر ، وإنما كما قال الحافظ ابن حجر - شارحاً للباب الأول منه ، والذى عنوانه : « باب ما جاء فى إجازة خبر الواحد الصدوق فى الأذان والصلاة والصوم والفرائض والأحكام » .

قال الحافظ : والمراد « بالإجازة » جواز العمل به ، والقول بأنه حجة و « بالواحد » هنا حقيقة الوحدة ، وأما فى اصطلاح الأصوليين فالمراد به ما لم يتواتر ، وقصد الترجمة الرد به على من يقول : إن الخبر لا يحتج به إلا إذا رواه أكثر من شخص واحد حتى يصير كالشهادة ، ويلزم منه الرد على من شرط أربعة أو أكثر ا هـ[1] .

---

(١) فتح البارى ٢٣٣/١٣ .

إن البخارى – رحمه الله تعالى – أراد بذلك أن يثبت أن خبر المسلم الواحد يقبل ويحتج به ، ولا يحتاج لرواية أخرى ، ما دام هذا الراوى صدوقاً ، إنه لم يقصد إثبات خبر من قلّوا عن عدد التواتر ، وإنما أراد أن يثبت أن خبر الشخص الواحد تقوم به الحجة ، وما زاد فهو من باب أولى .

وواضح من ترجمة البخارى « ما جاء فى إجازة خبر الواحد الصدوق فى الأذان ... » أنه يؤكد حجية خبر الواحد فى الأحكام ، ويبدو أنه من الفريق الذى يرى أن أحاديث العقائد لا يصح أن تكون من الغرائب فلا يصح أن يتفرد بها راو واحد ، وإنما تخرج عن راو وآخر ، ومن طريق وآخر ، حتى يُتَثَبَّت منها ، وليس البخارى وحده الذى يذهب هذا المذهب ، وإنما معه كثيرون ، يتثبتون من أحاديث الأحكام أكثر من الفضائل ، ومن أحاديث العقائد أكثر من الأحكام ، لكنهم لا يشترطون فيها عدد التواتر .

وهذا المعنى قد قرأته فى كتاب « الأسماء والصفات » للبيهقى[1] .

وعند الإمام مسلم أيضاً « كتاب الإيمان » و « كتاب القدر » و « كتاب الإيمان » موجود فى سنن الترمذى ، وفى سنن النسائى .

ولما رتب الشيخ الساعاتى مسند الإمام أحمد على الموضوعات جمع منه أحاديث كثيرة فى كتاب « التوحيد » و « الإيمان والإسلام » و « القدر » و « الاعتصام بالكتاب والسنة » .

ولا تجد كتاباً من كتب السنة إلا وفيه أحاديث العقيدة وهى آحاد ، يوردها الأئمة لإيمانهم بأنها تقوم بها الحجة فى العقيدة وكل أبواب الإسلام .

إن كتاب « التوحيد » لابن خزيمة عنوانه يكفى لإثبات حجية الآحاد فى العقيدة ، فعنوان الكتاب كاملاً هو « كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل التى وصف بها نفسه فى تنزيله الذى أنزله على نبيه المصطفى ﷺ وعلى لسان نبيه نقل الأخبار الثابتة الصحيحة نقل العدول عن العدول من غير قطع فى إسناد ولا جرح فى ناقلى الأخبار الثقات » .

---

(١) باب ما ذكر فى القدم والرجل ص ٤٥٠ .

فواضح من عنوان الكتاب أنه يثبت لله سبحانه وتعالى من الصفات ما أثبته سبحانه وتعالى لنفسه فى القرآن الذى أنزله على نبيه محمد ﷺ ، ويثبت له سبحانه من الصفات ما جاء فى أحاديث رسول الله ﷺ ، ونقلها العدل عن العدل من غير قطع فى الإسناد ولا جرح فى الرواة ، إنه يشترط فى الأخبار اتصال الإسناد وعدالة الرواة ، ولم يشترط التواتر .

وعند كلامه على إثبات صفة السمع والبصر لله تعالى ساق الآيات الدالة على ذلك ثم قال :

باب البيان من سنن النبى ﷺ على تثبيت السمع والبصر لله موافقاً لما يكون من كتاب ربنا ، إذ سننه ﷺ إذا ثبتت بنقل العدل عن العدل موصولاً إليه لا تكون أبداً إلا موافقة لكتاب الله ، حاشا لله أن يكون شىء منها أبداً مخالفاً لكتاب الله ، أو لشىء منه ، فمن ادعى من الجهلة أن شيئاً من سنن النبى ﷺ إذا ثبت من جهة النقل مخالف لشىء من كتاب الله فأنا ضامن بتثبيت صحة مذهبنا على ما أبوح به منذ أكثر من أربعين سنة [(١)] .

إنه يتكلم فى العقيدة ، معتمداً على نقل الراوى العدل الذى يروى عن شيخه ، عن شيخ شيخه إلى سيدنا رسول الله ﷺ .

* * *

وللحافظ البيهقى كتاب الأسماء والصفات واسمه بالتمام « كتاب أسماء الله جل ثناؤه وصفاته التى دل كتاب الله تعالى على إثباتها ، أو دلت عليه سنة رسول الله ﷺ ، أو دل عليه إجماع سلف هذه الأمة قبل وقوع الفرقة وظهور البدعة » [(٢)] .

وواضح من هذا العنوان أننا نثبت لله سبحانه أسماءه وصفاته التى وردت فى القرآن الكريم ، والتى وردت فى سنة رسول الله ﷺ ، والتى أجمع عليها سلف الأمة . فكل اسم أو صفة لله سبحانه وتعالى جاءت فى السنة النبوية فنحن نثبتها لله سبحانه وتعالى ونؤمن بها .

---

(١) التوحيد ص ٤٧ .

(٢) آخر المقدمة ص ١٠ .

ويكرر هذا مرة ثانية فى باب جماع أبواب إثبات صفات الله عز وجل فيقول[1] : ثم صفات الله عز اسمه قسمان : **أحدهما** : صفات ذاته : وهى ما استحقه فيما لم يزل ولا يزال . **والآخر** : صفات فعله : وهى ما استحقه فيما لا يزال دون الأزل .

فلا يجوز وصفه إلا بما دل عليه كتاب الله تعالى ، أو سنة رسول الله ﷺ ، أو أجمع عليه سلف هذه الأمة ا هـ .

إنه يوضح أنه سبحانه وتعالى لا يوصف إلا بما دل عليه الكتاب أو السنة ، والسنة مطلقاً ، دون تخصيص المتواتر ، وإنما كل ما ثبت من السنة فهو مصدر من مصادر إثبات الصفات ، ومصدر من مصادر العقيدة .

وينقل عن عبد الله بن المبارك أنه إذا نطق القرآن الكريم بشيء من صفات الله جسرنا عليه ، وإذا جاءت الأحاديث المستفيضة الظاهرة تكلمنا به[2] . إن ابن المبارك الإمام العلم مع سلف الأمة بل هو منهم ينطق بأن صفات الله التى وردت فى القرآن الكريم ، وفى السنة الصحيحة هى التى نثبتها له سبحانه دون زيادة أو نقص .

نعم ما جاء فى السنة الصحيحة فإنه يلزمنا فى عقيدتنا ، وعلى هذا سلف الأمة وأئمتها الأخيار .

ونقل البيهقى عن أبى سليمان الخطابى فى إثبات الصفات لله أنه قال : لا يجوز ذلك - أى إثبات الصفات - إلا أن يكون بكتاب ناطق ، أو خبر مقطوع بصحته ، فإن لم يكونا فيما يثبت من أخبار الأحاديث المستندة إلى أصل فى الكتاب ، أو فى السنة المقطوع بصحتها ، أو بموافقة معانيها ، وما كان بخلاف ذلك فالتوقف عن إطلاق الاسم به هو الواجب[3] .

إن الخطابى يثبت كل اسم أو صفة لله عز وجل ما دام قد جاء بذلك القرآن الكريم ، أو السنة الصحيحة ، ولم يذكر التواتر ولا اشترطه .

---

(١) ص ١٣٧ بعد ثمانية أسطر من أول الموضوع .
(٢) ص ٤١٧ باب ما ذكر فى اليمين والكف .
(٣) الأسماء والصفات ص ٤٢٣ .

ويقول البيهقى فى باب ما ذكر فى اليمين والكف : وليس معنى اليد عندنا الجارحة إنما هو صفة جاء بها التوقيف ، فنحن نطلقها على ما جاءت ولا نكيفها ، وننتهى إلى حيث انتهى بنا الكتاب ، والأخبار المأثورة الصحيحة ، وهو مذهب أهل السنة والجماعة [1] .

وواضح من كلام هؤلاء الأئمة المحدّثين أنهم يعتمدون على خبر الآحاد فى العقائد ، ولم ينفرد المحدثون بهذا القول وإنما كل سلف الأمة على هذا ، ويوافقهم كثير من أئمة الأمة ، حتى إننى وأنا أراجع هذا الموضوع فى مصادره أكاد أقول : إن الذين جعلوا المسألة خلافية ظلموا الحقيقة ، فالذين يردون خبر الواحد قلة وليسوا بأئمة .

فسلف الأمة مجمعون على حجية الآحاد فى العقيدة والأحكام ، وأئمة الأمة على ذلك ، ويروقنى أن أنقل لك بعض عبارات الإمام المتكلم أبى الحسن الأشعرى ، فتأمله إذ يقول :

وجملة قولنا أنا نقر بالله وملائكته وكتبه ورسله ، وما جاء من عند الله ، وما رواه الثقات عن رسول الله ﷺ ، لا نرد من ذلك شيئاً [2] .

ويقول : وندين بأن الله تعالى يُرى فى الآخرة بالأبصار ، كما يرى القمر ليلة البدر ، يراه المؤمنون كما جاءت الروايات عن رسول الله ﷺ [3] . ويقول :

ونقول إن الله عز وجل يُخرج قوماً من النار بعد أن امتحشوا بشفاعة محمد رسول الله ﷺ ، ونؤمن بعذاب القبر وبالحوض ، وأن الميزان حق ، والصراط حق ، والبعث بعد الموت حق ، وأن الله عز وجل يوقف العباد فى الموقف ، ويحاسب المؤمنين ، وأنَّ الإيمان قول وعمل يزيد وينقص ، ونسلم الروايات الصحيحة فى ذلك عن رسول الله ﷺ التى رواها الثقات عدل عن عدل حتى تنتهى الرواية إلى رسول الله ﷺ [4] .

ويقول : ونصدق بجميع الروايات التى يثبتها أهل النقل من النزول إلى السماء الدنيا ، وأن الرب عز وجل يقول : هل من سائل ؟ هل من مستغفر ؟ وسائر ما نقلوه وأثبتوه [5]

---

(١) الأسماء والصفات ص ٤١٩
(٢) الإبانة ص ٨ ، ٩ .
(٣) الإبانة ص ١٠
(٤) الإبانة ص ١٠ ، ١١
(٥) الإبانة ص ١١

٦ - قال الحافظ ابن حجر : واحتج بعض الأئمة بقوله تعالى : ﴿**يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك**﴾ مع أنه كان رسولاً إلى الناس كافة، ويجب عليه تبليغهم ، فلو كان خبر الواحد غير مقبول لتعذر إبلاغ الشريعة إلى الكل ضرورة ، لتعذر خطاب الناس شفاهاً ، وكذا تعذر إرسال عدد التواتر إليهم ، وهو مسلك جيد ينضم إلى ما احتج به الشافعي ثم البخاري [٢] .

٧ - أخرج البخاري بإسناده عن أبي بكرة عن النبي ﷺ قال : « الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض ، السنة اثنا عشر شهراً ، منها أربعة حرم ، ثلاث متواليات : ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ، ورجب مضر الذى بين جمادى وشعبان . أى شهر هذا ؟ قلنا : الله ورسوله أعلم ، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه . قال : أليس ذا الحجة ؟. قلنا : بلى . قال : أى بلد هذا ؟ قلنا : الله ورسوله أعلم . فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه . قال : أليس البلدة [٣] ؟ قلنا : بلى . قال : فأى يوم هذا ؟ قلنا : الله ورسوله أعلم ، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه ، قال : أليس يوم النحر ؟ قلنا : بلى . قال : فإن دماءكم وأموالكم - قال محمد : وأحسبه قال وأعراضكم - عليكم حرام كحرمة يومكم هذا ، فى بلدكم هذا ، فى شهركم هذا ، وستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم ، ألا فلا ترجعوا بعدى ضلالا يضرب بعضكم رقاب بعض ، ألا ليبلغ الشاهد الغائب ، فلعل بعض من يبلغه أن يكون أوعى له من بعض من سمعه » [٤] .

**وهذا الحديث يفيد حجية خبر الآحاد فى العقيدة ، ففيه : ﴿وستلقون ربكم﴾ وفيه دليل على حجية خبر الآحاد عموماً فى قوله صلى الله عليه وسلم : « ليبلغ الشاهد الغائب » ولا يأمر صلى الله عليه وسلم الحاضر أن يبلغ الغائب مطلقاً دون اشتراط تواتر أو عدد إلا لأن خبر الواحد حجة فى العقائد والأحكام وكل شىء .**

---

(١) فتح البارى ١٣/٢٣٥ .

(٢) البلدة اسم خاص لمكة كما فى قوله تعالى : ﴿**إنما أمرت أن أعبد رَبَّ هذه البلدة الذى حرمها**﴾ سورة النمل الآية ٩١ .

(٣) أخرجه البخارى فى التوحيد باب قول الله تعالى : ﴿**وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة**﴾ ١٣/٤٢٤ ومحمد القائل : أحسبه .. هو ابن سيرين كما فى رواية الحديث عند البخارى فى العلم باب ليبلغ العلم الشاهد الغائب ١/١٩٩ .

## خصائص الخبر الشرعى :

ومما يبين قدر خبر الآحاد بيان خصائص الخبر الشرعى ، ذلك أن خبر الآحاد يختلف من مجال إلى مجال ، فخبر الآحاد فى مجال الشرع يختلف عن خبر الآحاد فى غير الشرع ، والذين لا يميزون هذا التمييز لا يعرفون قدر الخبر الشرعى .

إن خبر الواحد إذا كان فى أمور الحياة العادية يفيد أمراً غير مؤكد ، فإنه فى أمور الشرع يختلف عن ذلك كثيراً ، فإن له من الخصائص ما يجعله مصدر يقين ، وهذه الخصائص هى :

١ - إن علماء الحديث اشترطوا فى الخبر الذى يُقبل شروطاً تجعلهم يطمئنون إليه غاية الاطمئنان ، فليس كل خبر يقبل عندهم ، وإنما يقبل خبر من سلم دينه حتى لا يكذب ، وقوى ضبطه حتى لا يخطئ ، وروى عمن فوقه إلى رسول الله ﷺ ، وهذه الشروط الثلاثة من : عدالة الراوى ، وسلامة حفظه ، واتصال إسناده .

هذه الشروط لم يقتصروا عليها وحدها ، وإنما قارنوا روايته بالقرآن الكريم ، فإن عارضت روايته شيئاً من القرآن الكريم فلا قيمة لها ، وأيضاً قارنوها برواية غيره من الرواة ، فإن خالفت الأقوى منها أطلقوا عليها « الشاذ » وهو لا يعمل به ، ثم فحصوها جيداً ، وعرضوها على الأئمة الجهابذة فى الحديث ورجاله ، فإن ظهر فيها خلل حكموا عليها بالضعف ، أو بشدة الضعف ، أو بالوضع .

إن الذين يذهبون إلى أن خبر الآحاد يفيد محتواه دون تأكيد نتساءل معهم : إذا طبقتم ذلك على الأحاديث النبوية فما فائدة هذه الشروط العظيمة التى اشترطها علماء الحديث ؟، وما فائدة هذه الجهود التى بذلها المحدثون حفاظاً على السنة ؟

إن حديث الآحاد ليس خبر آحاد مجرداً ، وإنما هو خبر آحاد مُمَحّص وحقق ، ودقق فيه ، وامتثلت الأمة فيه قول الله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا﴾[1] وفى قراءة ﴿فتثبتوا﴾ ، إنه خبر جاء عن طريق من جمع

---

(١) سورة الحجرات الآية ٦

بين الصلاح وقوة الحفظ ، فلا هو بالذى يكذب ، ولا هو بالذى يخلط ، وقورنت روايته بغيرها ، وتُحُقّق من سماعه ممن فوقه ، وتحقق من سماع كل راو ممن تحمل عنه .

إن خبر الآحاد الشرعى يختلف تماماً عن خبر الآحاد العادى ، فالشرعى اشترطت فيه شروط ترتقى به فوق خبر الآحاد العادى درجات ودرجات .

وإذا كان الأمر فى دائرة الحديث النبوى فالقول فيه لعلماء الحديث ، فاحترام التخصص مبدأ قوى فى العلم ، فهم الذين درسوا أقواله صلى الله عليه وسلم وأفعاله وتقريراته ، وصفاته ، ودرسوا أسانيدها وكل ما يتصل بها ، ومن ثم فإذا رمنا حكماً على هذه الأحاديث فلا كلام إلا لهؤلاء المحدثين ، وهم قد قالوا بحجية خبر الآحاد فى العقيدة والأحكام ، وعملوا بها فى كل أبواب الإسلام ، ولا يحق للمتكلمين أن يتدخلوا فى ذلك ، ولا يليق بالأصوليين أن يتحكموا فيما ليس لهم به علم .

أخرج الخطيب بإسناده عن الأوزاعى قال : كنا نسمع الحديث ، ونعرضه على أصحابنا كما نعرض الدرهم الزائف ، فما عرفوا منه أخذناه ، وما أنكروا منه تركناه [1] .

رحم الله الأوزاعى شيخ الإسلام ، الإمام الفقيه ، صاحب المذهب الذى شاع فى الشام والأندلس ، المتوفى سنة سبع وخمسين ومائة - فعلى الرغم من علمه الغزير إلا أنه يعرف لكل علم أهله ، فيعرض الحديث على الجهابذة من المحدثين ، فما اعترفوا بصحته عمل به ، وأفتى وِفْقَهُ ، وما طعنوا فيه ابتعد عنه .

• إنه الأوزاعى الإمام العالم الذى قال : كنا - والتابعون متوافرون - نقول : إن الله تعالى فوق عرشه ، ونؤمن بما وردت به السنة من صفاته [2] .

• وقال أيضاً : عليك بآثار من سلف ، وإن رفضك الناس ، وإياك ورأى الرجال وإن زخرفوه بالقول فإن الأمر ينجلى وأنت على طريق مستقيم .

---

(١) الكفاية ص ٦٠٥ .

(٢) ترجم له الذهبى فى تذكرة الحفاظ ١٧٨/١ والأثر الأول الذى فى العرش والصفات أخرجه البيهقى فى الأسماء والصفات ص ٥١٥ فى باب ما جاء فى «الرحمن على العرش استوى» .

• وقال : إذا بلغك عن رسول الله ﷺ حديث فإياك أن تقول بغيره فإنه كان مبلغاً عن الله .

وأخرج الخطيب بإسناده أيضاً عن الربيع بن خثيم[1] قال : إن من الحديث حديثاً له ضوء كضوء النهار نعرفه ، وإن من الحديث حديثاً له ظلمة كظلمة الليل ننكره[2] .

وأخرج ابن حبان بإسناده عن نعيم بن حماد قال : قلت لعبد الرحمن بن مهدى : كيف تعرف صحيح الحديث من خطئه ؟ فقال : كما يعرف الطبيب المجنون[3] .

قال ابن حبان : ولسنا نستجيز أن نحتج بخبر لا يصح من جهة النقل فى شيء من كتبنا ، ولأن فيما يصح من الأخبار بحمد الله ومنّه [ ما يغنى عن ][4] الاحتجاج فى الدين بما لا يصح منها .

ولو لم يكن الإسناد وطلب هذه الطائفة له لظهر فى هذه الأمة من تبديل الدين ما ظهر فى سائر الأمم ، وذاك أنه لم يكن أمة لنبى قط حفظت عليه الدين من التبديل ما حفظت هذه الأمة ، حتى لا يتهيأ أن يزاد فى سنة من سنن رسول الله ﷺ ألف ، ولا واو ، كما لا يتهيأ زيادة مثله فى القرآن ، فحفظت هذه الطائفة السنن على المسلمين ، وكثرت عنايتهم بأمر الدين ، ولولاهم لقال من شاء بما شاء[5] .

قال أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينورى : وليس لأمة من الأمم إسناد كإسنادهم ، يعنى هذه الأمة ، رجل عن رجل ، وثقة عن ثقة ، حتى يبلغ بذلك رسول الله ﷺ وصحابته ، فيبين بذلك الصحيح والسقيم ، والمتصل والمنقطع ، والمدلس والسليم[6] .

---

(١) تابعى ثقة ، تهذيب التهذيب ٢٤٢/٣ .
(٢) الكفاية ص ٦٠٥ ، والكامل ٦٩/١ .
(٣) المجروحين ٣٢/١ .
(٤) فى المطبوع ( يغنى عنا عن ) .
(٥) المجروحين ٢٥/١ .
(٦) تهذيب الكمال ١٦٦/١ .

إن رسول الله ﷺ قال : « لا تزال طائفة من أمتى منصورين لا يضرهم من خذلهم حتى تقوم الساعة » قال البخارى : قال على بن المدينى : هم أصحاب الحديث [1] .

هكذا فسر على بن المدينى شيخ البخارى حديث رسول الله ﷺ ، وأن الجماعة التى ستظل متمسكة بالإسلام كاملاً ، ومؤيدة بنصر الله إنما هم أهل الحديث الدارسين له ، العاملين به ، ومن نهج نهجهم ، وسار على دربهم .

وفى هذا المقام أذكر للحافظ ابن حجر كلمة كم أعجبتنى ، وأعتقد أنها تعجب كل عاقل منصف ، قال - يرحمه الله - والصفات العلية فى الرواة تقوم مقام العدد أو تزيد عليه [2] ا هـ .

هذا كلام دقيق ، فالصفات الكريمة التى اشترطها المحدثون فى الرواة أفضل من كثرة العدد المشترطة فى المتواتر . فهل نسوى بين كلام الصديق وكلام أى شخص آخر ؟ إن التواتر يُعنى فيه بكثرة العدد ، أما الخبر الشرعى فيعنى فيه بصفات من نقل الخبر .

ففى التواتر نَقَلَ الخبر أشخاص فيهم الكافر ، والماجن ، والمغفل ، وكل هذا لا عبرة به ما دام العدد قد كثر .

أما فى الخبر الشرعى فأشخاص عدول ، ضابطون ، وعليه فهؤلاء الأفاضل حملة العلم الشرعى يحصل اليقين بخبرهم أكثر مما يحصل بكثرة العدد من أناس لم تتوافر فيهم شروط الخبر الشرعى .

أأسوى بين خبر حمله الصديق ، أو الفاروق ، أو أُبى بن كعب ، أو حذيفة وبين خبر إنسان لا ورع له ، ولا حرص عنده !! فرق بين الثريا والثرى .

٢ - ومن خصائص الخبر الشرعى أيضاً : أن الأمة التى تلقته وعملت به ، إنما

---

(١) أخرجه الترمذى فى الفتن باب ما جاء فى أهل الشام ٤٣٣/٦ وقال : حسن صحيح .

(٢) فتح البارى ٢٠٣/١ أثناء شرحه لحديث أبى هريرة ، « ومن كذب على ... » فى كتاب العلم باب إثم من كذب على النبى ﷺ .

هى أمة معصومة ، لا يمكن أن يروج عليها كذب ولا أن تجتمع على باطل ، أمة حذر الله من مخالفة إجماعها فقال سبحانه : ﴿**ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا**﴾[1] فتوعد الله سبحانه وتعالى من يخالف طريق المؤمنين أن يصليه جهنم وما ذلك إلا أن الطريق الذى يجمعون عليه إنما هو الحق الذى يجب اتباعه ، وما عداه باطل يجب اجتنابه .

وبيَّن صلى الله عليه وسلم أن أمة الإسلام لا تجتمع على باطل ، فقال صلى الله عليه وسلم : « إن الله تعالى قد أجار أمتى من أن تجتمع على ضلالة »[2] إنها أمة لا يحيد علماؤها ولا يضلون ، وإنما هم موفقون للحق ، مهديون بهدى الله سبحانه وتعالى .

ومن هنا يتبين أن الخبر الشرعى الذى تلقته الأمة بالقبول لا يمكن أن يكون إلا حقاً ، والأمة هنا ممثلة فى المحدثين ، فإجماع كل أهل العلم هو إجماع الأمة ، فما أجمع المحدثون عليه ، وتلقوه بالقبول فإنه لا يكون إلا حقاً .

يقول الغزالى : تظاهرت الرواية عن رسول الله ﷺ بألفاظ مختلفة مع اتفاق المعنى فى عصمة هذه الأمة من الخطأ ، واشتهر على لسان المرموقين والثقات من الصحابة كعمر ، وابن مسعود ، وأبى سعيد الخدرى ، وأنس بن مالك ، وابن عمر ، وأبى هريرة ، وحذيفة بن اليمان ، وغيرهم ممن يطول ذكره ، من نحو قوله صلى الله عليه وسلم : « لا تجتمع أمتى على الضلالة » و « لم يكن الله ليجمع أمتى على

---

(١) سورة النساء الآية : ١١٥ .

(٢) أخرجه ابن أبى عاصم فى السنة ٤١/١ وقبله وبعده أحاديث تشهد له وذكره السخاوى فى المقاصد ص ٤٦٠ وخرجه من عدة طرق ، ثم قال : وبالجملة فهو حديث مشهور المتن ، ذو أسانيد كثيرة ، وشواهد متعددة فى المرفوع وغيره .

وعندى له تخريجات وشواهد لكنى أحيل على كتاب السنة لابن أبى عاصم ، فأحاديثه مخرجة ، وأنا حريص على عدم الطول ، لكنى ألفت النظر إلى الآيات القرآنية التى تقويه ، ومنها الآية التى سقتها هنا ، والشواهد التى أشار إليها السخاوى ، وللحافظ ابن حجر عليه كلام طيب فى التلخيص الحبير ١٤١/٣ ولقد نقل منه شارح الترمذى . راجع تحفة الأحوذى ٣٨٦/٦ ، وراجع تخريجه فى شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكانى ١٠٥/١ ح ١٥٣ ، ١٥٤ .

الضلالة » و « سألت الله تعالى أن لا يجمع أمتى على الضلالة فأعطانيها » و « من سره أن يسكن بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة فإن دعوتهم تحيط من وراءهم » و « إن الشيطان مع الواحد ، وهو من الاثنين أبعد » وقوله صلى الله عليه وسلم : « يد الله مع الجماعة ولا يبالى الله بشذوذ من شذ » و « لا تزال طائفة من أمتى على الحق ظاهرين لا يضرهم من خالفهم » وروى « لا يضرهم خلاف من خالفهم إلا ما أصابهم من لأواء » و « من خرج عن الجماعة أو فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه » و « من فارق الجماعة ومات فميتته جاهلية »[1] .

وهذه الأخبار لم تزل ظاهرة فى الصحابة والتابعين إلى زماننا هذا لم يدفعها أحد من أهل النقل من سلف الأمة وخلفها ، بل هى مقبولة من موافقى الأمة ومخالفيها ، ولم تزل الأمة تحتج بها فى أصول الدين وفروعه[2] .

ويقول ابن تيمية : ومن الحديث الصحيح ما تلقاه المسلمون بالقبول فعملوا به ، كما عملوا بحديث الغرة فى الجنين ، وكما عملوا بأحاديث الشفعة ، وأحاديث سجود السهو ، ونحو ذلك . فهذا يفيد العلم ، ويجزم بأنه صدق ؛ لأن الأمة تلقته بالقبول تصديقاً وعملاً بموجبه ، والأمة لا تجتمع على ضلالة ؛ فلو كان فى نفس الأمر كذبٌ لكانت الأمة قد اتفقت على تصديق الكذب ، والعمل به ، وهذا لا يجوز عليها .

ومن الصحيح ما تلقاه بالقبول والتصديق أهل العلم بالحديث كجمهور أحاديث البخارى ومسلم ، فإن جميع أهل العلم بالحديث يجزمون بصحة جمهور أحاديث الكتابين ، وسائر الناس تبع لهم فى معرفة الحديث ، فإجماع أهل العلم بالحديث على أن هذا الخبر صدق كإجماع الفقهاء على أن هذا الفعل حلال أو حرام أو واجب ، وإذا أجمع أهل العلم على شىء فسائر الأمة تبع لهم ، فإجماعهم معصوم لا يجوز أن يجمعوا على خطأ[3] .

---

(١) راجع التخريج السابق ، ففيه هذا الأحاديث وزيادة .

(٢) المستصفى للغزالى ٢٠١/١ المسلك الثانى لإثبات حجية الإجماع الذى هو الأصل الثالث من أصول الأدلة .

(٣) مجموع فتاوى ابن تيمية ج ١٨ ، ص ١٦ ، ١٧ .

٣ - ومن خصائص الخبر الشرعي أنه تكفل الله بحفظه ، فلا يمكن اختلاله ، ولا اعتلاله ، وإنما لابد من صحته واشتهاره ، فيشيع فى الأمة صحيحاً كما أوحاه الله ، واضحاً مفهوما ، لتقوم به حجة الله على خلقه .

إن النص الشرعي المروى عن رسول الله ﷺ من كتاب وسنة ، قد تكفل الله بحفظه ، يقيم به الحجة على خلقه ، فرسول الله ﷺ مقبوض وتقوم الحجة على الخلق بعده ببقاء الكتاب والسنة كما أوحاهما الله تبارك وتعالى إليه . قال تعالى : ﴿ **رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزاً حكيماً** ﴾[1] .

فالرسل حجة الله على خلقه ، ورسول الله محمد ﷺ حجة لله على الخلق منذ بعثته إلى قيام الساعة لأنه خاتم النبيين ، وهو صلى الله عليه وسلم قد تلقى نصوص الإسلام وحياً ، وتكفل ربنا تبارك وتعالى بحفظ هذا الوحى ، فقال سبحانه : ﴿ **إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون** ﴾[2] والذكر هو الوحى ، ويشمل القرآن والسنة .

ولو قال قائل : إن الذكر هو القرآن وحده ، فالجواب : إن القرآن نفسه بين أن الله وكل لرسوله بيان كتابه ، فقال سبحانه : ﴿ **وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم** ﴾[3] وضمان حفظ القرآن يقتضى حفظ بيانه ، فلا تقوم الحجة لله على خلقه إلا ببقاء الوحى كله محفوظاً ، وعليه فإن القرآن والسنة محفوظان بحفظ الله ، لا يدخلهما ما ليس منهما ، ولا يضيع منهما شيء .

ودليل آخر : فإن الله عصم رسوله ﷺ حفاظاً على الدين ، ومن باب سلامة الدين أيضاً فإنه سبحانه وتعالى يحفظ نصوص هذا الدين لتبقى سليمة كما أوحاها الله ، فكما عصم سبحانه نبيه أن يقصر أو يبدل فى دينه ، فإنه سبحانه يحفظ هذه النصوص تقوم بها الحجة على خلق الله إلى يوم القيامة ، وعليه فالنص الشرعي ليس

---

(١) سورة النساء الآية : ١٦٥ .
(٢) سورة الحجر الآية : ٩ .
(٣) سورة النحل الآية : ٤٤ .

كأى خبر ، وإنما هو نص مرعى من الله تبارك وتعالى يحفظه ما دامت الحياة [١] .

وقد عاقب الله الكاذبين على رسوله ﷺ بما جعلهم نكالاً وعبرة لغيرهم ، وما ذلك إلا حفظاً لدينه سبحانه وتعالى وسلامة لوحيه إلى رسوله ﷺ ، فقد روى أبو القاسم البغوى بإسناده عن بريدة عن أبيه قال : جاء رجل فى جانب المدينة فقال : إن رسول الله ﷺ أمرنى أن أحكم فيكم برأيى فى أموالكم ، وفى كذا وكذا ، وكان خطب امرأة منهم فى الجاهلية فأبوا أن يزوجوه ، ثم ذهب حتى نزل على المرأة فبعث القوم إلى رسول الله ﷺ فقال : كذب عدو الله ، ثم أرسل رجلاً فقال : إن وجدته حياً فاقتله وإن وجدته ميتاً فأحرقه بالنار ، فانطلق فوجده قد لدغ فمات فحرقه بالنار ، فعند ذلك قال النبى ﷺ : « من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار » .

وروى أبو بكر بن مردويه من حديث الوزعى عن أبى سلمة عن أسامة عن رسول الله ﷺ قال : « مَن تَقَوَّلَ على ما لم أقل فليتبوأ مقعده من النار » وذلك أنه بعث رجلاً فكذب عليه فوجد ميتاً قد انشق بطنه ولم تقبله الأرض [٢] .

إن الصحابة كانوا فى غاية الصدق ، فما أن حاول أحد أن يستغل هذا الجو الصافى لنزوة شخصية إلا نزلت عليه عقوبة الله وكشف الله أمره ، وأيضاً حفظ الله السنة فى كل الأعصار بكشف حال الكاذبين ، فعرفهم علماء الأمة وحذروا منهم .

قال سفيان بن عيينة : لو هَمّ الرجل أن يكذب فى الحديث وهو فى جوف بيت لأظهر الله عليه [٣] .

وقال عبد الله بن المبارك : لو هَمّ رجل فى البحر أن يكذب فى الحديث لأصبح والناس يقولون : فلان كذاب [٤] .

---

(١) راجع مختصر الصواعق ص ٥٣٤ ، والإحكام لابن حزم ١٢٨/١ .

(٢) ذكرهما ابن القيم فى مختصر الصواعق ص ٥٣٨ ، ٥٣٩ ، وحديث أسامة فى كنز العمال ٢٩٨/١٠ رقم ٢٩٤٩٩ وعزاه لابن النجار ، وقال : وفيه الوازع بن نافع ليس بثقة . وراجع مجمع الزوائد ١٤٥/١ .

(٣) المجروحين ٢٤/١ ، ٢٥ .

(٤) شرح الطحاوية ص ٣٠٧ .

وقيل لابن المبارك : هذه الأحاديث المصنوعة ؟ قال : تعيش لها الجهابذة ﴿ **إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون** ﴾ .

قال السخاوى – معقباً على كلام ابن المبارك – : ومن حفظه هتك من يكذب على رسول الله ﷺ [1] .

وواضح أن عبدالله بن المبارك يفهم من الآية أن الله تكفل بحفظ القرآن والسنة ، وأيضاً أنه من حفظ الله للسنة أن هيأ لها الأئمة الأعلام ، الحريصين عليها ، الباذلين النفس والنفيس من أجل الحفاظ عليها .

إن من عرف جهودهم التى بذلوها فى خدمة السنة ، اطمأن إلى سلامة السنة كل الاطمئنان ، وأيقن أن السنة عِلْمٌ قد خدم من كل ناحية ، وأن قول المحدثين إنما هو الحق الصراح ، والحقيقة التى لا يمارى فيها ، وأسوق مثالاً لذلك :

أخرج ابن عساكر عن ابن علية قال : أخذ هارون الرشيد زنديقاً [2] فأمر بضرب عنقه ، فقال له الزنديق : لم تضرب عنقى ؟ قال له : أريح العباد منك . قال : فأين أنت من ألف حديث وضعتها على رسول الله ﷺ كلها ما فيها حرف نطق به ؟ قال : فأين أنت يا عدو الله من أبى إسحاق الفزارى وعبدالله بن المبارك ينخلانها فيخرّجانها حرفاً حرفاً [3] ؟

إن هارون الرشيد خليفة عالم ، فطمأنه علمه أن عمل هذا الزنديق لا قيمة له ، فللسنة رجالها الذين أيدها الله بهم ، لا ينطلى عليهم زور ، ولا يخدعهم فجور ، ولقد ذكر الخليفة رجلين من أفضل علماء عصره ، فأبو إسحاق الفزارى : إبراهيم بن محمد بن الحارث إمام فى السنة والفقه ، اعترف له الكبار ، فقال ابن عيينة : والله ما رأيت أحداً أقدمه عليه . وقال العجلى : كان ثقة رجلاً صالحاً صاحب سنة ، وهو الذى أدب أهل الثغر [4] وعلمهم السنة ، وكان يأمر وينهى ، وإذا دخل الثغر رجل مبتدع أخرجه ، وكان كثير الحديث ، وكان له فقه [5] .

---

(١) فتح المغيث للسخاوى فى درس « الموضوع » ج ١ ، ص ٢٤١ .

(٢) الزنديق هو الكافر الذى يحرص عى إيذاء المسلمين فى دينهم أو دنياهم .

(٣) تاريخ الخلفاء ص ٢٩٣ ، وتذكرة الحفاظ ٢٧٣/١ ، وتهذيب التهذيب ١٥٢/١ .

(٤) ثغر المصيصة .

(٥) راجع تهذيب التهذيب ١٥١/١ ، ١٥٢، وتهذيب الكمال ١٦٩/٢ .

وعبد الله بن المبارك قال فيه الإمام أحمد بن حنبل : لم يكن فى زمان ابن المبارك أطلب للعلم منه .

وقال شعبة : ما قدم علينا مثل ابن المبارك .

وقال أبو إسحاق الفزارى : ابن المبارك إمام المسلمين .

كانت كتبه التى حدث بها نحوا من عشرين ألف حديث ، فقال له أبوه : لئن وجدت كتبك حرقتها . فقال : وما علىَّ ؟ هو فى صدرى . لقد أشفق عليه أبوه من كثرة الاجتهاد فى خدمة السنة ، لكن ابن المبارك ما كان يعتمد على الكتب ، فالعلم فى صدره قد كُتِب [1] .

رحم الله هارون الرشيد كان عالماً بالسنة وبرجالها ، يحب العلم وأهله ، ويكره المراء فى الدين ، ومن علمه أن الله سبحانه قد تكفل بحفظ أصول دينه الكتاب والسنة ، لتظل هذه النصوص مصدر الهداية لكل من أراد الاستقامة .

يقول صلى الله عليه وسلم : « إنى قد تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما : كتاب الله وسنتى ، ولن يفترقا حتى يردا على الحوض » [2] .

وقال صلى الله عليه وسلم : « وإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل بدعة ضلالة » [3] .

ينصحنا صلى الله عليه وسلم ويبين لنا أنه قد بلّغ دين الله ، نصوصاً محفوظة تتلى ، فيها الهداية ، وترسم الطريق القويم ، كما جاء فى حديث آخر : « ما من الأنبياء إلا أوتى ما عليه آمن البشر ، وإنما كان الذى أوتيته وحيا فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً » [4] بهذا الوحى المعجز ، تقوم حجة الله على الخلق ، وبهذا الوحى المحفوظ يظل طريق الهداية واضحاً .

---

(١) راجع فى ترجمته تذكرة الحفاظ ١/٢٧٤

(٢) أخرجه الحاكم فى العلم باب خطبته صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع ١/٩٣ ، والبيهقى فى الكبرى ١٠/١١٤ فى آداب القاضى باب ما يقضى به القاضى ، وأخرجه مالك فى الموطأ ص ٨٩٩ بلاغاً

(٣) عند الحاكم والبيهقى فى التخريج السابق وأخرجه ابن أبى عاصم فى السنة من عدة طرق ج ١ ، ص ١٧ - ٣٠

(٤) هو عند البخارى فى أول فضائل القرآن ٩/٣ ، وفى أول الاعتصام ١٣/٢٤٧ وعند مسلم فى الإيمان باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ إلى جميع الناس ١/١٣٤ .

وواضح من كلامه صلى الله عليه وسلم أنه لا يخاف على النصوص ، لا يخاف على القرآن والسنة تبديلاً أو عدماً ، وإنما يخاف علينا أن لا نتبع ، فيوصينا بالتمسك بهما ، والبعد عن الابتداع أو الترك .

وفى هذا الباب أحاديث كثيرة ، وكلها تدور حول الحث على التمسك بالكتاب والسنة ، والعمل بما كان عليه صلى الله عليه وسلم وصحابته الأبرار الأطهار .

فعن معاذ بن جبل أن رسول الله ﷺ لما بعثه إلى اليمن خرج معه يوصيه ، ثم التفت رسول الله ﷺ إلى المدينة فقال : « إن أهل بيتى هؤلاء يرون أنهم أولى الناس بى ، وليس كذلك ، إن أوليائى منكم المتقون ، من كانوا وحيث كانوا . اللهم إنى لا أحل لهم فساد ما أصلحت ، وايم الله لتكفأن أمتى عن دينها كما يكفأ الإناء فى البطحاء »[1] .

إن آله صلى الله عليه وسلم هم الصالحون ، إن أولى الناس به هم المتقون ، هم القدوة للناس كما كان صلى الله عليه وسلم قدوة ، هم المبينون للناس كما أنه صلى الله عليه وسلم بين[2] .

وهكذا فإن النص الإسلامى ليس كأى خبر ، وإنما هو محفوظ بحفظ الله ، عصم الرسول ﷺ فى تبليغه ، وعصمت السنة فى الحفاظ عليه ، وسيظل محفوظاً إلى قيام الساعة .

* * *

(١) أخرجه ابن أبى عاصم فى السنة باب بعد باب ذكر أطفال الكفار ٩٣/١ ج ٢١١ وقال مخرجه : إسناده صحيح ، رجاله كلهم ثقات ، ولم يعزه لأحد .

(٢) راجع الموافقات للشاطبى ٣٠٨/٣ الفصل الخامس فى البيان والإجمال المسألة الأولى والثانية .

## خبر الآحاد يفيد العلم والظن :

يشيع على ألسنة البعض من أهل زماننا أن خبر الآحاد يفيد الظن ، وربما أضافوا أن الظن منهى عن اتباعه فى غير ما آية ، وعليه فإنهم يذهبون إلى أن خبر الآحاد من الضعف بمكان ، وهذا الكلام كله خطأ .

فخبر الآحاد تقوم به الحجة ، ويجب العمل به ، وقد قدمت أدلة ذلك .

ولقد ظل الإجماع فى صدر الأمة على علو مكانة خبر الآحاد ، وأنه يفيد العلم ، ويجب العمل به ، ظل الإجماع على ذلك طوال العهد النبوى ، وعهد الصحابة ، وأجمع عليه التابعون وأئمة الإسلام ، حتى جاء المعتزلة والجهمية والرافضة والخوارج فحاد الكثيرون منهم عن هذا المنهج القويم ،وتبعهم بعض الأصوليين وبعض الفقهاء .

إن المتتبع للعلماء المتقدمين يجدهم على أن خبر الآحاد يفيد العلم ، وتقوم به الحجة ، ويجب العمل به . أما المتأخرون فكثير منهم على ذلك ، وخالف بعضهم ذلك متأثراً بفكر غريب على الأمة .

ومن أطرف الأدلة التى قرأتها فى إفادة خبر الواحد العلم قول الله تعالى : **﴿ يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين ﴾** فخبر العدل لو أخذنا به تصرفنا بعلم ، وأيضاً ففى الآية أمر بالتبين والتثبت - إذ فى قراءة حمزة والكسائى « فتثبتوا » - عند خبر الفاسق ، ومعناه أننا عند خبر العدل نكون متبينين ومتثبتين مما يدل على حجيته وإفادته العلم[1] .

يقول ابن تيمية : وأما القسم الثانى من الأخبار فهو ما لا يرويه إلا الواحد العدل ونحوه ، ولم يتواتر لفظه ولا معناه ، ولكن تلقته الأمة بالقبول عملاً به ، أو

---

(١) راجع تفسير القرطبى ٣١٢/١٦ ، ٣١٣ المسألة الثانية والسابعة فى تفسير هذه الآية والتى هى من سورة الحجرات رقم ٦

تصديقاً له كخبر عمر بن الخطاب « إنما الأعمال بالنيات » وخبر ابن عمر « نهى عن بيع الولاء وهبته » وخبر أنس « دخل مكة وعلى رأسه المغفر » وكخبر أبى هريرة « لا تنكح المرأة على عمتها ولا على خالتها » وكقوله « يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب » وقوله « إذا جلس بين شعبها الأربع ثم جهدها فقد وجب الغسل » وقوله - في المطلقة ثلاثاً - « حتى تذوقى عسيلته ويذوق عسيلتك » وقوله « لا يقبل الله صلاة أحدكم إذا أحدث حتى يتوضأ » وقوله : « إنما الولاء لمن أعتق » وقوله - يعنى ابن عمر - « فرض رسول الله ﷺ صدقة الفطر فى رمضان على الصغير والكبير والذكر والأنثى » وأمثال ذلك ، فهذا يفيد العلم اليقينى عند جماهير أمة محمد ﷺ من الأولين والآخرين .

أما السلف فلم يكن بينهم فى ذلك نزاع ، وأما الخلف فهذا مذهب الفقهاء الكبار من أصحاب الأئمة الأربعة ، والمسألة منقولة فى كتب الحنفية ، والمالكية ، والشافعية ، والحنبلية مثل : السرخسى ، وأبى بكر الرازى من الحنفية ، والشيخ أبى حامد وأبى الطيب ، والشيخ أبى إسحاق من الشافعية ؛ وابن خواز منداد وغيره من المالكية ، ومثل القاضى أبى يعلى ، وابن موسى ، وأبى الخطاب وغيرهم من الحنبلية [1] ، ومثل أبى إسحاق الاسفرايينى ، وابن فورك ، وأبى إسحاق النظام من المتكلمين .

وإنما نازع فى ذلك طائفة كابن الباقلانى ، ومن تابعه ؛ مثل أبى المعالى ، والغزالى ، وابن عقيل .

وقد ذكر أبو عمرو بن الصلاح القول الأول [2] وصححه واختاره ، ولكنه لم يعلم كثرة القائلين به ، ليتقوى بهم ، وإنما قاله بموجب الحجة الصحيحة ، وظن من اعترض عليه من المشايخ الذين لهم علم ودين ، وليس لهم بهذا الباب خبرة تامة أن هذا الذى قاله الشيخ أبو عمرو انفرد به عن الجمهور ، وعذرهم أنهم يرجعون فى هذه المسائل إلى ما يجدونه من كلام ابن الحاجب ، وإن ارتفعوا درجة صعدوا إلى سيف الآمدى ، وإلى ابن الخطيب ، فإن علا سندهم صعدوا إلى الغزالى ، والجوينى ،

---

(١) ذكر فى تدريب الراوى ١٣٣/١ أكثر من هذا .

(٢) وهو : إن خبر الآحاد يفيد العلم اليقينى .

والباقلانى . قال : وجميع أهل الحديث على ما ذكره الشيخ أبوعمرو ا هـ[1] .

وعلى الرغم مما اتضح من الكلام السابق من أن إجماع المتقدمين على إفادة خبر الواحد العلم ، وقول الكثير من المتأخرين بذلك ، إلا أننى أتعرض لما قاله بعض المتأخرين من إفادة خبر الواحد الظن .

**إفادة الظن :**

ورد الظن فى القرآن الكريم على أربعة أوجه :

فورد بمعنى : اليقين . وبمعنى : الشك . وبمعنى : التهمة . وبمعنى : الحسبان .

فالذى بمعنى **اليقين** فى عشرة مواضع منها : ﴿**الذين يظنون أنهم ملاقو ربهم**﴾[2] أى يوقنون أنهم ملاقو ربهم ، وقوله تعالى : ﴿**إنى ظننت أنى ملاق حسابيه**﴾[3] .

والذى بمعنى **الشك** فى مواضع منها : ﴿**إن نظن إلا ظناً وما نحن بمستيقنين**﴾[4] .

والذى بمعنى **التهمة** فكما فى قوله تعالى : ﴿**وظننتم ظن السوء**﴾[5] وقوله تعالى : ﴿**وما هو على الغيب بظنين**﴾ على قراءة الظاء ، أى ما محمد على ما أنزله الله إليهم بمتهم .

والذى بمعنى **الحسبان** فكما فى قوله تعالى : ﴿**إنه ظن أن لن يحور بلى**﴾[6] أى إنه حسب أن لن يرجع ، أى أن لن يبعث[7] .

وواضح من هذه الآيات أن لفظ « ظن » له عدة معانى ، إنه ليس بمعنى الشك

---

(١) إلى هنا من كلام ابن تيمية نقلاً عن مختصر الصواعق لابن القيم ص ٥٣٤ ، وراجع تدريب الراوى ١/١٣٠ .

(٢) سورة البقرة الآية : ٤٦ .

(٣) سورة الحاقة الآية : ٢٠ .

(٤) سورة الجاثية الآية : ٣٢ .

(٥) سورة الفتح الآية : ١٢ .

(٦) سورة الانشقاق الآيتان ١٤ ، ١٥ .

(٧) نقلاً عن كتاب «بصائر ذوى التمييز ٣/٥٤٥» وكتاب «الوجوه والنظائر» ٢/٦١ لكن باختصار شديد .

دائماً ، وإنما قد يأتى بمعنى اليقين ، فحينما يمدح الله عباده الصالحين هل يعقل أن يمدحهم بالشك فى الحساب والمعاد ؟ بدهى لا ، وعليه فالظن فى قوله تعالى ﴿ **واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين ۝ الذين يظنون أنهم ملاقو ربهم وأنهم إليه راجعون** ﴾[1] الظن هنا بمعنى اليقين ، وهو يختلف تماماً عن « ظن » بمعنى « شك » والتى فى قوله تعالى عن الكافرين ﴿ **وأما الذين كفروا أفلم تكن آياتى تتلى عليكم فاستكبرتم وكنتم قوماً مجرمين ۝ وإذا قيل إن وعد الله حق والساعة لا ريب فيها قلتم ما ندرى ما الساعة إن نظن إلا ظنًا وما نحن بمستيقنين** ﴾[2] لقد أكدوا معنى الظن ، وأنهم يشكون فى البعث بعد الموت ، وليسوا بمستيقنين .

فالفارق كبير وواضح فظن فى الآيتين الأولين بمعنى اليقين وفى الآيتين الأخيرتين بمعنى الشك ، وعليه فليس معنى الظن دائماً الشك .

وإذا أردنا المعنى الدقيق لكلمة « ظن » فإننا نجد أنها تدور على إدراك الطرف الراجح حتى قارب اليقين .

يقول الفيروزابادى : الظن : علم يحصل من مجرد أمارة ، ومتى قويت أدت إلى العلم ، ومتى ضعفت جداً لم يتجاوز حد التوهم[3] .

وأسوق نقولاً للزبيدى :

**الظن** : التردد الراجح بين طرفى الاعتقاد غير الجازم « أصل القاموس المحيط »

**الظن** : هو شك ويقين ، إلا أنه ليس بيقين عيان ، إنما هو يقين تدبر ، فأما يقين العيان فلا يقال له إلا علم « المحكم » .

**الظن** : يقين وشك .. « التهذيب » .

**الظن** : معروف ، وقد يوضع موضع العلم .. قاله الجوهرى .

---

(١) سورة البقرة الآيتان : ٤٥ ، ٤٦ .

(٢) سورة الجاثية الآيتان : ٣١ ، ٣٢ .

(٣) بصائر ذوى التمييز ص ٥٤٥ .

**الظن** : من الأضداد ، يعنى يستعمل بمعنى اليقين وبمعنى الشك .. شروح الفصيح[1] . ونقل في لسان العرب عن الجوهرى أيضاً أنه قال :

وقد يجئ الظن بمعنى العلم ، وفى حديث أسيد بن حضير « وظننا أن لم يجد عليهما » أى علمنا . وفى حديث عبيدة : قال أنس سألته عن قوله تعالى ﴿**أو لامستم النساء**﴾ فأشار بيده ، فظننت ما قال . أى علمت[2] .

ويقول أبو هلال العسكرى :

**الظن** : رجحان أحد طرفى التجويز ، والشك استواء طرفى التجويز .

ويقول أيضاً :

**الظن** : قوة المعنى فى النفس من غير بلوغ حال الثقة الثابتة . والشك وقوف بين النقيضين من غير تقوية أحدهما على الآخر[3] .

وواضح من هذه النقول أن الظن ليس شكا ، وإنما هو ترجح أحد الطرفين ، فحينما يقول أحد العلماء : إن خبر الواحد يفيد الظن . فمعناه أنه يترجح عنده ماحكاه عن رسول الله ﷺ ، فإذا انضاف إلى ذلك قرائن أخرى ارتقى من الظن إلى العلم ، فإذا ثبت ضبط الراوى وعدالته ارتقى إلى العلم ، وإذا تلقته الأمة بالقبول فهذا يفيد العلم ، وإذا قبله علماء الحديث فهذا يفيد العلم .

بل إننى أقول : إن الأئمة الذين أطلقوا هذا المصطلح « خبر الآحاد يفيد الظن » و « إذا احتفَّ خبر الآحاد بقرينة أفاد العلم » هؤلاء كانوا فى غاية الدقة اللفظية .

والذين قالوا إنه يفيد العلم فبناء على ما احتف به من قرائن .

إن خبر الواحد مجرداً يفيد ما يقارب العلم ، فإنه خبر مسلم صادق ، فإذا انضاف إلى ذلك أنه ضابط فإنه يفيد العلم ، وعليه فلا خلاف بين القائلين بإفادة العلم ، والقائلين بإفادة الظن .

---

(١) تاج العروس ٢٧١/٩ .

(٢) لسان العرب مادة ظنن ٢٧٦٣/٤ العمود الأول .

(٣) الفروق فى اللغة ص ٩١ .

هذا ومما ينبغى أن يعلم فى هذه القضية أن كل علماء الإسلام يُجمعون على أن خبر الواحد يجب العمل به ، والخلاف فى ما يفيده هذا الخبر ، فيرى بعضهم أنه يفيد العلم ، ويرى بعضهم أنه يفيد الظن الذى هو ترجح أحد الطرفين وهذا يجب العمل به فى العقائد والأحكام ، وعليه فالخلاف بينهم لا يؤثر على العمل ، وهو خلاف فى شعرة رقيقة .

* * *

والأمة مجمعة فى عهد الصحابة والتابعين على حجية خبر الآحاد ، وأنه يجب العمل به ، والأدلة على ذلك مستفيضة من العقل والكتاب والسنة والإجماع :

إلا أنه حدث فى المائة الثانية أن ظهر أناس يخالفون هذا الإجماع ويقولون : إن خبر الواحد لا يجب العمل به .

عزا هذا القول إمام الحرمين الجوينى إلى طوائف من الرافضة وقال : ومال إليه بعض المعتزلة [1] أما الشوكانى فقال : ذهب الجمهور إلى وجوب العمل بخبر الواحد ، وأنه وقع التعبد به ، وقال القاسانى والرافضة وابن داود لايجب العمل به . وحكاه الماوردى عن الأصم وابن علية وقالا لا يقبل خبر الواحد فى السنن والديانات ويقبل فى غيره من أدلة الشرع .

وحكى الجوينى فى شرح الرسالة عن هشام والنظام أنه لا يقبل خبر الواحد إلا بعد قرينة تنضم إليه وهو علم الضرورة بأن يخلق الله فى قلبه ضرورة الصدق .

وقال : وإليه ذهب أبو الحسين بن اللبان الفرضى . قال بعد حكاية هذا عنه فإن تاب فالله يرحمه وإلا فهو مسألة التكفير لأنه إجماع فمن أنكره يكفر [2] .

وواضح من كلام الجوينى والشوكانى أن القائلين بعدم وجوب العمل بخبر

---

(١) البرهان ١/٥٩٩ ، ٦٠٠ .

(٢) إرشاد الفحول ص ٤٦ .

الآحاد إنما هم قلة ، وهم مخالفون الإجماع . ولقد ذكر الجوينى أدلتهم وردها وأقام الدليل على أن خبر الواحد قد ألزمنا الشرع بالعمل به . أما الشوكانى فإنه ذكر أدلة وجوب العمل بخبر الآحاد من العقل ومن الكتاب والسنة ، ومن الإجماع ، ونقل عن ابن دقيق العيد قوله : ومن تتبع أخبار النبى ﷺ والصحابة والتابعين وجمهور الأمة ماعدا هذه الفرقة اليسيرة علم ذلك قطعاً .

ثم قال الشوكانى : وعلى الجملة ، فلم يأت من خالف فى العمل بخبر الواحد بشىء يصلح للتمسك به[1] .

وهذا الموقف من الشوكانى يكفينى فى هذه القضية ، فأرى أن أدلتهم لا تحتاج إلى إيراد ورد ، اللهم إلا طائفة منهم قالت : إن خبر الواحد يفيد الظن ، ثم فسروا الظن بالشك ، فهؤلاء هم الذين أرد عليهم .

* * *

(١) إرشاد الفحول ص ٤٧ .

## شبهات على الآحاد وردها :

### ١ - إفادته الظن :

إن الذين يقللون من شأن خبر الآحاد ، وأنه ليس حجة ، وأنه يفيد الظن ، وقد نعى الله على أهل الظن فقال : ﴿ **وما يتبع أكثرهم إلا ظنا إن الظن لا يغنى من الحق شيئاً** ﴾ (١) وقال سبحانه : ﴿ **إن يتبعون إلا الظن وإن الظن لا يغنى من الحق شيئاً** ﴾ (٢) إننا نقول لهم مقولتين :

**المقولة الأولى : الظن غير الشك** : إننا نقول لهم : لماذا حملتم « الظن » على الشك ، وأنه مذموم ؟ إن الظن قد يطلق بمعنى اليقين كما سبق أن ذكرت ، كما فى قوله تعالى فى وصف الصالحين : ﴿ **الذين يظنون أنهم ملاقو ربهم** ﴾ (٣) و ﴿ **قال الذين يظنون أنهم ملاقو الله** ﴾ (٤) وفى وصف أصحاب اليمين ﴿ **إنى ظننت أنى ملاق حسابيه** ﴾ (٥) إن الظن فى هذه الآيات بمعنى اليقين ، لكنه يقين التدبر ، أى اليقين الذى نتج عن استدلال ، وهو هنا صفة مدح عظيمة ، وعليه فلا يصح لكم أن تقللوا من شأن خبر الآحاد بناء على ذلك ، بل إن إطلاق أنه يفيد الظن بمعنى العلم الناتج عن دراسة هذا أمر يعلى قدر خبر الآحاد ، إنه لا يصلح لكم أن تستدلوا بالقرآن على ذم خبر الآحاد .

وتبقى اللغة ، وهى تفيد ما سبق أن ذكرته ، وأن الظن يختلف عن الشك وأنه علم يحصل بأمارات ، وخبر الآحاد فيه الكثير من الأمارات والعلم حاصل به .

ولقد رد الشوكانى هذه الشبهة ردًّا يختلف عما ذهبت إليه ، لكنه رد وجيه فأذكره ، قال : قال ابن السمعانى واختلفوا - يعنى القائلين بعدم وجوب العمل بخبر الواحد - فى المانع من القبول ، فقيل منع منه العقل ، وينسب إلى ابن علية

---

(١) سورة يونس الآية : ٣٦ .
(٢) سورة النجم الآية : ٢٨ .
(٣) سورة البقرة الآية : ٤٦ .
(٤) سورة البقرة الآية : ٢٤٩ .
(٥) سورة الحاقة الآية : ٢٠ .

والأصم . وقال القاسانى من أهل الظاهر والشيعة منع منه الشرع فقالوا إنه لا يفيد إلا الظن وإن الظن لا يغنى من الحق شيئاً ، ويجاب عن هذا بأنه عام مخصص بما ثبت فى الشريعة من العمل بأخبار الآحاد(1) .

**المقولة الثانية : الظن يفسره أهله ، أو فى ضوء العقل** : فإن الذى أطلق مصطلح « الظن » هو الذى يُسأل عن مراده ، وعليه فلنسأل علماء الإسلام عن معنى الظن الذى يفيده خبر الآحاد ، وهم ما بين قائل بأن خبر الآحاد يفيد العلم ، وقائل بأن خبر الآحاد يفيد الظن ، وهؤلاء القائلون بالظن إنما يفسرونه بأنه إدراك الطرف الراجح أى إنه أقل من العلم بقليل بحيث إذا أضيفت إليه قرينة ارتقى إلى العلم ، وعليه فلا يليق لصاحب فكر معتدل أن يقول : إن الظن هنا هو الشك ، لأن هذا المصطلح يرجع فيه لأهله .

وأمر آخر : إن القول بأن خبر الآحاد يفيد الشك قول لا يقبله عقل ، ذلك أن الشك استواء طرفى التجويز ، فحينما يقول لك أحد العامة : تُرى هل أمرنا رسول الله ﷺ أن نعزم فى الدعاء؟ فهنا يكون الشك ، فيجوز أن يكون رسول الله ﷺ قاله ، ويجوز أنه لم يقله . أما حينما يقول لك أحد العلماء : إن رسول الله ﷺ قال : « لا يقل أحدكم إذا دعا : اللهم اغفر لى إن شئت . اللهم ارحمنى إن شئت ، ليعزم المسألة ، فإنه لا مكره له »(2) .

فإنك ترتقى من درجة الشك ويصبح الأرجح عندك أنه صلى الله عليه وسلم قاله ، فإذا كنت تعرف القائل بأنه من المهتمين بسنة رسول الله ﷺ ، وله باع طويل فى دراستها والعكوف عليها فبدهى أن اطمئنانك سيزيد .

أما حينما يرويه لك بالإسناد ويقول : هذا الحديث أخرجه مالك فى موطئه عن أبى الزناد ، عن الأعرج ، عن أبى هريرة عن رسول الله ﷺ ، وأنت تعلم منه أنه من أهل الدراية بكل راو من هؤلاء ، وله إسناده إلى الإمام مالك فلا أظن إلا أنك ستعترف بأن حالك يختلف كثيراً عن حالك حينما سمعته من العامى ، فلقد

---

(1) إرشاد الفحول ص ٤٦ .

(2) أخرجه مالك فى كتاب القرآن من موطئه باب ما جاء فى الدعاء ٢١٣/١ وهو عند البخارى ومسلم .

وصلت الآن إلى درجة اليقين فإنه خبر آحاد ، لكنه فى دائرة السنة ، المحوطة بعناية الله سبحانه ، وجهد الأمة ممثلاً فى جهود علماء الحديث ، فمن احترم عقله لم يقل بإفادة خبر الآحاد الظن بمعنى الشك .

**٢ - خبر الآحاد لا يفيد العلم :**

وإذا كان قد ثبت أن الأمة مجمعة على قبول خبر الآحاد ، سواء قلنا إنه يفيد العلم ، أو يفيد الظن الذى هو مرحلة قريبة من العلم قرباً قوياً ، وأيضاً الأمة مجمعة على وجوب العمل بخبر الواحد ، فإنه يبقى هنا أن أورد شبهة يثيرها أعداء الإسلام وأعداء السنة وأجيب عليها ، وبخاصة أن هذه الشبهة يقوونها بإيراد آيات قرآنية فيها وهى :

قالوا : خبر الآحاد لا يفيد العلم والله تعالى يقول : ﴿ **ولا تقف ما ليس لك به علم** ﴾[1] ويقول : ﴿**قل إنما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغى بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً ، وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون** ﴾[2] قالوا : وعليه فلا يجوز العمل بخبر الآحاد فقد نهينا عنه .

**والجواب** : هاتان الآيتان تشهدان لنا معشر أهل السنة القائلين بحجية خبر الآحاد ، وأنه يفيد العلم ، أو يفيد الظن بمعنى ترجح أن رسول الله قال هذا الحديث ، فإذا احتف بقرينة زاد الترجح فأصبح علماً ، ووجه ذلك - أنهما حجة لنا لا علينا - أن رسول الله ﷺ والأمة مأمورون باتباع العلم ، وقد اتبع صلى الله عليه وسلم خبر الواحد ، وعمل به سلف الأمة الأخيار ، فدل ذلك على أن خبر الواحد يفيد العلم ، وأنه يجب العمل به .

**٣ - الظن مذموم شرعاً :**

وقالوا : وقال الله تعالى : ﴿**إن الظن لا يغنى من الحق شيئاً**﴾[3] وقال : ﴿**إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى**﴾[4] .

قالوا : وخبر الآحاد يفيد الظن ، والظن مذموم شرعاً ، فلا يجوز أن نعمل بخبر الآحاد .

---

(١) سورة الأعراف الآية : ٣٣ .
(٢) سورة الإسراء الآية : ٣٦ .
(٣) سورة النجم الآية : ٢٨ .
(٤) سورة النجم الآية : ٢٣ .

**والجواب** : الظن منه ما هو مذموم ، ومنه ما هو محمود ، وظن الآحاد من الثانى ، فقد سبق أن أبنت أن خبر الآحاد يفيد الظن بمعنى إدراك الطرف الراجح ، فخبر الآحاد المقبول عند المحدثين يورثهم اطمئناناً بصحة الخبر ، فإذا أضيفت لذلك قرينة ارتقى لدرجة العلم .

أما الظن المذموم فى الآيات فهو بمعنى الشك ، والتهمة ، وخبر الآحاد لا يفيد شكاً ولا تهمة كما سبق أن بينت فى الفارق بين الشك واليقين .

واعلم أن القائلين بهذه الشبهة ليسوا من أئمة الإسلام ولا من العلماء ، فلا قيمة لرأيهم ، وإنما حرصت أن أرد على هذه الشبهة لأن أعداء الإسلام المعاصرين يرددونها [1] .

وإنى أتساءل : من الظانُّ بمعنى الشاك ؟ أهل السنة العاملون بخبر الآحاد ، أم الرافضون لخبر الآحاد ؟

إن أهل السنة يتبعون خبر المسلم العدل الصادق صاحب الذاكرة القوية ، أو الكتاب المضبوط وفق أحسن وأدق القواعد العلمية . إننا نتبع الأحاديث التى اجتهد علماء الأمة فى ضبطها وتحريرها حتى ارتحل الصحابى من المدينة إلى مصر من أجل أن يذاكر حديثاً مع صحابى فى مصر ، كانا قد سمعاه من رسول الله ﷺ ، وارتحل صحابى آخر من المدينة إلى الشام لنفس الغرض ، وأى راو فيه شىء من الخلط أو الغفلة بينوه ، وأى راو فيمن بعد ذلك فيه جرح جرحوه ، فوصلت الأحاديث لنا بطريق الثقات الأثبات ، لا تتعارض مع القرآن ولا مع بعضها . أيقال بعد هذا : إننا نتبع الظن ؟ ﴿ **كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا** ﴾ [2] .

إنهم هم الذين يتبعون الظن ، إنهم يشكون أن يكون هذا الراوى العدل الضابط الذى وافقه غيره ، ووافقت روايته الآيات القرآنية والأحاديث النبوية قَدْ سها ، أو غلط ، أو كذب !! ومن شك فى مثل هذا فهو الذى يقال فيه : ﴿ **إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى** ﴾ [3] .

---

(1) وراجع الإحكام لابن حزم ص ١١٤ ، ١١٥ ، ١٢٥ ففيه زيادة ، وفى رده كفاية قوة .
(2) سورة الكهف الآية : ٥ . (3) سورة النجم الآية : ٢٣ .

قال ابن حزم : فإن قال قائل : الحديث قد يدخله السهو والغلط قيل له : إن كنت ممن يقول بخبر الواحد فاترك كل ما أخذت به منه ، فإنه فى قولك محتمل أن يكون دخل فيه السهو والغلط . وإن كنت مقلداً فاترك كل من قلدت ؛ فإن السهو والغلط قد يدخلان عليه بالضمان ، وقد يدخلان أيضاً فى الرواة عنهم الذين عنهم أخذت دينك ، وإلا فالرواة عن النبى ﷺ أوثق من الرواة عن مالك ، وأبى حنيفة نعم . ومن مالك وأبى حنيفة أنفسهما . وإن كنت ممن يبطل خبر الواحد جملة فقد أثبتنا بالبرهان وجوب قبوله ، وما ثبت بيقين فلا يبطل بخوف سهو لم يتيقن . والحق لا تسقطه الظنون . قال الله تعالى : ﴿ **إن الظن لا يغنى من الحق شيئاً** ﴾ [1] ولزمه أن يسقط القبول لشهادة الشاهدين فى الدماء والفروج والأموال ، إذ قد يدخل عليهما السهو والغلط ، وتعمد الكذب [2] .

**٤ – الظن لا يقبل فى الماليات فكيف يقبل فى الديانات ؟**

واعترض منكرو خبر الآحاد علينا فقالوا : إنكم لا تقبلون شهادة الواحد فى فلس فكيف تقبلون روايته المثبتة للشرائع ؟

**والجواب** : هذا تشريع ربنا ، فقد ثبت لدينا قبول خبر الواحد فى الديانات بالكتاب والسنة ، فوجب علينا قبوله والعمل به ، وليس من اللائق أن نعارض شريعة بشريعة ،ولا أن نعترض ، وإنما نقبل ونسلم ﴿ **إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون** ﴾ [3] ، ونحن نتساءل مع هؤلاء : ماذا تقولون فى شهادة رجلين على رجل قتل آخر فحل دمه قصاصاً . بينما لو شهد هذان الرجلان على أمة بالزنا مما يوجب جلدها خمسين جلدة لا تقبل شهادتهما ؟

إن مقتضى اعتراضكم يستلزم ألا يستباح الدم إلا بالشهود الكثيرين ، بينما هنا ثبت بالرجلين ، ولم يثبت رجم الأمة بهما فما تقولون [4] ؟

إن الأمر دين أوحاه الله إلى رسوله ، وعلى الأمة أن لا تعارض فالله سبحانه ﴿ **لا يُسأل عما يفعل وهم يسألون** ﴾ [5] .

---

(١) سورة النجم الآية : ٢٨ .
(٢) الإحكام ١٤٥/٢ .
(٣) سورة النور الآية : ٥١ .
(٤) راجع الإحكام لابن حزم ١١٥/١ .
(٥) سورة الأنبياء الآية : ٢٣ .

## توقف البعض فى أحاديث :

ومن حق قائل أن يقول : إن بعض الأئمة توقف عن العمل ببعض الأحاديث ، فما سر ذلك ، إذا كان يجب العمل بخبر الآحاد ؟

**والجواب** : إن أى فقيه ترك العمل بحديث فلا بد من مانع منعه ، والموانع متعددة منها :

١ – أن يكون عنده فى المسألة دليل أقوى منه ، بأن عارض الحديث فى فهمه آية من كتاب الله تعالى ، أو عارضه حديث أقوى منه ، ومن هذا حديث ابن عباس لما سئل عن الإقعاء[1] على القدمين فقال : هى السنة . فقيل له : إنا لنراه جفاء بالرجل !! فقال ابن عباس : بل هى سنة نبيك ﷺ [2] ، فهذا الحديث رأى بعض الأئمة قوة إسناده ، وأنه أخرجه مسلم فأخذوا به .

ورأى آخرون أن حديث على عن رسول الله ﷺ : « لا تُقْع بين السجدتين » أقوى بطرقه وشواهده فأخذوا به . فكل فريق درس الحديثين ، فترجح عند قوم الحديث الأول ، وترجح عند آخرين الحديث الثانى ، وكل آخذ بما ترجح عنده ، على أن فريقاً ثالثاً جمع بين الحديثين ، وبيَّن أن الإقعاء المسنون هو كما فسرته فى الهامش . أما الإقعاء المنهى عنه فهو جلوس الرجل على إليتيه ونصب فخذيه ، وهذا من معانى الإقعاء أيضاً .

ومن هذا النوع أخذ الإمام مالك بما كان عليه عمل أهل المدينة ، وترك الأحاديث التى تعارضهم ، لأنه يرى أن عمل أهل المدينة أقوى فى الثبوت من خبر الواحد ، فإنه قد روته جماعة وعملت به ، وحينما يأخذ مالك بعمل أهل المدينة ، لا يقال : إنه ترك خبر الآحاد ، وإنما يعمل به إلا إذا عارضه ما هو أقوى منه ، وهذا شأن المحدثين جميعاً إذا تعارض عندهم خبران أخذوا بالأقوى .

---

(١) الإقعاء له عدة معان ، منها أن يجعل إليتيه على عقبيه بين السجدتين ، وهذا هو المراد هنا .

(٢) أخرجه مسلم فى المساجد باب جواز الإقعاء على القدمين ١/ ٣٨٠ ، وراجع المغنى لابن قدامة ٢/٢٠٦ .

٢ - أن يكون الحديث لم يبلغه ، فحينما قال عمر : لا ترث المرأة من دية زوجها شيئاً كان لم يبلغه أن رسول الله ﷺ كتب إلى الضحاك بن سفيان أن يورث امرأة أشيم الضبابى من ديته ، فلما أخبره الضحاك بذلك رجع عمر عن قوله إلى حديث رسول الله ﷺ [1] .

ومن هذا الباب أيضاً ترك أبى حنيفة حديث : « لا يقتل مسلم بكافر » فإنه لم يبلغه ، ومن هنا أخذ به صاحبه زفر .

وأبو حنيفة هذا هو القائل : كذب والله وافترى علينا من يقول : إننا نقدم القياس على النص ، وهل يحتاج بعد النص إلى قياس [2] ، وهو القائل أيضاً : ما جاء عن الرسول ﷺ فعلى الرأس والعين [3] ، وهو القائل أيضاً : البول فى المسجد أحسن من بعض القياس [4] .

٣ - وقد يترك الإمام من الأئمة الحديث لضعف فيه ، فإذا وجد أحد رجال الإسناد ضعيفاً ، أو وجد فى الإسناد انقطاعاً ، أو اطلع فيه على علة فإنه يترك الحديث لضعفه ، لا لأنه لا يعمل بخبر الآحاد .

ومن ذلك الذى يرويه ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال للعباس بن عبد المطلب : « يا عباس ، يا عماه ألا أعطيك ؛ ألا أمنحك ، ألا أحبوك ، ألا أفعل بك عشر خصال إذا أنت فعلت ذلك غفر الله لك ذنبك ، أوله وآخره ، قديمه وحديثه ، خطأه وعمده ، صغيره وكبيره ، سره وعلانيته عشر خصال ، أن تصلى أربع ركعات تقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب وسورة ، فإذا فرغت من القراءة فى أول ركعة وأنت قائم قلت : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر خمس عشرة مرة ، ثم تركع فتقولها وأنت راكع عشراً ، ثم ترفع رأسك من الركوع فتقولها عشراً ، ثم تهوى ساجداً فتقولها وأنت ساجد عشراً ، ثم ترفع رأسك من السجود فتقولها عشراً ، ثم تسجد فتقولها عشراً ، ثم ترفع رأسك فتقولها

---

(١) راجع الرسالة للشافعى ص ١٨٤ فقرة ١١٧٢ ، ولقد ذكر ابن حزم كثيراً من ذلك كتاب « الإحكام » ٢/١٢٤ .

(٢) الميزان للشعرانى ص ٥١ .

(٣) ، (٤) سير أعلام النبلاء ٦/٤٠١ .

عشراً ، فذلك خمس وسبعون فى كل ركعة ، تفعل ذلك فى أربع ركعات ، إن استطعت أن تصليها فى كل يوم مرة فافعل ، فإن لم تفعل ففى كل جمعة مرة ، فإن لم تفعل ففى كل شهر مرة ، فإن لم تفعل ففى كل سنة مرة ، فإن لم تفعل ففى عمرك مرة »[1] .

فهذا الحديث صححه بعض الأئمة وعملوا به ، فأخرجه ابن خزيمة فى صحيحه ، وابن حبان في صحيحه ، والحاكم فى مستدركه ، والبيهقى ، وألَّف ابن منده فى تصحيحه كتاباً ، وصححه الآجرى ، وقال الديلمى فى مسند الفردوس : صلاة التسبيح أشهر الصلوات وأصحها إسناداً ، وكان ابن المبارك وغيره من أهل العلم يصلون صلاة التسبيح هذه [2] .

فى نفس الوقت نجد الإمام أحمد بن حنبل يُسأل عنها ، فيقول : ما تعجبنى قيل له : لم ؟ قال : ليس فيها شىء يصح ، ونفض يده كالمنكر[3] . إنه إمام له رأيه فى تصحيح الأحاديث وتضعيفها ، وله رأيه فى الرجال والأسانيد ، فيرى أنه لم يثبت فى صلاة التسبيح شىء ، فمن هنا أنكرها معللاً أنه ليس فيها شىء يصح .

ولقد شاركه فى هذا بعض الأئمة ، فقال الترمذى بعد أن أخرج حديث أبى رافع ، وحديث أنس قال : قد روى عن النبى ﷺ غير حديث فى صلاة التسبيح ولا يصح منه كبير شىء [4] .

وقال أبو جعفر العقيلى : ليس فى صلاة التسبيح حديث يثبت .

وقال أبو بكر بن العربى : ليس فيها حديث صحيح ولا حسن .

وذكر ابن الجوزى حديث التسبيح فى الموضوعات .

وعليه فالإمام أحمد لا ينكر العمل بالحديث ، وإنما لم يعمل به ، لأنه عنده لم يصل إلى درجة الاحتجاج .

---

(١) أخرجه أبو داود فى كتاب التطوع باب صلاة التسبيح ١٧٦/٤ عون المعبود .
(٢) راجع عون المعبود ١٧٧/٤ - ١٨٣ .
(٣) المغنى ٥٥١/٢ .
(٤) راجع سنن الترمذى مع تحفة الأحوزى ٥٩٧/٢ .

٤ – ومن أسباب ترك العمل بحديث : أن يكون الحديث له معنيان ، فيأتى إمام فيأخذ بأحد المعنيين ، ويترك المعنى الثانى ، فيظن من لا خبرة له أنه لم يعمل بالحديث ، ومن ذلك حديث « أنه صلى الله عليه وسلم نهى عن البُتَيراء » فإنه له معنيان هما :

١ – نهى صلى الله عليه وسلم أن يوتر بركعة واحدة .

٢ – ونهى صلى الله عليه وسلم أن يشرع فى ركعتين ، فيتم الأولى ويقطع الثانية [(١)] .

فمن أخذ من العلماء بالمعنى الثانى فإنه يجيز أن يوتر الإنسان بركعة واحدة ، فيظن من لا يعرف إلا المعنى الأول أن هذا العالم لم يأخذ بالحديث ، بينما هو قد أخذ به على معناه الثانى .

ومنه أيضاً حديث : « ذكاةُ الجنين ذكاةُ أمه » [(٢)] فمن قرأه برفع « ذكاة » الثانية وجعل « ذكاة » الأولى مبتدأ ، و « ذكاة » الثانية خبراً ، جعل الجنين لا يحتاج لذكاة مستقلة ، وإنما ذكاة أمة ذكاة له .

ومن قرأ الحديث بنصب « ذكاة » الثانية وجعل معنى الحديث ذكاة الجنين كذكاة أمه ، أو مثل ذكاة أمه ، من قال ذلك قال : إن الجنين لابد أن يذكى [(٣)] .

فمن اطلع على فتوى لإمام على الرأى الأول وهى أن الجنين لا يحتاج لذكاة مستقلة وكان يفهم الحديث على المعنى الثانى ظن الإمام لم يأخذ بالحديث ، وليس كذلك .

٥ – وقد يترك الإمام العمل بحديث من الأحاديث لوجود ناسخ له . فمثلاً حديث ابن عباس رضى الله عنهما « أن رسول الله ﷺ احتجم وهو صائم » [(٤)]

---

(١) النهاية ١/٩٣ .

(٢) أخرجه أبو داود فى الأضاحى باب ما جاء فى ذكاة الجنين ٨/٢٦ .

(٣) راجع عون المعبود ٨/٢٦ – ٢٩ .

(٤) أخرجه البخارى فى الصوم باب الحجامة والقيء للصائم ٣/٤٣ ، وأخرجه أبو داود ، والترمذى وغيرهم .

هذا الحديث لم يأخذ به الإمام أحمد ، لكنه لم يقل : إننى لا آخذ به لأنى لا أقبل أحاديث الآحاد ، لا ، إنه لم يقل ذلك وإنما وجد حديثاً يعارضه وهو حديث شداد ابن أوس أن رسول الله ﷺ قال : « أفطر الحاجم والمحجوم » [1] وحديث شداد فى رأى الإمام أحمد أقوى ، وقد جاء فى رواية لحديث ابن عباس ما يبين أن حديث شداد ناسخ له ، قال ابن عباس : « احتجم رسول الله ﷺ بالقاحة [2] بقرن وناب ، وهو محرم صائم ، فوجد لذلك ضعفاً شديداً ، فنهى رسول الله ﷺ أن يحتجم الصائم » [3] .

أما الإمام الشافعى فله منحى آخر ، فإنه راعى تاريخ الحديثين ، فثبت عنده أن حديث شداد كان زمن الفتح سنة ثمان ، وأن حديث ابن عباس كان فى حجة الوداع سنة عشر ، ومن هنا جعل حديث ابن عباس ناسخاً لحديث شداد ، ورأى أن العمل على حديث ابن عباس وهو أن الحجامة لا تفطر الصائم ، وكلام الشافعى فى غاية الدقة [4] .

وتأمل كلام الشافعى مرة أخرى عن الحديثين إذ يقول : وقد روى عن النبى ﷺ أنه قال : « أفطر الحاجم والمحجوم » وروى عنه « أنه احتجم صائماً » قال : ولا أعلم واحداً منهما ثابتاً ، ولو ثبت واحد منهما عن النبى ﷺ قلت به ، فكانت الحجة فى قوله [5] .

إن أحداً من الإمامين لم يقل لا أعمل بحديث كذا لأنه آحاد ، وإنما كل منهما يدرس ويبحث ، فأيما حديث ثبت له أنه الأقوى أخذ به ، وإذا ترجح عنده النسخ قال به ، ويراعيان عمل الصحابة والتابعين ، ويحققان ويدققان ليخرج الواحد منهم بالقول الفصل فى المسألة .

٦ - وقد يترك الإمام العمل بحديث من الأحاديث لغرض شرعى ، ومن ذلك

---

(١) أخرجه البخارى فى الصوم باب الحجامة والقىء للصائم معلقاً ٤٢/٣ وأخرجه أبو داود والترمذى وغيرهم .

(٢) اسم مكان بين المدينة ومكة .

(٣) أخرجه أبو إسحاق الجوزجانى ، وراجع المغنى لابن قدامة ٣٥١/٤ .

(٤) راجع اختلاف الحديث للشافعى باب الحجامة للصائم ج ٨ ، ص ٥٢٩ مع كتاب الأم .

(٥) الأم كتاب الصيام باب ما يفطر الصائم ٩٧/٢ ، وراجع السنن الكبرى للبيهقى ٢٦٣/٤ - ٢٦٩ .

ما فعله عثمان بن عفان رضى الله عنه ، فإنه أثناء الحج أتم الصلاة ، دفعه إلى ذلك وجود أناس حديثى عهد بالإسلام ، فلو صلى الظهر ركعتين ربما ظنوا أن هذا هو الأصل ، لا أنه قصر .

أخرج البيهقى بإسناده عن عثمان بن عفان أنه أتم الصلاة بمنى ثم خطب الناس فقال : يا أيها الناس إن السنة سنة رسول الله ﷺ وسنة صاحبيه ، ولكنه حدث طغام[1] من الناس فخفت أن يستنوا[2] .

إن عثمان لم يعرض عن النص ، وإنما راعى ظروف الموقف ، فخشى أن يصلى الظهر ركعتين فيظن من لا خبرة له ولا علم أن الظهر ركعتان ، وقد حدث شيء من هذا فعلاً ، فإن كان قد صلى الظهر ركعتين قصراً فى العام الذى قبل ذلك ، فظن البعض أن الظهر ركعتان ، فراح يصليها كذلك ، واعترض عليه ، فجاء فى هذا العام وقال لعثمان : يا أمير المؤمنين مازلت أصليها منذ رأيتك عام أول ركعتين[3] .

لقد كان عثمان يدرك أن السنة القصر ، وأنه رخصة ، وأن الله تبارك وتعالى يحب أن تؤتى رخصه ، إلا أنه خاف سوء فهم القلة ، فأتم ، فلا يظنن ظان أنه أعرض عن السنة ، وإنما أخذ بالأفقه .

* * *

لمثل هذه الأمور لا يعمل بعض الأئمة ببعض الأحاديث ، وهم بذلك ليسوا بخارجين عن العمل بخبر الآحاد ، وإنما يعملون به مع الدقة والتحقيق .

• يقول ابن حزم : ومن جاءه خبر عن رسول الله ﷺ يقر أنه صحيح ، وأن الحجة تقوم بمثله ، أو قد صحح مثل ذلك الخبر فى مكان آخر ، ثم ترك مثله فى هذا المكان لقياس ، أو لقول فلان وفلان ، فقد خالف أمر الله وأمر رسوله واستحق الفتنة والعذاب الأليم[4] .

• ويقول الشافعى : فلا يجوز عندى على عالم أن يثبت خبر واحد كثيراً ،

---

(١) بفتح الطاء والغين المعجمة كسحاب ، أوغاد الناس أى الحمقى .
(٢) ذكره فى الفتح البارى ٥٧١/٢ وعزاه للبيهقى وهو فى السنن الكبرى ١٤٤/٣ .
(٣) راجع فتح البارى ٥٧١/٢ .
(٤) الإحكام ١٠٢/١ .

ويحل به ويحرم ، ويرد مثله إلا من جهة أن يكون عنده حديث يخالفه ، أو يكون ما سمع ومن سمع منه أوثق عنده ممن حدثه خلافه ، أو يكون من حدثه ليس بحافظ ، أو يكون متهماً عنده ، أو يتهم من فوقه ممن حدثه ، أو يكون الحديث محتملاً معنيين ، فيتأول فيذهب إلى أحدهما دون الآخر (1) .

وقال الربيع : سمعت الشافعي وقد روى حديثاً فقال له بعض من حضر : تأخذ بهذا ؟ فقال : إذا رويت عن النبي ﷺ حديثاً صحيحاً فلم آخذ به فأنا أشهدكم أن عقلي قد ذهب ، ومد يديه (2) .

وقال الجنيد : الطرق كلها مسدودة على الخلق إلا على من اقتفى أثر الرسول ﷺ واتبع سنته ، ولزم طريقته ، فإن طرق الخيرات كلها مفتوحة عليه (3) .

وقال الأوزاعي : إذا بلغك عن رسول الله ﷺ حديث ، فإياك أن تقول بغيره فإنه كان مبلغاً عن الله (4) .

وقال ابن عبد البر : ليس لأحد من علماء الأمة يثبت حديثاً عن النبي ﷺ ثم يرده دون ادعاء نسخ عليه بأثر مثله ، أو بإجماع ، أو بعمل يجب على أصله الانقياد إليه أو طعن في سنده ، ولو فعل ذلك أحد سقطت عدالته ، فضلاً عن أن يتخذ إماماً ، ولزمه إثم الفسق (5) .

وقال الإمام أحمد : وضعت هذا الكتاب - المسند - إماماً ، إذا اختلف الناس في سنة رسول الله ﷺ رجع إليه (6) ، وقال أيضاً لابنه عبد الله : يا بني أنت تعرف طريقتي في الحديث ، لست أخاف ما فيه من ضعف إذا لم يكن في الباب شيء يدفعه (7) .

وذكر الشاطبي أن منكر العمل بخبر الآحاد مبتدع بدعة لا يقبل الله منه أي

---

(1) الرسالة ص ١٩٧ فقرة ١٢٥١ ، وبعد كتابة هذا الموضوع اطلعت على رسالة لابن تيمية بعنوان « رفع الملام عن الأئمة الأعلام » ومراده فيها أن أي عالم لا يترك حديثاً إلا لسبب ، وساق في ذلك عشرة أسباب ، أطال في بعضها كثيراً ، فراجع هذه الرسالة .

(2) ، (3) الفقيه والمتفقه ١٥٠/١ .

(4) تذكرة الحفاظ ١٨٠/١ .

(5) جامع بيان العلم ١٨٢/٢ .

(6) خصائص المسند .

(7) نقله شارح ثلاثيات المسند ٣٤/١ عن كتاب الفروسية المحمدية لابن القيم .

عمل معها ، لأنها أصل يتفرع عليه سائر الأعمال ، فإن عامة التكاليف مبنى عليه ، لأن الأمر إنما يرد على المكلف من كتاب الله أو من سنة رسوله ، وما تفرع منهما راجع إليهما ، فإن كان وارداً من السنة فمعظم نقل السنة بالآحاد ، بل قد أعوز أن يوجد حديث عن رسول الله ﷺ متواتراً [١] ، وإن كان وارداً من الكتاب فإنما تبينه السنة ، فكل ما لم يُبيَّن فى القرآن فلابد لمطرح نقل الآحاد أن يستعمل رأيه وهو الابتداع بعينه ، فيكون فرع ينبنى على ذلك بدعة لا يقبل منه شىء [٢] .

وبيَّن بعد ذلك أن منكر خبر الآحاد لا هو بالذى عمل بكتاب الله ، ولا هو بالذى عمل بسنة رسول الله ﷺ ، وإنما هو الذى بنى أعماله على رأيه [٣] ا هـ .

وهكذا فهم الأئمة أن منكر خبر الآحاد هو منكر للكتاب والسنة ، هو إنسان يعبد هواه ، ومثل هذا إذا كان من أهل العلم فإنه خطير على الأمة كما قال صلى الله عليه وسلم : « أخوف ما أخاف عليكم جدال المنافق عليم اللسان » [٤] .

وإنى إذ أورد هذه الكلمات عن هؤلاء الأئمة أستدل بها على عدم تركهم العمل بأى حديث إلا لمانع علمىّ دقيق ، وأنهم كانوا يعملون بكل ما ثبت عنه صلى الله عليه وسلم ، فإن عملهم فى خدمة السنة ، وكتبهم المتضمنة لهذه الجهود العلمية الرائعة تدل دلالة تفوق دلالة الكلمات على حبهم للسنة ، وتحريهم فيها ، وحرصهم على العمل بكل ما ثبت عنه صلى الله عليه وسلم ؛ فالإمام أحمد يعمل بكل أحاديث كتابه « المسند » ويعمل بالضعيف ، والذى يعادل الحسن ، يعمل بخبر الواحد ما دام قد ثبت .

إن الدارس لحياة المحدثين يطمئن كل الطمأنينة لثبوت السنة ، ووجوب العمل بها ، إنهم أدرى الناس بحديثه صلى الله عليه وسلم ، وأعلمهم بما ثبت ، وأعلمهم بما يستفاد منه ، فقولهم المصدق ، ورأيهم الذى يعول عليه .

---

(١) إن الشاطبى هنا يعنى بالمتواتر ما كان على مصطلح الأصوليين ، وتواتر لفظه .

(٢) الاعتصام ١٠٩/١ ، وراجعه فى هذا الموضع وغيره وبخاصة ٢٥٢/٢ ففيه خير كثير .

(٣) السابق ص ١١٠ .

(٤) أخرجه ابن حبان كما فى الإحسان كتاب العلم باب ذكر ما كان يتخوف صلى الله عليه وسلم على أمته جدال المنافق ٢٨١/١ .

## كثرة المتواتر فى السنة :

نسمع ونقرأ لبعض الناس يقولون : إن المتواتر قليل فى السنة ، وهذا قول خطأ أريد به باطل ، فإنهم يريدوْن بذلك تقليل حجم السنة ، حتى تتاح الفرصة لأهوائهم .

فالمتواتر فى السنة كثير ، بل وكثير جداً ، فإن الأمة تتناقل هذه الأحكام جيلاً بعد جيل ، نصوم كما صام آباؤنا ، ونتلقى أحكام الصيام عنهم ، ونقوم الليل كما قاموا ، ونصلى كما صلوا ، ونزكى كما زكوا ، ونحج كما حجوا ، ونعبد الله كما عبدوه وحده ، ونتوكل على الله متأسين بهم ، ونراعى حق الجار كما راعوا ، ونصل الأرحام كما كانوا ، وهم قد نقلوا ذلك عن آبائهم ، وآباؤهم عن أجدادهم ، وهكذا إلى الصحابة الذين تعلموا ذلك من رسول الله ﷺ الذى اصطفاه الله و أوحى إليه دينه . إن السنة تتناقل عبر الأجيال ، يرويها الخلف عن السلف واقعاً عملياً ، تزينه روح الإسلام والتى هى إخلاص العبادة لله ، وتُجمِّله العقيدة السليمة التى تدعو للخير ابتغاء رضوان الله .

إن الذين يقولون : إن السنة أخبار آحاد يتناسون أن السنة هدى نبوى تقتدى به الأمة ، وتتناقله جيلاً عن جيل ، فجيلنا قد تعلمنا الصلاة عن آبائنا ، وتعلمنا الصيام عنهم ، لا أقول العبادات فقط ، وإنما العقائد أيضاً ، فتعلمنا من آبائنا « لا إله إلا الله محمد رسول الله ، وتعلمنا منهم أن الله وحده المعبود بحق ، فلا نسجد لصنم ، ولا نسجد إلا لله ، وأيضاً تعلمنا من آبائنا الآداب والأخلاق من بر الوالدين ، وحقوق الجار إلى آخر ذلك من عقائد وعبادات وأخلاق ، ونحن بدورنا نعلمه أبناءنا ، فكل منا يحرص على أن يعلم ابنه « لا إله إلا الله محمد رسول الله » يعلمه ذلك أول ما ينطق ، ويعلمه العبادات وأخلاق الإسلام .

إننى لا أقول كما يقول البعض : إن السنن العملية المتفق عليها أكثرها متواتر . إننى أزيد على ذلك فأرى أن كل ما تتناقله الأجيال عن بعضها من عقائد وعبادات وأخلاق إنما هو متواتر تواتراً يعجز عنه العد ، فالمسلمون فى شرق الدنيا يعبدون الله كالمسلمين فى غربها وكالمسلمين فى كل مكان ، وفى كل زمان .

أمة تتناقل أصول دينها جيلاً عن جيل ، وما كُتُبُ السنة إلا مساعد نحفظ منه ما يحتاج إلى حفظ ،وندقق فلربما لفظ تغير ، إنها صمام الأمان ووسيلة الحفظ فى البداية .

إن السنة ليست ديوان شعر بعيد عن الحياة ، ولا قاموس كلمات لا يعرفه إلا من يهمه ، وإنما هى منهج نطبقه فى حياتنا صباح مساء ، فى كل يوم وفى كل ساعة ، فمثل هذا يفوق المتواتر ، ومحال عليه التغيير والضياع .

ومع ذلك فالمتواتر فى كتب السنة كثير ، فمعظم أحاديثها يفيد العلم ، وعليه فهو متواتر معنى ، ولا يغرنك ما يردده البعض من قلة المتواتر فى كتب السنة ، فنحن وإن كنا وأسلافنا لا نحرص على كثرة الرواة ، إلا أننا من باب إظهار الحقيقة نبين ، فإن الله قد أخذ العهد على أهل العلم أن يبينوا ، وبيان كثرة المتواتر يتلخص فى الأمور الآتية :

١ - كل ما تكاثرت أدلته فهو متواتر ، فالعبرة فى التواتر بكل خبر يدل على الأمر المبحوث عنه ، فإذا أردنا البحث عن شرعية صلاة الجماعة ، فإن كل حديث يبين فضلها يثبتها ، وكل حديث يحذر من تركها يثبتها ، وكل حديث فى صلاة الجماعة فى الحرب يثبتها ، وكل حديث فى سهو الإمام يثبتها ، وهكذا كل حديث ورد فيه شيء عن صلاة الجماعة يصبح مثبتاً لشرعيتها ، وما دامت هذه الأحاديث كثيرة وطرقها متعددة ، فإنها تفيد اليقين والعلم ، ويكون الخبر بها قد تواتر .

يقول الشاطبى : وإنما الأدلة المعتبرة هنا المستقرأة من جملة أدلة ظنية تضافرت على معنى واحد حتى أفادت فيه القطع ، فإن للاجتماع من القوة ما ليس للافتراق ، ولأجله أفاد التواتر القطع ، وهذا نوع منه ، فإذا حصل من استقراء أدلة المسألة مجموع يفيد العلم فهو الدليل المطلوب ، وهو شبيه بالتواتر المعنوى ، بل هو كالعلم بشجاعة على رضى الله عنه ، وجود حاتم المستفاد من كثرة الوقائع المنقولة عنهما [1] .

ويقول أيضاً : وإذا تكاثرت على الناظر الأدلة عَضَّد بعضها بعضاً ، فصارت بمجموعها مفيدة القطع ، فكذلك الأمر فى مآخذ الأدلة فى هذا الكتاب ، وهى مآخذ الأصول ، إلا أن المتقدمين من الأصوليين ربما تركوا ذكر هذا المعنى والتنبيه

---

(١) الموافقات ١/٣٦ .

عليه ، فحصل إغفاله من بعض المتأخرين ، فاستشكل الاستدلال بالآيات على حدتها ، وبالأحاديث على انفرادها ، إذ لم يأخذها مأخذ الاجتماع فَكَرَّ عليها بالاعتراض نصاً نصاً ، واستضعف الاستدلال بها على قواعد الأصول المراد منها القطع ، وهى إذا أخذت على هذا السبيل (1) غير مشكلة (2) .

وهكذا يوضح الشاطبى أن المعنى الذى يرد فى كثير من الأدلة يكون متواتراً معنوياً ، وليس بشرط للتواتر أن تكون النصوص متفقة فى الموضوع ، متحدة المعنى ، وإنما لو ورد نص فى الترغيب فى طاعة ، ونص فى الترهيب من تركها ، ونص فى كيفيتها ، فهذه النصوص كلها مثبتة لهذه الطاعة ، فلو كثرت أفادت تواتراً معنوياً ، وهذه القاعدة تجعل الكثير من أمور السنة متواتراً ، فإنك تجد فى الباب أحاديث كثيرة ، وأيضاً تجد فيها آثاراً كثيرة ، وكل هذا يؤكد المعنى ويجعله مفيداً العلم .

ومن أمثلة ذلك رفع اليدين فى الدعاء ، فليس فيه حديث كثرت طرقه كثرة تفيد التواتر ؛ وإنما وردت فيه أحاديث كثيرة بينها قدر مشترك هو رفع اليدين فى الدعاء ، فكل حديث منها ليس متواتراً ، وإنما المتواتر ما أجمعت عليه هذه الأحاديث ، وهو رفعه صلى الله عليه وسلم يديه فى الدعاء ، فهذا من المتواتر معنىً .

قال السيوطى : ومنه - أى المتواتر - ما تواتر معناه كأحاديث رفع اليدين فى الدعاء ؛ فقد ورد عنه صلى الله عليه وسلم نحو مائة حديث ، فيه رفع يديه فى الدعاء ، وقد جمعتها فى جزء لكنها فى قضايا مختلفة ، فكل قضية منها لم تتواتر ، والقدر المشترك فيها - وهو الرفع عند الدعاء - تواتر باعتبار المجموع (3) .

٢ - كل ما حكم المحدثون بإفادته القطع فهو متواتر ، ذلك أن العبرة فى كل علم بأهله : فالفقهاء مختصون بالحلال والحرام ، والمفسرون مختصون بأمور القرآن الكريم ، والمحدثون مختصون بالحديث النبوى الشريف ، فالقول فى أى أمر من أمور الحديث قولهم ، فإذا حكموا على حديث بالتواتر أو إفادة العلم ، فالقول قولهم ، ولا يحتاج الأمر لقول غيرهم .

---

(١) أى سبيل اجتماع الأدلة على المعنى المطلوب .
(٢) الموافقات ٣٧/١ .
(٣) تدريب الراوى ١٨٠/٢ .

إنهم أدرى الناس بحديث رسول الله ﷺ ، يعرفون طرق كل حديث [١] ، ويعرفون أحوال الرواة ، ومرويات كل واحد ، يعرفون اتصال الإسناد أو انقطاعه ، قارنوا المتون ببعضها ، وقارنوا الأسانيد ببعضها ، وتذاكروا ودرسوا أحوال كل حديث على انفراده ، سهروا الليالى ، وارتحلوا فجابوا العالم الإسلامى من أقصاه إلى أقصاه ، وتقابلوا وتكلموا فى كل ناحية من نواحى تخصصهم ، ومع كل ذلك امتثلوا كل ما فى السنة ، من عقيدة وشريعة ، من زهد وخلق ، فتعلموا ، وعملوا ، وعَلّموا .

إن من قرأ حياتهم ، وجهدهم وجهادهم أدرك منزلتهم ، وعرف قدرهم ، فهم العلماء بسنته صلى الله عليه وسلم ، فكلامهم هو المعتمد ، وكلام غيرهم لا يرقى فى هذا العلم إلى مستوى كلامهم .

قال ابن القيم : إن ما تلقاه أهل الحديث وعلماؤه بالقبول والتصديق فهو محصل للعلم ، مفيد لليقين ، ولا عبرة بمن عداهم من المتكلمين والأصوليين ، فإن الاعتبار فى الإجماع على كل أمر من الأمور الدينية بأهل العلم به دون غيرهم ، كما لم يعتبر فى الإجماع على الأحكام الشرعية إلا العلماء بها دون المتكلمين والنحاة والأطباء ، كذلك لا يعتبر فى الإجماع على صدق الحديث وعدم صدقه إلا أهل العلم بالحديث وطرقه ، وعلله ، وهم علماء الحديث العالمون بأحوال نبيهم ، الضابطون لأقواله وأفعاله ، المعتنون بها أشد من عناية المقلدين بأقوال متبوعيهم .

فكما أن العلم بالتواتر ينقسم إلى عام وخاص ، فيتواتر عند الخاصة ما لا يكون معلوماً لغيرهم فضلاً أن يتواتر عندهم ، فأهل الحديث لشدة عنايتهم بسنة نبيهم ، وضبطهم لأقواله وأفعاله وأحواله يعلمون من ذلك علماً لا يشكون فيه مما لا شعور لغيرهم به ألبتة [٢] .

---

(١) وربما جمعوا للحديث الواحد مائة طريق ، قال الحافظ ابن حجر - تعليقاً على حديث : « ومن كذب علىّ فليتبوأ مقعده من النار » كتاب العلم باب إثم من كذب على النبى ﷺ ٢٠٣/١ - وقد جمع طرقه ابن الجوزى فى مقدمة كتاب الموضوعات فجاوز التسعين ،وبذلك جزم ابن دحية ، وقال أبو موسى المدينى : يرويه نحو مائة من الصحابة ، وقد جمعها بعده الحافظان يوسف بن خليل ، وأبو على البكرى ، وهما متعاصران فوقع لكل منهما ما ليس عند الآخر ، وتحصل من مجموع ذلك كله رواية مائة من الصحابة على ما فصلته من صحيح وحسن وضعيف وساقط ، مع أنه فيها ما هو فى مطلق ذم الكذب عليه من غير تقييد بهذا الوعيد ، وقد جمع بعض المحدثين أجزاء فى مسألة من المسائل ، كما تقدم عن السيوطى فى جمع أحاديث رفع اليدين فى الدعاء ، وهو كثير عندهم .

(٢) الصواعق ص ٥٣٧ .

ويقول ابن تيمية : وعلماء الحديث يتواتر عندهم ما لا يتواتر عند غيرهم ؛ لكونهم سمعوا ما لم يسمع غيرهم ، وعلموا من أحوال النبى ﷺ ما لم يعلم غيرهم[1] .

ويقول ابن تيمية أيضاً : وخبر الواحد المتلقى بالقبول يوجب العلم عند جمهور العلماء من أصحاب أبى حنيفة ومالك والشافعى وأحمد ، وهو قول أكثر أصحاب الأشعرى كالأسفرايينى وابن فورك ، فإنه وإن كان فى نفسه لا يفيد إلا الظن لكن لما اقترن به إجماع أهل العلم بالحديث على تلقيه بالتصديق، كان بمنزلة إجماع أهل العلم بالفقه على حكم مستندين فى ذلك إلى ظاهر أو قياس أو خبر واحد ، فإن ذلك الحكم يصير قطعياً عند الجمهور ، وإن كان بدون الإجماع ليس بقطعى ، لأن الإجماع معصوم ، فأهل العلم بالأحكام الشرعية لا يجمعون على تحليل حرام ولا تحريم حلال ، كذلك أهل العلم بالحديث لا يجمعون على التصديق بكذب ، ولا التكذيب بصدق . وتارة يكون علم أحدهم لقرائن تحتف بالأخبار توجب لهم العلم ، ومن علم ما علموه حصل له من العلم ما حصل لهم[2] .

وهذا عندهم كثير شائع ، فكثير من الأحاديث حكموا بتواترها ، وكثير من الأحاديث أيقنوا بصحتها ، وهذه الكثرة كثيرة جداً شاملة لكل أحاديث أبواب الإسلام ، بكل تفصيلاتها ، وهذه نماذج لما حكموا بتواتره :

- حديث رؤية الله فى الآخرة .
- حديث الشفاعة .
- حديث الحوض عن نيّف وخمسين صحابياً .
- حديث الأئمة من قريش .
- حديث من بنى لله مسجداً ، من رواية عشرين .
- حديث المسح على الخفين عن سبعين صحابياً .
- حديث رفع اليدين فى الصلاة من رواية نحو خمسين صحابياً .
- حديث من كذب علىّ .

---

(١) مجموع الفتاوى ٦٩/١٨ .

(٢) مجموع الفتاوى ٤١/١٨ .

- حديث « نضر الله امرءًا سمع مقالتى فوعاها .. الحديث من رواية نحو ثلاثين .
- حديث « نزل القرآن على سبعة أحرف » . من رواية سبعة وعشرين صحابيًا .
- حديث « كل مسكر حرام » .
- حديث « بدأ الإسلام غريباً » .
- حديث سؤال منكر ونكير .
- حديث كل ميسر لما خلق له .
- حديث المرء مع من أحب .
- حديث إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة .
- حديث بشر المشائين فى الظلم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة [1] .

وللحافظ السيوطى كتاب « الفوائد المتكاثرة » جمع فيه أحاديث كثيرة مما روى عن عشرة من الصحابة فصاعدا ، ثم اختصره فى كتاب « الأزهار المتناثرة فى الأخبار المتواترة » وللكتانى كتاب « نظم المتناثر فى الحديث المتواتر » هذا فى الأحاديث التى كثر رواتها .

أما الأحاديث التى يقطعون بصحتها لأسباب غير كثرة الرواة فهى كثيرة جداً تطلب من كتب الصحيح ، كصحيح البخارى ، وصحيح مسلم ، وموطأ مالك ، وصحيح ابن خزيمة ، وصحيح ابن حبان ، ومستدرك الحاكم إلا ما تعقب فيه ، والمنتقى لابن الجارود ، وما حكم الأئمة بصحته ، وعملوا به واستنبطوا منه فى غير هذه الكتب من كتب السنة وهى كثيرة جداً .

٣ - كل ما تلقته الأمة بالقبول أفاد العلم : فكل حديث تلقته الأمة بالقبول تصديقاً له ، أو عملاً بموجبه فإنه يفيد العلم ، ويصل بدارسه إلى اليقين ، ذلك أن الأمة لا تجتمع على باطل ، وإنما اجتماعها يكون على الحق دائماً [2] .

إن جماهير السلف والخلف على هذا ، والعبرة فى ذلك برأى المحدثين ، فما تلقوه بالقبول والتصديق فهو فى معنى المتواتر يفيد العلم ، ويحصل به اليقين .

(١) راجع فتح البارى ٢٠٣/١ ، وقد تقدم ، وتدريب الراوى ١٧٩/٢ ، ١٨٠
(٢) راجع خصائص الخبر الشرعى ، وقد تقدم ص ٣٠٠ .

قال الشوكانى : واعلم أن الخلاف الذى ذكرناه فى أول هذا البحث من إفادة خبر الآحاد الظن أو العلم مقيد بما إذا كان خبر واحد لم ينضم إليه ما يقويه ، وأما إذا انضم إليه ما يقويه أو كان مشهوراً أو مستفيضاً فلا يجرى فيه الخلاف المذكور ، ولا نزاع فى أن خبر الواحد إذا وقع الإجماع على العمل بمقتضاه فإنه يفيد العلم ، لأن الإجماع عليه قد صيره من المعلوم صدقه . وهكذا خبر الواحد إذا تلقته الأمة بالقبول فكانوا بين عامل به ، ومتأول له ، ومن هذا القسم أحاديث صحيحى البخارى ومسلم ، فإن الأمة تلقت ما فيهما بالقبول ، ومن لم يعمل بالبعض من ذلك فقد أوله ، والتأويل فرع القبول[1] .

* ويقول ابن تيمية : الخبر الذى تلقاه الأئمة بالقبول تصديقاً له ، أو عملاً بموجبه يفيد العلم عند جماهير الخلف والسلف ، وهذا فى معنى المتواتر[2] .

٤ - كل ما احتف بالقرائن القوية فهو يفيد العلم : ذلك أن خبر الآحاد أحياناً تصاحبه قرينة أو قرائن تُعلى من قدره ، وتطمئن النفس إلى ثبوته ، فيفيد العلم شأن المتواتر . فمثلاً إذا كثر عدد المخبرين حتى انشرح الصدر واطمأن سُمِّىَ متواتراً وأفاد العلم ، فكذلك إذا روى الخبر أئمةٌ أعلام ، لهم من التحرى والتدقيق الباع الطويل ، والنظر الثاقب فإن الصدر أيضاً ينشرح ويطمئن ، ويصبح الخبر مفيدًا العلم .

يقول ابن حجر : وقد يقع فى أخبار الآحاد المنقسمة إلى : مشهور ، وعزيز ، وغريب ما يفيد العلم النظرى بالقرائن على المختار ، خلافاً لمن أبى ذلك ، والخلاف فى التحقيق لفظى ، لأن من جوَّز إطلاق العلم قيده بكونه نظرياً ، وهو الحاصل على الاستدلال ، ومن أبى الإطلاق خص لفظ العلم بالمتواتر ، وما عداه عنده كله ظنى ، لكنه لا ينفى أن ما احتف بالقرائن أرجح مما خلا عنها ، ثم ذكر عدة قرائن هى :

١ - ما أخرجه الشيخان فى صحيحيهما مما لم يبلغ حد المتواتر ، فإنه احتف به قرائن منها :

( أ ) جلالتهما فى هذا الشأن .

---

(١) إرشاد الفحول ص ٤٧ .

(٢) مجموع الفتاوى ٤٨/١٨ .

( ب ) وتقدمها فى تمييز الصحيح على غيرهما .
( ج ) وتلقى العلماء لكتابيهما بالقبول .

٢ - الحديث المشهور عند المحدثين إذا كانت له طرق متباينة سالمة من ضعف الرواة والعلل .

٣ - المسلسل بالأئمة الحفاظ المتقنين ، حديث لا يكون غريباً كالحديث الذى يرويه أحمد بن حنبل مثلاً ، ويشاركه فيه غيره ، عن الشافعى ويشاركه فيه غيره عن مالك بن أنس ، فإنه يفيد العلم عند سامعه بالاستدلال من جهة جلالة رواته ، وإن فيهم من الصفات اللائقة الموجبة للقبول ما يقوم مقام العدد الكثير من غيرهم .

ولا يتشكك من له أدنى ممارسة بالعلم وأخبار الناس أن مالكاً لو شافهه بخبر أنه صادق فيه ، فإذا انضاف إليه من هو فى تلك الدرجة ازداد قوة ، وبَعُد عما يخشى عليه من السهو .

وهذه الأنواع التى ذكرناها لا يحصل العلم بصدق الخبر منها إلا للعالم بالحديث المتبحر فيه ، العارف بأحوال الرواة ، المطلع على العلل ، وكون غيره لا يحصل له العلم بصدق ذلك لقصوره عن الأوصاف المذكورة لا ينفى حصول العلم للمتبحر المذكور[1] .

وواضح من كلام الحافظ ابن حجر أن القرائن تعلى قدر الحديث ، وتجعله مفيداً العلم ، ومن كلامه يستفاد أيضاً أن الذين يعرفون القرائن ويستفيدون بها هم أهل الحديث ، أما غيرهم فليس حجة عليهم ، وهذه المعانى قد قررتها قبل ذلك .

وهكذا يتضح لنا كثرة المتواتر فى السنة ، سواء ما تواتر بأحاديث كثيرة أجمعت عليه وإن كان بقدر منها ، أو حكم المحدثون بتواتره ، أو حكموا بإفادته القطع ، أو تلقته الأمة بالقبول ، أو احتف بقرينة قوية كإخراج أصحاب الصحيح له ، أو تسلسله بالأئمة الثقات . كل هذا يوضح أن المتواتر أو الذى يفيد العلم كالمتواتر إنما هو كثير في السنة جداً ، وهو الأصل فى نصوصها .

---

(١) شرح النخبة ص ٢٠ - ٢٧ .

ويقول ابن حجر : ومن أحسن ما يقرر به كون المتواتر موجوداً وجود كثرة فى الأحاديث أن الكتب المشهورة المتداولة بأيدى أهل العلم شرقاً وغرباً ، المقطوع عندهم بصحة نسبتها إلى مصنفيها ، إذا اجتمعت على إخراج حديث ، وتعددت طرقه تعدداً تحيل العادة تواطؤهم على الكذب إلى آخر الشروط ، أفاد العلم اليقينى بصحته إلى قائله ، ومثل ذلك فى الكتب المشهورة كثير[1] .

* * *

(١) شرح النخبة ص ١٣ .

**اعتراضات على المتواتر :**

وللذين يُغلُون شأن المتواتر ، ويقللون من شأن الآحاد أوجه هذا السؤال : ماذا تقولون فى هذه الاعتراضات الموجهة إلى المتواتر ؟

**الاعتراض الأول :**

لقد أعليتم من شأن المتواتر ، وأنكرتم منزلة الآحاد لكنكم لم تعملوا بالمتواتر !

خذ مثلاً : حديث : « إنكم سترون ربكم يوم القيامة كما ترون القمر ليلة البدر » هذا الحديث متواتر ، ومع ذلك لا يعمل به المعتزلة وغيرهم ممن يعلون شأن المتواتر !!

قال الإيجى عن المعتزلة : إن عقيدتهم تقوم على أن الله غير مرئى فى الآخرة [(1)] .

وقال الزمخشرى - الإمام المتكلم المعتزلى المفسر - بعد أن فسر قول الله تعالى : ﴿ **وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة** ﴾ [(2)] قال : فاختصاصه - سبحانه - بنظرهم إليه لو كان منظوراً إليه محال [(3)] .

ولقد رد عليه ابن المنير فى كتابه « **الإنصاف** » والمطبوع بهامش الكشاف .

ونفس هذا المعنى يذهب إليه الزمخشرى فى تفسير قول الله تعالى : ﴿ **للذين أحسنوا الحسنى وزيادة** ﴾ [(4)] فيفسر الزيادة بمعان متعددة لكنها كلها بعيدة عن رؤية الله تعالى ، ناسياً أو جاهلاً أن هذا التفسير قد تواتر ، إلا أنه يزيد الطين بلة ، فيقول : وزعمت المشبهة والمجبرة أن الزيادة النظر إلى وجه الله تعالى ، وجاءت بحديث مرفوع « إذا دخل أهل الجنة نودوا أن يا أهل الجنة ، فيكشف الحجاب فينظرون إليه ،

---

(1) المواقف ص ٤١٥ .
(2) سورة القيامة الآيتان : ٢٢ ، ٢٣ .
(3) تفسير الكشاف ١٩٢/٤ .
(4) سورة يونس الآية : .

فوالله ما أعطاهم الله شيئاً هو أحب إليهم منه »[1] .

إنه يصر على إنكار رؤية أهل الجنة ربهم ، مع أن الرؤية ثابتة بالقرآن والسنة ، والأحاديث التى تثبت الرؤية متواترة ، قال بتواترها المحدثون والمتكلمون[2] .

يعيب على أهل السنة اعتمادهم على هذه الأحاديث ويصفهم بالمشبهة والمجبرة ، وأنهم الذين جاءوا بهذا الحديث ، وواضح أنهم لا ينكرون الآحاد فقط ، وإنما ينكرون المتواتر أيضاً ، بل وينكرون القرآن الكريم وهم كما قال شارح الطحاوى عنهم : والقرآن والحديث عندهم بمنزلة الشهود الزائدين عن النصاب[3] .

وكثير من العقائد ينكرها المعتزلة ، وهى ثابتة بأحاديث متواترة[4] مما يدل على أنهم لم يعملوا بالمتواتر الذى أعلوا قدره .

يقول ابن القيم : أهل الكلام وأتباعهم فى غاية قلة المعرفة بالحديث وعدم الاعتناء به ، كثير منهم بل أفضلهم عند أصحابه لا يعتقد أنه روى فى الباب الذى يتكلم فيه عن النبى ﷺ شيء ، أو يظن أن المروى فيه حديث أو حديثان كما نجده لأكابر شيوخ المعتزلة كأبى الحسين البصرى يعتقد أنه ليس فى الرؤية إلا حديث واحد ، وهو حديث جرير ، ولم يعلم أنه فيها ما يقارب ثلاثين حديثاً ، وقد ذكرناها فى كتاب صفة الجنة « حادى الأرواح »[5] .

وأذكر شيئاً من العقائد التى يرفضها منكرو السنة[6] :

بدهى أن الذين ينكرون السنة ، أو يقولون إنهم يعملون بالمتواتر منها فقط ، بدهى أن هؤلاء سينكرون أسماء الله وصفاته التى جاءت فى السنة النبوية ، فينكرون مثلاً : الخافض الرافع ، القابض الباسط ، المعز المذل ، المقدم المؤخر ، الحكم العدل ، الصبور الرشيد .

---

(١) الكشاف ٢/٢٣٣ .

(٢) راجع نظم المتناثر ص ١٥٣ ، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة ص ٤٥٤ .

(٣) تقدم بأتم من هذا .

(٤) من المتكلمين الذين حكموا بتواتر أحاديث رؤية الله تعالى أبو الحسن الأشعرى كما فى كتابه « الإبانة » ص ٦ ، ٧ ، ١٥ .

(٥) مختصر الصواعق ص ٥٢٤ ، وفى نظم المتناثر ذكر ثمانية وعشرين حديثاً فى الرؤية راجعة ص ١٥٣ .

(٦) عبرت بذلك لأنهم قالوا أولاً : لا نقبل الآحاد ، ثم وجدتهم لا يقبلون الآحاد ولا المتواتر .

وهذه أسماء ثبتت بالسنة الصحيحة ، وأجمعت عليهاالأمة ، فكيف ينكرونها ؟ لكن لا يستغرب هذا الأمر ، ومنهم المعتزلة الذين ينكرن كل صفات الله سبحانه وتعالى [1] ، فنفوا عنه سبحانه وتعالى العلم والسمع والبصر ، والقدرة والإرادة ، وكل الصفات سواء ما ورد منها فى القرآن الكريم ، أو فى السنة النبوية !!

يقول أبو الحسن الأشعرى : إن كثيراً من الزائغين عن الحق من المعتزلة ، وأهل القدر مالت بهم أهواؤهم إلى تقليد رؤسائهم ، ومن مضى من أسلافهم ، فتأولوا القرآن على آرائهم تأويلاً لم ينزل الله به سلطانا ، ولا أوضح به برهانا ، ولا نقلوه عن رسول رب العالمين ، ولا عن السلف المتقدمين ، فخالفوا روايات الصحابة - عليهم السلام - عن نبىّ الله صلوات الله عليه وسلامه فى :

رؤية الله عز وجل بالأبصار ، وقد جاءت فى ذلك الروايات من الجهات المختلفات ، وتواترت بها الآثار ، وتتابعت بها الأخبار ، وأنكروا شفاعة رسول الله ﷺ للمذنبين ، وردوا الروايات فى ذلك عن السلف المتقدمين ، وجحدوا عذاب القبر ، وأن الكفار فى قبورهم يعذبون ، وقد أجمع على ذلك الصحابة والتابعون .

ودانوا بخَلْق القرآن نظيرا لقول إخوانهم من المشركين الذين قالوا : « إن هذا إلا قول البشر » ثم قال : ونفوا ما روى عن النبى ﷺ أن الله عز وجل ينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا ، وغير ذلك مما رواه الثقات عن رسول الله ﷺ .

لقد أجمل الأشعرى عدداً من العقائد التى أنكرها منكرو السنة ، وأبان أنهم ينكرون حتى ما تواترت به الآثار !! فراجعه ، فلولا مخافة الطول لنقلت منه الكثير [2] .

وهكذا فإن منكرى السنة ينكرون الكثير من أسماء الله وصفاته ، وينكرون رؤية الله فى الآخرة ، وأيضاً ينكرون ما يلى :

١ - شفاعة سيدنا رسول الله ﷺ لأهل المحشر جميعاً .
٢ - شفاعة سيدنا محمد ﷺ لأهل الكبائر من أمته .

---

(١) راجع المواقف ص ٤١٥ .

(١) راجع الإنابة عن أصول الديانة ص ٦ - ٨ باب إبانة قول أهل الزيغ والبدعة ، وراجع باب الكلام فى الشفاعة ص ٦٤ ، وباب الكلام فى الحوض ص ٦٤ ، وباب الكلام فى عذاب القبر ص ٦٥ .

٣ – جميع معجزاته صلى الله عليه وسلم سوى القرآن .

٤ – صفاته البدنية ، وبعض شمائله الخلقية .

٥ – الأحاديث التى تتحدث عن بدء الخلق وصفة الملائكة والجن ، والجنة ، والنار ، وأنهما مخلوقتان ، وأن الحجر الأسود من الجنة .

٦ – خصائصه صلى الله عليه وسلم مثل : دخوله الجنة ، ورؤية أهلها ، وما أعد للمتقين فيها ، وإسلام قرينه من الجن ، وحنين الجذع ، ونبع الماء من بين أصابعه الشريفة .

٧ – الإيمان بحوضه صلى الله عليه وسلم ، وأن من شرب منه شربة لا يظمأ بعدها أبداً .

٨ – الإيمان بأن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء .

٩ – الإيمان بعروجه صلى الله عليه وسلم إلى السموات العلى .

١٠ – الإيمان بعذاب القبر .

١١ – الإيمان بالميزان ذى الكفتين يوم القيامة .

١٢ – الإيمان بالصراط .

١٣ – الإيمان بالقضاء والقدر خيره وشره .

١٤ – الإيمان بالقلم الذى كتب كل شىء .

إن هذه العقائد قد شاعت فى الأمة واستفاضت ، وأجمعت الأمة عليها ، وجاء الدليل بها متواتراً يرويها الخلف عن السلف ، كثرة كثيرة ، فَلِمَ تنكرونها معاشر المنكرين للسنة إن كنتم تقولون بحجية المتواتر ؟!

* * *

**الاعتراض الثانى :**

لقد اعتُرض على المتواتر من حقيقته ، فعلى طول الزمان وكثرة البحث والدرس لم يُحدَّد العدد الذى يتم به التواتر !!

قال الشوكانى :

• **قال قوم منهم القاضى أبو الطيب الطبرى : يجب أن يكونوا أكثر من أربعة ، لأنه لو كان خبر الأربعة يوجب العلم لما احتاج الحاكم إلى السؤال عن عدالتهم إذا شهدوا عنده .**

• وقال ابن السمعانى : ذهب أصحاب الشافعى إلى أنه لا يجوز أن يتواتر الخبر بأقل من خمسة فما زاد ، وحكاه الأستاذ أبو منصور عن الجبائى ، واستدل بعض أهل هذا القول بأن الخمسة عدد أولى العزم من الرسل على الأشهر : نوح ، وإبراهيم ، وموسى ، وعيسى ، ومحمد صلوات الله عليهم وسلامه . ولا يخفى ما فى هذا الاستدلال من الضعف مع عدم تعلقه بمحل النزاع بوجه من الوجوه .

• وقيل : يشترط أن يكونوا سبعة بعدد أهل الكهف ، وهو باطل .

• وقيل : يشترط عشرة ، وبه قال الإصطخرى ، واستدل على ذلك بأن ما دونها جمع قلة ، وهذا استدلال ضعيف أيضاً .

• وقيل : يشترط أن يكونوا اثنى عشر بعدد النقباء لموسى عليه السلام ، لأنهم جعلوا كذلك لتحصيل العلم بخبرهم ، وهذا استدلال ضعيف أيضاً .

• وقيل : يشترط أن يكونوا عشرين لقوله سبحانه : **﴿إن يكن منكم عشرون صابرون﴾** وهذا مع كونه فى غاية الضعف خارج عن محل النزاع ، وإن قال المستدل به بأنهم إنما جعلوا كذلك خبرهم العلم بإسلامهم ، فإن المقام ليس مقام خبر ، ولا استخبار ، وقد روى هذا القول عن أبى الهذيل وغيره من المعتزلة .

• وقيل : بشرط أن يكونوا أربعين كالعدد المعتبر فى الجمعة ، وهذا مع كونه خارجاً عن محل النزاع ، باطل الأصل فضلاً عن الفرع .

وقيل : يشترط أن يكونوا سبعين لقوله : **﴿واختار موسى قومه سبعين رجلاً﴾** وهذا أيضًا استدلال باطل .

• وقيل : يشترط أن يكونوا ثلاثمائة وبضعة عشر بعدد أهل بدر ، وهذا أيضاً استدلال باطل خارج عن محل النزاع .

• وقيل : يشترط أن يكون خمس عشرة مائة (١٥٠٠) بعدد أهل بيعة

الرضوان ، وهذا أيضاً باطل ، وقيل : سبع عشرة مائة (١٧٠٠) لأنه عدد أهل بيعة الرضوان ، وقيل : أربع عشرة مائة (١٤٠٠) لأنه عدد أهل بيعة الرضوان .

* وقيل : يشترط أن يكونوا جميع الأمة كالإجماع ، حكى هذا القول عن ضرار بن عمرو وهو باطل .

* وقال جماعة من الفقهاء : لابد أن يكونوا بحيث لا يحويهم بلد ، ولا يحصرهم عدد .

قال الشوكانى : وبالله العجب من جرى أقلام أهل العلم بمثل هذه الأقوال التى لا ترجع إلى عقل ولا نقل ، ولا يوجد بينها وبين محل النزاع جامع ،وإنما ذكرناها ليعتبر بها المعتبر ، ويعلم أن القيل والقال قد يكون من أهل العلم في بعض الأحوال من جنس الهذيان ، فيأخذ عند ذلك حذره من التقليد ، ويبحث عن الأدلة التى هى شرع الله الذى شرعه لعباده ، فإنه لم يشرع لهم إلا ما فى كتابه وسنة رسوله ا هـ كلام الشوكانى [1] .

وواضح من كلام الشوكانى هذا أن العدد الذى يحصل به التواتر لم يستندوا فيه إلى مستند من عقل أو شرع ولم يتفقوا فيه على رأى ، وهذا يضعف المتواتر ويجعله مصطلحاً غير مستقر .

والشوكانى إذ يذكر هذه الآراء فى عدد التواتر ويبطلها فإنه يؤيد رأى الجمهور ويقويه ، إذ يقول : الشرط الثالث – من شروط إفادة المتواتر العلم – أن يبلغ عددهم إلى مبلغ يمنع فى العادة تواطؤهم على الكذب ، ولا يقيد ذلك بعدد معين ، بل ضابطه : حصول العلم الضرورى به ، فإذا حصل ذلك علمنا أنه متواتر ، وإلا فلا ، وهذا قول الجمهور [2] .

ورأى الجمهور أيضاً لم يحسم القضية ، فقد يرى شخص الخبر متواتراً لحصول العلم الضرورى له ، بينما آخرون لا يرون ذلك ، ويصبح التواتر من المسائل النسبية .

وهكذا يتضح أن قضية العدد فى المتواتر تمثل طعنة قوية له من ذاته ، وهكذا فمصدر القوة للمتواتر والذى هو كثرة العدد هو فى حقيقة الأمر مصدر تضييع له ، ولو أن رواة حديث من الأحاديث اضطربوا فيه اضطراب المتكلمين فى العدد الذى يحصل به التواتر لما قبله المتكلمون ، بل ولا الأصوليون ، بل ولا المحدثون وقالوا : إنه مضطرب ،

---

(١) ، (٢) إرشاد الفحول ص ٤٥ .

فهكذا نقول إنه مضطرب ، وهو مصطلح لا يصلح لاستقرار دين عليه [1] .

**الاعتراض الثالث :**

لم يقع الإجماع على إفادة المتواتر العلم الضرورى !!

فعلى الرغم من إعلائكم من شأن المتواتر ، إلا أننا نجد من لا يعترف بقدره بهذه الدرجة التى تصورونها من إفادة العلم الضرورى ، وأيضاً فالمحدثون لا يعطونه هذا القدر ، وإنما يجعلونه نوعاً من الآحاد ، يكون صحيحاً أحياناً ، وضعيفاً أخرى . وهذا هو التفصيل :

* إن الذين يعلون من قدر المتواتر يقولون : إنه يفيد العلم الضرورى ، وهذا أمر قد خالفهم فيه أبو الحسن البصرى ، والكعبى من المعتزلة ، كما خالفهم فيه إمام الحرمين والغزالى [2] من أهل السنة ، والشريف المرتضى من الشيعة ، وخالفهم فيه أيضاً السُّمَّنية ، فهؤلاء ذهبوا إلى أن خبر التواتر يفيد العلم النظرى ، على أن الناظر فى الأمر يجد أن القائلين بإفادة التواتر العلم يشترطون لذلك شروطاً ، وما دام الأمر يعتمد على شروط ، فإن العلم الحاصل به يكون علماً نظرياً يأتى بعد نظر واستدلال .

ولقد ذكر الرازى كثيراً من الاعتراضات على إفادة المتواتر العلم الضرورى ، بعضها يطعن فى المتواتر طعناً شديداً ؛ فنقل عن الذين منعوا من كون المتواتر عن الأمور الماضية مفيداً للعلم أنهم احتجوا بأن التواتر عن الأمور الماضية وقع عن أمور باطلة ، فوجب أن لا يكون حجة ، فاليهود والنصارى والمجوس والمانوية على كثرة كل فرقة منهم ، وتفرقهم فى الشرق والغرب ، يخبرون عن أمور هى باطلة قطعاً عند المسلمين ، وذلك يقتضى القدح فى التواتر [3] .

وأيضاً : تقولون فى تعريف المتواتر : ويكون مستند إخبارهم الحس ، وترون هذا صمام أمان لسلامة المتواتر ، بينما العقل والنقل يشهدان أن الاشتباه حاصل فى المحسوسات [4] .

---

(١) لقد أطال الفخر الرازى النفس فى موضوع « العدد » فراجع كتابه « المحصول فى أصول الفقه » ج ٢ ، قسم ١ ، ص ٣٧٠ .

(٢) راجع المحصول للرازى ج ٢ ، ق ١ ، ص ٣٢٨ .

(٣) السابق ص ٣٦٢ .

(٤) السابق ٣٤٩ .

وهناك من يخالف فى مكانة المتواتر أكثر من هؤلاء ، فالنظام من المعتزلة يرى أن المتواتر مع خروج ناقليه عند سامع الخبر عن الحصر ، ومع اختلاف همم الناقلين واختلاف دواعيهم يجوز أن يقع كذب هذا[1] !!

**والمحدثون أثريون :**

ويسعدنى كثيراً موقف المحدثين من المتواتر ، فإن هذه الضجة التى أقامها المتكلمون للمتواتر لم تنطل على المحدثين ، وظلوا مع الكتاب والسنة ، عمدتهم خبر الواحد العدل الضابط ، وكلما قرأت لمحدث متقدم كلما وجدت المتواتر عنده قليل الورود فى كلامه ، وآمل أن يكون علماء الحديث فى زماننا على هذا النهج .

يقول الشيخ نجا الأبيارى : توهم بعض أفاضل العصر من قولهم فى تعريف المتواتر جمع يؤمن تواطؤهم على الكذب أنه لا يكون إلّا صحيحاً ، وليس كذلك فى الاصطلاح ، بل منه ما يكون صحيحاً اصطلاحاً بأن يرويه عدول عن مثلهم ، وهكذا من ابتدائه إلى انتهائه ، ومنه ما يكون ضعيفاً كما إذا كان فى بعض طبقاته غير عدل ضابط ، فهذا ليس بصحيح اصطلاحاً ،وإن كان صحيحاً بمعنى أنه مطابق للواقع باعتبار أمن تواطؤ نقلته على الكذب[2] .

وسبق أن ذكرت أن المحدثين لم يذكروا المتواتر نوعاً مستقلاً ، وإنما جعلوه قسماً من الحديث المشهور الذى هو نوع من الآحاد ، وعليه فيمكن أن يكون صحيحاً وأن يكون ضعيفاً .

بل إن المحدثين أحياناً يرفضون المتواتر تماماً ، وذلك إذا كان رواته كفاراً !! فالمتواتر لا يشترط فى كثرة رواته أن يكونوا مسلمين ، كما قال ابن بدران الدمشقى فى المدخل : ولا تشترط عدالة المخبرين ، ولا إسلامهم ، ولا عدم انحصارهم فى بلد أو عدد[3] وفى هذه الصورة لا يقبله المحدثون مطلقاً ، ولو كان رواته مائة كافر فى كل طبقة .

---

(١) الفرق بين الفرق ص ١٢٨ .

(٢) حاشية نيل الأمانى فى توضيح مقدمة القسطلانى للشيخ عبد الهادى بن رضوان المشهور بنجا الإبيارى ص ١٦ .

(٣) المدخل إلى مذهب الإمام أحمد ص ٩١ .

وهكذا يتضح أنه لم يقم الإجماع على إفادة المتواتر العلم الضرورى ، وإنما من العلماء من قال : بإفادته العلم النظرى شأن الآحاد ، ومنهم من أنكره تماماً ، أما المحدثون ، فالمتواتر عندهم قسم من المشهور الذى هو نوع من الآحاد ، ولربما رفض المحدثون المتواتر تماماً .

على أن هذه الاعتراضات لم أسمها أنا بهذا الاسم « الاعتراضات » وإنما سماها بذلك الفخر الرازى فى المحصول [1] ، وهو الأصولى المتكلم ، وعقب عليها بقوله : وها هنا وجوه أخر من المعارضات مذكورة فى كتاب النهاية [2] فهذا تمام الاعتراضات .

واعلم أن بعض هذه الأسئلة والمعارضات لا شك أن فسادها أظهر من صحتها ا هـ كلام الفخر .

قلت : إذا كانت بعض الاعتراضات فسادها أظهر من صحتها ، فالبعض الآخر يظل باقياً يشير إلى أن المتواتر كم عليه من اعتراضات .

* * *

وهكذا فلا يصفو المتواتر كمصدر لإفادةالعلم الضرورى ، على أن هذا فى إفادة التواتر العلم الضرورى فى طبقة واحدة ، كما لو أخبرك جماعة بأمر ما ، إلا أن ضعف ذلك يشتد إذا روعيت الطبقات ، فلو أردنا معرفة خبر نُقِلَ إلينا بطبقات متواترة ، فإذا ذلك يحتاج إلى دراسة ومعرفة هل لقى فلان فلاناً أو لا ؟ ، وهل هذا من مسموعات هذا التلميذ من أستاذه أو لا ؟ ، مع تشابه الأسماء ، وتشابه النسبة والألقاب مما يستدعى قوة النظر ، ويجعل العلم الحاصل نظرياً لا ضرورياً .

وأكثر من هذا ضعفاً أن المتواتر الذى يدّعون أنه يفيد العلم الضرورى تظل نوافذ كثيرة فيه للظن ، فنقل اللغات ، وآراء النحو ، والاشتراك ، والمجاز ، والنقل الشرعى أو العادى ، والإضمار ، والتخصيص للعموم ، والتقييد للمطلق ، والنسخ ، والتقديم والتأخير ، والمعارض العقلى كل ذلك وغيره يجعل المتواتر ليس مفيداً العلم الضرورى .

---

(١) آخر المسألة الرابعة فى المتواتر ج ٢ ، ق ١ ، ص ٣٦٥ ، ٣٦٦ وذكر مما ذكرته هنا .

(٢) كتاب للفخر الرازى ، وله كتابان باسم النهاية أحدهما « النهاية البهائية فى المباحث القياسية » و « نهاية العقول فى دراية الأصول » .

**وختاماً :**

فإنه يتضح لنا من خلال هذا البحث ما يلى :

١ - الخبر المتواتر ليس إسلامى النشأة ، وإنما هو وافد على مدرسة الإسلام ، أشاعه متأخرو المعتزلة وشايعهم قلة ، ولم يقل به علماء الحديث ، وإنما هو نوع من أنواع الآحاد ، وتعتريه الصحة والضعف ، وربما رفضوه تماماً كأن يكون رواته من الكافرين .

٢ - إن الذين قالوا بالمتواتر لم يجمعوا على العدد الذى يحصل به ، ولم يجتمعوا على ما يفيده ، بل لم يجتمعوا على حقيقته ، والأدهى من هذا أنهم لم يعملوا به ، ولم يعرفوه !!

٣ - يقوم التواتر على كثرة عدد المخبرين دون اعتبار لدينهم ، أو خُلُقهم ، أو ضبطهم ، فمصدر قوته كثرة الأفراد ، وهذا يتصور فى طبقة واحدة ، أما مع طول الإسناد فإنه يشق أو لا يتصور .

٤ - تعتمد البشرية قديماً وحديثاً فى تناقل الأخبار على خبر الواحد ، ولا نعلم طائفة أو أمة اعتمدت على الخبر المتواتر ، ولا يوجد فى حياتنا .

٥ - أقرّ القرآن الكريم والسنة النبوية خبر الواحد ، وثبت بهما أنه حجة ، يجب العمل به .

٦ - أجمعت الأمة فى العهد النبوى ، وعهد الصحابة ، والتابعين ، على حجية خبر الواحد فى العقائد والأحكام ، وأنه يجب العمل به ، وأنه يفيد العلم ما دام المخبر من أهل الدين القويم ، والحفظ السليم ، مع اتصال الإسناد ، والسلامة من الشذوذ ، ومن العلة .

٧ - عند تقسيم الاصطلاحات قال بعض العلماء : إن خبر الواحد يفيد الظن ، وهو درجة من درجات العلم ، وهى قريبة من اليقين ، وقالوا : إنه إذا احتف بالقرائن أفاد اليقين .

٨ - ظهر من حمل لفظ « الظن » على غير مراد علماء الإسلام ، وفسره على الشك ، وهذا لم يقل به أحد يُعتدُّ بقوله ، وإنما هو تَجَنٍّ على الحقائق .

٩ - من العجيب أن بعض من ينتسبون إلى العلم من أهل زماننا يردد هذا القول ، وحسن الظن بهم يدعونى إلى القول بأنهم لم يدرسوا المسألة ، أما أعداء الإسلام فى زماننا فهم يروجون هذا القول بخبث ومكر ، ويلتقون بأصحاب المناصب من غير المتخصصين فى هذا العلم ، ويلقون عليهم الأسئلة فى هذا الموضع ، حتى إذا صدر قول يؤيد بدعتهم أشاعوه وأذاعوه .

١٠ - إنكار حجية خبر الآحاد بدعة خطيرة ؛ لأنها بدعة أصل يتفرع عليه سائر الأعمال ، فمنكر حجية خبر الآحاد لا يأخذ دينه من كتاب الله ، ولا من سنة رسول الله ﷺ ، وإنما يأخذ دينه من هواه ، وقد حذرنا الله سبحانه وتعالى من اتباع الهوى ؛ فقال سبحانه : ﴿ **فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله إن الله لا يهدى القوم الظالمين** ﴾[1] .

١١ - إن الأخبار المفيدة للعلم كثيرة جداً فى السنة ، فالسنة العملية كلها متواترة ، والسنة القولية كثير منها متواتر ، وكثير منها يفيد العلم كالمتواتر .

١٢ - عند الكلام على الأحاديث ، فالقول لعلماء الحديث ، ولا ينبغى لغيرهم أن يتكلم ، فهم أدرى الناس بكلام رسول الله ﷺ .

١٣ - ما قبله المحدثون فهو حجة ، يعمل به فى العقائد والأحكام دون قيد أو شرط ، فإنهم لم يحكموا بقبوله إلا بعد تيقنهم من أن رسول الله ﷺ قاله ، فتيقنهم هو المعتبر ، وإذا كانت كثرة العدد فى المتواتر تحدث التيقن من صحته ، فأحوال الرواة والسند ، والقرائن تحدث عند المحدثين مثل ذلك التيقن وأكثر ، أما غيرهم فليس لهم ذلك .

* * *

---

(١) سورة القصص الآية : ٥٠ .

# درجات العمل بالسنة



# درجات العمل بالسنة

وإذا كان قد اتضح أنه يجب العمل بالسنة النبوية ، وأن خبر الآحاد يجب العمل به فى العقائد والأحكام والآداب ، ما دام قد حكم المحدثون بقبوله ، فإنه يبقى أن أنبه إلى أن هذا العمل على درجات .

فمن نصوص السنة ما **يفيد الوجوب** ، مثل قوله صلى الله عليه وسلم : « صلوا كما رأيتمونى أصلى » فيجب أن نصلى كما صلى رسول الله ﷺ تماماً .

ومنها ما **يفيد الندب والاستحباب** ، مثل الأحاديث الدالة على صلاة السنن ، وصيام السنن ، والأذكار .

ومنها ما **يفيد الإباحة** مثل قوله صلى الله عليه وسلم عن تقديم الرمى على الحلق والنحر : « افعل ولا حرج » .

ومنها ما **يفيد التحريم** ، مثل قوله صلى الله عليه وسلم : « لا تحاسدوا » .

ومنها ما **يفيد الكراهة** ، مثل قوله صلى الله عليه وسلم : « لا تأكلوا بالشمال ، فإن الشيطان يأكل بالشمال »[1] .

وهذا عمل فقهاء الإسلام ، والمفسرين ، والمحدثين ، يبينون للأمة أحكام القرآن والسنة ، يستوعبون النصوص وفقهها ، ويستخرجون الأحكام وفق قواعد فى غاية الدقة . قال تعالى : ﴿ **وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم** ﴾[2] وقال سبحانه : ﴿ **وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون** ﴾[3] .

---

(١) أخرجه مسلم فى الأشربة باب : آداب الطعام والشراب وأحكامها ١٥٩٨/٣ ح ١٠٤ .

(٢) سورة النساء الآية : ٨٣ .

(٣) سورة العنكبوت الآية : ٤٣ .

ولقد اجتهد الأصوليون والفقهاء فى هذا الموضوع جدًّا ، وأطالوا النفس فيه إذ هو مصدر انتفاعهم بنصوص القرآن والسنة ، فمن أبواب الأصول المهمة « **طرق استنباط الأحكام من النصوص الشرعية** » ، ركزوا فيه على دلالة الأمر ودلالة النهى من أقواله صلى الله عليه وسلم ، ومبحث الدلالة عندهم من المباحث الأصلية .

* فالأمر يفيد الوجوب لكن ليس على إطلاقه ، فقد يصرفه صارف إلى الندب أو الإباحة .

* والنهى يفيد التحريم لكن قد يصرفه صارف إلى الكراهة .

* وفى تعريف الأمر ، وتعريف النهى توسعوا ليشمل كل ما يمكن أن يفيد طلب فعل ، وكل ما يمكن أن يفيد طلب كف عن الفعل .

* فالأمر يأتى بلفظ « افعل »[1] أو « افعلوا »[2] ، ويأتى أيضاً بلفظ الخبر إما بجملة فعلية[3] ، وإما بجملة اسمية[4] .

* والنهى يأتى بصيغة : « لا تفعل »[5] أو « لا تفعلوا »[6] ويأتى بلفظ التحريم[7] أو نفى الحل[8] ، ويأتى بالأمر الدال على الترك[9] .

وكل أمر ورد بهذه الصيغ فهو يفيد الوجوب ، وكل نهى ورد بهذه الصيغ فهو يفيد التحريم إلا إذا ورد نص أو إجماع ينقلهما عن ذلك ، كأن يرد نص يفيد النسخ ، أو يخصص العام ، أو أن يرد نص يصرف الأمر عن ظاهره من الوجوب إلى الندب ، أو يقع الإجماع على ذلك .

---

(١) مثل قوله صلى الله عليه وسلم : « اتق الله حيثما كنت » .
(٢) مثل قوله صلى الله عليه وسلم : « صوموا لرؤيته » .
(٣) مثل قوله صلى الله عليه وسلم : « أمرت أن أسجد على سبعة أعظم » .
(٤) مثل قوله صلى الله عليه وسلم : « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده » .
(٥) « لا يذبحن أحدكم حتى يصلى » .
(٦) « لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر » .
(٧) « إن الله حرم من الرضاعة ما حرم من الولادة » .
(٨) « لا يحل لمؤمن أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام » .
(٩) « اجتنبوا الخمر ... » .

والأمر الذى يفيد الندب : يأتى بلفظ « لو »[1] ، ويأتى بمدح الفاعل[2] ، ويأتى بمدح الفعل[3] .

والأمر الذى يفيد الإباحة : يأتى بلفظ « أو »[4] ويأتى بلفظ : « لا حرج »[5] .

* أما أفعاله صلى الله عليه وسلم فمنها الواجب ، ومنها المندوب ، ومنها المباح ويقسمها الأصوليون إلى أقسام :

١ - ما كان من الحركات البشرية كتصرف الأعضاء ، وحركات الجسد ، وهذا لا يتعلق به أمر باتباع ، ولا نهى عن مخالفة ، ولكنه يفيد أن مثل ذلك مباح .

٢ - ما لا يتعلق بالعبادات ، ووضح فيه أمر الجبلة كالقيام والقعود ونحوهما ، فليس فيه تأس ولكنه يدل على الإباحة عند الجمهور ، وقال قوم إنه مندوب ، وقد كان عبدالله بن عمر - رضى الله عنهما - يتتبع مثل هذا ويقتدى به .

٣ - ما احتمل أن يخرج عن الجبلة إلى التشريع بمواظبته عليه على وجه معروف ، ووجه مخصوص كالأكل والشرب ، واللبس والنوم فهذا القسم دون ما ظهر فيه أمر القربة ، وفوق ما ظهر فيه أمر الجبلة على فرض أنه لم يثبت فيه إلا مجرد الفعل ، وأما إذا وقع منه صلى الله عليه وسلم الإرشاد إلى بعض الهيئات كما ورد عنه الإرشاد إلى هيئة من هيئات الأكل والشرب ، واللبس والنوم ، فهذا خارج عن هذا القسم داخل فيما سيأتى .

وهذا القسم الذى لم يثبت فيه إلا مجرد الفعل مع المواظبة عند الفقهاء على القول الراجح تشريع ، وعند المحدثين مندوب .

---

(١) كقوله صلى الله عليه وسلم : « لو اغتسلتم » فى غسل الجمعة .

(٢) « من استغنى أغناه الله » .

(٣) « كلمتان خفيفتان على اللسان ، ثقيلتان فى الميزان ، حبيبتان إلى الرحمن : سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم » .

(٤) مثل قوله صلى الله عليه وسلم على المزدلفة : « من شهد صلاتنا هذه ووقف معنا حتى ندفع وقد وقف قبل ذلك بعرفة ليلاً أو نهاراً فقد تم حجه وقضى تفثه » نيل الأوطار ١٣٤/٥ .

(٥) تقدم حديث « افعل ولا حرج » فى الحج ، وراجع فى دلالة الأمر : أصول الفقه الإسلامى ٢١٨/١ ، والإحكام لابن حزم كل الجزء الثالث ، وإرشاد الفحول ص ٨٦ ، وفتح البارى فى شرح ترجمة باب الاقتداء بأفعال النبى ﷺ من كتاب الاعتصام ٢٧٤/١٣ .

٤ – ما علم اختصاصه به صلى الله عليه وسلم كالوصال والزيادة على أربع نسوة ، فهو خاص به لا يشاركه فيه غيره .

٥ – ما يفعله مع غيره عقوبة له ، وهذا إذا وضح لنا السبب اقتدينا به ففعلنا مثل ما فعل عند وجوب السبب ، وإن لم يظهر السبب سكتنا .

وأما إذا فعل العقوبة بين شخصين متداعيين فهو جار مجرى القضاء فيتعين علينا القضاء بما قضى به .

٦ – الأفعال المجردة عما سبق ، وإنما المقصود بها التشريع ، فهذه نحن مطالبون بالاقتداء به صلى الله عليه وسلم فيها ، إلا أن الصفة الشرعية تختلف بحسب الوجوب أو الندب أو الإباحة ، وتعرف الصفة مما يأتى :

( أ ) فما ورد بياناً لمجمل فى القرآن أو السنة ، أو تقييداً لمطلق فيهما ، أو تخصيصاً لعام فحكمه حكم ما بينه من وجوب أو ندب .

ويعرف البيان إما بصريح القول ، كقوله : « صلوا كما رأيتمونى أصلى » و « خذوا عنى مناسككم » .

وإما بقرائن الأحوال كقطعه يد السارق من الرسغ ، فإنه بيان كقوله تعالى : ﴿ **فاقطعوا أيديهما** ﴾[1] وكتيممه إلى المرفقين ، فإنه بيان لقوله تعالى : ﴿ **فامسحوا بوجوهكم وأيديكم** ﴾[2] .

( ب ) وإذا لم تكن هذه الأفعال كذلك – للبيان – وإنما وردت ابتداء ، فإن عرفت صفتها فى حقه صلى الله عليه وسلم من وجوب أو ندب أو إباحة ، فالراجح أن أمته مثله فى هذا الفعل ، وإن لم تعلم صفتها فى حقه فإما أن يظهر فيها قصد القربة أو لا ، وفى كلتا الحالتين يكون فعله صلى الله عليه وسلم مفيداً للندب ؛ لأنه وإن لم يظهر فيه قصد القربة ، فأفعاله كلها للتقرب إلى الله تعالى .

* أما تقريره[3] صلى الله عليه وسلم وهو أن يسكت صلى الله عليه وسلم عن

---

(١) سورة المائدة الآية : ٣٨ . (٢) سورة النساء الآية : ٤٣ ، والمائدة : ٦ .

(٣) الذى تقضيه قواعد اللغة أن يُقال : « إقراره » وإنما سرت على ما عبر به المحدثون والأصوليون .

إنكار قول قيل بين يديه ، أو فى عصره وعلم به ، أو سكت عن إنكار فِعْل فُعِل بين يديه ، أو فى عصره وعلم به ، فكل هذا يسمى تقريرًا ، أى أنه صلى الله عليه وسلم أقر فاعله على ذلك ، ولم ينكر عليه ، وهو صلى الله عليه وسلم لا يقر منكراً ، وإنما ينكره ويبين أنه منكر ، وكل ما كان كذلك فهو جائز ، فكل قول أقره ، وكل فعل أقره فإنه جائز[1] .

* * *

وهكذا يتضح أن كل ما صدر عنه صلى الله عليه وسلم فهو سنة ، وأن أوامره وأفعاله صلى الله عليه وسلم تدور بين الوجوب والندب والإباحة ، وأن نهيه صلى الله عليه وسلم يدور بين التحريم والكراهة ، وأن كل أمر أقره فهو جائز .

ودراسة هذا الموضوع « درجات العمل بالسنة » يفيد القارئ من النواحى الآتية :

ألا يظن أنه ما دام العمل بالسنة واجباً أنه يجب العمل بكل ما ثبت فى السنة ، لا ، وإنما العمل بالسنة على درجات حسبما تقتضيه اللغة والقرائن .

قال مكحول : السنة سنتان : سنة الأخذ بها فريضة وتركها كفر ، وسنة الأخذ بها فضيلة وتركها إلى غير حرج[2] .

فما كان منها واجباً لزمنا العمل به ، وما كان مندوباً استحب العمل به ،وما كان مباحاً فنحن مخيرون : نفعل أو لا نفعل ، وما نهانا عنه صلى الله عليه وسلم وأفاد التحريم فنحن ملزمون بتركه لا عذر لنا فى ذلك ، وما نهانا عنه صلى الله عليه وسلم وأفاد الكراهة فنجتنبه .

ونحن فى كل ذلك على السمع والطاعة لكل ما جاءنا به صلى الله عليه وسلم ندرس ونتفقه ، ونمتثل وفق هذه الدراسة ، وهذا التفقه الذى مدحه صلى الله عليه وسلم فى قوله : « من يرد الله به خيراً يفقهه فى الدين » .

---

(١) لخصت هذا البحث من كتب الأصول فأوجزته إيجازاً ، ومن أراد المزيد فليراجع كتب الأصول مثل : إرشاد الفحول ، والإبهاج شرح المنهاج ، و« الإحكام » للآمدى ، و« الإحكام » لابن حزم ، وليراجع : « الفقيه والمتفقه » للخطيب البغدادى ١/١٠٤ باب : أوصاف وجوب السنن ونعوتها .

(٢) الشريعة ١/١٨٢ ، ١١٤ أثر ٣٤ .

إننا نقبل سنته صلى الله عليه وسلم ، ونؤمن أنها الهدى والنور ، لا نقارن بها أى هدى أو منهج ، ولا نسوى بينها وبين أى فكر ، إنها سنة المعصوم صلى الله عليه وسلم ، **الواجب** منها نقبله ونعمل به ما أمكننا فقد لزمنا ، **والمندوب** نستحسنه ونعمل به ما أمكننا طلباً للثواب ، **والمباح** نحن مخيرون فيه ، **والحرام** نجتنبه لا عذر فى شىء منه ، والمكروه نجتنبه .

ونحن فى كل ذلك نقبل عنه صلى الله عليه وسلم ، قبول رضى وتسليم ، وهذا معنى وجوب العمل بالسنة .

٢ - لا يظن أن السنة كلها مسنونة لا مفروضة ، ذلك أن الفقهاء يستعملون السنة فى مقابل الفرض ، فربما التبس ذلك على البعض فظن أن كل ما فى السنة يعمل به تسننا ، أى : استحباباً ، وليس الأمر كذلك ، ففى السنة ما هو واجب ، وما هو مندوب ، وما هو مباح . كما أن النواهى منها ما يفيد التحريم ، وما يفيد الكراهة .

٣ - لا تنطلى عليه شُبَه أعداء السنة ؛ إذ يذكرون له أمراً يُعلم أنه مسنون ثم يقولون له كيف تقولون إنه يجب العمل بالسنة أهذا المسنون واجب ؟ فيَعْرف أنه يجب العمل بالسنة بمعنى قبولها والعمل بها وفق ما تفيده نصوصها من وجوب أو استحباب أو إباحة .

* * *

# الرد على منكرى السنة



# الرد على منكرى السنة

## تقـديم :

### الناس فى الحق فريقان :

من البشرية أناس فطرهم سليمة ، وأفكارهم قويمة ، وطبائعهم مستقيمة ، يبحثون عن الحق بكل صدق ، فإذا وجدوه اتبعوه بكل حزم ، وهؤلاء يمثلهم الصنف الذى طال حديثى عنهم ، من السلف ومن تبعهم الذين أعظموا الله الخالق الرزاق ، سبحانه وتعالى ، وآمنوا بكتبه التى أنزلها ، وبرسله الذين أرسلهم ، آمنوا برسول الله محمد ﷺ ، فاقتدوا به فى كل ما كان منه ، وعرفوا قدره ، وأعظموا منزلته .

عرفوا هديه صلى الله عليه وسلم فاتبعوه ، لم يحيدوا عنه قيد أنملة ، ولم يتأولوا ، ولم يترددوا ، إنما اتبعوه بكل صدق وحزم .

أحياناً يكلفهم اتباعه حياتهم فيجودون بها ، وأحياناً يكلفهم أموالهم فتطيب بها نفوسهم ، ضحوا فى سبيل اتباعه بكل مرتخص وغال ، لم يبالوا بترك قريب أو حبيب . كان اتباعه صلى الله عليه وسلم أغلى من كل شىء ، وكان حبه يفوق كل حب ، إنه الذى اصطفاه الله ، إنه المبلِّغ عن الله ، إنه الذى يرسم صراط الله ، إنه الرحمة المهداة ، إنه النعمة المسداة ، إنه السراج المنير .

هذا الصنف هم الذين قال الله فيهم : ﴿ **ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين * الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون * والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون * أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون** ﴾[1] .

---

(١) أول سورة البقرة الآيات ٢ - ٥ .

هذا الصنف هم الذين قال الله فيهم : ﴿ **إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى اللَّه وسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون** ﴾[1] .

هم الذين قال الله فيهم : ﴿ **فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون** ﴾[2] .

ومن البشرية أناس آخرون أفكارهم سقيمة ، وطبائعهم لئيمة ، ينفرون من الحق ، ويقفون مع الباطل ، يصدون عن سبيل الله ، ويتمنون أن لو استطاعوا أن يطفئوا نور الله ، يعادون أهل الحق بكل وسيلة ، ويكيدون لهم بكل حيلة ، يحرصون على إبعاد القرآن الكريم عن حياة الأمة ، ويفسرونه بأهوائهم المضلة ، ويحملونه على أفكارهم المختلة .

أما سنة المصطفى ﷺ فيحرصون على تشويهها وإبعادها ، يعيبونها بما ليس فيها ، ويتنكرون لسموها ومعاليها ، لا يحبون هديه صلى الله عليه وسلم ، ولا يقبلون ما بلّغ به عن الله - تعالى - وهو الذى زكاه الله وأعلاه ، ومدحه فى غير ما آية وأسماه .

عرّف الله بهم فى القرآن الكريم ، وحذر منهم ومن زيغهم ، فقال سبحانه :
﴿ **ومن الناس من يقول آمنا باللَّه وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين * يخادعون اللَّه والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون * فى قلوبهم مرض فزادهم اللَّه مرضاً ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون * وإذا قيل لهم لا تفسدوا فى الأرض قالوا إنما نحن مصلحون * ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون * وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء أَلَا إنَّهُمْ هم السفهاء ولكن لا يعلمون * وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون * اللَّه يستهزئ بهم ويمدهم فى طغيانهم يعمهون * أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين** ﴾[3] .

---

(١) سورة النور الآية : ٥١ .
(٢) سورة الأعراف الآية : ١٥٧ .
(٣) سورة البقرة الآيات : ٨ - ١٦ .

ومما يلفت النظر أن يُعَرِّف الله بهذا الصنف - وبالصنف الذى قبله - فى مطلع القرآن الكريم ، ليَحْذر كلُّ إنسان أن يُخْدَع ، يخدعه شيطانه أو نفسه أو هواه ، وحتى لا يظن ظان أن كل قول يقبل ، أو أن كل فكر يعتبر ، لا وإنما يُقبل ما كان من عند الله - تعالى - يقبل ما وافق الكتاب والسنة .

إن من الناس ناساً لا يقبلون الهدى ، وإنما يحرصون على الردى !! يستميتون فى محاربة الحق ،ويجتهدون فى التعمية على الخلق ، عرّفنا بهم ربنا سبحانه وتعالى فقال : ﴿ **يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر من الذين قالوا آمنّا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم ومن الذين هادوا سمّاعون للكذب سمّاعون لقوم آخرين لم يأتوك يحرفون الكلم من بعد مواضعه يقولون إن أوتيتم هذا فخذوه وإن لم تؤتوه فاحذروا ومن يرد اللّه فتنته فلن تملك له من اللّه شيئاً أولئك الذين لم يرد اللّه أن يطهر قلوبهم لهم فى الدنيا خزى ولهم فى الآخرة عذاب عظيم** ﴾ (١) .

يقول الحافظ ابن كثير - فى تفسير هذه الآية وما بعدها - نزلت هذه الآيات الكريمات فى المسارعين فى الكفر الخارجين عن طاعة الله ورسوله المقدمين آراءهم وأهواءهم على شرائع الله عز وجل ﴿ **من الذين قالوا آمنا بأفواهم ولم تؤمن قلوبهم** ﴾ أى : أظهروا الإيمان بألسنتهم ، وقلوبهم خراب خاوية منه وهؤلاء هم المنافقون ﴿ **من الذين هادوا** ﴾ أعداء الإسلام وأهله ، وهؤلاء كلهم ﴿ **سمّاعون للكذب** ﴾ أى : مستجيبون له ، منفعلون عنه ﴿ **سمّاعون لقوم آخرين لم يأتوك** ﴾ أى : يستجيبون لأقوام آخرين ، لا يأتون مجلسك يا محمد ، أو أنهم يستمعون الكلام وينهونه إلى قوم آخرين ممن لا يحضر عندك من أعدائك ﴿ **يحرفون الكلم من بعد مواضعه** ﴾ أى : يتأوّلونه على غير تأويله ، ويبدلونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون (٢) .

سبحان الله !! فى كثير من الأزمنة من يحرفون الكلم من بعد مواضعه ،

---

(١) سورة المائدة الآية : ٤١ .

(٢) تفسير ابن كثير ٥٨/٢ .

يتأولون كلام الله على غير تأويله ، ويحرصون على حمل الآيات على غير معناها ، همتهم التضليل ، وغايتهم صرف الناس عن الإيمان بالله .

إنهم أُناس قلوبهم مريضة ، يظهرون غير ما يبطنون ، يبذلون الحيل لإقناع الناس بباطلهم ، ويتلوّنون لإضفاء القبول على باطلهم ، يجتهدون فى إذاعة أفكارهم ، ويداومون على معاداة الحق الناطق بعكس ضلالتهم .

وحسبنا أن الله - تعالى - عرّف بهم ، وحذر من طريقهم ، ويكرر المسلم فاتحة القرآن الكريم فى كل ركعة داعياً ربه جل جلاله : ﴿ **اهدنا الصراط المستقيم * صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين** ﴾ .

إنه بقراءة هاتين الآيتين يقرر أن هناك طرقاً متعددة ، منها « الصراط المستقيم » أى : الطريق القويم ، وهو طريق الذين أنعم الله عليهم ورضى عنهم ، وهناك طرق أخرى تختلف عنه تماماً ، إنها طرق المغضوب عليهم والضالين ، أما المغضوب عليهم فهم الذين يعرفون الحق ويبتعدون عنه ، وأما الضالون فهم الذين لا يعرفون الحق ولا يتبعونه .

إن وجود هاتين الآيتين فى سورة الفاتحة ، التى تقرأ فى كل ركعة دليل على أهمية أن يعرف المسلم أن الطرق متعددة ، والطريق السليم منها هو طريق المرسلين ، طريق الصالحين ، أما غير هذا الطريق فإنها ليست موصلة إلى رضوان الله ، وإنما غضب الله وسخطه على من سلكها .

ومن هنا فلا غرابة أن يظهر أناس ينكرون السنة النبوية ، إن العيب فيهم ، والداء فى قلوبهم ، وقد عرّفنا اللهُ بهم ؛ إنهم يعادون الحق ، ويكرهون الصدق ، ومن هنا يعادون القرآن والسنة ، ويعادون سبيل المؤمنين ، ويبغضون عباد الله الصالحين ، وقد قال الله - تعالى - : ﴿ **ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نولّه ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً** ﴾ [1] .

إن سبيل المؤمنين واضح ، كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه ، ومن بعدهم

(١) سورة النساء الآية : ١١٥ .

استقام عليه التابعون ، والأمة خلفاً بعد سلف ، فمن حاد عن هذا الطريق كبه الله في النار ، وأصلاه جهنم وبئس القرار .

## الرسول ﷺ يخبر عن منكرى السنة :

ومن ضلال هؤلاء المنحرفين عن صراط الله المستقيم : إنكار السنة النبوية ، وهؤلاء أخبر رسول الله ﷺ أنهم سيظهرون ، وحذر منهم :

• فعن أبي رافع عن النبي ﷺ قال : « لا أُلفِينَّ أحدكم متكئاً على أريكته ، يأتيه الأمر من أمرى مما أمرت به أو نهيت عنه ، فيقول لا ندرى ، ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه »[1] .

وقوله صلى الله عليه وسلم : « لا أُلفين » أى : لا أجدنَّ ، وهذا نهى عن تلك الحالة على سبيل المبالغة ، و « أريكته » أى : سريره المزين بأنواع الزينات ، وفيه إشارة إلى أن إنكار الحديث إنما يأتى من المترفين ؛ وهؤلاء شأنهم حب الشهوات ، وعدم المبالاة بأحكام الشريعة ، وشأنهم أيضاً عدم الاهتمام بالعلم .

إنه صلى الله عليه وسلم ينهى عن هذه الحالة ، يعنى : حالة عدم قبول السنة ، وترك العمل بها ، ينهى عن هذه الحالة نهياً شديداً واضحاً ، فيه الغضب منه صلى الله عليه وسلم على من فعل هذا .

• وعن المقدام بن معد يكرب قال : قال رسول الله ﷺ : « ألا هل عسى رجل يبلغه الحديث عنى وهو متكئ على أريكته ، فيقول : بيننا وبينكم كتاب الله ، فما وجدنا فيه حلالاً استحللناه ، وما وجدنا فيه حراماً حرمناه ،وإن ما حرم رسول الله ﷺ كما حرم الله »[2] .

---

(١) أخرجه أبو داود في السنة باب في لزوم السنة ٣٥٦/١٢ ، وأخرجه الترمذى في العلم باب ما نهى عنه أن يقال عند حديث رسول الله ﷺ ٤٢٤/٧ ، وأخرجه ابن حبان في المقدمة باب : الاعتصام بالسنة ١٩٠/١ ، وأخرجه الحاكم ١٠٨/١ ، والخطيب في الفقيه ٢٦٢/١ ، والآجرى في الشريعة ١٧٧/١ -١٧٩ .

(٢) أخرجه الأئمة في تخريج الحديث السابق .

إنه صلى الله عليه وسلم يبين : أنه سيظهر من ينكر السنة النبوية ، ويتعلل بأنه يتبع القرآن ، ثم يبين صلى الله عليه وسلم بأن ما حرمه رسول الله ﷺ حكمه حكم ما حرمه الله ، فإنه صلى الله عليه وسلم ما حرمه إلا بأمر الله - سبحانه وتعالى - وكذلك ما أحله ، فإنه ما أحله إلا بأمر الله - تعالى - اكتفى بذكر أحد المتقابلين عن الآخر .

إن إخباره صلى الله عليه وسلم بهذه الحال علم من أعلام نبوته ، ودليل من أدلة وحى الله إليه وعصمته .

ولذا يورد البيهقى هذين الحديثين فى كتابه : « دلائل النبوة » تحت عنوان « باب : ما جاء فى إخباره بشبعان على أريكته يحتال فى رد سنته بالحوالة على ما فى القرآن من الحلال والحرام دون السنة فكان كما أخبر ، وبه ابتدع من ابتدع وظهر الضرر » [1] .

## السلف ومنكرى السنة :

ولقد تكلم السلف عن منكرى السنة ، وأبانوا أنهم ضُلَّال ، وأنهم ليسوا على ملة الإسلام .

إنهم سيتركون الكثير من الدين ، فسيتركون الصلاة وأحكامها ، وسيعجزون عن امتثال أمر الله سبحانه ﴿وآتوا الزكاة﴾ ، وسيهجرون الكثير مما هو معلوم من الدين بالضرورة .

يقول أيوب السختيانى [2] : إذا حدّثت الرجل بالسُّنَّة فقال : دعنا من هذا ، وحدثنا من القرآن ، فاعلم أنه ضال مضل [3] .

قال الأوزاعى [4] - معلقاً على كلام أيوب السابق - : يقول الله - تعالى - :

---

(١) ج ٦ ، ص ٥٤٩ .

(٢) أيوب بن كيسان السختيانى إمام كبير من أئمة الإسلام الأوائل ، رأى أنس بن مالك ، وحفظ كثيراً مع الدين والورع ، قال عنه الإمام مالك : كان من العالمين العاملين الخاشعين ، توفى سنة ١٣١ ، تهذيب التهذيب ١/٣٩٧ .

(٣) الكفاية ص ٤٩ .

(٤) عبد الرحمن بن عمرو الشامى ، شيخ الإمام مالك وشعبة والثورى فقيه الشام ، ومن كبار المحدثين ، وكان أفضل أهل زمانه علماً وعملاً ، توفى سنة ١٥٨ ، تهذيب التهذيب ٦/٢٤٠ .

﴿وما آتاكم الرسول فخذوه﴾ و﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله﴾ ويدعوه إلى تأويل القرآن برأيه[1] !

وعن عبد الله بن عباس – رضي الله عنهما – قال : « من كفر بالرجم فقد كفر بالقرآن من حيث لا يحتسب »[2] .

وقال ابن حزم : ولو أن امرءًا قال : لا نأخذ إلا ما وجدنا في القرآن لكان كافراً بإجماع الأمة[3] .

وهكذا يتضح أن الله – تبارك وتعالى – بيّن لنا أن للحق أعداءً ، وأن للباطل دعاة !! وبيّن رسول الله ﷺ أن من الناس من سيتنكر لسنته ﷺ .

وثبت السلف على كتاب الله وسنة نبيه ، وحكموا على من أنكر السنة بالخروج عن الملة ، وتعجبوا منهم كيف لا يقبلون بيان القرآن من رسول الله ﷺ ، ويقبلون بيانه من عند أنفسهم .

## معلوماتي عن منكري السنة :

ظهر في هذه الآونة عدد من الحريصين على إنكار السنة ، وعلى الرغم من قلتهم إلا أنهم يكتبون كثيراً ، ولقد حرصت على جمع معلومات عنهم ، فكانت صورتهم كما يأتي :

١ – ليسوا من علماء الإسلام ، فليس هناك عالم من علماء الإسلام ينكر السنة ، وإنما هم جميعاً يعرفون قدرها ، ويعملون بها ، أما منكرو السنة فإنهم ليسوا من علماء الإسلام ، ولم نعرف لهم مؤلفات في خدمة الدعوة الإسلامية ، ولا في أي فرع من فروع الدراسات الإسلامية ، بل إنهم بعيدون كل البعد عن ذلك ، فمنهم من هو كاتب أمام محكمة ، ومنهم من هو دراسته في الهندسة ، ومن دراسته في التجارة ، ومن دراسته في الفلسفة ، ومن يعمل بالقانون ، ومن كان يعمل في العسكر .

---

(١) الكفاية ص ٤٩ .

(٢) أخرجه الحاكم في الحدود باب من كفر بالرجم فقد كفر بالقرآن ٣٥٩/٤ .

(٣) الإحكام ٨٠/٢ .

وباحترام التخصص فهؤلاء لا قيمة لرأيهم ،بل كان الأحرى بهم ألّا يكتبوا ، فإن كل علم يؤخذ من أهله ، يعرف ذلك كل عاقل ، ويبدو أنهم يُختارون بعناية ، بحيث تتوافر فيهم صفات تُعَمّى على المسلم العامى ، أو الذى لا يعرفهم ، فهذا ابن شيخ كبير ، وآخر شقيق داعية فاضل .

ويحملون ألقاباً تتفق مع ألقاب العلماء ،فيكون أحدهم حاصلاً على دكتوراه فى علم غير علوم الإسلام ، أو يحمل لقب أستاذ ، فيلقب نفسه بـ « دكتور » أو « أستاذ » مما يجعل البعض يظن أنه يحمل الدكتوراه أو الأستاذية فى علوم الإسلام ، ولو أنصفت الجامعات لمنعت استعمال الألقاب العلمية إلا إذا كتب الأستاذ فى تخصصه .

وعليه فاستعمال « دكتور » أو « أستاذ » لا قيمة لها فى مؤلفاتهم ، فإنهم كتبوا فى غير تخصصاتهم . فكيف يقبل قول قسيس فى القرآن والسنة ؟!!

وكيف يقبل كلام مهندس لا يحفظ القرآن الكريم ؟ كيف يقبل قوله فى مسائل فى غاية الدقة فى الإسلام ؟!

وكيف يقبل كلام رجل أمضى عمره فى خدمة القوانين ، ولم يعرف عنه فى الإسلام علم ولا عمل ؟ كيف يقبل قوله حينما يعيب علماء الإسلام السابقين واللاحقين ؟ إن عمله بالقانون لا علاقة له بالدراسات الإسلامية ، اللهم إلا أنه زاده جرأة على الحق ؟! وتعالياً على الخلق ، مع ما فيه من قدرة على الهمز واللّمز ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

إن كتابة ألقاب كهذه نوع من التضليل ، تنطق بكذبهم ، وهى دليل كامل على افترائهم وتزويرهم ، وليت أحدهم حينما كتب « دكتور » أو «أستاذ بجامعة كذا» كتب تخصصه ليعرف الناس تخصصه ، وليعرف الناس أنه لا علاقة له بالتخصص فى العلوم الإسلامية .

إن الألقاب لا تؤهل فى حد ذاتها ، فالأستاذ فى الهندسة لا يستطيع أن يفتح عيادة لاستقبال المرضى ، ولو فعلها ما ذهب إليه عاقل ، ولو ذهب إليه جاهل فإنه يضره ولا ينفعه .

إن أنظمة الدنيا لا تسمح بفتح عيادة لأستاذ فى الهندسة ، ولا دكتور فى

الاقتصاد ، لكن لست أدرى كيف يتكلم هؤلاء فى دين الله !!

إن رجل القانون حسبه القانون ، أما أن يذهب فيكتب فى دين الله ، ويعيب الأئمة الأعلام فهذا ضلال ، وبُعد عن الفكر السليم ، والمنهج القويم .

وفى هذه الأيام ظهرت ألقاب لا أصل لها ، قصد بها التعمية على المسلمين مثل : « الكاتب الإسلامى » و« المفكر الإسلامى » وهذه ليست مستنداً يؤهل للكتابة فى أمور الدين .

أما لقب « صحفى » فتطاول به البعض لينتقد الصحابة الأخيار ، والأئمة الأبرار ، فتحت ستار عنوان : « كاتب صحفى » ينتقد أحدهم أئمة الإسلام الأجلاء ، أمثال الإمام الشافعى ، والإمام أحمد بن حنبل ، ولست أدرى كيف صار لقب « كاتب صحفى » مؤهلاً لأن ينصب صاحبه ناقداً وحكماً على فكر الأئمة الأخيار ، فيعترض على هذا ، ويعيب هذا ، بل غالى أحدهم فعاب الأمة بأسرها ، وانتقد أهل السنة والجماعة !!

ألا ليت كل إنسان يعرف قدر نفسه ، ويخاف سيئاته ووزره !!

٢ - فى كتاباتهم تلبيس على غير المتخصص فى السنة ، فيوهمون القارئ بأنهم سيتبعون « الأسلوب العلمى » و« الفكر الحر » و« النظر الثاقب » و« تحرير المسائل » و« التدقيق فى كل أمر » و« الحيدة » و« النزاهة » إلى غير ذلك من الكلمات البراقة ، والتى توهم القارئ أنهم سيحققون فى المسائل تحقيقاً لم يسبقهم إليه أحد .

وإنك لتعجب حينما تسمع لحامل دكتوراه فى علوم التجارة يتحدث أنه لا يستطيع رسول الله ﷺ أن يفسر القرآن ، ولا أبو بكر الصديق ، ولا عمر الفاروق ، ولا الطبرى ، ولا ابن كثير وإنما هذا الدكتور وحده هو الذى يستطيع أن يفسر القرآن الكريم .

سبحان الله !! هل هذا فكر ؟ هل هذا احترام التخصص ؟

بل هل هذا عقل ؟!!

أرجل التجارة يفسر القرآن ورسول الله ﷺ لا يفسره ؟!!

وفى هذه الأيام ظهر نوع آخر من التلبيس ، فيستعملون النظريات التى درسوها فى كتاباتهم لتكون فوق أسلوب القارئ ، فيظن أنهم من العلماء ، وأن تفسيرهم للقرآن برأيهم له قيمته .

إلا أن هذا التلبيس وهذا الخداع لا ينطلى على من درس السنة النبوية ، فإنه بادئ ذى بدء يتجلى له زيف كلامهم ، وباطل مدعاهم .

٣ – افتراءاتهم مزورة : إن أعداء الإسلام قديماً قد افتروا وكذبوا على الإسلام ، فجاء منكرو السنة المعاصرون فأخذوا أقوال أعداء الإسلام السابقين ، وراحوا يرددونها على أنها طعنات للإسلام عامة ، وللسنة خاصة ، وينسبونها لأنفسهم زوراً ، يدرك ذلك من قرأ كتاب « الرسالة » للإمام الشافعى ، والذى أجاب فيه على فرية إنكار السنة ، والتى كانت قد ظهرت بمصر كجزء من الحملة المعادية للإسلام .

إن الفرية هى هى يرددها المعاصرون من مفكرى السنة ، لم تتغير منذ زمن الشافعى الذى عاش فى القرن الثانى الهجرى وتوفى ٢٠٤ هـ ، ومن راجع هذا الكتاب عرف الجواب .

ومن مصادر افتراءاتهم أيضاً أن يقرءوا كتب أئمة الإسلام ، فإذا صور الأئمة إشكالاً وأجابوا عليه أخذ هؤلاء الإشكال ورددوه فى كتبهم ، وقد تنكروا للجواب .

ومن زورهم أنهم يكذبون فى إيراد الحقائق ، قرأت لأحدهم خبراً نقله من كتاب الإحكام لابن حزم مفاده : أن عمر بن الخطاب حبس ابن مسعود وأبا موسى وأبا الدرداء فى المدينة على الإكثار من الحديث ، فلما راجعت الإحكام ج ٢ ، ص ٢٤٩ ، ٢٥٠ طبعة العاصمة وجدت عجباً ، وجدت ابن حزم ذكر الخبر وحكم عليه بالكذب ، فإذا بعَدُو السنة يأخذه ليستدل به[1] !! وهذا يدل على أنهم يتعمدون الكذب فى سبيل بلوغ غايتهم !!

٤ – افتراءاتهم لا تنطلى إلا على السذج : فافتراءات أعداء السنة هزيلة ، تزول

---

(١) فصلت القول فى هذا فى بحث نشر فى مجلة منبر الإسلام ١٤٠٧/١١ – ١٩٨٧/٧ ص ٤١ العمود الأول .

بقراءة موضوعها فى كتب السنة شأنها شأن الافتراءات على الإسلام عموماً ، فإنها لا تقبل إلا عند من ليست عنده دراية ، ولا فطانة ، أما الدارسون للإسلام ، أو حتى من عندهم ذكاء ودربة فكرية فإن افتراءات أعداء الإسلام لا تجد عندهم قبولاً .

**فمثلاً :**

يكثرون الكلام عن كتابة السنة ، ويقولون إنها لم تدوّن إلا على رأس المائة الأولى ، وإن علماً ظل مائة عام بدون كتابة لابد أن يدخله الزيادة والنقص !!

هذا كلام ينطلى على من ليس عنده دراية بتاريخ السنة ، وليس عنده دربة فكرية . أما من عنده مجرد دربة فكرية فإنه لا يقبله ؛ إذ يقول بادئ ذى بدء : إن السنة النبوية مصدر الإسلام مع القرآن الكريم ، فلابد أن تحافظ عليها الأمة ، وأمة الإسلام بحمد الله كثيرة ، والحفظ كان قويًّا فلابد أن السنة وجدت من يحفظها ويصونها ، ومحال أن تفرط الأمة فى مصدر دينها .

أما الدارس لتاريخ السنة فيقول : نعم إن السنة لم تدون إلا على رأس المائة الأولى الهجرية ، إلا أن هذا لا يفيد أنها لم تكتب طيلة هذا القرن ، فالتدوين شىء والكتابة شىء آخر .

فالتدوين : ترتيب المعلومات ، بمعنى أن ترتب الأحاديث على موضوعاتها أو بحسب الراوى الأعلى ، وكل ديوان فمعناه الكتاب الذى رتبت مادته .

أما الكِتابة فهى : مطلق خط الشىء[1] .

وعليه فقول العلماء : إن السنة لم تدون إلا على رأس المائة الأولى ، معناه أنه لم تظهر الكتابة المرتبة ، والمراجع المصنفة .

أما مطلق الكتابة يعنى دون ترتيب على الأبواب فهذا موجود ومتوفر للسنة فى مجالس رسول الله ﷺ ، فلقد كتب صلى الله عليه وسلم كتباً ، وأرسلها إلى حكام البلاد المجاورة ، وكتب كتباً لعمّاله بيّن فيها الكثير من الأحكام ، وكتب

---

(١) راجع كتابى « السنة النبوية مكانتها وعوامل بقائها وتدوينها » راجع فيه باب « كتابة السنة وتدوينها وتصنيفها ص ٩٣ ، فقد أعطيت هذا الموضوع شيئاً من حقه .

الصحابة أمامه ، وأقرهم صلى الله عليه وسلم وأمر بالكتابة لبعضهم .

إن افتراءهم هذا يزول سريعاً أمام التعقل أو العلم ، كما أن النور يزيل الظلام ، والشمس تملأ الوجود ضياء .

٥ - منهجهم مختل : لاحظت كثيراً على أعداء السنة اختلال منهجهم ، واعوجاج خطهم :

* فتجدهم يطلبون الشيء من غير بابه ، يدرسون الإسلام من كتب أعداء الإسلام !!

إن دراسة الشيء كلما اقتربت من مصدره عظمت ووثق بها ، وكلما بعدت ضعفت وقلت الثقة بها ، فمن أراد دراسة الإسلام فعليه بالقرآن والسنة وعلومهما ، فالقرآن يؤخذ فى قراءته من أهل الدراية بقراءات القرآن ، وفى فهمه من علماء التفسير ، الذين جمعوا علوماً متعددة حتى استطاعوا أن يفسروا القرآن الكريم ، والسنة تؤخذ من علمائها ، إنْ دراية ؛ فمن علماء الدراية الذين يعرفون كلمات كل حديث ، بل وحروف كل حديث ، وإنْ رواية فمن علماء الرواية الذين يعرفون روايات كل حديث ، ومعنى كل حديث ، وما يستفاد من الحديث .

هذا هو المنهج السليم ، أما أعداء السنة فهم عكس ذلك تماماً ، لا يقرءون كتب أئمة الإسلام ، وإنما يقرءون الإسلام من خلال كتب أعدائه !!

* وتجد فكر الواحد منهم فى أول الكتاب يختلف عنه فى آخر الكتاب ، قرأت كتاباً لأحدهم ففى أول الكتاب أنكر السنة تماماً ، وفى وسط الكتاب يثنى على أئمة السنة ، ويعترف بقدرهم !!

* أما دراسة المسائل فحدث عن اعتلال منهجهم فيها ولا حرج ، فيقولون : هذا خاص بنساء النبى ولا دليل لهم على الخصوصية .

ويخصصون آية بدون مخصص ، ويخطئون فى فهم النصوص ، وينكرون حجية الإجماع ، يفترون العلل للآيات لتفسيرها فى ضوء ما افتروه ، يعلقون الحكم على شيء ، ثم يلغون المعلق عليه . يتضح هذا كثيراً لمن قرأ كتبهم .

• وجهلهم بأصول الكتابة والتأليف واضح ، فيقتبسون من تعليق ويعزون إلى الكتاب الأصل ، ويسوقون الدعوى والدليل ، إلا أن الدليل لا يؤيد الدعوى !! ويسوقون الدعوى ، والدليل ضدها !! .

• والخروج عن وقار العلم شائع فيهم ، فما بين تجريح ودس ، وما بين وقيعة وخبث ، لا يعرفون أدب طالب العلم ، ولا أخلاق العلماء ، بل إنَّ بينهم وبين ذلك بونا شاسعاً .

٦ – ليسوا طلاب حق : أعداء السنة ليسوا طلاب حق ، وإنما هم مقيمون على عداء السنة والكيد لأهلها . يرددون فكرهم كأنهم ببغاوات ، مهما أقمت لهم من حجج وبراهين لا يقبلون . جُنّدوا لذلك وعليه حريصون .

ناقشت أحدهم رجاء أن يتضح له الحق ، لكنه على الرغم من وضوح الحق باعتراف الحاضرين لم يُسَلِّم ، وإنما أصرَّ على باطله ، وظهر منه أنه لا يستطيع إلا ذلك ، فأعرضت عنه .

يجعلون فكرهم هو الأساس ، وله تطوى كل الحقائق ، وتقصف أعناق النصوص ، فإذا كان المجال مجال اللغة لا يهمه ماذا تقول كتب اللغة ، وإنما المهم أن يفسر الشيء حسبما يقتضيه فكره .

وإذا كان المجال مجال حكم شرعى فليس يعنيه أن يرجع إلى كتب الفقه ، وإنما يعنيه أول ما يعنيه أن يفرض باطله وإن خالف الكثير من النصوص .

قرأت لأحدهم أنه إذا كانت الآية : ﴿ **للذكر مثل حظ الأنثيين** ﴾ [1] أى أن الولد يرث ضعف البنت لما عليه من مسئوليات تجاه الكثيرين من أم وأخوات ، وخالا وعمات .

قرأت لأحدهم يقول : إن الولد يرث ٦٦,٦ بحد أقصى ، والبنت ترث ٣٣,٦ بحد أدنى ، ولست أدرى من أين جاء بحد أقصى فى الولد وبحد أدنى فى البنت !! ثم راح يقول : ويجوز لنا أن نقربهما من بعضهما فلو أعطينا الولد ٦٠٪ والبنت ٤٠٪ فهذا جائز .

إن المهم عنده مخالفة الآية والأحاديث التى فى الموضوع ، ولو كان طالب حق

---

(١) أول الآية ١١ من سورة النساء .

لقال بما قال به علماء الإسلام على مر التاريخ للولد ضعف ما للبنت .

وآخر منهم يقول نترك هذه الآية : ﴿ **للذكر مثل حظ الأنثيين** ﴾[1] ونأخذ بالآية الأخرى : ﴿ **للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون مما قل منه أو كثر نصيباً مفروضاً** ﴾[2] يقول : فنسوى بين الذكر والأنثى فى الميراث ، وأتعجب من هذا الفهم .

أنترك الآيات التى حددت الأنصبة : ﴿ **يوصيكم اللّه فى أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين فإن كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك وإن كانت واحدة فلها النصف ولأبويه لكل واحد منهما السدس مما ترك إن كان له ولد فإن لم يكن له ولد وورثه أبواه فلأمه الثلث فإن كان له إخوة فلأمه السدس من بعد وصية يوصى بها أو دَيْن آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعاً فريضة من اللّه إن اللّه** كان عليماً حكيماً » ولكم نصف ما ترك أزواجكم إن لم يكن لهن ولد فإن كان **لهن ولد فلكم الربع مما تركن من بعد وصية يوصين بها أو دين ...**﴾[3] .

إننا نلاحظ أن الآيات حددت الأنصبة بدقة وبشروط ، فكيف نعرض عنها إلى الآية التى أثبتت أصل الميراث ؟ أى فهم هذا ؟

﴿ **للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون** ﴾[4] على فهم هذا الخارج عن سبيل المؤمنين يصبح كل الرجال وكل النساء سواسية فى الميراث من الأبوين والأقربين !! فيرث الابنُ كما يرث ابنُ الأخ ، كما يرث ابنُ الأخت كل على درجة سواء ! وترث البنتُ من أمها كما ترث خالها كما ترث خالتَها كما ترث بنتُ خالتها ، فهل هذا يعقل ؟ ترث البنت من أمها كما ترث بنت خالتها .

**إن هؤلاء يريدون إخراج الأمة عن دينها بكل حيلة !!**

وصدق الله العظيم إذ يقول : ﴿ **ومن أظلم ممن افترى على اللّه الكذب وهو**

---

(١) أول الآية ١١ من سورة النساء .
(٢) سورة النساء الآية : ٧ .
(٣) سورة النساء الآيتان ١١ ، ١٢ .
(٤) سورة النساء الآية : ٧ .

**يُدعى إلى الإسلام والله لا يهدى القوم الظالمين • يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون • هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ﴾**[1] .

٧ - مصادر بحوثهم مصطنعة : ومنكرو السنة يكتبون ويضعون لكتاباتهم مصادر ، إلا أنه يُلاحظ أن مصادرهم لا تُوَثِّق بحوثهم بل تشهد بخطئها :

• فما قيمة كتاب يأخذون منه ويعتبرونه مصدراً لدراساتهم الإسلامية بينما مؤلف هذا الكتاب غير مسلم ؟!! ما قيمة كتاب كتبه عدو للإسلام ؟ ما قيمة كتاب كتبه إنسان لا يعرف الإنصاف ؟

• إن مصادرهم الكثير منها لمستشرقين ، ولنصارى ، وليهود .

• وكثير منهما لفرق تُحسبُ على الإسلام ظلماً .

• وكثير لمؤلفين معروفين بالضلال والزيغ .

ومنكرو السنة فى هذه الآونة جعلوا من أنفسهم مصادر لهم ، فهذا يأخذ عن هذا ، وهذا ، وهذا ، وذاك يأخذ عن هذا ، وهذا ، وهذا .

وهكذا ، يؤيد كل منهم كلامه بكلام أمثاله ، وهم جميعاً لا قيمة لكلامهم من المنظور الشرعى ، فليس كل من تكلم يقبل كلامه ، ولا كل من كتب يقبل كتابه ، وإنما يُقبل علم التقى الورع الملتزم بالقرآن والسنة الذى يشهد له علماء الأمة بالاستقامة والفضل . قال الله تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين** ﴾[2] .

• وإنى لأجد أكبر مصدر لهم لمستشرق معروف بعدائه الشديد للإسلام فأتعجب وأجد مصادر لهم مؤلفها ادعى النبوة فى زماننا هذا !! وأجد مصادر لهم مؤلفها تُحكم بردته !! وكثير من مصادرهم حكم علماء الإسلام بضلال مؤلفيها .

وهم - منكرو السنة - يُقبلون على هذه المصادر بكل حرص ، مما أفقد مؤلفاتهم وزنَها ، وأبان عوار كتبهم وزيفها ، وأظهر بطلان أفكارهم وضلالها .

---

(١) سورة الصف الآيات : ٧ - ٩ .　　(٢) سورة الحجرات الآية : ٦ .

## الرد على شبههم :

إن الكلام الذى يثرثر به أعداء السنة حول السنة ليس شُبَهاً عند المتخصصين فى دراسة السنة ، وإنما هو شبه قد تنطلى على من لم يدرس السنة النبوية .

وهم يدندنون بهذا الكلام فى هذه الأيام معتمدين على قلة دراية الناس بسنة رسول الله ﷺ ، وأنا أورد هنا عدداً من شبههم على السنة عموماً ، وعدداً من شبههم على أحاديث معينة وأبين بفضل الله ضحالة هذه الشبه وزيفها ، هادفاً من ذلك ألا تنطلى على القارئ بعد ذلك أى شبهة ، إذ تتربى عنده ملكة ، يتحصن بها فكره ضد هذه الشبهات .

### فمن ذلك :

# الشبه العامة

## الشبهة الأولى : القرآن يُستغنى به عن السنة :

هذه الشبهة تنطلى على الكثيرين ، لما للقرآن الكريم من منزلة فى نفوس الناس ، فيكثر أعداء السنة من القول بأن القرآن كاف ، واف ، شاف ، وأنهم ليسوا بحاجة للسنة ، ويدللون على ذلك بقوله تعالى : ﴿ **ما فرطنا فى الكتاب من شىء** ﴾[1] وقوله عز وجل : ﴿ **ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شىء** ﴾[2] .

**الرد** : وأقول لهم كيف يُستغنى بالقرآن عن السنة وقد قال الله ﴿ **لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة** ﴾[3] ؟ أى قدوة حسنة . كيف يُستغنى بالقرآن

(١) سورة الأنعام الآية : ٣٨ .
(٢) سورة النحل الآية ٨٩ .
(٣) سورة الأحزاب الآية ٢١ .

عن السنة ، وفى القرآن من المجمل ما يحتم أن يكون بيانه من السنة ؟ :

ففيه ﴿ **وأقيموا الصلاة** ﴾ [1] وفيه ﴿ **حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى** ﴾ [2] وفيه ﴿ **وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم فإذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم ...** ﴾ [3] الآية ، وفيه ﴿ **فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام** ﴾ [4]، وفيه ﴿ **إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين** ﴾ [5] .

فى القرآن الكريم كلام من عدة أوجه عن الصلاة ، صلاة الأمن ، وصلاة الخوف ، وفيه الحديث عن القبلة والاتجاه إلى البيت الحرام ، وفيه الكلام عن المساجد وعمارتها ، وأنها لعبادة الله وحده ، قال تعالى : ﴿ **وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً** ﴾ [6] .

وفيه الأمر بالمحافظة على أوقات الصلاة فى أوقاتها ﴿ **إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً** ﴾ [7] ، وفيه الحث على الخشوع فى الصلاة ﴿ **قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون** ﴾ [8] ، وفيه التحذير من تأخيرها عن وقتها ﴿ **فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون** ﴾ [9] ، وفيه الأمر بالتطهر لها ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم إلىالكعبين وإن كنتم جنباً فاطهروا وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيداً طيباً فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه** ﴾ [10] ، وهنا يتساءل الإنسان عن هذه الصلاة التى لها أوقات ، ولها قبلة ، وتصلى فى جماعة

---

(1) سورة البقرة الآية : ٤٣ .
(2) سورة البقرة الآية : ٢٣٨ .
(3) سورة النساء الآية ١٠٢ .
(4) سورة البقرة الآية ١٤٤ .
(5) سورة التوبة الآية : ١٨ .
(6) سورة الجن الآية : ١٨ .
(7) سورة النساء الآية : ١٠٣ .
(8) أول سورة المؤمنون .
(9) سورة الماعون الآية : ٥ .
(10) سورة المائدة الآية : ٦ .

ولو فى المعركة مع المشركين ، وتبنى لها مساجد ، ويتطهر لها ، يتساءل الإنسان : أين التوصيف الدقيق لها ؟ فما عددها ، وما أوقاتها ، وكيف تؤدى ؟ بل يتساءل عن دقائقها ، فما معنى ﴿ **واركعوا مع الراكعين** ﴾ يتساءل أسئلة كثيرة ناشئة عن آيات القرآن الكريم ، فيجد إجاباتها فى السنة النبوية ، فيجد توصيفاً دقيقاً يتناغم مع القرآن الكريم بكل دقة ، ويتوافق مع الكتاب العزيز بكل عظمة ، حتى إن القارئ للكتاب والسنة لابد أن يقول : إنهما من مشكاة واحدة .

فحينما نقرأ فى القرآن الكريم ﴿ **وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين** ﴾ (1) نجد فى السنة النبوية بيان هذا المجمل بكل توضيح ، فالصلوات خمس فى اليوم والليلة ، صلاة الصبح ركعتان ، والظهر أربع ، والعصر أربع ، والمغرب ثلاث ، والعشاء أربع ، نجد فى السنة حقيقة الركعة وأنها مؤلفة من قراءة الفاتحة ، وركوع ، ورفع ، وسجود ، وجلوس ، وسجود ، مع اطمئنان فى تأدية الأركان ، وأمور تستحب ، وهيئات تستحسن .

نجد فى السنة توضيحاً كاملاً لقوله تعالى ﴿ **واركعوا مع الراكعين** ﴾ ففيها أحكام صلاة الجماعة ، ومن أَوْلى بالإمامة ، ومتى يجهر الإمام ومتى يسر ، هذا وغيره كثير ، حتى إن الإنسان لا يحتاج بعد توضيح السنة شيئاً قط ، فقد وضح الأمر كل الوضوح .

وهكذا فى كثير وكثير جداً من المسائل ، تجدها مجملة فى القرآن الكريم فبينها المصطفى المعصوم ﷺ ، ويتناقلها المسلمون واقعاً عملياً ، ولفظاً محفوظاً فى الصدور وفى السطور .

قرأت لأحد منكرى السنة : إن الصلاة التى أمرنا الله بها فى القرآن الكريم هى الدعاء ، فإذا دعوت بعض دعوات فقد صليت (2) !! .

وعجبت كثيراً ، كيف يقول هذا عاقل ؟ إن القرآن قد وضح ملامح الصلاة المفروضة بما معه لا يمكن أن تكون هى الدعاء ، لقد وضح أنها فيها ركوع وسجود ،

---

(1) سورة البقرة الآية : ٤٣ .

(2) نشرت هذا جريدة معارضة مطمورة مصرية ، وكم للجرائد والمجلات من طامات .

ولها قبلة ، ومساجد ، ولها أذان ، وفيها صلاة جمعة ، إلى آخر الملامح القرآنية للصلاة .

فكيف يقول إنسان يدعى أنه يتبع القرآن الكريم ، كيف يقول إن الصلاة التى أمرنا الله بها فى القرآن الكريم إنما هى مجرد دعاء؟ إن هذا تضليل بلغ من الوضوح درجة لا يحتاج إلى أن يرد عليه ، فإنه يرفضه كل سليم الفطرة معتدل التفكير ، أما من فى قلبه مرض ، أو لوثت فطرته ، أو اختل عقله لتعصب أو هوى أو غير ذلك فمثل هذا فليذهب إلى الجحيم فلا عبرة بما يرى .

## الجزء القرآنى من شبهتهم :

أما استدلالهم بقول الله تعالى : ﴿ **ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شىء** ﴾[1] يستدلون بها على أن القرآن الكريم قد حوى كل العلوم ولا حاجة للسنة فأتساءل معهم : هل بين القرآن الكريم عدد الصلوات المفروضة ؟

هل بين القرآن الكريم كيفية الصلاة ؟

هل بين القرآن الكريم كيفيةصلاة الجماعة .. إلى آخر ما ذكرت قبل ذلك .

وأقول لهم : قال الله تعالى ﴿ **وآتوا الزكاة** ﴾ فهل بين القرآن الكريم الأموال التى تجب فيها الزكاة ، والمدة التى تجب فيها الزكاة ، والمقدار الذى تجب فيه الزكاة ، والمقدار الذى يجب أن يخرجه صاحب المال ، إن القرآن لم يبين ذلك ، فكيف تستدلون بالآية على أن القرآن يكفى عن السنة ؟! .

وما قلته عن الصلاة والزكاة يقال عن الصيام ، والحج ، والجهاد ، والبيوع ، والنكاح ، والطلاق ، والرضاع ، والنفقات ، جاءت التشريعات فى هذه الأمور وغيرها مجملة فى القرآن الكريم ، فأين ﴿ **تبياناً لكل شىء** ﴾ ؟ وأين الاستغناء بالقرآن الكريم عن السنة ؟ [2] .

---

(١) سورة النحل الآية : ٨٩ .

(٢) لقد اختصرت هذا بذكر الموضوعات فقط ، أما المروزى فإنه قد وضح ذلك وأجاد ، فليراجع كتابه : «السنة» موضوع : ذكر السنن التى هى تفسير لما افترضه الله مجملاً مما لا يعرف معناه بلفظ التنزيل دون بيان النبى ﷺ وترجمته ص ٣٦ - ٦٨ وراجع ما بعده .

نعم : أنزل الله الكتاب تبياناً لكل شىء ، إما دلالة مبينة مشروحة ، وإما مجملة يُتَلقَّى بيانها من الرسول ﷺ أو من الإجماع ، باشتماله على كليات الإسلام وأصوله ، وباشتماله على المصادر التى تبين وتفصل ، والأمر باتباع هذه المصادر ، وهى :

**السنة** : لقوله تعالى : ﴿ **وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا** ﴾ [1] وقد قدمت الكثير من الأدلة على حجية السنة عند الكلام على « وجوب العمل بالسنة » [2] .

**الإجماع** : لقوله تعالى ﴿ **ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل نُولِّه ما تولى ونُصْلِه جهنم وساءت مصيراً** ﴾ [3] .

**القياس** : لقوله تعالى ﴿ **فاعتبروا يا أولى الأبصار** ﴾ .

إن القرآن الكريم قد حوى الكثير من أمور الدين وأمر باتباع السنة ، واتباع الإجماع ، والاعتماد على القياس عند الحاجة ، فأصبح متضمناً لعلومه ، وعلوم السنة والإجماع والقياس ، لأنه لما أمر باتباع هذه الأشياء كان العمل بها عملاً بالقرآن الكريم ، فبذا أصبح تبياناً لكل شىء .

إننى أتساءل مع القائلين بأن القرآن قد بيَّن كل شىء : ما بال الصحابة كانوا يسألون رسول الله ﷺ عن بعض أمور الإسلام ، كالذى أرسل امرأته إلى بيت رسول الله ﷺ تسأل عن تقبيل الرجل زوجته وهو صائم [4] وأكثر من ذلك لماذا سأل الصحابة رسول الله ﷺ عن معانى القرآن ، فسألوا حينما نزلت ﴿ **الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون** ﴾ [5] فسألوا قائلين : أينا لا يظلم نفسه ؟ فاهمين أن الظلم فى الآية مطلق ظلم ، فبين لهم ﷺ أن الظلم فى الآية المراد به الشرك ، مستدلاً بآية أخرى من الكتاب العزيز ﴿ **يابنى لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم** ﴾ [6] .

---

(١) سورة الحشر الآية : ٧ .
(٢) تقدم هذا البحث باستفاضة ص ٧٧ .
(٣) سورة النساء الآية : ١١٥ .
(٤) تقدم فى أدلة حجية الآحاد ص ٢٨٣ .
(٥) سورة الأنعام الآية : ٨٢ .
(٦) هذا الحديث أخرجه البخارى فى أحاديث الأنبياء باب قول الله ﴿ **ولقد آتينا لقمان الحكمة** ﴾ ٦/٤٦٥ رقم ٣٤٢٩ وقول الله ﴿ **لا تشرك بالله ...** ﴾ والآية من سورة لقمان رقم ١٣ .

إن تساؤلات الصحابة دليل على أن البيان موكول إليه ﷺ ، ومن هنا جاء الأمر بطاعته ، وجاء التحذير من مخالفته .

وسؤال آخر : هل العموم فى الآيتين : ﴿ **ما فرطنا فى الكتاب من شىء** ﴾ و ﴿ **تبياناً لكل شىء** ﴾ هل هذا العموم على إطلاقه ؟ لو كان كذلك لكانت علوم الدنيا والآخرة فى القرآن الكريم ، ولما فكر مفكر . فلم يبق إلا تخصيص هذا العموم ، وأنه تبيان لكل شىء من أمور الدين ، ومادام العام قد خص ، فقد ضعف عمومه .

وأيضاً .. ﴿ **ما فرطنا فى الكتاب من شىء** ﴾ هل الكتاب هنا هو القرآن ؟

إن سياق الآية ﴿ **وما من دابة فى الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ما فرطنا فى الكتاب من شىء** ﴾ لو كان الكتاب هو القرآن لكان القرآن مشتملاً على شئون جميع المخلوقات ، ومقدراتها ، وأرزاقها ، الطيور فى الهواء ، وأمم البحر من أسماك وغيرها ، وأمم البر من وحوش وغيرها ، ولما لم يكن القرآن مشتملاً على ذلك ، ثبت أن المراد بالكتاب فى قوله تعالى ﴿ **ما فرطنا فى الكتاب من شىء** ﴾ إنما هو اللوح المحفوظ ، كما فى قوله تعالى ﴿ **وما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل فى كتاب مبين** ﴾[1] .

لقد أطلت فى الرد على هذه الشبهة بعض الإطالة نظراً لأنها قد تنطلى على العامة .

أما الذين يثيرونها فلا أظن أن الرد يخفى عليهم ، لكنه الباطل الذى يُعمى حبه بعض الخلق نسأل الله العفو والعافية .

ولست بالحريص أن أكتب لهؤلاء ، فإنهم ينكرون السنة فى أول كتبهم ويدّعون العمل بالقرآن ، وبعد قليل من كتاب أحدهم تجده ينكر القرآن تماماً ، إنهم يتشدقون بالقرآن تعمية على الناس ، وترويجاً لباطلهم ، لكنك إذا قرأت لهم وجدتهم ينكرون القرآن ، ويحتالون على تغيير أحكامه .

---

(١) سورة هود الآية : ٦ .

وختاماً للحديث على هذه الدعوى - دعوى أن القرآن يُستغنى به عن السنة - أتساءل : إذا كان القرآن يُغنى عن السنة ، فما معنى الآيات الآمرة باتباع رسول الله ﷺ ، مثل قوله تعالى : ﴿ **قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم** ﴾ (١) ، وقوله سبحانه : ﴿ **لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً** ﴾ (٢) .

٢ - وما معنى الآيات المقيدة لنزول السنة عليه صلى الله عليه وسلم ، ومنها قوله تعالى : ﴿ **وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيماً** ﴾ (٣) ، وقوله تعالى لنساء رسول الله ﷺ : ﴿ **واذكرن ما يتلى فى بيوتكن من آيات الله والحكمة** ﴾ (٤) .

٣ - وما معنى الآيات الآمرة بطاعته صلى الله عليه وسلم ، مثل قوله تعالى : ﴿ **من يطع الرسول فقد أطاع الله** ﴾ (٥) .

٤ - إذا كان القرآن يغنى عن السنة فما معنى الآيات المحذرة من مخالفته صلى الله عليه وسلم ، ومنها قوله تعالى : ﴿ **فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم** ﴾ (٦) .

إن الذين يدعون اتباع القرآن وأنه يغنى عن السنة يتناقضون مع القرآن الكريم ، فإن القرآن يشتمل على الكثير من الآيات الدالة على وجوب العمل بسنته صلى الله عليه وسلم (٧) . وعليه فلا يخدعون أنفسهم بأنهم « قرآنيون » ولا ينخدع بهم غيرهم لجلال كلمة « قرآن » فإنهم ليسوا بقرآنيين ، لأنهم لا يعملون بهذه الآيات الآمرة باتباع رسول الله ، والموجبة لطاعته . إنما « القرآنيون » هم الذين يتبعون رسول

---

(١) سورة آل عمران الآية : ٣١ .
(٢) سورة الأحزاب الآية ٢١ .
(٣) سورة النساء الآية : ١١٣ .
(٤) سورة الأحزاب الآية ٣٤ .
(٥) سورة النساء الآية : ٨٠ .
(٦) سورة النور الآية : ٦٣ .
(٧) راجع باب وجوب العمل بالسنة فصل « القرآن الكريم يوجب العمل بالسنة » ص ٨٠ .

الله ﷺ فى كل ما جاء به عن الله ، من قرآن ، ومن سنة ، وهو صلى الله عليه وسلم القائل : «إنى قد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبداً كتاب الله وسنة نبيه»[1] .

## الشبهة الثانية : السنة فيها الصحيح والموضوع :

هذه شبهة من شبه منكرى السنة ، وهم من أدرى الناس ببطلان هذه الشبهة ، وقائلها لا أجد له شبهاً إلا من قرأ : ﴿ **فويل للمصلين** ﴾ ثم سكت ولم يكمل ، ولو أكمل فقرأ : ﴿ **فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون** ﴾ لتغير المعنى تماماً ، فما قرأه أولاً يثبت أن من صلى عُذب ، وما قرأه ثانياً يثبت أن من سها عن الصلاة عُذب ، والفرق بين المعنيين كبير .

كذلك هنا : إن من قال السنة فيها الصحيح والموضوع وسكت ، أفاد أن صحيح السنة مختلط بموضوعها ، ولا يميز بين الغث والسمين ، وهذا تجنٍّ على الحقيقة ، ومجانبة للصواب .

ولو أن قائله أنصف لأكمل الكلام فقال : السنة فيها الصحيح والموضوع ، والصحيح معلوم والموضوع معلوم . إنه لو قال الحقيقة كلها هكذا لأنصف ، إلا أن هذا القول يصبح على غير هواه ، ولا يبلغه مقصوده .

إن السنة لها رجالها وعلماؤها ، ولقد بينوا حال كل حديث ، وحكموا على الصحيح بالصحة ، وعلى الحسن بالحسن ، وعلى الضعيف بالضعف ، وعلى الموضوع بالوضع .

* وألف بعضهم كتباً فى الأحاديث الصحيحة ، كصحيح البخارى ، وصحيح مسلم .
* وألف بعضهم كتباً فى الأحاديث الصحيحة والحسنة ، كسنن أبى داود ، وبقية السنن .

---

(١) أخرجه الحاكم فى العلم باب خطبته صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع ٩٣/١ ، وأخرجه البيهقى فى السنن الكبرى فى آداب القاضى باب ما يقضى به القاضى ١١٤/١٠ .

* وألف بعضهم كتباً فى الأحاديث الضعيفة ، كالعلل المتناهية فى الأحاديث الواهية .

* وألف بعضهم كتباً فى بيان حال أحاديث كتب معينة ، كنصب الراية فى تخريج أحاديث الهداية ، بين فيه الزيلعى حال الكثير من أحاديث الأحكام ، حتى كاد أن يستوعبها .

* وألف بعضهم كتباً فى الأحاديث الموضوعة ، كتنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة لابن عراق .

بل إن لعلماء الحديث جهوداً فى التعريف بحال الرواة ، ومعرفة ما لكل راو من الأحاديث مما يبهر القارئ ، ويستولى على لب المنصف ، لقد عرفوا كل حديث وسلسلة رواته ، وأنه يرويه فلان عن فلان عن فلان بلفظ كذا ، وأنه يروى من طريق آخر يرويه فلان عن شيخه فلان عن فلان بلفظ يختلف فى كلمة كذا ، أو فى حرف كذا .

إن الدارس لعلم السنة يجد أن مدرسة الحديث لها رجالها الذين قاموا بخدمة حديث رسول الله ﷺ من كل ناحية ، فلا تجد ناحية تقول ليتهم خدموا السنة من هذه الناحية .

لقد جمعوا الأحاديث على كل نحو ، وشرحوها شروحاً مطولة مستوعبة ، ودرسوها دراسة عامة ، ودراسة تحليلية ، فأبانوا فقهها وما يستفاد منها ، واستنبطوا واستخرجوا .

ولهم كتب فى الغريب ، شرحوا فيها الألفاظ التى تخفى معانيها ، ولهم كتب فى أسباب ورود الحديث ، بينوا فيها القصة التى حدثت فقال رسول الله ﷺ الحديث ، ولهم كتب فى ضبط أسماء أعلام الحديث ، من الرواة وغيرهم ، وهو علم من خصوصيات مدرسة الحديث « مدرسة السنة » .

لقد خدمت السنة خدمة لم يحظ بها علم آخر ، حتى قال أحد المستشرقين - مارجليوث - : ليفتخر المسلمون ما شاءوا بعلم حديثهم[1] .

---

(١) مقدمة محقق الجرح والتعديل نقلاً عن المقالات العلمية ص ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، وبمشيئة الله تعالى سأفرد هذا الموضوع بمؤلف مستقل « جهود المحدثين ومنهجهم فى الحفاظ على السنة » .

إن وجود الحديث الموضوع فى السنة لا يمثل عيباً ، وإنما يمثل ميزة عظيمة للسنة ، لأنه يدل على أنه كان للسنة رجال يميزون الحديث المقبول من المردود ، ويعرفون الثابت من الموضوع ، ولقد دونوا كل ذلك فى مؤلفات تنطق بين أيدينا بعمق النظرة ، ودقة الفكرة .

إن وجود كتب جامعة للأحاديث المقبولة ( الصحيحة ، والحسنة ، والضعيفة ضعفاً يحتمل ) وكتب للأحاديث المردودة ( شديدة الضعف ، والموضوعة ) ظاهرة طيبة وصحية فى شأن السنة النبوية ، فمن أراد الأحاديث المقبولة فلها كتبها الكثيرة الشهيرة مثل الكتب الستة :

١ - صحيح البخارى .
٢ - صحيح مسلم .
٣ - سنن أبى داود .
٤ - سنن الترمذى .
٥ - سنن النسائى .
٦ - سنن ابن ماجه .

ومعها :

٧ - موطأ الإمام مالك
٨ - صحيح ابن خزيمة .
٩ - صحيح ابن حبان .
١٠ - مستدرك الحاكم .
١١ - مسند الإمام أحمد بن حنبل .
١٢ - مسند الشافعى .
١٣ - السنن للشافعى .
١٤ - مسانيد الإمام أبى حنيفة[1] .

ومن أراد الاحتياط ، ومعرفة الأحاديث المردودة حتى لا يُحَدِّث بها ، فليراجع :

١ - تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة لابن عراق .
٢ - العلل المتناهية فى الأحاديث الواهية لابن الجوزى .
٣ - الفوائد المجموعة فى الأحاديث الموضوعة للشوكانى .

---

(١) إذا أردت المزيد من كتب السنة فراجع مقدمة موسوعة الحديث النبوى للدكتور / عبد الملك بكر عبد الله قاضى ، فلقد أقام موسوعته على أكثر من مائتى كتاب من كتب السنة ، ذكرها فى مقدمة كل باب من أبواب موسوعته ، أسأل الله أن تتم على خير .
وراجع أيضاً : كتاب : الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة للكتانى .

٤ - اللآلئ المصنوعة فى الأحاديث الموضوعة للسيوطى .

٥ - الكشف الإلهى عن شديد الضعف والموضوع والواهى للسندروسى .

إن علماء السنة حينما جمعوا الأحاديث المقبولة ، كان يمكنهم أن يكتفوا بذلك بناء على أنهم قد جمعوا المقبول فما عداه مردود ، لم يكتفوا بذلك ، فلربما ورد على المسلم حديث لم يتسع الوقت للبحث عنه فى كتب المقبول وهى كثيرة فيظنه مقبولاً ، وإنما ألفوا فى الأحاديث المردودة ، مصرحين ببيان حالها حتى إذا بحث المسلم عن حديث مردود وجد التصريح ببيان حاله ، والنطق بأنه مردود .

وعليه فلا يصح أن يقال : إن السنة فيها الصحيح والموضوع ، ويسكت على ذلك فهذه خيانة لا يقول بها إلا عدو للحق ، عدو للسنة النبوية ، عدو للإسلام ، وإنما إذا قيل ذلك فلابد من الصدع بالحق كله ، فيقال السنة لها كتبها المشتملة على الأحاديث الصحيحة والمقبولة ، فإذا أردت حديثاً أو أحاديث فى موضوع ما فراجع هذه الكتب ، أما إذا عرض لك حديث لا تعرف حاله فراجعه فى كتب الموضوعات ، فإذا وجدته فلا تحدث به فإنه ليس من كلام رسول الله ﷺ .

إن السنة لها كتبها المستوعبة للكثير من أحاديثها ، وهى أحاديث كلها فى درجة القبول ، ومرتبة على أوجه متعددة ، وهذه ليس فيها حديث موضوع ، مما يجعل القول بأن السنة فيها الصحيح والموضوع مغالطة واضحة .

* * *

## الشبهة الثالثة : السنة أخبار آحاد [1] تفيد الظن [2] ، وهو ليس حجة [3] !!

هذه الشبهة جملة مغالطات ركبت على بعضها ، فأنتجت هذه النتيجة عند من يغالط ، وعند من لا علم له بحقيقة الأمر .

فالقول بأن السنة أخبار آحاد هذه مغالطة من عدة أوجه :

### أولهــا :

* فالسنة علم تتناقله الأمة جيلاً عن جيل بأعداد تفوق أى تواتر ، فالمسلمون يأخذ الخلف عقيدته عن السلف ، ويتعلمها الأبناء عن الآباء ، فأى آحاد هنا ؟ .

والمسلمون يأخذون عباداتهم الخلف عن السلف ، وكذلك الأخلاق ، وكل أمور الإسلام تأخذها الأمة جيلاً عن جيل ، بأعداد تفوق أى تواتر .

إن السنة النبوية ليست علماً محبوساً فى بطون المؤلفات ، وإنما هى علم يُعمل به ، ويحكم حياة الأمة ، فيُتَحدث به ، ويتناقش فيه ، وهذا يجعله محفوظاً فى نصوصه ، مطبقاً بفكر أمة ، وعقلية تطبيق ، وهذا الذى جعل بعض منكرى السنة يقول بحجية السنة العملية .

وأتساءل : أليست السنة فى جملتها عملية ؟

فالإسلام دين عمل .

ماذا بقى بعد العمليات ؟

١ - بقى القسم التاريخى ، من سيرة رسول الله ﷺ ، والغزوات ، وفضائل الصحابة .

وهذا أوثق من تاريخ أى أمة ، فلقد نقل برواية العدل الضابط عن العدل

---

(١) خبر الآحاد يقصدون به أن الأحاديث يرويها عدد قليل عن عدد آخر ، والآحاد ، عندهم مقابل المتواتر ، والمتواتر يرويه عدد كثير يحيل العقل اتفاقهم على الكذب فى كل طبقة ، ولا يشترط فيهم إسلام ولا ضبط .

(٢) أهل هذه الشبهة يفسرون الظن بالشك بينما له معان ذكرتها فى مبحث حجية الآحاد وقد تقدم ص ٢٨١ .

(٣) سبق أن رددت هذه الشبهة على أنها ترد على خبر الآحاد ، أما هنا فأردها على أنها ترد على السنة النبوية ، راجع ص ٢٨١ .

الضابط إلى آخر السند ، وهذا لا يوجد فى تاريخ أى أمة .

٢ - بقى القسم الاجتماعى أو الأخلاقى .

وهذا يعترف الجميع بفضله ورقيه وسموه ، فما من فضيلة إلا وحث الإسلام عليها ، وما من رذيلة إلا ونهى الإسلام عنها ، ومع ذلك فهذا من السنة العملية ، فلقد تناقلت الأمة جيلاً عن جيل احترام الجار ، ومراعاة حقوق الأقارب ، وبر الوالدين .

**ثانيها :**

وهذه الشبهة مغالطة فى وصف الأحاديث بأنها آحاد ، فهذا المصطلح لم يستعمله المحدثون ، وإنما أطلقه من أرادوا إبطال الأحكام .

ومن راجع كتب المصطلح لا يجد هذا المصطلح عند المتقدمين ، ومن راجع كتب الأصول لم يجد هذه الدعوى عند المتقدمين منهم أيضاً .

وهذه الشبهة مغالطة من جهة ادعاء أن السنة أخبار آحاد ، فهناك فرق كبير بين الأخبار الشائعة فى حياة الناس برواية الصادق والكاذب ، وبرواية الذكى والغبى ، وبرواية المبالى وغير المبالى فرق بين هذه الأخبار ورواية الأحاديث النبوية التى اشترط الإسلام لها شروطاً ، وأقام لها أصولاً ، مما يجعل الخبر الإسلامى له من الخصائص ما يميزه عن بقية الأخبار[٢] .

إن السنة كعلم ينقل بالرواية قد تنوقل بأساليب تفيد العلم ، ويطمئن لها القلب ، والأمة الإسلامية أمة لها منهجها العلمى الأصيل مما يجعل السنة مصونة محفوظة .

والقول بأن خبر الآحاد يفيد الظن فيه مغالطة فوق مغالطة ، فبعد أن أبنت أن إطلاق خبر الآحاد على السنة مغالطة ، أبين أيضاً أن دعوى خبر الآحاد يفيد الظن الذى ليس بحجة مغالطة أخرى ، ذلك أنهم يفسرون « الظن » بالشك ، بينما لم يقل بذلك أحد من أهل العلم ، ومن استعمل من المحدثين لفظ « الظن » فإنما عنى به ما هو أقل من العلم بقليل ، ولذا أضاف : إنه إذا احتفَّ بقرينة أفاد العلم ، والقرائن

---

(١) راجع خصائص الخبر الشرعى ص ٣٠٢ .

عندهم كثيرة ، مما يعنى أن أكثر الأحاديث تفيد العلم بمضمونها ، إلا أن المنكرين للسنة ، يجعلون إفادة العلم حكراً على التواتر ، بينما الناس مع المحدثين ، يقبلون ما ليس متواتراً ، ويعتبرونه مفيداً العلم [1] .

وخير رد على هذه الشبهة : أن الإسلام اعتبر ما تسمونه خبر الآحاد ، وأقام به كل حجة ، بعد أن اشترط له شروطاً ، وعليه فالمسلمون يحتجون بخبر الآحاد ، وأحاديث السنة كلها حجة عندهم ما دام المحدثون قد قبلوها .

فالمحدثون هم أهل الاختصاص ، وكل علم يؤخذ من أهله ، على أن واقع الناس قائم على خبر الآحاد ، فالرجل يخبر الخبر فيصدقه الآخرون ، والطبيب يشخص المرض فيصدقه المريض وأهله ، ونقرأ الكثير من المعلومات لمؤلف ما فنصدقه ، ولا نسمع أن مجتمعاً من المجتمعات فى أى ناحية لا يقبل خبر الآحاد ، أما المتواتر فليس فى طاقة الناس . مما يدل على واقعية الإسلام ، إذ يقبل خبر الواحد ما دام عدلاً ضابطاً .

والله الموفق والمعين .

## الشبهة الرابعة : السنة لم تكتب من أول الأمر ، وإنما ظلت فى الصدور مائة عام فلحقها ما لحقها .

**الرد** : مروجو هذه الشبهة أدرى الناس بكذبها ، ولا يستطيع أحد منهم أن يذكر على ذلك دليلاً .

وأسوق للقارئ رداً على هذه الشبهة عدة حقائق :

الأولى : كتابة العلم مبدأ إسلامى ، جاء به القرآن الكريم ، والسنة النبوية ، وعمل به السلف ، ولا زالت الأمة عليه إلى يومنا هذا وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

---

(1) سبق أن بينت كثرة المتواتر فى السنة ص ٣٣١ ، وبينت الظن الذى يفيده خبر الآحاد ص ٣١٣ ، ٣١٦ .

أما القرآن الكريم فوردت فيه آيات كثيرة فى كتابة العلم ، منها :

١ - قالوا لقتادة بن دعامة السدوسى التابعى الحافظ الفقيه [١] : نكتب مانسمع منك ؟ قال : وما يمنعك أن تكتب وقد أخبرك اللطيف الخبير أنه يكتب قال : ﴿ **علمها عند ربى فى كتاب لا يضل ربى ولا ينسى** ﴾ [٢] .

ولقد آثرت أن أسوق الآية ضمن الأثر لأدلل على أن السلف كانوا يدركون ذلك ، وأنه إذا كانت العلوم عند الله الذى لا ينسى ولا تلتبس عليه الأمور ، سبحانه هو اللطيف الخبير ، لا يشغله شأن عن شأن .. إذا كانت العلوم عنده فى كتاب ، فما ذلك إلا لنعلم قدر الكتاب ، ونحفظ أمورنا به .

٢ - قال الله تعالى : ﴿ **قد علمنا ما تنقص الأرض منهم وعندنا كتاب حفيظ** ﴾ [٣] .

٣ - قال الله تعالى : ﴿ **ن والقلم وما يسطرون** ﴾ [٤] ، يقسم - سبحانه وتعالى - بالقلم وما يُكتب به ، وما ذلك إلا إعلام بمكانة القلم والكتابة . وأمرنا ربنا بكتابة الحقوق المالية :

٤ - قال الله تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بِدَيْن إلى أجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل** ﴾ [٥] ، وفى نفس الآية : ﴿ **ولا تسأموا أن تكتبوه صغيراً أو كبيراً إلى أجله ذلكم أقسط عند الله وأقوم للشهادة وأدنى ألا ترتابوا** ﴾ ، وفى نفس الآية : ﴿ **لا يضار كاتب ولا شهيد** ﴾ .

وهكذا يتضح من القرآن الكريم أن كتابة العلم مبدأ إسلامى ، وأن القرآن الكريم كان يُكتب فور نزوله على رسول الله ﷺ ، وكان للوحى كُتَّابٌ مهيأون حاضرون .

---

(١) راجع ترجمته فى تذكرة الحفاظ ١٢٢/١ رقم ١٠٧ ١٢/٤ والتاريخ الكبير ١٥٨/٧، والتاريخ الصغير ١/ ١٨٢، وميزان الاعتدال ٣/ ٣٨٥ ومسند ابن الجعد ٥١٩/١ .

(٢) مسند ابن الجعد ٥٢٥/١ أثر رقم ١٠٧٨ والمحدث الفاصل ص ٣٧٢ وتقييد العلم ص ١٠٣ .
وما استدل به قتادة جزء من الآية رقم ٥٢ من سورة طه .

(٣) سورة ( ق ) الآية : ٤ .

(٤) أول سورة القلم .

(٥) هذه تسمى آية الدَّيْن وهى أطول آية فى القرآن الكريم ، وهى من آخر سورة البقرة رقم ٢٨٢ .

وفى السنة النبوية الكثير والكثير من كتابة العلم ، فلقد كتب رسول الله ﷺ كتباً[1] وأرسلها إلى حكام الدول يدعوهم إلى الإسلام .

وكتب كتباً أرسلها إلى عماله على الأمصار ، يبين فيها دقائق الأشياء المالية ، من أنصبة الزكاة ، والديات ، وما إلى ذلك ، وأذن لكثير من الصحابة بالكتابة ، بل بكتابة السنة النبوية ، من ذلك :

– ما روى عن عبد الله بن عمرو بن العاص – رضى الله عنهما – أنه قال : « كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله ﷺ أريد حفظه فنهتنى قريش ، وقالوا : تكتب كل شيء سمعته من رسول الله ﷺ ، ورسول الله ﷺ بشر يتكلم فى الغضب والرضا ؟ فأمسكت عن الكتاب ، فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فأومأ بأصبعه إلى فيه ، وقال : اكتب ، فوالذى نفسى بيده ما خرج منه إلا حق »[2] .

وعبد الله بن عمرو هو الذى قال : ما يرغبنى فى الحياة إلا الصادقة والوهط ، فأما الصادقة فصحيفة كتبتها من فى[3] رسول الله ﷺ ، وأما الوهط فأرض تصدق بها عمرو بن العاص كان يقوم عليها[4] .

– وحينما فتح الله مكة على رسوله ﷺ وعلى المؤمنين خطب رسول الله ﷺ خطبة ، فقال أحد الحاضرين : اكتب لى يا رسول الله – أى هذه الخطبة – فقال صلى الله عليه وسلم : اكتبوا لأبى شاه[5] .

وعلى هذا سار السلف فكانوا يكتبون العلم ، ويكتبون حديث رسول الله ﷺ ، فعن حسن بن عمرو بن أمية الضمرى قال : تحدثت عند أبى هريرة بحديث

---

(١) أى أمر من يكتب له فكتب .

(٢) أخرجه الحاكم ١٠٤/١ ، ١٠٥ ، وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه ،وأخرجه أبو داود فى العلم باب كتابة العلم ٧٩/١٠ ، والدارمى باب من رخص فى كتابة العلم ١٠٣/١ ، والرامهرمزى فى المحدث الفاصل ص ١٦٤ ، وهو فى تقييد العلم ص ٧٤ ، ٨٢ وجامع بيان العلم ٨٥/١ .

(٣) فى بمعنى فم ، تحذف الميم عند الإضافة .

(٤) أخرجه الدارمى فى المقدمة باب من رخص فى كتاب العلم ١٠٥/١ ، والرامهرمزى فى المحدث الفاصل ص ٣٦٦ ، والخطيب فى تقييد العلم ص ٨٥ .

(٥) راجع البخارى كتاب العلم باب كتابة العلم ٢٠٥/١ حديث ١١٢ .

فأنكره ، فقلت : إنى قد سمعته منك ، فقال : إن كنت سمعته منى فهو مكتوب عندى ، فأخذنى بيدى إلى بيته فأرانا كتباً من حديث رسول الله ﷺ ، فوجد ذلك الحديث ، فقال : قد أخبرتك أنى إن كنت حدثتك به فهو مكتوب عندى[١] .

وهكذا فكتابة العلم مبدأ إسلامى ، وهكذا أيضاً اتضح أن رسول الله ﷺ أمر بكتابة العديد من الكتب ، وأمر أن يكتب لأحد الصحابة ، وكتب الصحابة أحاديثه صلى الله عليه وسلم ، فأقرهم .

**الحقيقة الثانية :**

امتثل الرسول ﷺ والصحابة التوجيه الربانى بكتابة العلم فكتبوا الكثير والكثير ، وكُتُب رسول الله ﷺ موجودة فى كتب السنة ، ومنها ما هو موجود بذاته فى بعض المكتبات .

وكتب الصحابة الكثير والكثير ، فكتب جابر بن عبد الله ، وكتب أبو هريرة – كما تقدم – وكتب عبدالله بن عمرو – كما تقدم – وكتب أبو بكر ، وكتب عمر[٢] .

**الحقيقة الثالثة :**

من أصول البحث العلمى أن كل موضوع يدرس ، فلابد من مراعاة كل المؤثرات ، وعليه فمن يدرس تاريخ السنة فى العصر النبوى وعصر الصحابة عليه أن يراعي منهجهم فى حفظ العلم وقدراتهم ، فلذلك أثر كبير فى إصابة الحقيقة .

والدارس لهذه الفترة يجد أن الأمة كانت تعتمد على ذاكرتها كثيراً ، وتعتبرها الأصل ، والكتابة تابعة .

إن ذاكرة الأمة فى العصر النبوى ، وعصر الصحابة كانت قوية جداً ، حتى كانوا يعتمدون على ذاكرتهم فى حفظ الأنساب ، ولا شك أن حفظ السنة أيسر

---

(١) أخرجه الحاكم فى المستدرك ٥١١/٣ ، وابن عبد البر فى جامع بيان العلم ٨٩/١ .

(٢) راجع كتابى « السنة النبوية » مكانتها ، وعوامل بقائها ، وتدوينها » وكتاب « مكاتيب الرسول ﷺ » الحسين على الأحمدى ، والرسائل النبوية للدكتور على السبكى .

بكثير من حفظ الأنساب ، لقد قال رسول الله ﷺ فى وصف أمتنا : « أناجيلهم فى صدورهم »[1] أى أن صدورهم هى السجلات التى يدوّنون فيها المعلومات .

وقال الله تعالى لنبيه ﷺ فى وصف القرآن : ﴿ **وأنزلت عليك كتاباً لا يغسله الماء** ﴾[2] ذلك أنه تحفظه الأمة فى صدورها مع كتابته ، وعليه فلو جمعت نسخه وألقيت فى المحيط فإنه لا يضيع ، وإنما يظل فى الصدور ، يكتب منها ، ويفهم فيها ، وهذا يدل على قوة حفظ هذه الأمة ، وأنها تعتمد على الصدور لا على السطور ، بل إنهم كانوا يعيبون الاعتماد على الكتابة ، كما قال الخليل :

ليس بعلم ما حوى القمطر ما العلم إلا ما حواه الصدر

وقال آخر :

استودع العلم قرطاساً فضيعه لبئس مستودع العلم القراطيس

ونحن إلى زماننا هذا لا نعتمد فى حفظ القرآن على أخذه من المصحف وإنما لابد من أخذه عن شيخ ، ثم يستعان بالمصحف أثناء الحفظ ، وعند التأكد من كل حرف .

وهكذا كانت الذاكرة قوية ، وكانوا يعرفون قدر الذاكرة فى حفظ العلم ، ومن ثم فلا يشد يديه من يقول : إن السنة لم تكتب فى الزمن الأول ، لأنا نقول له كُتبت ، وحفظت .

**الحقيقة الرابعة :**

لم يقل أحد من الأئمة المحققين : إن السنة كان ينقصها شيء من التوثيق فى الزمن الأول ، وإنما الذى قالوه : إن السنة لم تدوّن فى المائة الأولى ، فأخذ أعداء السنة هذا القول ، وحملوه على غير معناه ، وقالوا : لم تكتب السنة إلا بعد مائة سنة ،

---

(١) ذكره فى الدر المنثور ١٣٢/٣ وعزاه للزبير بن بكار فى أخبار المدينة ، وأبى نعيم فى دلائل النبوة عن ابن مسعود ، وذكره فى فتح البارى ١/ ٢٥، وهو فى منتخب دلائل النبوة لأبى نعيم لكن عن أبى هريرة - لا عن ابن مسعود - فى الفصل الرابع « إقسام الله بحياة رسوله ﷺ » ص ٦٨ رقم ٣١ .

(٢) أخرجه مسلم فى الجنة باب الصفات التى يعرف بها فى الدنيا أهل الجنة وأهل النار ٢١٩٧/٤ رقم ٦٣ ، وهو حديث قدسى .

وهكذا جعلوا التدوين بمعنى الكتابة ، وهذا تحريف عجيب ، فالفرق كبير بين الكتابة والتدوين .

فالكتابة : خط الشيء ، فلو كتبت معلومة من هنا ومعلومة من هناك فى ورقة فقد كتبت .

أما التدوين فهو : ترتيب المعلومات فى كتاب ، فلو أخذت المعلومات السابقة ورتبتها ، فهذا ديوان .

ولقد كانت السنة فى القرن الأول مكتوبة ، فكان الصحابى يكتب ما يسمع من رسول الله ﷺ ، فلما جاء القرن الثانى بدأ ترتيب الأحاديث على وجه من الأوجه المعروفة الآن : الترتيب على الموضوعات ، كموطأ مالك ، والترتيب على الشيوخ « المعاجم » كصحيفة همام بن منبه ، والترتيب على الصحابة « المسانيد » كمسند أحمد بن حنبل .

إلا أن القرن الأول لم يخل من هذه الصفة ، أعنى ترتيب الأحاديث على نحو ما ، فلقد كان لجابر بن عبد الله منسك فى الحج ، بل إننى لا أذهب بعيداً ، فكتاب رسول الله ﷺ فى الصدقات الذى أرسله إلى عمرو بن حزم هو ترتيب موضوعى ، فهو فى الأنصبة التى تجب فيها الزكاة ، والقدر الواجب ، وكذلك كتاب عمر بن الخطاب إلى عماله[1] .

وهكذا كانت السمة الغالبة على السنة فى القرن الأول الكتابة مطلق كتابة ، والمرتب منها قليل ، فلما كان القرن الثانى بدأ جمع الأحاديث وترتيبها .

وعليه فلا يقول منصف : إن السنة لم تكتب طيلة القرن الأول ، ثم يرتب على ذلك أنه اعتراها الزيادة والنقصان ، لا ، فإنها كانت مكتوبة فى جملتها ، وكانت محفوظة فى الصدور ، ثم زاد الأمر تدقيقاً فرتبت فى القرن الثانى ، واستنبط منها ، وكتب ما استنبط ، واجتهد الأئمة فى خدمتها ، مراعاة لظروف اتساع دولة الإسلام .

* * *

---

(١) راجع نص الكتابين فى الأموال لأبى عبيد ص ٤٤٧ ، ٤٤٨ وغيرهما .

## الشبهة الخامسة :

لقد تكفل الله بحفظ القرآن ، ولم يتكفل بحفظ السنة !!

سبق أن وضحت أن السنة بيان القرآن الكريم ، واستدللت على ذلك بالآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية ، وأقوال السلف ، ولا يعقل أن تكون السنة مُبَيِّنَةً للقرآن ، ويحفظ القرآن دونها .

هذا رد مبدئى لهذه الشبهة ، فالسنة مع القرآن هما مصدر الإسلام ، السنة تبين القرآن ، والقرآن يبين السنة ، ولا يتأتى حفظ أحدهما دون الآخر ، ذلك أن ضياع أحدهما ضياع للآخر .

إن أعداء السنة يستدلون على هذه الشبهة بقول الله تعالى : ﴿ **إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون** ﴾ [1] . ويفسرون الذكر بالقرآن ، ويقولون : إن الله تكفل بحفظه ، أما السنة فلا ، والجواب عليهم من ناحيتين :

**الأولى** : سلمنا جدلاً أن « الذكر » هو القرآن ، إلا أن الآية تفيد حفظ الله سبحانه وتعالى السنة ، فإن حفظ المبيَّن يقتضى حفظ المبيِّن ، فما دامت السنة بيان القرآن الكريم ، فإن حفظ القرآن يقتضى حفظ السنة ، وإلا لبقى القرآن دون بيان فلا يكون قد حفظ .

وهكذا يستلزم حفظُ القرآن الكريم حفظَ السنة النبوية .

**الثانية** : نص الآية : ﴿ **إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون** ﴾ . فما هو الذكر المنزل ؟

نراجع الكتب المتخصصة فى ذلك ، فنجد صاحب كتاب « بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز » ينقل عن أحد العلماء قوله : ذكر الله : الذكر فى القرآن على عشرين وجهاً ، وفيها : الذكر بمعنى رسالة الرسول [2] . وهذا التفسير هو المتعين هنا ، فإنه يجعل الآيات متوافقة ، ففى آية : ﴿ **وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة** ﴾ [3] .

---

(1) سورة الحجر الآية : ٩ .
(2) ج ٣ ، ص ١٤ .
(3) سورة النساء الآية : ١١٣ .

وهنا ﴿ **إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون** ﴾ فتفسير الذكر بمعنى الرسالة ، والتى تشمل الكتاب والسنة هو الذى يجعل الآيات متوافقة ، أنزل الله الكتاب والحكمة ونزل الله الكتاب والحكمة وحفظهما ، فتتفق المعانى .

وعليه فالآية : ﴿ **إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون** ﴾ تفيد أن الله - تبارك وتعالى - تكفل بحفظ القرآن والسنة معاً ، سواء قلنا بأنه سبحانه تكفل بحفظ القرآن ، وهذا يستلزم حفظ السنة التى هى بيانه ، أو أنه سبحانه تكفل بحفظ ما أنزل على رسوله من كتاب وسنة .

على أن حفظ القرآن وحفظ السنة كلاهما واقع ملموس ، فأما القرآن فالأمة متوافرة بفضل الله على حفظه توافراً عجيباً ، وقد يسره الله تيسيراً كريماً ، يحفظه العربى وغير العربى ، يحفظه الصغير ، ويحفظه ويتقنه الكبير ، يحفظه المبصر والأعمى ، وربما كان الأعمى فى حفظه أقوى !! يحفظونه ويحفظون قواعد قراءته ، ويؤلفون فى ذلك ، ويطبقونه ، مع ما فى الأمة من توافر بحمد الله على تفسيره ، وتقريبه ... حال يسر الخاطر ويسعد البال .

أما السنة ، فلقد أعطتها الأمة بسخاء ، فارتحلوا فى سماعها ، واجتهدوا فى جمعها ، وتفانوا فى خدمتها والحفاظ عليها ، لقد خدموها من كل جانب ، فجمعوا الأحاديث بأسانيدها ، وترجموا لكل راو من رواتها ، وشرحوا غريبها ، وبينوا ناسخها من منسوخها ، واستنبطوا أحكامها .

لقد رتبت الأحاديث على كل وجه ، وقربت للعمل بكل حيلة ، مع الصيانة التامة عن الضياع أو الزيادة .

وهذا يورث اليقين بأن الله - تبارك وتعالى - حفظ كتابه وسنة نبيه ، وأنه سبحانه الذى أرسل محمداً خاتم النبيين حفظ أصول دينه ، لتظل الحجة قائمة على الخلق إلى قيام الساعة .

* * *

### الشبهة السادسة :

لم تعتن الأمة بنقد الأحاديث النبوية ، والبحث فى صوابها أو خطئها !! .

إن أعداء السنة يريدون من المسلمين إذا هم سمعوا حديث رسول الله أن يبحثوه ، ليتبين أخطأ هو أم صواب !!

سبحان الله !! لقد آمن الصحابة أنه رسول الله ، وقال الله فى حقه : ﴿ **وما ينطق عن الهوى * إن هو إلا وحى يوحى** ﴾ (1) لقد آمنّا أنه يبلغنا عن الله خالق الكون فهل نبحث وراءه !!

فإذا قال رسول الله ﷺ : « ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه » (2) هل يبحث الصحابة وراءه ؟

أما نحن المسلمين فنتلقى أحاديثه صلى الله عليه وسلم بالسمع والطاعة ، أما الكفرة ، وأما المنافقون فيدرسونها ليستفيدوا منها ، ولم يقفوا إلا على صحة كل ما قال صلى الله عليه وسلم ، فليبحثوا هم لأنهم غير مؤمنين ، أما نحن المؤمنين فنمتثل كل ما جاءنا به صلى الله عليه وسلم .

أما من بعد الصحابة فإنهم يدرسون الحديث وفق قواعد جاءت فى الكتاب والسنة (3) قواعد اعترف بعظمتها القاصى والدانى ، فإذا ثبت أنه صلى الله عليه وسلم قال الحديث فنحن نتلقاه بكل رضىً وطواعية ، ونؤمن أنه من عند الله الخالق سبحانه وتعالى ، وأن السعادة كل السعادة فى العمل به .

إن الذين يريدون فتح باب عرض السنة على آرائهم إنما يريدون فتح باب الهوى ، يريدون إبطال الإسلام ، وتحكم الآراء فى الدين ، وإلا فإن أئمة الحديث قد درسوا الحديث من كل جانب قبل الحكم بصحته ، فعرضوه على الآيات القرآنية ،

---

(1) أول سورة النجم الآيتان : ٣ ، ٤ .

(2) أخرجه الترمذى فى الزهد باب : ما جاء فى كراهية كثرة الأكل ٥١/٧ ، وقال : حسن صحيح . وابن ماجه فى الأطعمة باب : الاقتصاد فى الأكل ١١١/٢ ، وأحمد ١٣٢/٤ .

(3) راجع كتب مصطلح الحديث ففيها هذه القواعد التى سار عليها المحدثون قديماً وحديثاً ، وليس ذلك عند أى أمة أخرى لنصوص دينها ، أو لتاريخها .

وعلى الأحاديث الأخرى ، وعلى العقل ، وذلك بعد دراسة رواته ، ومعرفة أحوالهم ، فلِمَ ينادى أعداء السنة فى هذا الزمان بهذا النداء ؟

لا أرى مبرراً لذلك إلا فتح الباب لأغراضهم فى تشويه الإسلام ، وإلا فما من كلمة قالها صلى الله عليه وسلم إلا تزيدها الأيام جدة ، وتشهد لها البحوث العلمية بكل صدق ، فالحديث المتقدم - « ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه » - يعترف العلم بصحته تماماً ، وينحنى الطب أمامه ، ومن عمل به فاز صحياً ، وفكرياً ، واجتماعياً .

ماذا يقول علماء الاجتماع والإنسانيات فى قوله صلى الله عليه وسلم - لمن جاء يسأله أن يوصيه - « لا تغضب »[1] كم تساوى هذه الوصية ؟!

فكم من شرور حصلت بسبب الغضب ، وكم من مصائب حدثت بسبب الغضب ، لقد أزاح كثيراً من الشرور ، وأسعد فى كثير من الأمور بكلمة واحدة ، وأحاديثه صلى الله عليه وسلم يغذيها عقيدة الإيمان بأنه رسول الله ، فيتلقاها المسلم بكل رضى وطواعية ، بكل أدب وامتثال ، غير محتاج لبحث وفحص ، وإلا فهو متبع للبحث لا لرسول الله ﷺ .

لقد قال صلى الله عليه وسلم : « اجتنبوا الخمر فإنها أم الخبائث »[2] وبيّن الخمر فقال : « كل مسكر خمر »[3] وحذر من المسكرات كثيراً ، فماذا تقول الدنيا الآن بعد أكثر من أربعة عشر قرناً ( ١٤٠٠ سنة ) .

إن المسكرات كم دمرت من شباب وشابات ، وكم دمرت من مبالغ مالية ، وكم كانت سبباً فى جرائم .

وإنه لمن دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم هذا اللفظ : « كل مسكر خمر » لقد بيّن بياناً فى غاية الدقة ، إننا لو بقينا لتفسير القرآن فى قول الله تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون** ﴾[4] لو بقينا دون بيان منه صلى الله عليه وسلم لفسرنا

---

(١) أخرجه البخارى فى الأدب باب الحذ من الغضب ٥١٩/١٠ .

(٢) أخرجه النسائى فى الأشربة باب ذكر الآثام المتولدة عن شرب الخمر ٢٨٢/٨ ، ٢٨٣ .

(٣) أخرجه مسلم فى الأشربة باب بيان أن كل مسكر خمر ١٥٨٧/٣ .

(٤) سورة المائدة الآية : ٩٠ .

« الخمر » بما يصنع من العنب ، فجاء حديثه صلى الله عليه وسلم مبيناً أن الخمر هي كل ما أسكر ، وكشفت الأيام عن أشياء مسكرة فى غاية الخطورة هى أشنع من الخمر المتخذ من الزبيب ، وهى الداهية الدهياء .

إن أقواله صلى الله عليه وسلم قد محصها أئمة الإسلام الأعلام ، وبحثوها من كل زاوية ، وحققوا ودققوا ، والأيام تثبت عظمتها وجدارتها بسعادة البشرية ، فماذا يريد مَنْ لا دراية لهم بالإسلام ؟ يريدون تمحيص حديث رسول الله فوق عمل الأئمة الأعلام من المحدثين ؟ مثلاً أهم أدرى من الإمام مالك الذى ولد يوم مات الصحابى المشهور أنس بن مالك ، وطلب العلم فى حياة آخر الصحابة ، وتعلم على يد أبناء الصحابة وتلامذتهم ، أخذ العلم عن عامر بن عبد الله بن الزبير ، الذى أبوه عبد الله بن الزبير الصحابى الجليل ، وأخذ العلم عن نافع مولى عبد الله بن عمر وكانت له حلقة علم فى حياة نافع ، وأخذ العلم عن ابن شهاب الزهرى وهو مَنْ هو فى حفظه وإتقانه .

إنه يروى عن التابعين عن الصحابة ، ويعيش فى المدينة المنورة ، دار هجرة رسول الله ﷺ ، ومدرسة الإسلام الأولى وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

لقد تربى وسط جو علمى رائع ، ووسط إسلامى عملى تطبيقى ، تحدث عن نفسه فقال : ما أفتيت حتى شهد لى سبعون أنى أهل لذلك .

وقال الشافعى : إذا ذُكر العلماء فمالك النَّجْم وما أحد أمنّ علىّ من مالك بن أنس ، وقال أيضاً : إذا ذكر الأثر فمالك النجم .

أى أن الإمام مالك هو أجل العلماء ، وأدراهم بحديث رسول الله ﷺ ، وهو أستاذ الشافعى ومعلمه .

مالك إمام دار الهجرة فى زمانه ، وصاحب المذهب الفقهى المشهور ، الذى ذاع فى البلاد الإسلامية .

مالك الذى حمل الأئمة الكبار عنه العلم ، وفسروا حديثاً من أحاديث رسول الله ﷺ عليه ، فلقد قال صلى الله عليه وسلم : « يوشك أن يضرب الناس أكباد

الإبل[1] فى طلب العلم ، فلا يجدون عالماً أعلم من عالم المدينة »[2] فقال كبار العلماء : هذه بشارة منه صلى الله عليه وسلم تحققت بالإمام مالك .

هذه عجالة سريعة فى التعريف بالإمام مالك ، فهل منكرو السنة الذين هم فى تخصصات غير إسلامية ، هل هم أدرى بالإسلام من الإمام حتى يطالبوا بنقد السنة بعقلهم العارى عن التخصص فى الإسلام ؟

ومثل الإمام مالك كثير ، كالإمام الشافعى ، والإمام الليث بن سعد ، والإمام أحمد بن حنبل ، أئمة كثيرون ، توفروا على دراسة القرآن الكريم ، ودراسة السنة النبوية ، وهم قريبون من رسول الله ﷺ فى الزمن ، واللغة العربية كانت شائعة ذائعة ، وهم أهلها وحجة فيها ، فهل مثل هؤلاء تبقى النصوص بعدهم فى حاجة لإعمال عقل المعاصرين فى نقدها ؟ أم أن الحقائق انقلبت فأصبح من لا دراية له بالإسلام يتكلم فيه ، ويريد أن يُقبل كلامه ويُرد كلام أئمة الإسلام ، الذين درسوا علوم الإسلام بكل دقة ، واستوعبوا نصوصه بكل إحاطة ، وعندهم من العقل والقدرة على الاستنباط ما يفوق غيرهم ؟

إن مَنْ عنده عقل يؤمن بأن علماء الإسلام منذ العهد النبوى ، قد درسوا علوم الإسلام بما فيه الكفاية ، وسعادة أهل زماننا أن يفهموا ما كتب السلف ، وأن يعملوا ، ويكفى المتخصصين أن يُقرِّبوا هذا التراث العظيم لغير المتخصصين ، ويستنبطوا من النصوص علاج المشاكل المعاصرة .

إن الأحاديث فى زماننا لا تحتاج من ينقدها ، وإنما تحتاج من يُقَرِّبُها للناس ، ليعملوا بها ، تحتاج من يذيعها وينشرها على مسامع البشرية لتسعد بها فى الدنيا والآخرة ، تحتاج من يطبقها فى بيته ومجتمعه .

* * *

---

(١) يسافرون مسافات بعيدة .

(٢) أخرجه ابن حبان فى الحج باب : فضل المدينة ، ذكر الخبر الدال على أن علماء أهل المدينة يكونون أعلم من علماء غيرهم ٩/٥٢ رقم ٣٧٣٦ ، وأخرجه الترمذى فى العلم باب : ما جاء فى عالم المدينة ، وأخرجه الحاكم ١/٩٠ ، وفى ابن حبان تخريج أكثر .

# الشُّبَه الخاصة

وأعداء السنة يحاربونها من كل ناحية ، فيثيرون الشبه العامة ، ويثيرون الشبه الخاصة ، والتى تتمثل فى :

( أ ) شبهات حول بعض الأحاديث .

(ب) شبهات حول الرواة المشاهير .

(ج) شبهات حول الأئمة الكبار .

وأسوق نماذج مختصرة ، الغرض منها تنبيه القارئ ليحترز من هذه الشبهات .

## ( أ ) شبهات حول بعض الأحاديث :

حديث : « لولا حواء لم تخن أنثى زوجها »[1] .

يقولون : هذا الحديث يتعارض مع العقل ؛ إذ كيف تخون حواء آدم ومع مَنْ من الرجال ، ولا رجال إلا هو ؟

**الرد :** كلامهم هذ مبنى على خطأ ، وما بنى على خطأ فهو خطأ ، إن الحديث ليس معناه أن حواء زنت ، وإنما معناه أنها خانت آدم ، وذلك لأنها لم تمحص الرأى حينما وسوس لها إبليس بالأكل من الشجرة ، فراحت تجتهد مع إبليس على آدم تقنعه بالأكل من الشجرة ، وكل من لم يجتهد فى إظهار الصواب فى المشورة فليس بأمين ، كما أن من أخلص فى المشورة ، واجتهد فى معرفة الصواب فيها فهو أمين ، كما فى قوله صلى الله عليه وسلم : « المستشار مؤتمن »[2] ، وكل من لم يتق الله

---

(١) الحديث أخرجه البخارى فى الأنبياء الباب الأول (خلق آدم وذريته) ٣٦٣/٦ حديث رقم ٣٣٣٠ وفى باب قول الله تعالى : ﴿وواعدنا موسى ثلاثين ليلة﴾ ٤٣٠/٦ رقم ٣٣٩٩ ، وأخرجه أيضاً مسلم وغيرهما .

(٢) أخرجه أبو داود فى الأدب باب فى المشورة ٣٦/١٤ .

فى شركته مع آخر فهو خائن ، ومنه الحديث القدسى : « أنا ثالث الشريكين ما لم يخن أحدهما صاحبه »[1] .

فحملهم الخيانة على الزنا خطأ ، وما ترتب عليه من القول بأن الحديث معارض للعقل فهو أيضاً خطأ .

يقول الحافظ ابن حجر : وقوله صلى الله عليه وسلم : « لم تخن أنثى زوجها » فيه إشارة إلى ما وقع من حواء فى تزيينها لآدم الأكل من الشجرة حتى وقع فى ذلك ، فمعنى خيانتها أنها قبلت ما زين لها إبليس حتى زينته لآدم ، ولما كانت هى أم بنات آدم أشبهنها بالولادة ، ونزع العرق ، فلا تكاد المرأة تسلم من خيانة زوجها بالفعل أو بالقوة ، وليس المراد بالخيانة هنا ارتكاب الفواحش ، حاشا وكلا ، ولكن لما مالت إلى شهوة النفس من أكل الشجرة ، وحسنت ذلك لآدم ، عُدّ ذلك خيانة له وأما من جاء بعدها من النساء فخيانة كل واحدة منهن بحسبها ، وقريب من هذا حديث « جحد آدم فجحدت ذريته »[2] ، وفى الحديث إشارة إلى تسلية الرجال فيما يقع لهم من نسائهم ، بما وقع من أمهم الكبرى ، وأن ذلك من طبعهن ، فلا يفرط فى لوم من وقع منها شىء من غير قصد إليه ، أو على سبيل الندور ، وينبغى لهن أن لا يتمكن بهذا فى الاسترسال فى هذا النوع ، بل يضبطن أنفسهن ، ويجاهدن هواهن[3] .

وعليه فلا تعارض بين الحديث وبين العقل ، فحواء أقنعها إبليس بالأكل من الشجرة ، فساعدت على إقناع آدم ، وذلك نوع من الخيانة ، سترث قدراً منه كل بنت من بناتها إلا من رحم ربى .

لقد درس علماء الإسلام الحديث ، وبينوا الدروس التى تؤخذ منه ، فجاء أعداء السنة فحملوا الحديث على معنى آخر ، ثم راحوا يعترضون به على السنة عموماً ، وأن فيها أحاديث تخالف العقل !!

---

(١) أخرجه أبو داود فى البيوع باب فى الشركة ٢٣٦/٩ .

(٢) أخرجه الترمذى فى التفسير باب من سورة الأعراف ٤٥٧/٨ ، ٤٥٨ وقال حسن صحيح ، وأخرجه أيضاً أحمد ، وابن أبى حاتم ، والحاكم .

(٣) فتح البارى شرح الحديث المتقدم « لولا حواء .. » ٣٦٨/٦ .

والحق : أنه لا مخالفة ، والحديث صحيح ، يسعد الأسر ، ويقوى المجتمع .

□ حديث « إذا وقع الذباب فى إناء أحدكم فليغمسه كله ، ثم ليطرحه ، فإن فى أحد جناحيه داء وفى الآخر شفاء »[1] .

أعداء السنة قديماً وحديثاً يدندنون بهذا الحديث ، ويدّعون أنه مناقض للعقل ، وأنه يأباه الطبع ، سبحان الله !!

وأتساءل معهم : ألم تستعملوا البنسلين إذا مرضتم ، إنه مصنوع من العفن !!
أما الستربتومايسين فإنه من طفيليات العفن وجراثيم المقابر !!
والعقرب فى لسعتها السم الناقع ،وفى جسمها الدواء النافع .

إنكم تقبلون ذلك من الطب ، أما إذا جاء من رسول الله ﷺ فإنكم تعترضون ، وتمرضون .

أما نحن المسلمين فإننا نقبل هذا الحديث ، وكل الأحاديث بكل سعادة ، وبكل سمع وطاعة ، فإنه كلام من أرسله الله وعصمه صلى الله وسلم وبارك عليه .

إننا استفدنا من هذا الحديث أشياء كثيرة منها :

١ - أن الذباب ناقل للأمراض ، فلنحترز منه ما أمكن .
٢ - أنه يحمل الجراثيم فى أحد جناحيه .

٣ - أنه حينما ينزل فى طعام أو شراب فإنه يضع جناحه الحامل للمرض ، كما فى رواية : « وإنه يتقى بجناحه الذى فيه الداء »[2] وفى رواية : « إنه يقدم السم ويؤخر الشفاء . قال بعض العلماء : تأملناه فوجدناه يتقى بجناحه الأيسر ، فعلم أن الأيمن هو الذى فيه الشفاء .

٤ - أن الجناح الآخر فيه دواء يقضى على المرض الناتج عما فى جناحه الممرض .

---

(١) أخرجه البخارى فى بدء الخلق باب إذا وقع الذباب فى شراب أحدكم ... » ٣٥٩/٦ حديث رقم ٣٣٢٠ ، وفى الطب باب إذا وقع الذباب فى الإناء ٢٥٠/١٠ رقم ٥٧٨٢ .
(٢) هذه الرواية عند أبى داود وابن حبان .

• إن ضرر الذباب إنما يتقى بغمسه فى الإناء الذى وقع فيه[1] .

إن الحديث يفيدنا هذه الفوائد ، وأكثر منها ، وجاء الطب والبحث العلمى فاعترف بهذا وسلّم به .

فمنذ أن عُرفت المعامل ، وهذا الحديث أمامهم ، والبحوث تفيد أن الذباب حامل جيد للجراثيم ، وأجهزة الصحة فى العالم تحذر من تناول الأطعمة التى يقع عليها الذباب .

إنه من دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم أن يخبر فى زمنه أن الذباب حامل للأمراض ، ولم تعرف البشرية هذا إلا حينما اكتشف ذلك الباحث الألمانى « بريفلد » فى سنة ١٨٧١[2] .

وفى الفترة من ١٩٤٧ - ١٩٥٠ تمكن الباحثان الإنجليزيان « آرنشتين وكوك » والباحث السسويسرى « روليوس » من عزل مادة سموها « جافاسين » استخرجوها من فصيلة الفطور التى تعيش فى الذباب ، وتبيّن لهم أن هذه المادة مضادة للحيوية ، تقتل جراثيم مختلفة من بينها الدوسنتاريا ، والتيفود ، كما توصل غيرهم فى نفس هذه الفترة إلى هذه النتائج[3] .

وهذا أيضاً من دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم ، أن يخبر قبل أكثر من ألف وأربعمائة عام أن الذباب فى أحد جناحيه شفاء ، ولم تعرف البشرية ذلك إلا بعد (١٣٧٠) سنة .

لو كان هناك إنصاف فى الفكر الإنسانى المعاصر ، لاعترفت البشرية للإسلام بالسبق العظيم فى مثل هذه المسائل ، وفى غيرها ، فلقد تكلم صلى الله عليه وسلم على مسائل غاية فى الأهمية ، امتثلها المسلمون فاستفادوا بها ، وقلدهم غيرهم مدركين عظمة الحضارة الإسلامية التى ارتقت بالإنسان فاستفادوا أيضاً بها .

إن الذى يكتشف أمراً جزئياً يقيمون له : براءات الاختراع !!

ويقيمون له : السـبق العلمى !!

---

(١) هذه الرواية عند النسائى وابن ماجه وابن حبان عن أبى سعيد .

(٢) ، (٣) راجع كتاب « الرسول ﷺ » للأستاذ سعيد حموى ص ٣٨ - ٨٢ .

أما القرآن والسنة ففيهما الخير ، وكل الخير ، لكنهما يجدان الكثير من التلكؤ والمعارضة من أعدائهما ، ولا يجدون النصرة من أهلهما .

□ حديث : « أخرجوا من كان فى قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان » .

هذا الحديث أخرجه البخارى فى عدة مواطن من صحيحه ، وأخرجه مسلم أيضاً فى عدة مواطن من صحيحه أيضاً ، ونص الحديث :

قال صلى الله عليه وسلم : « يدخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار ، ثم يقول الله تعالى : أخرجوا من كان فى قلبه مثقال حبّة من خردل من إيمان فيُخْرَجون منها قد اسودُّوا فَيُلْقَوْن فى نهر الحياة فينبتون كما تنبت الحِبَّةُ فى جانب السيل » وفى رواية « حبة من خردل من خير »[1] .

أعداء السنة غاضبون جداً ، وسر غضبهم أن الله سبحانه سيرحم أهل التوحيد فلا يتركهم فى النار .

أعداء السنة غاضبون ؛ يعترضون على هذا الحديث بأنه يترتب عليه أن يدخل الكفرة الجنة ، ويستدلون :

بقول الله عن اليهود : **﴿ ولكن لعنهم الله بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا ﴾**[2] وبقول الله عن اليهود أيضاً : **﴿ فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلاً ﴾**[3] .

إنهم يرون أن الآيتين تثبتان لليهود قدراً من الإيمان ، وما دام الحديث أن أى قدر من الإيمان يدخل الجنة ، فاليهود سيدخلون الجنة ، بينما الآيات الأخرى تثبت أن اليهود لا يدخلون الجنة ، وعليه فالحديث - فيما يرون يتعارض مع القرآن .

---

(١) أخرجه البخارى فى الإيمان باب « تفاضل أهل الإيمان فى الأعمال » ٧٢/١ رقم ٢٢ ، وفيه ذكر مواضع ورود الحديث ، إلا أنى أخص الرواية التى فى كتاب الرقاق باب صفة الجنة والنار ٤١٦/١١ حديث رقم ٦٥٦٠ ، وأخرجه مسلم فى الإيمان باب « إثبات الشفاعة وإخراج الموحدين من النار » ١٧٢/١ رقم ٣٠٤ ورقم ٣٢٥ ، وأخرجه غيرهما .

(٢) سورة النساء الآية : ٤٦ . (٣) سورة النساء الآية : ١٥٥ .

**الرد** : الحديث لا يتعارض مع القرآن أبداً ، فالحديث يتكلم عن أهل لا إله إلا الله ، عن الموحدين ، عن المؤمنين ، وإن قلّت أعمالهم الصالحة ، وهو فى هذا متفق مع الآيات القرآنية التى فى هذا الموضوع ، ومنها :

* قول الله تعالى : ﴿ **إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا** ﴾ [1] .

* وقوله تعالى : ﴿ **إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشى ربه** ﴾ [2] .

إن الحديث لا يتعارض مع القرآن بل يتفق معه تماماً .

أما الآيات التى احتجوا بها والتى تثبت لليهود إيماناً قليلاً ، فلماذا راعوا الإيمان القليل فى الآية ، ولم يراعو الكفر الذى تثبته الآية لهم ؟ ففى قوله تعالى : ﴿ **ولكن لعنهم الله بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا** ﴾ أثبتت الآية كفرهم .

وكذلك فى الآية الأخرى - والتى سقتها فى أول الموضوع - ﴿ **بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا** ﴾ أثبتت الآية أيضاً أنهم كفرة ، فإذا وجد شىء من الإيمان مع الكفر فإن صاحبه مخلد فى النار ، هذا الذى تفيده الآيات كما فى قوله تعالى : ﴿ **إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء** ﴾ [3] .

أما الحديث فيفيد أن من صح إيمانه ، ومات موحداً ، مع قليل من الطاعة ، فإنه مصيره إلى الجنة .

فرق كبير بين ما يفيده الحديث ، وما تفيده الآيات التى استدل بها منكرو السنة ، فالحديث يتكلم عن أهل التوحيد ، والآيات تتكلم عن الكفرة ، أو عن المنافقين ، ممن لا توحيد عندهم ، ولم تصح عقيدتهم .

ثم أقول لهؤلاء المنكرين : ألم تقرءوا أن القلة قد تأتى بمعنى النفى المحض ؟

---

(١) آخر سورة الكهف .
(٢) آخر سورة البينة .
(٣) سورة النساء الآية : ٤٨ .

إن كنتم لم تقرءوا فكان الواجب عليكم البحث فى ذلك قبل أن تكتبوا ، فإن أصول البحث العلمى تحتم هذا .

• يقول ابن منظور[1] - فى شرح مادة قَلَلَ - : وفى الحديث « أنه كان يُقِلُّ اللغو » أى لا يلغو أصلاً ثم نقل عن ابن الأثير قوله : وهذا اللفظ - قلّ - يستعمل فى نفى أصل الشىء كقوله تعالى ﴿ **فقليلاً ما يؤمنون** ﴾[2] .

سبحان الله ، نص الآية التى تحتجون بها،يبين ابن الأثير ، وهو من هو فى اللغة ، ويوافقه ابن منظور أن القلة تستعمل بمعنى النفى ، فالمعنى : لا يؤمنون بتاتاً .

• ويقول الزبيدى[3] : وقُلُّ رجل يقول ذلك إلا زيد ، بالضم أى بضم القاف .

وأقل رجل يقول ذلك إلا زيد معناهما : ما رجل يقوله إلا هو ، فالقلة فيه بمعنى النفى المحض[4] .

• ويقول ابن كثير[5] : تقول العرب : قلما رأيت مثل هذا قط . تريد ما رأيت مثل هذا قط . وقال الكسائى : تقول العرب : من زنى بأرض قلما تنبت أى لا تنبت شيئاً[6] .

• وهكذا فالآيتان لا تثبتان لليهود إيماناً ، إذ القلة بمعنى النفى ، وعليه فلن يدخلوا الجنة ، ولن يشملهم الحديث ، ولن يتعارض الحديث مع الآية : ﴿ **إن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين فى نار جهنم خالدين فيها أولئك هم شر البرية** ﴾[7] .

على أن المفسرين يفسرون هاتين الآيتين ﴿ **فقليلاً ما يؤمنون** ﴾ و ﴿ **فلا يؤمنون إلا قليلا** ﴾ على :

---

(١) مؤلف كتاب لسان العرب .
(٢) لسان العرب ٣٧٢٦/٥ العمود الثالث .
(٣) مؤلف كتاب « تاج العروس شرح القاموس » .
(٤) تاج العروس ٨٥/٨ .
(٥) الإمام الحافظ المفسر الحجة فى اللغة .
(٦) تفسير ابن كثير ١٢٤/١ .
(٧) سورة البينة الآية : ٦ .

أن القلة على حقيقتها وأنهم يؤمنون بأشياء مما جاءهم به موسى ، ويكفرون بأشياء ، ويكفرون برسالة محمد ﷺ ، فلم ينفعهم هذا الإيمان الجزئى مع الكفر ، كما قال تعالى : ﴿ **أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزى فى الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون** ﴾ (1) .

* وعلى أن القلة بمعنى النفى ، وأنهم غير مؤمنين ، والآيات المفيدة قلة إيمانهم وما بعدها تفيد هذا ، ففى قوله تعالى : ﴿ **وقالوا قلوبنا غلف بل لعنهم الله بكفرهم فقليلاً ما يؤمنون** ﴾ (2) تقرأ بعدها : ﴿ **ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين** ﴾ إن هذه الآية صريحة فى كفرهم ، ولم تُبق لهم شيئاً من إيمان ، وكفى ﴿ **فلعنة الله على الكافرين** ﴾ (3) ففيها حكم بكفرهم وطردهم من رحمة الله تعالى .

إننى بكل إنصاف لا أظن أن أحداً يلتبس عليه هذا الحديث « أخرجوا من كان فى قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان » مع الآية فى اليهود : ﴿ **فلا يؤمنون إلا قليلا** ﴾ مع الآيات فى خلود الكفرة فى النار أبداً ، إن الحديث فى شأن المؤمنين الذين صح توحيدهم ، فمهما قلّت حسناتهم أو زادت سيئاتهم فنهايتهم فى الآخرة إلى جنة الله سبحانه ، وفى ذلك آيات من القرآن الكريم منها : ﴿ **قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم** ﴾ (4) .

ولا أظن أصحاب هذا الاعتراض إلا يدركون هذا ، إلا إن كان التعصب قد أعماهم عن الحق ، أو أضلتهم الشياطين عن الصراط المستقيم .

نسأل الله الهداية والتوفيق .

---

(1) سورة البقرة الآية : ٨٥ .
(2) سورة البقرة الآية : ٨٨ .
(3) سورة البقرة الآية : ٨٩ .
(4) سورة الزمر الآية : ٥٣ .

# وختاماً(1)

فأسأل الله الكريم أن أكون قد وفقت فى إيضاح هذه القضايا المتعلقة بالسنة النبوية المطهرة .

• فأبنت حقيقتها ؛ وأنها كل ما أُثر عن النبى ﷺ ، لا فرق بين عبادة وعادة ، فهو الرسول القدوة ، الذى أمرنا الله تبارك وتعالى بالاقتداء به ، وأمرنا باتباعه وطاعته ، وحذرنا من مخالفته .

• ووضحت مصدرها ؛ وأنها وحى الله إلى رسوله ، وذلك بأن يبتدئه الوحى ، أو يراقبه ، المهم أنه لا يصدر عنه إلا حق ، بل والأمة فى زمنه لا يقرها الله إلا على الحق ، حتى تقوم الحجة لله سبحانه وتعالى على خلقه .

• وجلّيت وجوب العمل بها ، واستدللت على ذلك بالكثير من الآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية ، وهَدْى السلف رضوان الله عليهم أجمعين .

• وبينت العلاقة بين القرآن والسنة ، وأنهما مصدر الإسلام وأساسه ، فتؤخذ منهما كل أمور الإسلام ، من عقيدة ، وشريعة ، من معاملات وآداب . للقرآن مكانته وسموه ، وللسنة قدرها وأمر الله بوجوب العمل بها .

• وعقدت بحثاً لبيان مكانة رسول الله ﷺ العلمية ، وأنه قد آتاه الله من العلم ما لم يؤت غيره من أمته ، وأنه صلى الله عليه وسلم هو وحده الذى يبين الإسلام ، ويوضح الصراط المستقيم ، الموصل إلى رضوان الله تعالى .

• ووضحت هَدْى السلف فى اتباعه صلى الله عليه وسلم ، وأنهم ترسموا خطاه ، لا يصرفهم عن ذلك صارف ، ولا تلتبس بهم الطرق .

• وبينت أن الخبر الذى يُعَوَّلُ عليه فى الإسلام إنما هو خبر الثقة ، ولم يُعَرِّج الإسلام على موضوع المتواتر ، ولا ذكر له فى كتب المتقدمين ، بل إن تسمية الأحاديث بـ « أخبار آحاد » مجانبة للحقيقة ، وبعد عن الصواب ، والأحاديث إنما

---

(1) ختامًا لهذه البحوث التى هنا ، أما المدخل إلى السنة والذى يشمل كل البحوث العامة عنها ، فإنى مستمر فى إكماله بعون الله - تعالى - وتوفيقه .

هى أخبار الثقات ، أو هى الأحاديث التى حققت ، وقبلها أهل الاختصاص من الأمة .

إن الحديث لا يُقبل لكثرة رواته ، وإنما يقبل لعدالتهم وضبطهم ، واتصال إسناده ، وسلامته من الشذوذ والعلة .

* وبينت أن السنة إذ يجب العمل بها ، فإنما ذلك حسبما تقتضيه القواعد ، فإذا أفاد النص الوجوب ، فالأمر واجب ، وإن أفاد الإباحة فالأمر مباح ، وهكذا حسبما يفيده النص وفق قواعد فهم النصوص .

* ثم تعرضت لظاهرة إنكار السنة ، وبينت أن القائمين بذلك قد خالفوا القرآن والسنة ، وخالفوا نهج الأمة ، وهَدْى الأئمة ، وأنه لا مستند لمدعاهم ، وإنما يلبِّسون على الناس .

وذكرت عدداً من شبههم ورددت عليها ، وما من شبهة لهم يقرأ الإنسان موضوعها إلا ويسخط عليهم كثيراً ، لما يلبسون ، وعلى الله يجترئون !!

وهكذا تتضح السنة مع القرآن الكريم مصدر الإسلام ، وأنه يجب العمل بها ، وعلى الأمة أن تقتدى برسول الله ﷺ فى كل ما كان منه ، على ذلك سار السلف ، وعلى ذلك يجب أن يكون الخلف ، إنه صلى الله عليه وسلم الرسول القدوة ، والنبى المبلغ عن الله تبارك وتعالى .

إن الأمة وهى تفهم دينها ، وتعرف مصدره قد اجتهدت فى الحفاظ على مصدر دينها القرآن والسنة ، فحفظت وفهمت ، وتدبرت واستنبطت ، وتعلمت وعلمت ، يؤمها القرآن والسنة يُبَيِّنَان المنهج العلمى ، وسبيل الوصول إلى الحقائق ، فأُرسيت أسس مدرسة الإسلام منذ بدء الدعوة ، وسارت بحمد الله سليمة ، يتعلم الخلف من السلف ، والعلم لا يؤخذ إلا عن الثقات المأمونين ، الذين يجمعون بين سلامة الدين ، وقوة الحفظ ، والتخصص فى الفن المطلوب ، والله سبحانه وتعالى يوفق ويؤيد ، فحفظ الله الإسلام ، وسيظل محفوظاً إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

نسأل الله التوفيق والسداد .

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .. والحمد لله رب العالمين .

# المـــراجع



مرتبة على حروف المعجم دون مراعاة ( أل ) و( كتاب )


● القرآن الكريم .

- **الآداب الشرعية** ، لابن مفلح الحنبلى ، الناشر مكتبة ابن تيمية بالقاهرة .
- **الإبانة عن أصول الديانة** ، لأبى الحسن الأشعرى ، طبع الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ١٩٧٥م .
- **الإتقان فى علوم القرآن** ، للسيوطى ، طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٤ .
- **اجتماع الجيوش الإسلامية** ، لابن القيم ، تحقيق بشير عيون ، مكتبة دار البيان ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م .
- **الإحسان فى تقريب صحيح ابن حبان** ، تحقيق شعيب الأرناؤوط ، طبع مؤسسة الرسالة .
- **الإحكام فى أصول الأحكام لابن حزم** ، تحقيق الشيخ أحمد شاكر ، طبع دار الآفاق الجديدة ، بيروت ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م .
- **أحكام القرآن لابن العربى** ، تحقيق البجاوى ، طبع عيسى الحلبى ١٣٨٧هـ ١٩٦٧م .
- **أدب الإملاء والاستملاء** ، للسمعانى ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
- **إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول** للشوكانى ، دار الفكر .
- **الأسماء والصفات** للبيهقى ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
- **الأسنى فى شرح أسماء الله الحسنى** للقرطبى ، تحقيق محمد حسن جبل وآخرون ، دار الصحابة بطنطا ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م .

- **الإصابة فى تمييز الصحابة** ، لابن حجر ، تحقيق البجاوى ، طبع دار نهضة مصر .
- **أصول الفقه الإسلامى** ، د/ وهبة الزحيلى ، دار الفكر ١٤٠٦هـ /١٩٨٦م .
- **أصول مذهب الإمام أحمد** ، د/ عبد الله التركى ، طبع مؤسسة الرسالة ١٤١٠هـ ١٩٩٠م .
- **أضواء البيان فى إيضاح القرآن بالقرآن** ، لمحمد أمين الشنقيطى ، طبع الرئاسة العامة للإفتاء بالسعودية ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م .
- **الاعتصام** ، للشاطبى ، طبع المكتبة التجارية الكبرى ، بالقاهرة .
- **الأعلام** لخير الدين الزركلى ، طبع دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة السادسة نوفمبر ١٩٨٤م .
- **أعلام الموقعين** ، لابن القيم ، تحقيق طه عبد الرءوف ، طبع شقرون سنة ١٣٨٨هـ /١٩٦٨م .
- **الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع** ، للقاضى عياض ت / سيد صقر ، طبع دار التراث سنة ١٣٨٩هـ / ١٩٧٠م .
- **الأم** للشافعى ، مكتبة الكليات الأزهرية ، ١٣٨١هـ / ١٩٦١م .
- **الأنساب** للسمعانى ، دائرة المعارف بالهند ، ١٣٨٣هـ / ١٩٦٣م .
- **البداية والنهاية** لابن كثير ، تحقيق محمد عبد العزيز النجار ، مطبعة الفجالة الجديدة .
- **البدعة** د/ عزت على عطية ، دار الكتاب العربى ، بيروت ، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م .
- **البدع والنهى عنها** لابن وضاح ، تحقيق محمد أحمد دهمان ، طبع الرئاسة العامة للإفتاء بالسعودية .
- **البرهان فى علوم القرآن** ، للبرركشى ، تحقيق محمد أبو الفضل إبرهيم ، نشر الرئاسة العامة للإفتاء بالسعودية ١٤٠٠هـ ، ١٩٨٠م .
- **البرهان فى أصول الفقه** للجوينى ، تحقيق د/ عبد العظيم الديب ، الناشر دار الأنصار بالقاهرة ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م .

- **بصائر ذوى التميز فى لطائف الكتاب العزيز** للفيروزابادى ، طبع المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بمصر .
- **الترتيب والبيان عن تفصيل آى القرآن** ، لمحمد زكى صالح ، المكتبة العلمية ببغداد ، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م .
- **الترغيب والترهيب للأصبهانى** تحقيق محمد السعيد زغلول وآخرين .
- **تاج العروس شرح القاموس** للزبيدى ، المطبعة الخيرية بمصر ١٣٠٦هـ .
- **تحفة المودود بأحكام المولود** ، لابن القيم ، تحقيق كمال الجمل ، مكتبة الإيمان بالمنصورة .
- **تدريب الراوى** للسيوطى ، طبع دار الكتب الحديثة .
- **تذكرة الحفاظ للذهبى** ، طبع دائرة المعارف بالهند . ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨ م .
- **تعظيم قدر الصلاة** ، لمحمد نصر المروزى ، تحقيق عبد الرحمن الفريوائى ، مكتبة الدار بالمدينة سنة ١٤٠٦هـ .
- **تفسير الألوسى** راجع « روح المعانى » .
- **تفسير ابن كثير** دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٣٨٨هـ / ١٩٦٩م .
- **تفسير الجمل « حاشية الجمل على الجلالين »** طبع عيسى الحلبى .
- **تفسير الطبرى** ، طبع مصطفى الحلبى ، الطبعة الثالثة ١٣٨٨هـ ١٩٨٦م .
- **تفسير عبد الرزاق** ، تحقيق عبد المعطى قلعجى ، دار المعرفة بيروت .
- **تفسير الشوكانى « فتح القدير »** طبع دار الفكر .
- **تفسير القرطبى** ، طبع دار الكتب المصرية .
- **تفسير القرآن العزيز** ، - تفسير عبد الرزاق - .
- **تفسير القرآن الكريم** لابن أبى حاتم ، طبع نزار الباز ، تحقيق أسعد محمد الطيب ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م .
- **تفسير الكشاف للزمخشرى** ، طبع مصطفى الحلبى .
- **تفسير مجاهد** تحقيق عبد الرحمن السورتى ، طبع مجمع البحوث الإسلامية بباكستان .

- **التمهيد لما فى الموطأ من المعانى والأسانيد** لابن عبد البر ، طبع أوقاف المغرب ، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م .
- **تهذيب التهذيب** لابن حجر ، تصوير دار صادر عن طبعة دائرة المعارف بالهند سنة ١٣٢٥هـ .
- **تهذيب الكمال فى أسماء الرجال للمزى** ، تحقيق د/ بشار عواد ، طبع مؤسسة الرسالة .
- **التوحيد لابن خزيمة** ، مراجعة محمد خليل هراس ، دار الدعوة السلفية .
- **جامع الأصول فى أحاديث الرسول ﷺ** ، لابن الأثير ، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م .
- **جامع العلوم والحكم** ، لابن رجب ، تحقيق شعيب الأرناؤوط وإبراهيم باجس، طبع مؤسسة الرسالة ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م .
- **جامع بيان العلم وفضله** ، لابن عبد البر ، الناشر المكتبة السلفية بالمدينة المنورة ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م .
- **الحاوى الكبير فى فقه الشافعى** ، تحقيق الشيخ على معوض وآخرون ، طبع دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م .
- **حجية السنة** للدكتور عبد الغنى عبد الخالق ، طبع دار القرآن الكريم بيروت ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م .
- **الحديث والمحدثون** للشيخ محمد أبو زهو ، طبع الرئاسة العامة للإفتاء بالسعودية ١٤٠٤هـ / ١٩٨٢م .
- **حلية الأولياء** ، لأبى نعيم الأصبهانى ، مطبعة السعادة ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م .
- **حياة الصحابة** للشيخ الكاندهلوى ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م .
- **درء تعارض العقل والنقل** ، لابن تيمية ، تحقيق د/ محمد رشاد سالم ، طبع جامعة الإمام محمد بن سعود بالسعودية ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م .
- **الدر المنثور فى التفسير بالمأثور** ، للسيوطى ، تصوير محمد أمين ومجموعة . بيروت .

- **دلائل النبوة للبيهقى** ، تحقيق د/ عبد المعطى القلعجى ، دار الكتب العلمية ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م .
- **الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة** للكتانى ، دار البشائر الإسلامية ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م .
- **روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم** ، للألوسى ، دار الفكر ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م .
- **سنن الأوزاعى** تصنيف الشيخ مروان محمد الشعار ، دار النفائس ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م .
- **سنن أبى داود مع شرح عون المعبود** للأبادى ، طبع السلفية بالمدينة المنورة ١٣٨٨هـ ١٩٦٨م .
- سنن الترمذى مع شرحه **تحفة الأحوذى** للمباركفوى ، طبع السلفية بالمدينة المنورة ١٣٨٣هـ / ١٩٦٣م .
- **سنن النسائى** ( المجتبى ) طبع مصطفى الحلبى ١٣٨٣هـ ١٣٦٤م .
- **السنن الكبرى للنسائى** تحقيق عبد الغفار البندارى ، وسيد كسروى ، دار الكتب العلمية ١٤١١هـ / ١٩٩١م .
- **سنن ابن ماجه** تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى ، طبع عيسى الحلبى بمصر .
- **سنن الدارقطنى** ، طبعة عبدالله هاشم يمانى ١٣٨٦هـ / ١٩٦٦م .
- **سنن سعيد بن منصور** تحقيق الأعظمى ، طبع الدار السلفية بالهند .
- **سنن سعيد بن منصور** ، تحقيق د/ سعد الحميد ، دار الصومعى بالسعودية ١٤١٤هـ ١٩٩٣م .
- **السنن الكبرى للبيهقى** ، طبع دائرة المعارف بالهند سنة ١٣٤٤هـ .
- **السنن لابن أبى عاصم** ، تحقيق الألبانى ، المكتب الإسلامى ١٤١٣ هـ / ١٩٩٣م .
- **السنة للخلال** ، تحقيق الزهرانى ، طبع دار الراية .

- **السنة لعبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل** ، تحقيق محمد السعيد زغلول ، دار الكتب العلمية ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م .
- **السنة لمحمد بن نصر المروزى** ، تخريج وتعليق أبو محمد سالم السلفى ، مؤسسة الكتب الثقافية ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م .
- **السنة النبوية ، مكانتها ، وعوامل بقائها ، وتدوينها** ، لعبد المهدى « المؤلف » طبع دار الاعتصام .
- **السيرة النبوية فى ضوء الكتاب والسنة** ، لعبد المهدى « المؤلف » طبع المؤسسة العربية الحديثة بمصر .
- **سير أعلام النبلاء** ، للذهبى ، تحقيق شعيب الأرناؤوط ، طبع مؤسسة الرسالة ١٤٠١هـ / ١٩٨١م .
- **شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة** للالكائى .
- **شرح السنة** للبغوى ، تحقيق زهير الشاويش وشعيب الأرناؤوط ، المكتب الإسلامى ١٣٩٠هـ ١٩٧١م .
- **الشريعة** للآجرى ، مؤسسة قرطبة ، القاهرة ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م .
- **شعب الإيمان** للبيقهى ، تحقيق محمد السعيد زغلول ، دار الكتب العلمية ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م .
- **صحيح ابن حبان** ، تحقيق شعيب الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة .
- **صحيح ابن خزيمة** ، تحقيق الأعظمى ، المكتب الإسلامى .
- **صحيح البخارى مع شرحه فتح البارى لابن حجر** ، طبع السلفية بمصر ١٣٨٠هـ .
- **صحيح مسلم** بشرح النووى طبع الشعب بمصر .
- **صحيح مسلم** ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى ، طبع عيسى الحلبى .
- **الصواعق المرسلة** لابن القيم .
- **الطبقات الكبرى** لابن سعد ، دار صادر ، بيروت .

– **طرق تخريج حديث رسول الله ﷺ** ، لعبد المهدى «المؤلف» طبع دار الاعتصام .
– **طرق تخريج أقوال الصحابة والتابعين** لعبد المهدى «المؤلف» طبع المؤلف ، توزيع مكتبة الإيمان بجامعة الأزهر بالدراسة .
– **طريق الهجرتين** لابن القيم ، مكتبة أسامة بالقاهرة .
– **العظمة** لأبى الشيخ ، تحقيق محمد فارس ، طبع دار الكتب العلمية ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م .
– **الغيلانيات** ، تحقيق د/ فاروق عبد العليم مرسى ، مكتبة أضواء السلف ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م .
– **فتح البارى بشرح صحيح البخارى** لابن حجر ، طبع السلفية بمصر ١٣٨٠هـ .
– **الفتح الربانى بترتيب مسند أحمد بن حنبل الشيبانى** للشيخ الساعاتى ، تصوير دار الشهاب بالقاهرة .
– **فتح المغيث شرح ألفية الحديث** كلاهما للعراقى ، الناشر مكتبة السنة .
– **الفتوحات الإلهية** ، حاشية على تفسير الجلالين للشيخ الجمل طبع عيسى الحلبى .
– **الفَرْق بين الفِرَق** لعبد القاهر البغدادى ، طبع دار الآفاق الجديدة ، بيروت .
– **الفِصَل فى الملل والأهواء والنحل** : ابن حزم – طبعة دار الفكر .
– **الفقيه والمتفقه** للخطيب البغدادى تصحيح الشيخ إسماعيل الأنصارى ، مطابع القصيم ١٣٨٩هـ .
– **الفقيه والمتفقه** للخطيب البغدادى تحقيق عادل العزازى ، طبع دار ابن الجوزى بالسعودية ، والتوعية الإسلامية بمصر ١٤١٧هـ ١٩٩٧م ، **فإذا أخذت من هذه ذكرت رقم الفقرة** .
– **الفهرس الموضوعى لآيات القرآن الكريم** لمحمد مصطفى محمد ، دار عمان الأردن .
– **فيض القدير بشرح الجامع الصغير** للمناوى ، المكتبة التجارية .

– **قطر الولى على حديث الولى للشوكانى** تحقيق د/ إبراهيم هلال ، دار الكتب الحديثة .
– **الكامل فى ضعفاء الرجال** لابن عدى ، طبع دار الفكر .
– **كشف الأستار عن زوائد البزار** ، للهيثمى ، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمى ، طبع مؤسسة الرسالة ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م .
– **الكفاية فى علم الرواية** للخطيب البغدادى ، طبع دار الكتب الحديثة بمصر .
– **كنز العمال فى سنن الأقول والأفعال** للهندى ، مؤسسة الرسالة ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م .
– **لسان العرب لابن منظور** تحقيق عبد الله الكبير وآخران ، طبع دار المعارف .
– **مجمع الزوائد** للهيثمى ، الناشر دار الكتاب بلبنان مصورة .
– **المحصول فى علم الأصول** للفخر الرازى ، تحقيق د/ طه جابر ، طبع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م .
– **مختصر سنن أبى داود** للمنذرى ، تحقيق أحمد شاكر ، ومحمد حامد الفقى ، الناشر دار المعرفة ببيروت .
– **المدخل إلى السنن الكبرى** للبيهقى ، تحقيق د/ محمد ضياء الرحمن الأعظمى ، الناشر دار الخلفاء للكتاب الإسلامى .
– **المستدرك للحاكم ومعه تلخيص المستدرك للذهبى** الناشر مكتبة ومطابع النصر الحديثة بالرياض .
– **المستصفى من علم الأصول** للغزالى ، مكتبة الجندى .
– **مسند أحمد بن حنبل** ، طبع المينية بمصر ، تصوير المكتب الإسلامى ودار صادر بلبنان .
– **مسند ابن الجعد** ، تحقيق عبد المهدى « المؤلف » الناشر مكتبة الفلاح بالكويت .
– **مسند أبى داود الطيالسى** ، طبع دائرة المعارف بالهند ١٣٢١هـ .
– **مسند الرويانى** ، تحقيق أيمن أبو يمانى ، مؤسسة قرطبة ١٤١٦هـ ١٩٩٥م .
– **مسند أبى يعلى** ، تحقيق حسين أسد ، دار المأمون للتراث ١٣٩٣هـ ١٩٧٣ .

- **كتاب المصاحف** لابن أبى داود السجستانى ، دار الكتب العلمية ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م .
- **المصنف** لابن أبى شيبة ، الدار السلفية بالهند .
- **المصنف** لعبد الرزاق ، تحقيق الأعظمى ، المكتب الإسلامى ١٣٩٠هـ ١٩٧٠م .
- **معالم أصول الفقه** لمحمد حسين الجيزانى ، دار ابن الجوزى ١٤١٦هـ ١٩٩٦م .
- **معانى القرآن الكريم** لأبى جعفر النحاس ، طبع معهد البحوث العلمية جامعة أم القرى .
- **معجم البلدان** لياقوت الحموى ، دار صادر ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م .
- **المعجم الأوسط** للطبرانى ، تحقيق أبو معاذ وأبو الفضل ، الناشر دار الحرمين بالقاهرة ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م .
- **المعجم المفهرس للقرآن الكريم** لمحمد فؤاد عبد الباقى ، طبعة الشعب بمصر .
- **المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوى** تأليف لفيف من المستشرقين ، طبع بريل ليدن ١٩٣٦م .
- **المعجم** لأبى يعلى ، تحقيق إرشاد الحق ، طبع إدارة العلوم بباكستان ١٤١٧هـ .
- **معرفة السنن والآثار** للبيهقى ، تحقيق عبد المعطى قلعجى ، طبع دار الوفاء بالمنصورة ١٤١٢هـ ١٩٩١م .
- **المغنى لابن قدامة** ، تحقيق د/ عبد الله التركى ، د/ عبد الفتاح الحلو ، طبع دار هجر ١٤٠٨ هـ ١٩٨٧م .
- **مفتاح كنوز السنة** د/ ا. ى. فنسنك ، طبع باكستان .
- **الموافقات** للشاطبى ، تعليق الشيخ دراز ، طبع دار المعرفة ، وطبع دار الفكر العربى .
- **موسوعة أطراف الحديث النبوى الشريف** لمحمد السعيد زغلول ، طبع عالم التراث ١٤١٠هـ ١٩٨٩م .
- **موسوعة الحديث النبوى** الدكتور عبد الملك بكر قاضى ، طبع دار العاصمة بالرياض .

- **موطأ مالك** ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى ، طبع عيسى الحلبى ١٣٧٠هـ ١٩٥١م .
- **المنتخب من مسند عبد بن حميد** ، تحقيق صبحى السامرائى ، ومحمد الصعيدى ، مكتبة السنة بالقاهرة ١٤٠٨هـ ، ١٩٨٨م .
- **منحة المعبود فى ترتيب مسند الطيالسى أبى داود** ، للشيخ البنا الساعاتى ، المطبعة المنيرية ١٣٧٢هـ .
- **منهاج السنة النبوية فى نقض الشيعة والقدرية** لابن تيمية ، الناشر مكتبة الرياض الحديثة .
- **نصب الراية لأحاديث الهداية** للزيلعى ، طبع المجلس العلمى بالهند وباكستان .
- **النهاية فى غريب الحديث والأثر** لابن الأثير ، تحقيق الطناحى والزاوى ، طبع عيسى الحلبى ١٣٨٣هـ ١٩٦٣م .

# فهرس الكتاب



| الموضـــوع | الصفحة |
| --- | --- |

| الموضـــوع | الصفحة |
|---|---|

| الموضـــوع | الصفحة |
| --- | --- |

| الموضـــوع | الصفحة |
| --- | --- |

| الموضـــوع | الصفحة |
| --- | --- |

| الموضــوع | الصفحة |
|---|---|

رقم الإيداع
٢٠٠٦/٢٣٩١٩

الترقيم الدولي
ISBN: 977-5260-65-5

مطابع الدار الهندسية/القاهرة
تليفاكس: ٥٤٠٢٥٩٨ محمول: ٠١٢٢٢٣٤٩٠١١